مصر والشرق الأدنى القديم



الأستاذ الدكتور
محمد بيومي مهران
أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م



دار المعرفة الجامعية
٤٠ شارع سوتير - الأزاريطة
الاسكندرية

مصر والشرق الادنى القديم

بـــلاد الشـــام

مصر والشرق الأدنى القديم

(٨)



الأستاذ الدكتور
محمد بيومي مهران
أستاذ تاريخ مصر والشرق الادنى القديم
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

دار المعرفة الجامعية
٤٠ شارع سوتير - الأزاريطة
الاسكندرية



والحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين
مولانا وسيدنا محمد وآله الكرام

« اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ،كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم، فى العالمين انك حميد مجيد»



يحتل الشرق العربى فى تاريخ الدنيا القديم مكانة لا يتطاول اليها تاريخ أمة أخرى فى هذه الدنيا ، فمنه انبثقت الحضارة الانسانية ، وانبعثت أضواؤها التى أشعتها على العالم فنعم بها دهرا ، ولا يزال حتى اليوم ينعم بثمارها ، فى هذه البقعة من الارض ألقيت الحبة الاولى، فأينعت ، وأثمرت أطيب الثمرات ، ووجهت الفكر الانسانى وتسامت به، وحلقت حتى أدركت قوة الخالق — جل وعلا — فمجدته بعد أن عرفته، وآمنت أنه : لا اله الا هو ، لا شريك له ، ثم بشرت به الناس كافة، ذلك لأن الله شاءت ارادته — ولا راد لمشيئته — أن يجعل هذه البقعة من الارض موطن الهـــداية ، ومبعث النور ، فاصطفى منهـــا أنبياءه ومرسليه ، فكان منها «نوح» عليه السلام — أول الرسل — وكان منها ابراهيم الخليل — أبو الانبياء وخليل الرحمن — وكان منها «موسى» كليم الله ، وكان منها «عيسى بن مريم» — كلمة الله وروحه — وكان منها حبيب الله ، ورحمة العالمين ، وخاتم النبيين ، سيدنا ومولانا وجدنا، محمد رسول الله ، ﷺ •

والحق أنه ليس هناك من هذه الصفوة المختارة من الانبياء والمرسلين، المعروفين لنا من الذكر الحكيم ، الا وكان من هذا الشرق الخالد ، وعلى أرضه أنزلت التـــوراة والانجيل والقرآن العظيم ، فضـــلا عن صحف ابراهيم وموسى ، وزابور داود ، وحكمة سليمان ، فأسهمت جميعها فى توجيه البشرية وقيادتها الى طريق الحق والتوحيد ، والاخاء والمساواة، والحب والتراحم ، والفضيلة والفداء •

وفى هذه البقعة المباركة من أرض الله شاءت العناية الالهية أن تتطور الحضارة الانسانية ، تحتضنها الطبيعة — الحانية عليها ، المترفقة بها حينا ، القاسية مع ذلك حينا آخـــر ، تحمل فى ثناياها دائما قوة دافعة متجددة ، تستهدف التقدم ، وتسعى الى الوصول الى آفاق بعيدة من السمو والرفعة •

وتمثل بلاد الشام فى هـــذه البقعة رأس المثلث الحضارى ، ضلعه الايمن وادى الرافدين ، وضلعه الايسر وادى النيل ، وقاعدته شبه الجزيرة العربية •

وفى بلاد الشـــام ــ أو فى فلسطين على وجه التحديد ــ «مدينة القـــدس » ، تلك المدينة التى يقدسها العـــرب جميعا ــ من مسلمين ومسيحيين ــ بل هى رمز البشرية المتدينة على اختلاف مللها ورسلها ومذاهبها ، يقدسها اليهـــود لأن لهم فيها ذكريات دينية وسياسية ، ويقدسها النصارى لأن فى مجاورتها ، ولد المسيح عليه السلام فى بيت لحم ، وربى فى الناصرة ، ولأن بها كنيسة القيامة التى اليها يحجون • ويقدسها المسلمون لأن ارادة الله تعالى شاءت أن يخصها بالعديد من الانبياء والمرسلين ــ ابتداء من أبيهم ابراهيم وحتى عيسى بن مريم ، عليهم السلام ــ ولأن فيها أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ، ولأن بها مسرى جدنا النبى الاعظم ، سيدنا ومولانا محمد ، ﷺ ، وصدق الله العظيم حيث يقول «سبحان الذى أسرى بعبده ليـــلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله» •

ويقدم هذا الجزء الثامن من سلسلة دراسات «مصر والشرق الادنى القديم» دراسة تاريخية عن بلاد الشام فى عصورها القديمة •

والله العلى القدير أســأل أن يكون فى هذه الدراسة بعض النفع ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين •

«وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب» ••

دكتور
محمـد بيـومى مهـران
استاذ تاريخ مصر والشرق الادنى القديم
كلية الآداب ــ جامعة الاسكندرية

بولكلى فى { الثامن من المحـــرم عـــام ١٤٠٩ هـ •
العشرون من اغسطس عـــام ١٩٨٨ م •

الباب الأول

الموقـــع والســـكان

الفصل الأول

الموقع الجغرافى وأثره الحضارى والسياسى

تقع بلاد الشام فيما بين خطى عرض ٣١° ، ٢٧° شمالا ، وخطى طول ٢٢° ، ٤٠° شرقا ، وهى واحدة من أقاليم آسيا الغربية ، فى المنطقة التى تمتد من جبال طوروس شمالا ، وحتى شمال سيناء جنوبا ، ومن البحر المتوسط غربا ، وحتى البادية وبلاد النهرين شرقا ، وتشمل الان الدو ل العربية التالية : ١ — المملكة الاردنية الهاشمية ٢ — فلسطين ٣ — الجمهورية العربية السورية ٤ — الجمهورية اللبنانية العربية .

وقد أطلق سكان وادى الرافدن القدامى على بلاد الشام اسم «أمورو» — وتقابل «مارتو» بالسومرية — وهى ترادف كلمة الغرب كذلك ، ومنذ ، العهد اليونانى استخدم اصطلاح «سورية» (سورستان عند الترك ، وأرام فى التوراة) ، وهى كلمة يونانية محرفة عن أصل سامى قديم ، وكان يعنى «بلاد الشام أو الشأم» ، وتعنى اليسار أو الشمال ، بالمقابل مع اليمن (اليمين أو الجنوب) وذلك بالنسبة الى أهل الحجاز ، كما يقال اليد اليمنى واليد الشومى .

وعلى أية حال ، فان بلاد الشام — أو سورية بمعناها الواسع ، انما تتوسط من الناحية الجغرافية ، قارات العالم القديم الثلاثة — آسيا وافريقيا وأوربا — كما أنها — من الناحية التاريخية — انما تتوسط أعرق حضارتين عرفهما العالم القديم ، وهما حضارة وادى النيل (مصر) وحضارة وادى الرافدين (العراق) ، مما ساعد سورية على أن تتطور الامور فيها على صورة غير التى عهدناها فى مصر أو فى العراق القديم ، ذلك أن الحضارة المصرية انما كانت حضارة نيلية ، نشأت فى

مصر وتطورت فيها ، وساعدت على تطورها على هذا النحـــو ظروف جغرافية طبيعية معينة ، صانت هذا التطـــور حتى استطاع أن يشب مصريا تلونه البيئة التى نشأت بين أحضانها ، وكان الامر مشابها لذلك فى العراق القديم ، فى حضارة ما بين النهـــرين ، فكلتا الحضــــارتين ــ المصرية والعراقية ــ محلية متطورة ، وكلا الاقليمين استطاعا أن يدفعا بعجلة التطور الى الامام ٠

غير أن الامر فى بلاد الشام ــ أو سورية ــ انما يختلف عن ذلك كثيرا ، ذلك لان بلاد الشام ــ بحكم وضعها الجغرافى ، واتصــــالها بجيرانها ــ انما اضطرت الى أن تعطى وتأخذ ، وتعمل كوسيط ، وتتأثر بجيرانها من الشرق ، ومن الجنوب الغربى ، فجـــاءت حضارتها على صورة غير تلك الصورة التى عهدناها فى جارتيها ، وساعدت على هذه الصورة طبيعتها وتضاريسها ، وخلوها من مجارى مائية رئيسية ، مما يعطيها مظهرا يختلف كثيرا عن مظاهر جارتيها عبر التاريخ ٠

ولعل ذلك كله ، انما كان من العوامل التى أدت الى أن بلاد الشام ــ التى نعنيها بالرقعة الجغرافية الانفة الذكر ــ لم تكن تعنى فى التاريخ دولة معينة لها كيان الدولة المعروف ومقوماتها ، فهى لم تكن أبدا كمصر ، ولم يكن أبدا تاريخها كتاريخ مصر ، بما فيه من مد وجزر ، وقد تأثرت حضارتها ــ كما سنرى ، بغيرها من حضارات الامم التى تجاورها ، ذلك لان وضعها الجغرافى جعلها تتأثر من ناحية بوادى الرافدين ، ومن ناحية أخرى بمصر ، ومن ناحية ثالثة بدولة أخرى استطاعت ــ وان لم تصبغها بصبغة واضحـــة ــ أن تلعب دورا خطيرا فـــوق مسرحها السياسى ، تلك هى «دولة الحيثيين» الذين عـــرفهم الاشوريون تحت اسم «خاتى» ، وعرفتهم مصر باسم «خيتا»[١] ٠

---

(١) انظـــر : نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنـــى القديـــم ــ الجزء الثالث ــ الاسكندرية ١٩٦٦ ٠

والواقع أن أثر الموقع الجغرافى لبلاد الشام لم يقتصر على النواحى الحضارية ، وانما امتد كذلك الى النواحى السياسيه . فمنذ كان موقع بلاد الشام الجنوبيه (فلسطين) بين عواصم النيل والدجله والفرات ، والذى جاء لبنى اسرائيل على أيام سليمان عليه السلام (٩٦٠ — ٩٢٢ ق٠م) بالتجارة ، هو نفسه الذى سيجيىء لهم بالحرب فى البقيه الباقية لهم فى فلسطين بعد أيام سليمان ، عليه السلام ، وكم من مرة ضيق على اليهود ، فلم يجدوا لهم مخرجا من ضيقهم ، الا بالانضمام الى أحد الطرفين فى الصراع القائم بين الامبراطوريات الكبرى — فى مصر والعراق القديم — أو بأداء الجزية عن يد وهم صاغرون ، وكم من مرة اجتاح المضطرعون بلادهم ، وكان من وراء التوراة ، ومن وراء صراخ أصحاب المزامير والانبياء وعويلهم وطلبهم الغوث من رب السماء ، كان من وراء هذا كله موقع اليهود الذى تتهدده الاخطار ، بين شقى الرحى، ومن فوقهم دول أرض الجزيرة ، ومن تحتهم أرض النيل(٢) .

وهكذا نرى «أشور» مثلا ، على أيام الملك «تجلات بلاسر الثالث» (٧٤٥ — ٧٢٧ ق٠م) ترى أن امتلاكها لسورية وفلسطين ، هو الشرط الاساسى لنجاح امبراطوريتها ، فهو لم يكن بالنسبة لحكام بلاد النهرين بسبب ثروة سورية وفلسطين من أخشاب نادرة فى الشرق ، وبسبب ثروتها المعدنية وساحلها الطويل على البحر المتوسط ، وتجارتها الغنية فحسب ، ولكنه كان كذلك — وفى نفس الوقت — المدخل الى جنوب شرقى آسيا الصغرى من ناحية ، ومصر من ناحية أخرى ، ولهذا فقد اتخذ «تجلات بلاسر» الخطوات الجادة مباشرة لضم الاجزاء الاساسية من سورية وفلسطين الى الامبراطورية الاشورية ، وتثبيت سيادة آشور على سورية وفلسطين ، ومن هنا ، فانه لم يقنع — بما فعل غيره من الحكام الاشوريين — بقبول الجزية ، ممن يخضعهم من الامراء السوريين والفلسطينيين(٣) .

---

(٢) ول ديوارنت : قصة الحضارة — الجزء الثانى — ترجمة محمد بدران — القاهرة ١٩٦١ ص ٣٢١ .

3) M. Noth, The History of Israel, London, 1965, P. 253.

ولم يختلف الامر كثيرا بالنسبة الى مصر ، ومن ثم فقد رأينا القوم بعد طردهم للهكسوس من مصر ، ومطاردتهم حتى «زاهى» فى لبنان ، حوالى عام ١٥٧٥ ق٠م ، يدركون أن حدودهم الطبيعية انما تبدأ فى سورية ، بينما لا يقل نطاق الامان من حولهم عن الشرق الاوسط تقريبا، ومن هنا فقد توسعت الامبراطورية المصرية الى حدودها القصوى ــ كلما أمكن ذلك ــ لا كاستعمار بالمعنى المفهوم ، وانما لنشر «السلام المصرى» ، بل اننا يمكننا أن نزعم بقليل من خشية ، أن الامبراطورية المصرية كانت فى جوهرها ، وفى معنى ما «امبراطورية دفاعية» أساسا، حتمتها ظروف الصراع الاقليمى ، والاستراتيجية العريضة فى الشرق الادنى القديم(٤) ٠

ومن هنا أدرك فراعين عصر الامبراطورية المصرية (الاسرات الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرون = ١٥٧٥ ــ ١٠٨٧ ق٠م) ، أن السياسة الفعالة والوحيدة فى مختلف العصور ، هى احتلال حربى لطرق الغزو ، من وديان الاورنت (العاصى) والاردن ــ أو سورية وكنعان ــ ووضع فى قوة حربية لمنع الاحتكاك عند مدخل ممر الغزو فى اقليم حلب، بين الفرات والعاصى(٥) ٠

ورأت مصر ، أن الخير لكل من الطرفين ــ مصر والدويلات السورية ــ فى اتباع هذه السياسة ، ذلك لان الدويلات السورية سوف تطمئن على أمنها من هذا الطريق ، وبخاصة وأن سورية (بلاد الشام) لم تكن قد عرفت بعد فى هذه العصور ، الكيان السياسى للدولة الموحدة ــ كما كان الامر فى مصر منذ أكثر من ستة عشر قرنا ، أى منذ حوالى عام ٣٢٠٠ ق٠م ــ ومن ثم فهى ليست بقادرة على صد هجرات جديدة،

---

(٤) جمال حمدان : شخصية مصر ــ القاهرة ١٩٧٠ ص ٥٦ ٠
(٥) محمد بيومى مهران : مصر ــ الجزء الثالث ــ الاسكندرية ١٩٨٨ ص ١٩٦ ــ ١٩٧ ، نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم ــ الجزء الثانى ــ الاسكندرية ٩٦٦ ١ص ١٣٠ ٠

أو كسر شوكة الهجرات الموجودة على أطرافها ، دون دفع داخلى ، أو عون خارجى[٦] •

وأما بالنسبة لمصر ، فان احتلالها للولايات السورية ، انما يعتبر بمثابة صمام أمن لها ، بخاصة وأنها كانت قريبة عهد بطرد الهكسوس ، الذين ربما اتصلوا بذوى قرباهم فى تلك المناطق ، أو من كانوا لايؤمنون بصداقة مصر ، ومن ثم فسوف يصبحون — بمرور الزمن — خطرا على الولايات الموالية لمصر ، وربما على مصر نفسها ، أضف الى ذلك كله ، افادة مصر من السيطرة على أبواب التجارة ، ومداخل الهجرات فى شمال وأطراف العراق[٧] •

وتنطلق مصر — امتدادا لهذا المنطق — فى نفس الاتجاه ، ويكتب لها نجحا بعيد المدى فى تكوين امبراطوريتها الواسعة ، ويستمر المد المصرى حتى عبر الفرات ، ويصل الى تخوم الفرات الشرقية ، كما يسيطر على كل سواحل وجزر البحر المتوسط ، وهكذا تتربع مصر على عرش السيادة والزعامة فى الشرق الادنى القديم طوال عهد الامبراطورية المصرية ، وان لم تخل هذه الزعامة وتلك السيادة ممن ينافس مصر عليها ، وان ظلت مصر — بصفة عامة — القوة الكبرى فى الشرق الادنى القديم •

وحين تنتهى أيام الامبراطورية ، تحاول مصر — كلما أمكنها ذلك، وسنحت لها الفرصة — أن تسترد مكانتها فى العالم القديم ، وتعمل جاهدة على أن تجعل لها صوتا مسموعا فى سياسة الشرق الادنى القديم. وأن تسترجع الامبراطورية المصرية المفقودة فى سورية وفلسطين،الامر

---

(٦) عبد العريز صالح : الشرق الادنى القديم — الجزءالاول — مصر والعراق — القاهرة ١٩٦٧ ص ١٠٧ •

(٧) احمد فخرى : مصر الفرعونية — القاهرة ١٩٧ ص ٢٦٩ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٠٥ وكذا
BIFA, XXX, 1931, P. 113.

الذى جعل بلاد الشام فى كثير من أزمنة التاريخ القديم ، ميدان المعركة بين مصر وغيرها من القوى الكبرى فى الشرق الادنى القديم ، ســواء أكانوا من البابليين أو الاشــوريين أو الكلدانيين ، بل وحتى الحيثيين وشعوب البحر وغيرهم •

وانطلاقا من كل هذا ، فان بلاد الشام ــ أو سورية ــ انما تأثرت بعوامل ثلاثة : أولها : موقعها الاستراتيجى ووقوعها بين قارات ثلاث، وقد عرضهـا ذلك للغزوات البــابلية والاشورية والكلدانية والمصرية والحيثية والفارسية والمقدونية والرومانية والمغولية والصليبية وغيرها، وثانيهما : وقوعها بين أقــدم وأعرق حضارتين فى العالم القديم ، هما الحضارة المصرية وحضارة بلاد الرافدين ، وثالثهما : أنها كثيرا ما كانت ــ وخاصة أطرافها الشرقية ــ مسرحا لنزاع متواصل بين سكان البادية وسكان السهول،ويحكى جزء كبير من تاريخها قصة حوادث الاضطرابات الكثيرة لهذه الجماعات[٨] •

---

(٨) عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ــ القاهرة ١٩٦٦ ص ٢٣٥ ــ ٢٣٦ •

الفصل الثانى

الساميون فى سورية والاراء التى دارت حول موطنهم الاصلى

(أ) سكان بلاد الشـام :

لا ريب فى أن بلاد الشام — أو سورية بمعناها الواسع — انما كانت — قبل وصول الهجرات السامية اليها — عامرة بسكانها من غير الساميين ، الذين استقروا فيها منذ أجيال وأجيال ، ومع ذلك فان بقايا ساكنى الكهوف من الالف الثالثة قبل ميلاد المسيح عليه السلام ، انما تشير الى أنهم كانوا قوما من الساميين[١] ، صحيح أن وجود جنس نقى فى الشرق الاوسط بين الآلاف من تياراته الجنسية التى تتلاطم فيـه ، أمر يتطلب — فيما يرى ول ديورانت — مستوى من الفضيلة لا يعقله عاقل[٢] ، ولكنه صحيح كذلك أن سكان بلاد الشام انما كانوا فى غالبيتهم العظمى — كما سوف نرى — من الساميين الذين أتوا اليها من شبه الجزيرة العربية ، مع قليل آخر من غير الساميين •

ومع ذلك ، فمما لا ريب فيه أنه ليست هناك سلالة نقية صافية ، كما أنه ليست هناك ثقافة وليدة البيئة وحدها ، ولم تتأثر بأخرى ، وان كان هذا لا يمنعنا من القول بأن بلاد الشام — أو قل سورية بمعناها الواسع ، والذى يشمل سورية ولبنان وفلسطين والاردن ، كانت أكثر من غيرها تعرضا لهجرات الشعوب السامية ، وربما غير السامية كذلك •

هذا وتتكون العناصر الســامية فى بلاد الشـــام من الاموريين

---

1) A. Lods, Israel, From its Beginnings to The Middle of The Eighth Century, London, 1962, P. 56.

(٢) ول ديورانت : المرجع السابق ص ٣٢٨ •

والكنعانيين — الفينيقيين والاراميين ، هذا الى جانب كوكبة أخرى من القبائل كالآدوميين والمؤابيين والعمونيين والمديانيين واليبوسيين والقنزيين والقينيين والعماليق وغيرهم • وأما العناصر غير السامية فى بلاد الشام فأهمها : الحوريون والحيثيون والفلسطينيون والثيكر وغيرهم[٣] •

(٢) الساميون :

ينسب المؤرخون الساميين الى «سام» بن نوح عليه السلام ، وذلك اعتمادا على ما جاء بالتوراة التى جعلتهم احدى التقسيمات البشرية الثلاثة التى ترجع السلالات البشرية على تعدد قبائلها وشعوبها الى أبناء نوح الثلاثة «سام وحام ويافث»[٤] ، وقد استعمل لفظ «سامى» لأول مرة فى عام ١٧٨١ م على يد المستشرق الالمانى «أوجست لدوج شلوتسر» فى مقالته عن الكلدانيين ، وذلك فى قوله «من البحر المتوسط الى الفرات، ومن أرض الرافدين حتى بلاد العرب جنوبا ، سادت — كما هو معروف — لغة واحدة ، ولهذا كان السوريون والبابليون والعبريون والعرب شعبا واحدا[٥] ، وكان الفينيقيون أيضا يتكلمون هذه اللغة التى أود أن اسميها «اللغة السامية» ، وقد تولى «ايشهورن» بعد ذلك هذا الاصطلاح وان ادعاه لنفسه[٦] •

وبدأ العلماء بعد ذلك يستعملون كلمة «الساميين» على أساس أنها تعنى جنسا بشريا واحدا يرتفع فى نسبه الى «سام بن نوح» ويتميز عن غيره بصفات مشتركة بينة ، وهى لغوية قبل كل شىء ، فبين اللغات السامية من التشابه الكبير فى الاصوات والصيغ والتراكيب والمفردات

---

(٣) محمد بيومى مهران : اسرائيل — الجزء الثانى — الاسكندرية ١٩٧٨ ص ٤٩٧ — ٤٩٩ •

(٤) تكوين ١٠ : ١ ، ٢١ •

5) Schller (A.L.), Von den chaldaern, P. 161.

وكذلك Moscati (S.), Ancient Semitic Civilizations, London, 1957.

وفى الترجمة العربية التى قام بها الدكتور السيد يعقوب بكر تحت عنوان «الحضارات السامية القديمة» ص ٢٣٩ •

6) R. Nicholson, Aliterary History of The Arabs, Cambridge, 1935, P. XV.

ما لا يمكن معه أن ننسب تقاربهما الى حدوث اقتباسات بينها فى العصور التاريخية ، وانما لا سبيل الى تفسير هذا التقارب الا بافتراض أصل مشترك بينها[٧] ، ذلك لانها تشترك فى وجود فعل ثلاثى كمصدر أساسى ووجود زمنين للفعل هما الماضى والمضارع وتصريف الفعل يتبع نفس الاسلوب ، وفى جميع لغات المجموعة السامية نجد تشابها بين الكلمات الاساسية كالضمائر الشخصية والاسماء التى تدل على القـرابة[٨] ، فكلمات الاب والام والاخ والاخت والعم كلمات مشتركة فى كل هذه اللغات ، والكلمات الخاصة بأعضاء جسم الانسان مثل العين والانف والرجل والشعر واليد والاذن والرأس ألفـاظ نجدها مشاعـة فى كل اللغات السامية[٩] هذا فضلا عن تغير الحركات فى كلمات هـذه اللغات والذى يحدث تغييرا فى المعنى وفى التعابير التى تدل على منظمات الدولة والمجتمع والدين[١٠] ، وفى أمور أخرى مشتركة[١١] ، وهكذا كان هناك الكثير من الادلة اللغوية التى ترسم صورة عامة للمـلامح المميزة فى المجموعة السامية من حيث هى أسرة لغوية واحدة .

وفى عـام ١٨٦٩م قسم العلماء اللغات السـامية الى مجموعتين ، الاولى : وتسمى المجموعة السامية الشمالية وتشمل اللغـات العبرية والفينيقية والارامية والاشورية والبابلية والكنعـانية ، وأما الاخرى فتسمى المجموعة السامية الجنوبية ، وتشمل اللغات العربية بلهجاتهـا

---

(٧) سبتينوموسكاتى : الحضـارات السامية القديمة ، ترجمـة د . السيد يعقوب بكر ـ القاهرة ١٩٦٨ ص ٤٤ .

(٨) فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ـ الجزء الاول ـ ص ٦٦ ، ولنفس المؤلف : تاريخ العرب ص ٩ ـ ١٠ وكذلك

Hastings, J., Encyclopaedia of Religion and Ethics, 2, 1934, P. 378.

(٩) اللغة العربية عبر القرون ص ١٣ .

(١٠) جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ١ ص ٢٢٢ وكذلك

Encyclopeadia Britannica, 20, P. 315.

(١١) انظر فى ذلك : حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم ، الاسكندرية ١٩٧١ ص ١٧ ـ ٢٥ وكذلك عمـر فروخ : تاريخ الجاهلية ، بـيروت ١٩٦٤ ص ٣٨ ، هامش ١ .

والحبشية[١٢] ، الا أن هناك من يقسمها الى مجموعات أو أقسام ثلاثة، وأما أول هذه الاقسام فهو القسم الشرقى : ويضم اللغات البابلية والاشورية والكلدانية الارامية ، وثانيهما هو القسم الغربى : ويضم اللغات الكنعانية والاخلامية والفينيقية والبونية والارامية والعبرية والسريانية والتدمرية والنبطية والمؤابية والامورية ، وأما القسم الثالث فهو القسم الجنوبى ، وينقسم بدوره الى فصيلتين ، الاولى : العربية : وتضم العربية القديمة والقحطانية والحميرية والمعينية والسبئية والعدنانية المضرية أو القرشية الفصحى ، والثانية تضم الحبشية أو الاثيوبية والجعزية والنيجرية والتيجرينائية والامهرية والهروية[٣١] .

ولكن هناك من يعترض على هذه التسمية — أى السامية — على أساس أنها تسمية لغوية ، وليست جنسية ، وغير جامعة ولا مانعة كذلك، هذا فضلا عن أنها اعتمدت الى حد كبير على التوراة ، كما أنها لا تعتمد على أسس علمية أو عنصرية صحيحة ، بل بنيت تلك القرابة التى أورثتها التوراة ووضع ذلك التقسيم على اعتبارات سياسية وعاطفية، وعلى الاراء التى كانت شائعة عند شعوب العالم فى ذلك الزمان عن النسب والانساب وتوزيع البشر[١٤] ، فهناك العيلاميون الذين جعلت التوراة من جدهم «عيلام» الابن الاكبر لسام ، وذلك حين تقول «بنو سام عيلام وأشور وارفكشاد ولود وأرام»[١٥]،ومع ذلك فهم لايتكلمون لغة سامية ، وهناك لغات سامية لاينتمى الناطقون بها الى الجنس السامى كالاحباش ، ثم هناك الكنعانيون الذين جعلتهم التوارة من الحاميين ، وهم يتكلمون لغة سامية ، بل هم أنفسهم ساميون ، والامر كذلك بالنسبة الى المصريين حيث جعلتهم التوراة حاميين ، «بنو حام

---

(١٢) جواد على : المرجع السابق ص ٢٢٣ .
(١٣) السيد عبد العزيز سالم : دراسات فى تاريخ العرب — الجزء الاول — عصر ما قبل الاسلام ص ٦١ ، ٦٢
14) Barton, G. A., Semitic and Hamitic origins, London, 1934, P. 1.
وكذلك جواد على : المرجع السابق ص ٢٢٣ — ٢٢٤ .
(١٥) تكوين ١٠ : ٢٢ .

كوش ومصرايم وفوط وكنعان»[١٦] • والمصريون ساميون ما فى ذلك من شك ، وقد خرجوا من الجزيرة العربية متجهين صوب الكنانة فيما قبل العصور التاريخية ســالكين فى هجرتهم هذه طريقين ، الاول : هو شمال الجزيرة العربية فشبه جزيرة سيناء ، اذا ما اتجهوا نحو الشمال، والاخر : عبور بوغاز باب المندب ثم الاتجاه شمالا حتى اذا ما وصلوا صحراء مصر الشرقية سلكوا الطريق الموصل بين البحر الاحمر والنيل، مارا بوادى الحمامات ، وقد بقيت لهذه الدروب فى جميع عصور التاريخ المصرى مكانة خاصة وكانوا يسمون هذا الطريق «طريق الآلهة» اشارة الى مجىء بعض أسلافهم ومعهم آلهتهم من هذا الطريق ، وما من شك فى أن صلة مصر بالشعوب السامية فى عصر ما قبل التاريخ تركت آثارها فى اللغة المصرية القديمة ، سواء فى مفرداتها أو أجروميتها[١٧] ، ومن هنا فان العلماء[١٨] يعترفون — اذا استثنينا منهم تلك الطـائفة التى تؤمن بحرفية ما جاء فى التوراة — بأن اللغة المصرية هى احدى اللغات السامية ، وقد كتبت بها الوثائق المصرية منذ عهد مينا — أى منذ حوالى ٣٢٠٠ سنة قبل الميلاد تقريبا[١٩] ، وأما لماذا أخرجت التوراة المصريين من مجموعة الشعوب السامية فجــواب ذلك فى الروايات الاسرائيلية نفسها ، حيث تذكر حياة الاسرائيليين فى مصر بكل مرارة ، وتصف الذل والهوان الذى كان يعيش فيه اليهود فى مصر[٢٠] ، حتى غدا العــرف الشائع بين العبريين أنهم يتشاءمون تشاؤما تقليديا بالايام التى قضوها فى مصر ، ويحسبونها بلية البلايا ومحنة المحن فى تاريخهم كله من عهد الخليل الى عهد النازية الهتلرية فى القرن العشرين ، وقد مرت بهم محنة

---

(١٦) تكوين ١٠ : ٦ •

(١٧) أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ـ القاهرة ١٩٦٣ ص ٣١ •

18) T. W. Thacker, The Relationship of Semitic and Egyptian Verbal Systems, Oxford 1954.

(١٩) محمد عبد القادر محمد : الساميون فى العصور القديمة ص ٧

(٢٠) محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الادنى القديم ـ الجــزء الثانى ـ اسرائيل ص ٢٤٥ ـ ٢٥٣ ، ٢٧٥ وكذلـك : سـفر الخروج ٩ : ١٣ ، ١٤ ، ٢٢ •

السبى الى وادى النهرين ، ولكنهم لم يتشاءموا بها كما تشاءموا بالمقام فى مصر ، ولم يجعلوا من بابل عيدا باقيا متجددا كعيد الخروج من أرض وادى النيل[٢١] ، وانطلاقا من هذا نستطيع أن نقول ان دعوى التوراة فى اخراج المصريين من الساميين لم يكن الا من نوع الحقد الذى يكنه اليهود للمصريين بخاصة ، وللعــرب بعامة ، والامر كذلك بالنسبة الى الكنعانيين ، فلقد تعمد العبريون فى توراتهم ــ كما يرى بروكلمان ــ اقصاء الكنعانيين عن الانتساب الى ســام بن نوح ، لاسباب سياسية ودينية ، مع أنهم كانوا يعلمون حق العلم ما بينهم وبين الكنعانيين من صلات عنصرية ولغوية ، وقد أرجع الاصحاح العاشر من سفر التكوين نسب الفينيقيين والسبئيين الى حام جد الكوشيين ذى البشرة السوداء، مع أنهم لم يكونوا من الحاميين ، وقد يكون ذلك بسبب وجود جاليات فينيقية وسبئية فى افريقية ، فعد كتبة التوراة هؤلاء من الحاميين[٢٢].

ومن هنا كان المصدر الذى اعتمد عليه العلماء فى ذلك ــ وأعنى به التوراة ــ موضع شك ، فكاتب سفر التكوين اعتمد على الاجناس التى يعرفها فحسب كما أنه كان متأثرا بعواطفه العدائية القديمة نحو مصر وكنعــان وبابل ، ومن هنا نراه يخــرجهم من الساميين ويجعلهم من الحاميين ، هذا فضلا عن أنه يبدو مضطربا بالنسبة لآشور وكوش ، فاذا أضفنا الى ذلك أن سفر التكوين ــ فيما يرى جان استروك ، كما جاء فى دائرة المعارف اليهودية نفسها[٢٣] ــ ليس عملا موحدا قام به مؤلف واحد، وانما هو من عمل مجموعة من كتاب متتاليين ، ومن مصادر مختلفة ، وأنه أخذ صورته الحالية بمرور الزمن ، وفى عصور لاحقــة لعصر موسى بأمد قصير ، لتبين لنا الى أى مدى كان الاعتمــاد على روايات سفر التكوين منزلقا خطــرا[٢٤] .

---

(٢١) عباس العقــاد : الثقافة العربية أسبق مــن ثقافة اليونان والعبريين ــ القاهرة ١٩٦٠ ص ٥٨ .

(٢٢) جواد على : المرجع سابق ص ٢٢٤ ، وكذلك
Nichsolon. R. A. Op. Cit., P. XV.

23) The Jewish Encylopeadia, 4, N. Y., 1903 P. 6.7.

(٢٤) راجع كتابنا «اسرائيل» ، الفصل الثانى «التوراة» ص ٩١ ــ ١٥٩ .

وعلى أية حال ، فرغم أن العلم الحديث يعتبر تسمية الســامية أو الشعوب السامية تسمية لغوية أكثر منها تسمية جنسية ، وذلك خلاف المفهوم القديم الذىأشاعته قصص العبرانيين فى التوراة عن الفصل بين جنس الساميين من نسل سام ، وبين جنس الحاميين من نسل حام، ولدى نوح عليه السلام ، فان تعبير «الشعوب السامية» مقبول ، على أساس شيوعه للدلالة على شعوب ربطت بين أهلها روابط التشابه فى الملامح العامة ، وروابط التشابه فى تأثيرات البيئة والمناخ ، وروابط اللغات ، ثم روابط العقائد والتقاليد والتخيلات ، نتيجة لتشابه الاسس التى قامت عليها والظروف التى أوحت بها ، وينطبق ذلك بأطرافه على شعوب الشرق الادنى ، بدوله العربية فى الجزيرة العربية والشــام والعراق ومصر والدول العربية الافريقية ، وانطلاقا من هــذا يذهب «موسكاتى» الى أن الشعوب السامية فى لغتهــا تؤلف كتلة واحدة ، لا باجتماعها فى صعيد جغرافى واحد ، والتحدث بلهجات لغة واحـــدة فحسب ، ولكن باشتراكها فى أصل حضارى تاريخى واحد أيضا ، ومن هنا يجوز لنا ألا نقصر الصفة السامية على الميدان اللغوى ، وأن نتحدث أيضا عن الساميين وعن الشعوب والحضارة السامية(٢٥) .

ومع ذلك فهناك من يرى أن السامية ليست جنسا بالمعنى المفهوم من الجنس عند علماء الاجناس ، أى أنها ليست جنسا له خصـــائص جنسية وملامح خاصة تميزه عن الاجناس البشرية الاخرى ، ويقول العالم الفرنسى «الاب هنرى فليش» : انه ينبغى ألا نفهم من استعمال كلمة «السامية» أى شيء أكثر من اصطلاح المقصود به تيسير الامر على البــاحثين ، دون أن نعتقــد أن له دلالة عنصرية(٢٦) ، وذلك لان بين الساميين تمايزا وتباينا فى الملامح وفى العلامات الفارقة يجعل اطلاق الجنس عليهم بالمعنى العلمى الحديث من علم الاجناس ، أو الفروع العلمية الأخرى ، نوعا من الاسراف واللغو ، كما أننا نرى تباينـــا فى

---

(٢٥) سبتينوموسكاتى : المرجع السابق ص ٤٩ .

26) Fleisch, H. Introduction a l'Etude des langues Semitiques, Paris 1947, P. 18.

داخل الشعب الواحد من هذه الشعوب السامية فى الملامح وفى المظاهر الجسيمة ، وفى هذ التمايز والتباين دلالة على وجود اختلاط وامتزاج فى الدماء ، وقد وجد بعض علماء الانثروبولوجيا مثلا أن بين اليهود تباينا فى الصفات وفى الخصائص التى وضعها هـذا العلم للجنس[٢٧] ويذهب الانثربولوجى الفرنسى «أوجين بيتار» الى أن اليهود بعيدون كل البعد عن الانتماء الى ما يسمى بجنس يهودى ، وانما طائفة دينية واجتماعية اندمج فيها على طول الاجيال المتعاقبة أشخاص ينحدرون من سلالات متنوعة بعدت بهم عن أولئك الذين كونوا فى قديم الزمان قرب البحر الميت ، ذلك الشعب اليهودى القديم[٢٨] ، والذى هو نفسه موضع شك فى اصالته ونقاوته ، وقد أثبتنا فى بحثنا عن النقاوة الجنسية عند اليهود[٢٩] ، أنهم منذ الازل غير أنقياء جنسيا ، فعلى سبيل المثـال ، نجد أن رؤوس الاسباط الاثنى عشر — بنص توراتهم نفسها — نصف دمائهم اسرائيلية ، والنصف الاخر ، بعضه آرامى والبعض الاخر لا ندرى عنه شيئا[٣٠] ، أضف الى ذلك أن بعضا من آباء الاسباط هؤلاء قد تزوج من غير الاسرائيليات ، فى «يهوذا» — والذى حمـل اليهود اسمه — قد تزوج من كنعانية[٣١] ، والامر كذلك بالنسبة الى يوسف الصديق عليه السلام والذى تزوج من مصرية[٣٢] ، كما فعـل موسى الكليم الامر نفسه حين تزوج من امرأتين ، احداهما مديانية ، والاخرى كوشية[٣٣] ، وسليمان نبى الله وأعظم ملوكهم تزوجه التـوراة بألف من النساء من كل بلد ولون[٣٤] ، فضلا عن أنه هو نفسه ابن امـرأة

---

(٢٧) جواد على : المرجع السابق ص ٢٢٥ ، وكذلك
Buxton, L. H. D., the peoples of Asia, London, 1925, P. 96 FF.
28) Pittard, E., les Races et l'histoire, Paris, 1924, P. 432-42.
(٢٩) محمد بيومى مهران : «النقاوة الجنسية عند اليهود» ، وهى المحاضرة الثالثة عشرة من سلسلة المحاضرات العامة بجامعة الاسكندرية فى العام الجامعى ١٩٧٢/٧١م .
(٣٠) تكوين ٢٩ : ٤ ــ ١٧ ــ ٣٥ : ٢٦ .
(٣١) تكوين ٣٨ : ١ ــ ٣ .
(٣٢) تكوين : ٤١ : ٤٥ .
(٣٣) خروج ٢ : ٢١ ، ٣ : ١ عدد ١٢ : ١ ــ ١٥ .
(٣٤) ملوك أول ١١ : ١ ــ ٣ .

حيثية[٣٥] ، كما كان ابنه وخليفته رحبعام من زوجـة عمونية ٠٠٠٠ وهكـذا ٠

ويبدو أن الامـر لم يقتصر على اليهـود ، فلقد وجد علمـاء الانثروبوجيا عند فحص العظام التى عثـر عليها فى الاثار الاشورية والبابلية أن أصحابها يختلفون أيضـا فيما بينهم فى الملامح التى تعد أساسا فى تكوين جنس من الاجناس ، كما وجد نفس الامر عند العرب فى الجاهلية[٣٦] ـ ويخرج الدكتور جـواد على من ذلك[٣٧] كله بأن السامية ليست جنسا صافيا بالمعنى الانثروبولوجى ، بل انها مجموعة ثقافية ومصطلح أطلقه العلماء على هذه المجموعة لتميزهـا عن بقيـة الاجناس البشرية الاخرى ٠

٣ ـ الموطن الاصلى للساميين ، والآراء التى دارت حوله :

وأيا ما كان الامر ، فهناك شبه اجماع بين العلماء على أن الشعوب المتكلمة بلغات سامية ترجع الى جماعة سـامية أولى ، وكان لها وطن أصلى واحد ، ثم تفرقوا فى منطقة الشرق الادنى القديم ، وان اختلفوا فيما بينهم اختلافا كبيرا فى هذا الوطن الاول ٠ فهناك من رأى أن أرض بابل (بلاد النهرين) كانت الموطن الاول للساميين ، بينما يفضل آخرون أرض أرمينية ، وهناك فريق ثالث ذهب الى أن ذلك المهد الاول للساميين كان فى أرض آمور ـ أى بلاد الشام ومنطقة الفرات ـ بينمـا رأى فريق رابع أن افريقية هى ذلك الوطن الام ، على حـين ذهب فريق خامس الى أنه فى الجزيرة العربية ـ على اختلاف بين أصحاب هـذه النظرية بين نجد والبحرين واليمن ـ وأخيرا توسط بعض الباحثين بين الآراء المتباينة عن الوطن الاول للجنس السامى ، فذهب الى أن الهلال الخصيب وأطراف جزيرة العرب هى الوطن الاول للساميين ، وقد كان هذا الميدان موضع صراع بين البداوة والحضارة ، فقـد كان البدو

---

(٣٥) صموئيل ثـان ١٢ ٠

36) Buxton. L. H. D., Op. Cit, P. 99 FF.

(٣٧) جواد على : المرجع السابق ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ ٠

يهاجمون الحضر سكان القرى والمدن ، والبدو هم من الساميين ، وكثير من الحضر كانوا من الساميين أيضا ، ومن هذا التنازع على الحياة تكون تاريخ الساميين فى هذه المنطقة الواسعة من الهلال الخصيب التى تحدها من الشرق والشمال والغرب جبال ، والتى تمتد فتشمل كل جزيرة العرب(٣٨) .

ولنناقش الآن هذه الاراء المختلفة ، لنتبين أى الاراء منها هو الصحيح ، أو على الاقل لنصل الى رأى نميل الى أنه هو الصحيح .

(١) الرأى الاول : بلاد النهرين

يرى فريق من العلماء — وعلى رأسهم فون كريمر وارنست رينان وفرانسوا لنورمان وفريتز هومل — أن بلاد النهرين (أو العراق القديم) هى الموطن الاول للساميين ، وذلك لوجود ألفاظ عديدة لمسميات زراعية وحيوانية تشترك فيها أكثر اللغات السامية المعروفة وهى مسميات لأمور هى من صميم حياة هذا الاقليم ، كما يعتمد كذلك على أن اسم «الجمل» تشترك فيه جميع اللغات السامية ، ولما كان الموطن القديم للجمل يقع فى أواسط آسيا قريبا من نهرى «سيحون وجيجون» ، فان هذه المنطقة تعتبر الموطن الاصلى للساميين(٣٩) ، الا أن أجداد الساميين غادروها فى الدهر الاول ، وارتحلوا عنها فانحازوا الى الجنوب ، مجتازين ايران والارضين المأهولة بالشعوب «المهندو — أوربية» حتى وصلوا الى اقليم «بابل» فنزلوا فيه ، فصار هذا الاقليم الوطن الاقدم أو الاول للساميين(٤٠) .

ويذهب العالم الايطالى «اجيانسيو جويدى»(٤١) الى أن مواطن

---

(٣٨) جواد على : المرجع السابق ص ٢٣٩ ، وكذلك
Roux, G., Ancient Iraq (Penguin book) 1966, P. 125.
(٣٩) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص ٦٥ .
(٤٠) جواد على : المرجع السابق ص ٢٣٠ .
41) Guidi, I., Della Ṣede primitiva die popoḷi semịtici, Roma, 1879.

الساميين الاول كانت الارضين فى جنوب بحر قزوين وفى جنوب شرقية ، الا أنهم غادروها بعد ذلك وارتحلوا عنها الى اقليم بابل ، ثم يعضد هذه النظرية بأسس لغوية ، ذلك أنه لاحظ أن لفظة «نهر» موجـودة بلفظها هذا تقريبـا فى جميع اللغات السـامية ـ العربية والعبرية والآرامية والسريانة والبابلية الاشورية ـ بينما تختلف كلمة «جبل» ، اختلافا بينـا من لغة سامية الى أخـرى ، ففـى العربية « جمل » وفى العبرية «هر» وفى الآرامية والسريانية «طـورا» وفى البابليـة الآشورية «شادو» كذلك لاحظ أن كثيرا من أسماء النباتات والحيوانات وأشكال الارض فى اللغات السامية تشبه ما يوجد من ذلك فى البابلية الآشورية ـ لافى العربية ـ واستخلص من ذلك نتيجة هى : أن سهول العراق لابد أن تكون الوطن الاصلى للساميين ، لا سيما اذا أضفنا الى ذلك أن البابلية الآشورية توجد منها نصوص مكتوبة منذ الالف الرابعقبل الميلاد ، وهى أقدم كتابات فى تاريخ الساميين على الاطلاق ولكن هذه النظرية مجروحة لسبب بسيط جدا ، وهو أن أحد الملوك الساميين الاوائل فى العراق ، وهو الملك سرجون الاول الاكادى (حوالى ٢٣٧٠ــ٢٣١٥ ق٠م)[٤٢] كتب عن أصله فى نقش مشهور مايفهم منه صراحة أنه وعشيرته نزحوا الى العراق من شرق جزيرة العرب،ثم ان تاريخ العراق قبل نزوح الساميين اليها معروف لنا عن طريق الوثائق السومرية التى تثبت أن هذا الشعب ـ ولم يكن ساميا[٤٣] ـ هو الشعب الاصلى فى العراق ـ وان ذهب «سيرليوناردوولى» الى أن الساميين هو السابقون ـ [٤٤]

---

(٤٢) يختلف المؤرخون فى تاريخ الملوك السومريين والاكديين على السواء ، وعلى سبيل المثال فهناك من ضع مرجـون الاول فى الفترة (٢٣٥٠ ـ ٢٢٩٥ ق٠م) ومن يضعه فى الفترة (٢٣٣١ ـ ٢٧٦ ق٠م) ٠

(٤٣) يتفق المؤرخون على أن السومريين شعب غير سامى ، ولكنهم يختلفون فى موطنهم الاصلى ، فقد ذكـرت أساطيرهم أنهم جاءوا من الجنوب عن طريق البحر ، ويرى «روتزنى» أنهم جـاءوا من آسيـا الصغرى ، بينما يرى آخـرون أنهم جاءوا من جهة التركستان وجبـال أورال ، وهناك من يقول بأنهم جاءوا من وادى السند ، وجـاء فى بعض الآراء أنهم من هضبة ايران ، بل لقد ذهب طه باقـر الى أنهم من بلاد العراق نفسها (أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٢٨) ٠

44) Woolley, L., the Sumerians, Oxford, 1929, P. 5-6.

وهو يختلف كل الاختلاف فى العادات والتقاليد والزى والسحنة عن الساميين ، أما فيما يتصل بشيوع كلمة «نهر» واختلاف الكلمة الدالة على «الجبل» فان ذلك ان دل على شىء ، فانما يدل على أن الساميين قد عرفوا النهر قبل أن يعرفوا الجبل ، وقبل أن يتفرقوا وتختلف لهجاتهم ، ولكن أى نهر ؟ ليس من المحتم أن يكون دجلة أو الفرات(٤٥) .

وأما دحض ملاحظة « جويدى » بالطريقة التى اتبعها الأب «هنرى فليش»(٤٦) اذ قال ان شيوع كلمة النهر واختلاف اللفظة الدالة على الجبل لا يدل على شىء وان اللفظة التى تستعمل للدلالة على «الرجل» أو «الانسان» ليست هى أيضا بواحدة فى كل اللغات السامية ، فانه — فيما يرى أستاذنا الدكتور حسن ظاظا(٤٧) — دفع ضعيف ، فالذى لا شك فيه أن كلمة «انس» كانت هى الكلمة الشائعة فيما قبل تاريخ هذه اللغات للدلالة على الانسان ، ونص الكلمة الموجودة عندنا فى العربية وفى العبرية وفى الارامية التى توجد فيها أيضا كلمة «جبرا» ، وهى فى الواقع اسم مجازى للرجل يتضمن معنى القوة الذى يوجد فى كلمة «الجبروت» أما كلمة «الرجل» فى اللغة العربية فمنظور فيها الى أنه المخلوق الذى يمشى على رجلين لا على أربع ، واذا كانت كلمة «انس» المذكرة غير موجودة بمعنى رجل أو انسان فى بعض اللغات السامية ، فان المؤنث منها مستفيض فى كل هذه اللغات ، أحيانا كما هو ، وأحيانا منقلبة سينه شينا أو ثاء ، كما هو الحال عندنا فى العربية فى كلمة «أنثى» مع وجود جمع امرأة فى العربية على نساء ونسوة ، هذه الصيغة المؤنثة من «انس» بصورها الصوتية المتقاربة توجد فى البابلية الآشورية والفينيقية والارامية بجميع لهجاتها من آرامية مصرية وآرامية يهودية وسريانية وتدمرية كما توجد فى الحبشية والعربية الجنوبية أما فيما يتصل بأسماء بعض النباتات والحيوانات والارضين

---

(٤٥) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ١٠ — ١١ .

46) Fleisch, H., Op. Cit., P. 20.

(٤٧) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ١١ — ١٢ .

فربما كانت الالفاظ الشائعة من ذلك فى البابلية الآشورية ألفاظا مستعارة من لغات أخرى غير سامية كلغات القوقاز وفارس والاناضول .

ويعارض «تيودور نولدكه» هذه النظرية بشدة ، ويـرى أنه من الخطأ الاعتماد على الموازنات اللغوية فى اثبات حقائق علمية لا يعتمد أصحابها فيها الا على مجرد دراسة كلمات واجراء موزانات بين الفاظ لم يثبت ثبوتا قطعيا أن جميع الساميين أخذوها من العراق ، وأورد جملة أمثلة اختلف فيها الساميون ، مع أنها أجدر المعانى بأن يكون لها لفظ مشترك فى جميع اللغات السامية[٤٨] .

وأخيرا فما يوجه الى هذه النظرية من نقد أنها تستدعى أن نتصور انتقال الساميين من منطقة خصبة الى بلاد صحراوية قاحلـة كبادية الشام والجزيرة العربية[٤٩] ، وهو أمر غير مقبول لانه يفترض انتقال شعب من طور الحياة الزراعية على ضفاف نهر الى حياة البداوة وذلك عكس ما تقتضى به النظم الاجتماعية[٥٠] ، بل ويخالف المنطق والمعقول كذلـك .

(٢) الرأى الثانى : ارمينيـه :

هناك فريق من العلماء ـ على رأسهم جـون بيترس ـ رأى أن «أرمينية» هى الموطن الاصلى للساميين ، معتمدين فى ذلك على سـفر التكوين الذى جعل من «ارفكشاد» جد «عابر» واحدا من أبناء «سام» وهو الذى سميت باسمه منطقة «أربخيتيس» التى تسمى الآن «ألبك» على الحدود بين أرمينية وكردستان ، وكان يظن أن هـذه المنطقة كان يسكنها الجنس الاصلى الذى انحدر منه فى رأيهم الساميون والهندو

---

48) Semitic Languages, Encyclopaedia Britannica, 1911, Vol. 24.
وكذلك جواد على : المرجع السابق ص ٢٣١ .
(٤٩) نسيب وهيبة الخازن : من الساميين الى العرب ص ١٤ .
(٥٠) فيليب حتى : تاريخ العرب ص ١٠ .

أوربيون معا ولكن «تيودور نولدكه»[٥١] يقول : ان هذه الصلة موضع شك ، وان الانفصال المزعوم عن تلك المنطقة لم يكن فى زمن قريب يتيح للساميين الاحتفاظ برواية تاريخية عنه ، ومن الخطأ الفادح أن نتصور أن الشعوب تستطيع أن تحتفظ خلال آماد طويلة بذكرى الوطن الذى يقال ان أجدادها المزعومين هاجروا منه ، ويجب أن ننبذ الفكرة الغربية التى سادت زمنا من أن الذكريات التاريخية تظل حية بين الشعوب غير المتحضرة .

ويمضى نولدكه فى تفنيده لهذه النظرية فيقول : ان الفترة التى كان العبريون والعرب وسائر الشعوب السامية يؤلفون فيها شعبا واحدا موغلة فى البعد بحيث لا يمكن لاى منهم الاحتفاظ برواية عنها ، ويبدو أن نسبة العبريين وأقاربهم الادنين الى «ارفكشاد» ترجع الى الاسطورة التى تقول ان سفينة نوح رست بالقرب من تلك المنطقة[٥٢] ، ولكننا نجد فى سفر التكوين نفسه[٥٣] رواية مختلفة مأخوذة عن مصدر آخر تقول ان جميع الشعوب ، ومنهم الساميون ، جاءوا من بابل .

هذا فضلا عن أننا لو سلمنا جدلا ــ وبدون مناقشة ــ بهذه النظرية ، فانه يترتب على ذلك أن تكون مرتفعات كردستان مهدا للانسانية كلها ــ لا للساميين وحدهم ــ فقد نزل من السفينة فى هذا المكان المفترض نوح وأبناؤه الثلاثة جميعا «سام وحام ويافث» ولكن أنصار هذه الفكرة كانوا يقولون عن حام انه لعن ومعنى ذلك أنه طرد أيضا ، وأن «يافث» انطلق ليكون شعبا كثير العدد فى بلاد بعيدة ، بينما بقى سام بجوار أبيه نوح حيث رست السفنة ، كما أنه فى نفس المنطقة عاش «ارفكشاد» ، ومن بعده «عابر» الاب الاسطورى للعبريين ، وواضح أننا فى تلك النظرية ننتقل من افتراض الى أسطورة ، الى مفاهيم

---

(٥١) موسكاتى : المرجع السابق ص ٢٤٦ ــ ٢٤٧ وكذلك تكوين ١٠ : ٢٢ ، ٢٤ ، ١١ : ١٢ ، وكذلك
Encyclopaedia Britannica, 1911, Vol. 24, P. 620.

(٥٢) تكوين ٨ : ٤ .

(٥٣) تكوين ١١ : ١ ــ ٩ .

ضمنية ، وكل ذلك لا يمكن أن تقوم عليه نظرية علمية مقبولة ، ومن أجل ذلك فان هذا الافتراض قد أصبح الان مهجورا لا يقبل عليه احد[٥٤] . ومن هنا فلا تكاد تجد بين العلماء اليوم من يعتقد ان الساميين جاءوا أصلا من الشمال .

وأما حجة «جون بيترس» من أن أرمينية هى أنسب مكن يتفق مع رواية التوراة فى الطوفان ، وهو المحل الاصلى للامم السامية والآرية[٥٥] ، كما أن الانف الحيثى يشبه كل الشبه الانف العبرانى : فالرد عليه ان رواية الطوفان فى التوراة هناك ما يناقضها من نصوص التوراة نفسها — كما أشرنا آنفا — وأما عن التشابه بين الانف الحيثى والعبرانى ، فمرجع ذلك — فيما يرى برستد[٥٦] — شدة امتزاج اليهود مع الحيتيين عن طريق الزواج أو غيره ، كما أن اليهود ليسوا أنقياء جنسيا فهم يقولون عن أنفسهم انه منذ فجر التاريخ ومجتمعاتهم تتعرض للاضطهاد ، ويصورون شكلا من أهم أشكال هذا الاضطهاد فى انتهاك الاعراض ، فالفراعنة يقتلون أبناءهم ويستحيون نساءهم ، ونبى الله سليمان وخلفاؤه — وأسلافه كذلك — يكثرون من التزاوج بالأجنبيات ويجعلون ذلك عادة متفشية بين عامة اليهود ، والآشوريون والبابليون يأخذون نساء اليهود سبايا ورجالهم عبيدا[٥٧] ، هذا فضلا عن أنه ان كان تشابه الانف العبرانى والحيثى ، دليلا على صحة هذه النظرية ، فقد نسى أصحابها أن العرب ، وهم من الساميين ، لم يرزقوا هذا الأنف[٥٨] .

(٣) الرأى الثالث : أرض آمور

ذهب كلاى الى أن المهد الاول للساميين هو أرض آمور ، ويشمل

---

(٥٤) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ٩ .
55) Journal of the American Oriental Society, 39, P. 243 FF.
56) Breasted, J. H., Amcient Times, N. Y., 1916, P. 218-19.
(٥٧) راجع مقالتنا «النقاوة الجنسية عند اليهود» ، ومقالة الدكتور حسن ظاظا : عن الاختلاط الجنسى عند اليهود .
58) Barton, G. A., Semitic and Hamitic Origins, P. 8.

فى رأيه بلاد الشام ومنطقة الفرات(٥٩) ، وقد توصل الى نظريته هذه من الدراسات اللغوية ، ولكنها لا تستند فى الواقع الى أدلة قوية،أو تقوم على دراسات حضارية ، وأثرية تدعمها حفائر ، وانما تقوم على مقارنة فكرية فى الاساطير والمأثورات الشعبية ، وأن الاسرة البابلية الاولى قد نزحت الى العراق من الغرب ، من اقليم آمورو ، كذلك لوحظ تشابه فى بعض بقايا الحضارات القديمة بين الجهتين . ولكن اذا سلمنا بذلك فانه يترتب عليه أن يكون الساميون قد انطلقوا من سورية الى غيرها من بلاد الشرق الادنى ، كالعراق والاردن وشبه الجزيرة العربية ، وهذا يقتضى رحلات طويلة عبر الصحراوات لا يمكن القيام بها فى هذه العصور الموغلة فى القدم الا على ظهور الابل ومعنى ذلك أن الابل ينبغى أن تكون معروفة ومستأنسة ومستخدمة فى القوافل منذ الالف الرابع قبل الميلاد على الاقل ، وهو أمر تقوم الادلة كلها على خلافه ، اذ أن استعمال الجمل فى هذه المنطقة لم يعرف الا فى أخريات القرن الثالث ق.م ، وربما بعد ذلك ، وهى عقبة كئود فى طريق اقرار هذه النظرية والاقرار بها(٦٠) .

(٤) الرأى الرابع : أفريقية

وهناك من رأى أنهم من أفريقية ، وان اختلفوا فى المكان الذى نبت فيه الساميون لاول مرة ، وفى الطريق الذى سلكه الساميون الى الجزيرة العربية(٦١) ، فزعم «نولدكه»(٦٢) أنهم من افريقية الشرقية ، بدليل الارتباط بين اللغات السامية والحامية ، والتشابه الجسمانى الكبير بين الحاميين والساميين (ولا سيما الساميون فى جنوب الجزيرة العربية) ، ولكنه فى الوقت نفسه يسلم بأنه ليس ببعيد أن تكون الجزيرة العربية

---

59) Clay, A. T., Amurru, the Home of the Northern Semites, 1909. وكذا

(٦٠) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ١٢ ، ١٣ .

(٦١) جواد على : المرجع السابق ص ٢٣٥ ، وكذلك

Kapper, A., and Paar, L. W., An Introduction to the Anthropology of the Near East, Amesterdam, 1934, P. 47.

62) Encyclopeadia Britannica, 1911, Vol. 24, P. 618-620.

ذلك الموطن الاصلى ، ونادى كذلك «بارتون»(٦٣) بالوطـــن الافريقى للساميين ، وان رآه فى شمال أفريقية وليس فى شرقها ، وقريب من هذا ما ذهب اليه «برنتون»(٦٤) حين حدد شمال غربى أفريقيا ، ولا سيما منطقة جبال أطلس ، موطنا للساميين .

ويرى «باور — لياندر» — مع أغلب العلماء — أن الجزيرة العربية هى موطن الساميين الاصلى الذى صدرت عنه هجراتهم التى سجلها التاريخ ، ولكنهما يفترضان أن الساميين جــاءوا قبل التاريـــخ الى الجزيرة العربية من أفريقية عبر مضيق باب المندب ، وهـــذا الفرض يتمشى فى رأيهما والشبه الكبير فى صيغ الفعل بين لغات أرتيريا الكوشية واللغات السامية(٦٥) .

والاعتراض الموجه الى هذه النظرية هو كيف اختفت من أفريقية اذن جميع اللغات السامية بحيث لا تعود الى الظهور الا فى المستعمرات الفينيقية على الساحل ، لا سيما المستعمرة البونية فى قرطاج بتونس ، ثم مع الفتح العربى فى القرن السابع الميلادى ، وهو اعتراض مفحم ليست له اجابة علمية مقنعة(٦٦) ، ثم ان كثيرا من علماء الانثروبولوجيا يرون أن افريقية تأثرت بالدماء الأسيوية أما تأثيرها فى دماء الشرق الادنى وفى دماء سكان جزيرة العرب فقد كان قليلا لقد دخلت اليها دماء شعوب الشرق الادنى من البحر المتوسط ومن طور سيناء ومن مضيق باب المندب ، ويظهر أثر هـــذا الاختلاط واضحـــا فى أفريقية الشرقية والشمالية ، وما زال هذا التاثير واضحـــا حتى اليوم ، ولهـــذا فمن

---

63) Barton, G. A., Op. Cit., P. 6.
64) Brinton, Cradle of the Sehites, Philadephia, 1890 : وكذلك Ibid., P. 7.

(٦٥) سبتينوموسكاتى : المرجـــع السابق ص ٢٤٧ ، جرجى زيدان : العرب قبل الاسلام بيروت ١٩٦٦ ص ٣٦ . وكذلك Fleisch, H., Op. Cit., P. 25.

(٦٦) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ١٢ .

الصعب تصور هجرة الساميين من أفريقية الى جزيرة العرب وبلاد الشام والعراق على وفق نظرية هؤلاء العلماء(٦٧) .

هذا وقبل أن ننتقل الى الرأى الاخير — وهو الارجح فيما نعتقد — ذلك الرأى الذى ينادى بان هذا المهد كان فى الجزيرة العربية ، نحب أن نشير الى رأيين آخرين — ليس لهما اهمية الاراء السابقه — ذلك أن «أنجناد» ذهب الى أن أصل الساميين من أوربه وقد تركوها وهاجروا منها الى آسيا الصغرى ، ثم هاجروا منها الى أرض «أمورو» وذهب قسم منهم فى الالف الرابعة قبل الميلاد الى بابل وبقية أنحاء العراق(٦٨) .

وذهب آخرون الى أن الوطن الاول للساميين هو أرض «قفقاسية» ، اذ كان البشر من ثلاثة أجناس أساسية هى : الجنس القفقاسى والجنس المغولى والجنس الزنجى ، وقد قصدوا بالجنس القفقاسى أصحاب البشرتين البيضاء والسمراء ، أى الآربين والساميين ، فوطن هذين الجنسين الاول هو «قفقاسية» على هذا الرأى ، منه انتقل الساميون الى أوطانهم الجديدة ، بهجرتهم الى الجنوب واستقرارهم فيما يقال له الهلال الخصيب ثم فيما وراءه الى السواحل الجنوبية لجزيرة العرب ، ومنه انتقل الآريون الى الجنوب الشرقى لقفقاسية والى الغرب والشمال ، أى الى آسيا وأوربا ، ثم الى أماكن أخرى فيما بعد وبدهى أن هجرات على هذا النحو لابد أن تكون لها أسباب ومسببات ، اذ لا يعقل ترك انسان لوطنه من غير سبب ، وقد بحث القائلون بهذا الرأى عن الاسباب التى أدت الى وقوع تلك الهجرات ، فوضعوا لها جملة فرضيات(٦٩) .

---

(٦٧) جواد على : المرجع السابق ص ٢٣٧ — ٢٣٨ ، وكذلك
Buxton, L. H. D., the People of Asia, London, 1924, P. 34.
(٦٨) جواد على : المرجع السابق : ص ٢٣٨ .
(٦٩) نفس المرجع السابق ص ٢٣٩ ، وكذلك
Sonia Cole, Races of man. British museum (Natural History, 1965 P. 9.

(٥) الرأى الخامس : الجزيرة العربية

هناك كثير من العماء — من أمثال سبرنجر(٧٠) ، وايرهاردشرادر(٧١) ، وكارل بروكلمان ، وكينج (٧٢) ، وجـون مايـر (٧٣) ، وستـانلى كوك(٧٤) ، وهوجو فينكلر ، وتيله والاب فنسان وجاك دى مورجـان وكايتانى وديتلف نيلسن(٧٥) وفريتز هومل وفلبى(٧٦) ، وسايس(٧٧) — يرون ان الموطن الاصلى للساميين كان الجزيرة العربية ، ذلك الخزان البشرى الشهير ، الذى لم يتوقف عن أن يقذف — كاقليم طرد وكصحراء فقيرة ، ولكنها ولود — بالموجة تلو الموجة الى منطقة الهلال الخصيب المتاخمة والجذابة ، والى وادى النيل عبر البحر الاحمر : أو عن طريق سيناء ، والواقع أن بلاد العرب — كانت ولا تزال — فى معظمها أراضى صحراوية يحيط البحر بأطرافها جميعا ، ما عدا القسم الشمالى ، فاذا زاد سكانها وعجزت عن امدادهم بالغذاء الضرورى ، كان طبيعيا أن يرحل الفائض من السكان الى المنـاطق الخصبة من منطقة الهـلال الخصيب ومصر(٧٨) .

وقد اختلف أصحاب هذه النظرية فى المكان الذى كان الموطن الاول للساميين من الجزيرة العربية ، فـ «سبرنجر»(٧٩) وآخرون ، راوه فى أواسط الجزيرة ، ولا سيما نجد(٨٠) ، بينما ذهب آخرون الى العروض

70) Sprenger, A., Das Leben und die lehre des Mohammad, Berlin, 1861.

71) Scharder, E., in ZDMG, 27, 1873, P. 397 FF.

72) King, L. W., History of Sumer and Akkad, London, 1915, P. 119.

73) Meyers, J. L., in the Cambridge Ancient History, I, 1923, P. 38.

74) Cook, S. A., in the Cambirdge Ancient History, I, P. 192.

(٧٥) ديتلف نيلسن : التاريخ العربى القديم ، ترجمة الدكتور فؤاد حسنين — القاهرة ١٩٥٨ .

76) Philby, H. B., the Background of Islam, Alexandria, 1947, P. 9. FF.

77) Sayce, Assyrian Grammer, 1872, P. 13.

78) Philby, H. B., Op. Cit., P. 10.

79) Sprenger, A., Op. Cit., P. 241.

(٨٠) عمر فروخ : المرجع السابق ص ٣٦ ، وكذلك
Hastings, J., A Dictionary of the Bible, 1904, P. 74.
Warrel, W., A Study of Races in Ancient Near East, 1927, P. 7, 45, 94.

ـ ولا سيما جزيرة البحرين والسواحل المقابلة لها ـ ويسنـــدون نظريتهم بأن دراسة بعض العلماء كشفت عن هجرة بغض الاقوام مثل الفينيقيين وغيرهم من هذه الاماكن ، بينما رأى فريق ثالث ـ ومنهم فلبي[٨١] ـ أن الاقسام الجنوبية من الجزيرة العربية كانت هي الموطن الاصلي للساميين ، أي أن هذا الفريق من العلماء يرى أن اليمـــن هي «مهد العرب» و «مهد الساميين» ، منها انطلقت الموجات البشرية الى سائر الانحاء ، وهي في نظر بعض المستشرقين أيضا «مصنع العرب» وذلك لان بقعتها أمدت الجزيرة بعدد كبير من القبائل ، قبل الاسلام بأمد طويل ، وفي الاسلام ، ومن اليمن كان «النمرود» وكذلك جميـــع الســـاميين[٨٢] .

وأيا ما كانت هذه المنطقة من جزيرة العرب ، فان جزيرة العرب هذه كانت موطن الساميين الاول ، وعلى هذا الاساس يمكن تفسير حركات القبائل السامية من البادية الى أودية الانهار الخصبة ، والتي بدأت منذ عصور ما قبل التاريخ ، ولم تتوقف على الاطلاق حتى الفتح الاسلامي ، وهكذا يمكننا أن نعتقد عن يقين أن شبه الجزيـــرة العربية هي مهـــد الساميين وأن الصحراء العربية كانت نقطة الانطلاق للهجرات السامية ، وان كان البعض يرى أنها لا تستند الى أسس تاريخية ، ولا على أدلة علمية ، ولكن يجب أن نلاحظ أن وثائق التاريخ ليست الاساس الوحيد للرأي القائل أن الساميين جـــاءوا من الصحراء العربية ، فمن الثابت أيضا أن الاحوال الاقتصادية والاجتماعية للصحراء تجعل سكانها الرعاة البدو ينزعون ولا منـــاص الى التدفق على المناطق الزراعيـــة المحيطة بالصحراء[٨٣] ، أضف الى ذلك أن الهجرات السامية التي سجلها التاريخ خرجت كلها من الجزيرة العربية .

---

81) Philby, H. B., Op. Cit., P. 9.

82) Montgomery, J. A., Arabia and the Bible, Philadelphia, 1934, P. 126.

وكذلك جواد علي : المرجع السابق ص ٢٣٣ .

(٨٣) سبتينوموسكاتي : المرجع السابق ص ٥٣ .

هذا فضلا عن استحالة الهجرة من مناطق وافرة الخيرات كثيرة الخصب كالعراق الى بلاد صحراوية كثيرا ما يشغلها الجفاف ، أو من حياة الحضارة والاستقرار الى حياة البداوة ، والارتحال ، فمن الطبيعى أن الهجرات تتم من مناطق فقيرة جدباء الى مناطق خصبة وافرة الخيرات ، ولما كان من الثابت أن حياة الساميين الاولى كانت بدوية ، فمن الراجح أن يكون موطنهم الاصلى صحراويا ، وأن يكون هذا الموطن هو جزيرة العرب ، ومنها كذلك أن معظم المدن التى قامت فى العراق أو فى الشام على تخوم الصحراء ، انما كانت بفضل عناصر بدوية وفدت من جزيرة العرب واستقرت فى مواضع هذه المدن مثل «تدمر» و «البتراء» و «الحيرة» ، وعلى هذا الاساس يمكن اعتبار جزيرة العرب مركزا لهجرات سامية متتابعة وهناك كذلك أدلة لغوية وتاريخية وجغرافية تشير بوضوح الى أن جزيرة العرب هى مهد الساميين ، هذا الى أننا نرى أن جزيرة العرب قد أمدت بلاد الرافدين والشام بالسكان ، وأن القبائل الضاربة فى الهلال الخصيب قد جاءت من جزيرة العرب ، فليس بمستبعد اذن أن يكون الساميون قد هاجروا منها الى الهلال الخصيب[٨٤] .

أضف الى ذلك أنه منذ فجر التاريخ ، وما قبل التاريخ ، كانت كل المواطن المقترحة الاخرى مسكونة بشعوب غير سامية ما عدا جزيرة العرب ، ثم ان الاسطورة التى وردت أصداء منها فى أول سفر التكوين من التوراة تذكر أن الجنة الارضية كانت ترويها أربعة أنهار تجتمع فى مصب واحد لتصبح نهرا واحدا ، واثنان من هذه الانهر هى دجلة والفرات ، أما الاثنان الآخران فكان أحدهما يسمى «فيشون» ، وتصفه التوراة بأنه «يحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب ، وذهب تلك الارض جيد ، وفيها المقل وحجر الجزع»[٨٥] ، وظاهر أن هذا النهر

---

(٨٤) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص ٦٨ ، جواد على : المرجع السابق ص ٢٣٤ .
(٨٥) تكوين ٢ : ١٢ .

الثالث كان ربما يصل الى الاطراف الجنوبية الشرقية من شبه جزيرة العرب ممـا يلى عدن شرقا ، والنهـر الرابع يسمى فى هـذه القصة «جيحون» وتصفه التوراة بأنه يحيط بجميع أرض الحبشة[٨٦] ، ويبدو من ذلك أنه كـان ينبع من جبـال اليمن ويأخذ مجراه مستديرا حولها فيلتقى بنهر فيشون ونهر الدجلة ونهر الفرات فى شط العرب[٨٧] ، وقد تصور «كيتانـى» أودية جزيرة العرب مثـل وادى الحمض ووادى السرحان ووادى الرمة ووادى الدواسر ، أنهارا كانت ذات مياه غزيرة تنساب اليها من المرتفعات والجبـال فى الدهور الغابرة ، ثم حدثـت تغيرات فى حالة الجو فى جزيرة العرب ، ومن ثم فقد قلت ميـاه تلك الانهر حتى جفت ، فصارت أودية لا تجرى فيها المياه الا أحيانا ، اذ تسيل فيها السيول بعد هطول الامطار[٨٨] ، وقد ذهب الى هذا الرأى المستشرق الالمانى «هومل» فرأى أن الانهر المذكورة فى التوراة ..... هى أنهر تقع فى بلاد العرب وأنها وادى الدواسر ، ووادى الرمة ووادى السرحان ووادى حوران[٨٩] ، كما ذهب «هومل» الى أن ميل السطح فى شبه جزيرة العرب وتعرضه للرياح الموسمية ، ربما كان قـد تغير بانخساف فى طبقات الارض ، فندر الماء فى شبه الجزيرة العربية ، ولعل سبق اليمن الى عمارة السدود وخزانات المياه التى من أشهرها «سد مأرب» يرجع الى محاولة التغلب على هذا القحط ، بل لعل المأثورات المتداولة بين عرب الجاهلية عن وجود ما يسمى بالعرب البائدة مثل عاد وثمود وطسم وجديس وجرهم ووبار ، انما هو صدى لتلك الكوارث الجغرافية التى دفعت بالساميين الاصليين من سكان بلاد العرب الى البحث عن القوت فى أماكن أخرى[٩٠] ، وان كان المستشرق «موسل» يتجه الى أن سبب الهجرات وتحـول الارض الخصبة الى صحارى ،

---

(٨٦) تكوين ٢ : ١٣ .

(٨٧) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ١٣ ، ١٤ .

88) Caetani, L., Studi di Stroia Orientale, I, P. 64, 80, 243.

وكذلك جواد على : المرجع السابق ص ٢٤٤ .

89) Montgomery, J. A., Op. Cit., P. 9.

(٩٠) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ١٤ .

انما يرجع الى ضعف الحكومات ، والى تحول الطرق التجارية[٩١] .

وأيا ما كان الامر ، فاننا نجد أنفسنا أمام نظرية متكاملة ، فالساميون عرفوا ، أول ما عرفوا ، النهر لا الجبل ، اذ عاشوا على النهرين الكبيرين (فيشون وجيحون) اللذين كانا يشقان شبه الجزيرة العربية من أقصاها الى أقصاها ، كما عاش السومريون على النهرين الاخرين (الدجلة والفرات) ، كذلك تفسر لنا هذه النظرية الاسباب التى كانت وراء هجرة الساميين وانتشارهم فى الشرق الادنى ، أما العرب الذين بقوا فى أرضهم بعد جفافها فان لغتهم القديمة المقدسة قد بقيت معهم ، وهذا يفسر لنا القدسية التى كانت للعربية الفصحى بين عرب الجاهلية ، كما يفسر لنا اجماع علماء النحو المقارن ، من أمثال بروكلمان ووليم رايت وادوارد دروم ودافيد يلين ، على أن اللغة العربية الفصحى هى بلا منازع أقدم صورة حية من اللغة السامية الام ، وأقرب هذه الصور الى تلك اللغة التى تفرعت منها بقية اللغات السامية ، فاذا أضفنا الى ذلك أن أسماء الاعلام التى تدل على بعض المواضع ترجع الى تبادل فكرى ودينى لا نعلم متى كانت بدايته ، لايغاله فى القدم ، فاننا لا يسعنا الا أن نؤيد هذه النظرية ، فمن تلك الاسماء اقليم «تهامة» ، وهو سهل الحجاز الساحلى الواقع على البحر الاحمر ، وهو يمت بصلة لغوية الى الالهة «تيامت» المعروفة فى وثنية العراق القديم بكونها تهيمن على الشطوط والسواحل ومصايد الاسماك ، كذلك اسم مدينة «عدن» فى جنوب الجزيرة العربية ليس بغريب عن نفس الاصل السامى القديم الذى أخذت منه كلمة «عدن» صفة للجنة ، والاصل فى كل هذا أنها تدل على النعومة والصقل والبريق ، ومنها اشتقت كلمة «معدن» أيضا[٩٢] .

أضف الى ذلك كله ، أن هناك حقيقة تبدو ثابتة الى حد كاف ، وهى أن التاريخ يدلنا على أن الصحراء العربية كانت نقطة الانطلاق للهجرات

---

91) Musil, A., Northern Negd, N. Y., 1928, P. 317.

(٩٢) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ١٥ ، ١٦ .

السامية[٩٣] ، ويضيف الدكتور العنانى الى ذلك أدلة منها وحدة التفكير واتحاد العقلية والاشتراك فى نوع الخيال عند جميــع الامم السامية واصطباغ كل ذلك بصبغة واحدة أصلها وحى الصحراء وقوامها حياة البداوة ، وأن الشعوب السامية التى تحضرت فى أطراف الجزيرة ظلت محتفظة بنوع التفكير والخيال السالف الذكــر[٩٤] .

وأخيرا فان الساميين القدامى أنفسهم يقــولون انهم هاجروا من جزيرة العرب ، قال ذلك الاكاديون على لسان سرجــون الاول ، كما أشرنا الى ذلك من قبل ــ وقال ذلك المصريون حين روى قدماؤهم أنهم جاءوا من الشرق ، ومن الجنوب الشرقى ، وأنهم علموا الحضارة لمن كانوا فى البلاد ، وأخضعوهم لسلطانهم ، ويصفون الطريق الذى جاءوا منه وصفا غامضا لا نعرف عنه شيئا على وجه التحقيــق فى بدايته ، ولكنهم استخدموا الطريق الموصل بين البحر الاحمر والنيل مارا بوادى الحمامات بعد ذلك ، وقد ظل هذا الوادى الى آخر عهد الفراعنة يتمتع بشىء من التقديس ، والامر كذلك بالنسبة الى ذكرى آل «شمسو ــ حور» أى أتباع حور (حورس) ، ولكن من هو الاله حور وما أصله ؟ الجواب عن ذلك : أن هــذا الاله لم تكن له فى الاصل صــلة بعبادة الشمس ، وأنه كان رمزا اتخذته احدى القبائل كمعبود لها على هيئة الصقر ، وأنه جاء مع الفاتحين ، وفى نصوص الاهرام (وهى من أهم المراجع الدينية ٢٥٠٠ ــ ٢٢٥٠ ق٠م) يصفون هــذا الاله تارة بكلمة «أختى» وتارة بكلمة «أبتى» و «أبت» معناها الشرق ، و «أخت» معناها أفق الشمس ، وكلا الكلمتين تشير الى المشرق[٩٥] ، ويذهب أستاذنا الدكتور أحمد فخرى[٩٦] ــ يرحمه الله ــ الى أن هناك اشارات كثيرة

---

(٩٣) سبتينوموسكاتى : المرجع السابق ص ٥٣ .

(٩٤) على العنانى وآخرون : كتاب الاساس فى الامم السامية وقواعد اللغة العبرية وآدابها ، وكذلك محمد مبروك نافع «تاريخ العرب : عصر ما قبل الاسلام القاهرة ١٩٥٢ ص ١١» وكذلك
Hastings, J., Op. Cit., P. 85.

(٩٥) أحمد فخرى : المرجع السابق ص ١٣٥ .

(٩٦) نفس المرجع السابق ص ١٣٦ ــ ١٣٨ .

الى أن الموطن الاصلى لحور هو بلاد بونت ، والى أن اسم حور غريب على اللغة المصرية ولكنه موجود فى اللغات السامية ، وبعبارة أدق فى اللغة العربية ، والى أن هؤلاء الوافدين «أتباع حور» عبروا من جزيرة العرب الى الشاطىء الافريقى فى أرتيريا ، ثم سارو مخترقين البلاد حتى وصلوا الى صحــراء مصر الشرقية ودخلوها عن طـريق وادى الحمامات ، هذا فضلا عن أن الاله «حور» هذا لم يكن الاله الوحيد الذى قال المصريون بأن أصله من بلاد العرب ، وانما هناك آلهة أخرى، منها الاله «بس» ، فاذا أضفنا الى ذلك كله عدة حقــائق منها أنه لم يوجد فى يوم من الايام حاجز طبيعى يفصل بدو شرق مصر عن بدو سيناء أو بدو فلسطين أو شرق الاردن أو شمالى الجــزيرة العربية ، ولهذا كان طبيعيا منذ بدء تاريخهم ببــدو سيناء ، وأن تكون بلادهم مفتوحة لسكان هذه المناطق ، ومنها أن مناظــر أهل بونت فى معبــد «ساحورع» فى الاسرة الخامسة ومناظرهم على جدران الدير البحرى وبعض مقابر طيبة فى الاسرة الثامنة عشرة ، تبين أنهم من جنس يشبه كثيرا جنس المصريين ويتفق معهم فى أكثر الملامح والملبس ، من هذا كله يتبين لنا صحة ما ذهب اليه المصريون من أنهم قد هاجروا الى مصر من بلاد اليمن الجنوبية ، والتى كانوا يدعونها فى تلك الايام الغابرة «بلاد بونت» ــ رغم تقلب الدول عليها ــ كما كانوا يدعونها كــذلك «بانتر» أى «أرض الاله ــ أو أرض الله» ، وان كانت أحدث الاراء تتجه الى أنها كانت تشمل كلا من الشاطئين الافريقى والاسيوى ، أى ما يعرف الان باسم جنوبى جزيرة العرب والصومال وأرتيريا[٩٧] .

وأما الفينيقيون فيذكرون أنهم قدموا من شبه الجزيرة العربية ، وأنهم وصلوا أولا الى بلاد العرب الصخرية فى شمال الحجاز ، ومنها دخلوا اقليم النقب ليأخذوا طريقهم بمحاذاة الساحل الى لبنان وسورية، ويشير «استرابو» الجغرافى الرومانى (الكتاب ١٦ : ٢) الى أن مقابر

---

(٩٧) احمد فخرى : المرجع السابق ص ١٤٠ ، مصر الفرعونية ص ١٣٣ ، وكذلك محمد مبروك نافع المرجــع السابق ص ٥٢، ٥٣ ، الاطلس الجغرافى التاريخى : خريطة ١٧ ص ٦٩ .

جزر البحرين فى الخليج العربى تتشابه ومقابر الفينيقيين ، وأن سكان هذه الجزر يذكرون أن أسماء جزائرهم أسماء فينيقية وأن فى مدنهم هياكل تشبه الهياكل الفينيقية ، هذا بالاضافة الى أن «تيودور بنت» أجرى عام ١٨٨٩ م تنقيبا فى مقابر البحرين وبعث بشىء منها الى المتحف البريطانى ثم ظهر أنها من مقابر الفينيقيين قبل هجرتهم الى سواحل سورية ، كما عثر الرحالة «جون فلبى» على مثل هذه المقابر فى الخرج والافلاج من أعمال نجد ، وهو يرى أنه ربما جاء الفينيقيون من هاتين المنطقتين ، ثم هاجروا منها الى سواحل الخليج العربى ، كما أن هناك أسماء فى شرق الجزيرة العربية تحمل نفس أسماء المدن التى أنشأها الفينيقيون على الساحل الشامى مثل «صور» على ساحل عمان و «جبيل» على ساحل الاحساء ، و «أرواد» الاسم القديم لجزيرة المحرق ، كما أن هناك من رأى أن الفينيقيين قد انطلقوا من البحرين الى البصرة سالكين الهلال الخصيب الى الساحل السورى حيث بنوا مدنهم هناك[٩٨] .

وهكذا انطلقت من شبه الجزيرة العربية هجرات ضخمة تتدفق فى موجات متتابعة تشق طريقها الى الاراضى الخصبة ، ويذهب بعض العلماء الى أن الفترة بين الموجة والتى تليها تبلغ زهاء ألف عام[٩٩] ، وتشير الاثار المستخرجة من الاراضى فيما بين دجلة والفرات على أن أولى الهجرات السامية بدأت نحو عام ٥٠٠٠ ق.م ، وأن هذه الاكتشافات لا تنفى فكرة وقوع هجرات سامية أخرى قبل هذا التاريخ، كما أن الساميين قد شرعوا قبل العصر التاريخى ينزلون فى مصر ، وربما دخلوا مصر عن طريق وادى الحمامات ، وعن طريق سيناء ثم الدلتا ،

(٩٨) راجع كتابنا «اسرائيل» ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، وكذلك عز الدين اسماعيل : تاريخ فلسطين القديم ص ٣٧ .

99) Montgomery, J. A., Arabia and the Bible, P. 21.

وكذا

Warrell, W., Astudy of Races in Ancient near East, 1927, P. 7, 45, 94.

وكذلك فيليب حتى : تاريخ العرب ص ١٢ .

واستقروا بها واختلطوا بالسكان الاصليين مكونين المصريين الذين نعرفهم فى التاريخ ، وفى نهاية الالف الرابع وأوائل الالف الثالث قبل الميلاد، أخذت الهجرات من الجزيرة العربية صورة منتظمة وأخذت تطغى على الشرق الادنى وتؤثر فيه ، وكانت سورية محطا لهذه الهجرات من البدو الساميين ، وكانت بوتقة انصهرت فيها الحضارة والبداوة ، ولكن حصتها من موجات الساميين كانت أكثر من غيرها حيث تعرضت لخمس هجرات منها على الاقل ، حتى غدت مهدا للهجرات السامية الفرعية الى نواحى الشرق الادنى القديم ، كان الموجة الاولى هى موجة الاموريين ، ومع الاموريين — أو فى أعقابهم — تقدمت موجة أخرى تحمل اسم الكنعانيين أو الفينيقيين ، كما أطلق عليهم اليونان ، وأما ثالث الموجات فقد أطلق على أصحابها اسم «الاراميين» ، وكانت الموجة السامية الرابعة هى موجه العبرانيين(١٠٠) ، وفى حوالى القرن الخامس قبل الميلاد كانت هجرة الانباط الى الشمال الشرقى من شبه جزيرة سيناء حيث بلغت عاصمتهم «بطرة» أو «البتراء» درجة رفيعة مدهشة من الحضارة فى الفترة السابقة لاحتلال الرومان سورية فى عام ٦٥ ق٠م ، وأخيرا كانت هجرة اللخميين المناذرة الى العراق ، والغساسنة الى الشام ٠

وأما أعظم الموجات العربية الكبرى ، فهى هجرة القبائل العربية فى القرن السابع الميلادى الى الهلال الخصيب والعراق ومصر والشمال الافريقى ، وان تميزت عن غيرها من الهجرات السامية بأنها لم تكن بدافع الاقتصادى — كما أراد أن يفسرها المغرضون من الاوربيين — وانما عن ايمان وعقيدة ، عن ايمان عميق بدينهم الحنيف ، وبما وعد الله به المسلمين المجاهدين فى سبيل الله ، وعن عقيدة بأن الجهاد فريضة مكتوبة وركيزة مطلوبة ، من حرص عليها وصدق فيها عز ، ومن أهملها أو خادع فيها ذل ، فقال سبحانه وتعالى فى سورة الحج : « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم» وقال فى سورة العنكبوت «والذين

(١٠٠) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم ج ٣ ص ١٨٢ ، ١٨٣ ولمعرفة المزيد عن هذه الهجرات ، راجع الفصل السادس من كتابنا «اسرائيل» ٠

جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين» وقال فى سورة التوبة «أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيلو القرآن ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم» ، وهكذا كان المسلمون ينطلقون الى ساحة القتال معتمدين على الله ، واثقين آخر الامر فى نهاية سعيدة ، هى النصر أو الشهادة ، ومن هذا المنطلق يقف المقداد بن عمرو قبيل موقعة بدر الكبرى فيقول لرسول الله ﷺ : «يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا ، انا معكما مقاتلون» ، ومن هذا المنطلق كذلك يقف سعد بن معاذ ليرد على رسول الله — ﷺ — حين أراد أن يعرف رأى الانصار ، «لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض لما أردت فنحن معك فوالذى بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك وما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، انا لصبر فى الحرب ، صدق فى اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله» .

وهكذا بهذه الروح العالية ، وبهدى من الله وبارشاد من رسول الله ، وباتباع لكتاب الله وسنة رسوله ، استطاع المسلمون — أو استطاعت الهجرة العربية الكبرى — أن تجعل راية الاسلام ترفرف عالية على الشرق العربى ، بعد أن طردت الساسانيين والرومان ودكت عروش الاباطرة ونشرت الدين الاسلامى وشادت أسس الحضارة الاسلامية العربية ، ولم تكن هذه الهجرة بدافع اقتصادى ، كما أراد أن يفسرها الاوربيون ، الذين لا يؤمنون بتفسير التاريخ تفسيرا للروحيات شأن فيه ، ولعل عذرهم أنهم لا يفهمون روحانية الاسلام ، وأنهم يعيشون فى بلاد ، وفى عصر ، طغت فيه على أذهانهم فلسفة المادية ومنطقها .

الباب الثاني

الامـــــوريون

الفصل الأول

الممـــالك الامـــورية

(١) سكان بلاد الشام فيما قبل الاموريين :

يمثل الآموريون الموجة السامية الاولى التى قدمت الى بلاد الشام — أو سورية بمعناها الواسع — من شبه الجـــزيرة العربية ، والتى انطلقت منها هجرات ضخمة تتدفق فى موجات متتابعة ، تشق طريقها الى الاراضى الخصبة ، ويفصل بين الموجة والتى تليها فترة تبلغ قرابة ألف عام[1] .

ولسنا نعرف عن أهل البلاد الاصليين قبل قدوم الآموريين الكثير، بل أن معلوماتنا عنهم تكاد تكون شبه نادرة ، ان لم تكن معدومة فى بعض النواحى ، فربما كانت بها جماعات ليست من جنس البحر المتوسط قدمت من مواطنها فى الاراضى المرتفعة فى آواسط آسيا ، أثناء العصر الحجرى النحاسى ، وفرضت نفسها على سكان البلاد واختلطت بهم على مر الايام ، كما أثبتت ذلك الحفائر فى «جازر»[2] و «قرقميش» وغيرها من مواقع أخرى ، كما فى فلسطين[3] ، وربمـــا كان بها بعض السومريين الهندو — أوربيين .

---

1) H. Winkler, History of Babylonia and Assyria, New York, 1907, P. 18-22.

وكذا

J. Montgomery, Arabia and The Bible, Philadephia, 1934, P. 21.

(٢) جازر : وهى تل الجزر الحالية على مبعدة ١٨ ميلا شمال غرب القدس ، ١٧ ميلا جنوب شرق حيفا ، وخمسة أميال وثلثى الميل شرقى عقرون

(M. Unger, Unger's Bible Dictionary, 1970, P. 401).

(٣) فيليب حتى : لبنان فى التاريخ — بيروت ١٩٥٩ ص ٧٣ — ٧٤ .

غير أن الرأى السائد الان أنهم كانوا ، دون شك ، من جنس البحر المتوسط ، والذى يعتبر الساميون فرعا منه ، وقد عاش فى هذا الجزء من العالم بين سكانه بعض الساميين المنتمين الى شبه الجزيرة العربية فى أصولهم الاولى ، ولكنهم كانوا اقلية ، قبل أن يقـوموا بهجرتهم الكبرى ، حوالى عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد[٤] ، وان ذهب بعض الباحثين الى أن أول اشارة الى أرض الاموريين انما ترجع الى عصر «سرجون الاول» (٢٣٧٠ ــ ٢٣١٥ ق٠م) ، وهو أول شخصية كبرى فى تاريخ الساميين ، وفى ذلك العهد أصبحت سورية سامية لاول مرة ، باستثناء بعض جيوب سكنها الحوريون وآخرون من غير الساميين ، واحتفظت بصبغتها السامية خلال العصور حتى الوقت الحاضر[٥] ٠

وعلى أية حال ، فلم تكن بلاد الشام خالية من السكان عند قدوم الهجرة السامية الكبرى اليها ، بل كان فيها ، دون شك ، أقوام ساميون اختلطوا بسكانها الاصليين ، الذين كانت لهم لغات وديانات غير سامية الاصل ، ولكن سرعان ما طغت السامية على غيرها[٦] ٠

(٢) اسـم الاموريين :

نحن لا نعرف الاسم الذى أطلقه الآموريون على أنفسهم على وجه اليقين ، ولكننا نعرف أن جيرانهم السومريين فى الشرق كانوا يطلقون عليهم اسم «مار ــ تو» Mar-Tu (المارتو) ، فلقد تصور السومريون أن السالم يتكون من أربعة أقسام ، وتمثل أرض سومر وأكد قسميه الجنوبى والشمالى على التوالى ، ويتكون قسمه الشرقى من أراضى شوبور (سوبار) وخمازى ، وأما قسمه الغربى فقد أطلق عليه اسم

---

(٤) أحمد فخرى : دراسـات فى تاريخ الشرق القديم ــ القاهـرة ١٩٦٣ ص ٥٩ ٠

(٥) فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ــ الجزء الاول ــ ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق ــ بيروت ١٩٥٨ ص ٧٠ ، وكذا Armo Poebel, Historical Texts, P. 177.

(٦) أحمد فخرى : دراسات فى العالم العربى ــ القاهـرة ١٩٥٨ ص ١٠٨ ٠

أرض «مارتو» كما وصفوا «المارتو» بالبداوة اذ «لايعرفون القمح»[٧].

هذا وقد أطلق الاكديون على الاموريين اسم «امورو» (Amuru) ويعنى الغرب ، وقد أطلق البابليون الاسم على كل سورية ، كما سموا البحر المتوسط «بحر أمورو العظيم» ، ومن المحتمل أن اسم «امورو» كان فى الاصل اسما لقبيلة قوية ، أو مجموعة من القبـائل ، ثم عمم الاسم بعد ذلك ، وصار اسما عاما يطلق على البدو القاطنين فى بادية الشام[٨] ، وأما معنى الاسم فى العهد القديم فهو «الواحد الاعلى» ذلك لان اسم الاموريين انما هو اسم عام يعنى «ساكن البلاد الجبلية» أو «طوال القامة»[٩] .

وعلى أية حال ، فلقد استعملت كلمة «أمور» طوال التاريخ لتدل على هضبة صحراء سورية ، وان كان امتدادها بوصفها وحدة سياسية خلال الالف الثانى قبل الميلاد ، انما كان يختلف من وقت لاخر ، اذ كانت تنحصر فى الاقليم الجبلى المعروف الان «بجبل الدروز» ، وأحيانا كانت تشتمل على أرض من البحر المتوسط ، وحتى «خاتى» (خيتا) ، وأحيانا كانت تمد الى شرق الاردن ، حيث قامت مملكة سيحون،ومملكة عوج ملك باشان ، وأما فى عصر العمارنة فقد كانت أمور دويلة فى الجزء الفينيقى من بلاد الشام ، وكانت «سيميريا» واحدة من أهم مدنها[١٠] .

هذا ويمكن القول أن المنطقة التى سكنها الآموريون انما كانت تشكل ممرا طبيعيا له أهميته من الناحية التجارية ، ونقل التراث الحضارى،

---

7) S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1970, P. 284-287.

(٨) محمد عبد القادر : الساميون فى العصور القديمة ـ القاهـرة ١٩٦٨ ص ١١٠ ، وكذا
S. Moscati, The Semites in Ancient History, Cardiff, P. 52-57.

(٩) عدد ٢٩/١٣ ، تثنية ٧/١ ، ٢٠ ، يشـوع ٦/١٠ ، عاموس ٩/٢
ثم قارن : عدد ٣٢/١٣ ـ ٣٣ ، ٣٧ ، تثنية ١١/٢ ، وأنظر :
M. Unger, Op. Cit., P. 45.

10) A. H. Gardiner, Ancient Egyptian Onomastica, I, Oxford, 1947, P. 189-190.

وكان من الناحية الغـربية يؤدى الى البحر المتوسـط ، ومن الناحية الشرقية الى منعرج الفرات ، وقد حـاول كل من البابليين والمصريين والاشوريين والكلدانيين والفرس والمقدونيين السيطرة على المنطقة[11].

(٣) مملكة مـارى :

لا ريب فى أن مدينة «مارى»[12] ذات الموقع الهام فى حوض الفرات الاوسط ، أهم مركز لتجمع العناصر السامية الغربية فى وادى الفرات، ولم تفقد هذه الاهمية الا بعد سقوط مملكة مارى فى أواسط القـرن الثامن عشر قبل الميلاد ، وقد سادتها دائما هذه العناصر السامية الغربية وان خضعت فى كثير من الاحيـان لنفوذ حـكام السهل الميزوبوتامى المجاور .

هذا وقد قـامت مملكة مارى فى حـوالى عام ١٨٢٠ ق.م ، ولم تستمر أكثر من ستين عـاما ، حيث انتهت على يد حمـورابى البابلى

---

(١١) عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ص ٢٣٧ .

(١٢) مارى : كلمة سومرية من جهة الاشتقاق ، شبيهة باسم البلاد «أمورو» و «مارتو» أى بلاد الغرب ، وهى الان «تل الحريرى» جنوب مصب نهر الخابور ، بالقرب من «دير الروز» على مبعـدة ميل واحـد غربى الفرات ، قرب بلدة «أبو كمال» (البوكمال) قرب الحدود العراقية السورية ، وقد أصبحت مارى والبلاد المحيطة بها خلال القرن العشرين قبل الميلاد أمورية فى سكانها وحضارتها وحكومتها (أنظر : قاموس الكتاب المقدس ١١٩/١ ، وكذا

M. Unger, Unger's Bible Dictionary, Chicago, 1970, P. 46.
W. F. Leemans, Foreign Trade in The Old Babylonian Period, Leiden, 1960, P. 102.

هذا وقد اكتشف «أندريه بارو» فى عام ١٩٣٣ م حوالى عشرين ألف لوحة فخارية مكتوبة بالخط المسمارى فى قصر الملك «زمرى ليم» آخر ملوك مارى ، وهى محفوظة الان بمتحف اللوفر فى باريس ، وتنقسم الى قسمين ، الاول : نصوص اقتصادية وادارية ، والثانى رسائل متبادلة بين ملوك مـارى وأتباعهم وحلفائهم وقـد نشرت هـذه الوثائق تحت عنوان Archives Royales de Mari وقد ظهـر منهـا حتى الان ١٦ جزءا ، وقد شـارك فى هذا العمـل العلمى الضخم كثـير من الاسـاتذة المتخصصين .

حوالى عام ١٧٦٠ ق•م ، وحكم فى هذه الفترة أربعة من ملوك مارى هم : (١) ياجيد ليم (١٨٢٠ — ١٨١٠ ق•م) — (٢) ياخــدون ليم (١٨١٠ — ١٧٩٦ ق•م) — (٣) سومو يامام (١٧٩٦ — ١٧٩٢ ق•م) (٤) ياسماخ أدد الاشورى (١٧٩٢ — ١٧٨٢ ق•م) ، ثم الملك «زمرى ليم» (١٧٨٢ — ١٧٦٠ ق•م)[١٣] •

على أن هناك من يذهب الى أن «زمرى ليم» انما قد حــكم عامين آخرين تحت السيادة البابلية التى عمل على التخلص منها ، الامر الذى دعا «حمورابى»[١٤] الى تدمير «مارى» تدميرا نهائيا ، ونهب معبــد عشتار والقصر الملكى ، واضرام النيران فى المدينة التى لم تقم لها بعد ذلك قائمة[١٥] •

هذا وكانت مملكة «زمرى ليمــ» تتكون أساسا من وادى الفرات الاوسط ، فيما بين مصب نهر بلخ شمالا ، و «توتول» (خيت الحالية) جنوبا ، وقد عمل «زمرى ليم» على ضم معظم أملاك «شمسى أدد» الاشورى فى الغرب ، والتى امتدت حتى الثنية الكبرى للفرات غربا، وشملت الجزء الاكبر من «ميزوبوتاميا العليا» ، وحوض الخابور وبلخ حتى ثنية الفرات ، وربما امتد نفوذه الى اقــليم «ايدامارز» الذى

---

13) W. W. Hallo and W. K. Simpson, The Ancient Near East, USA, 1971, P. 99.
L. Oppenheim, The Archives of The Palace of Mari, JNES, 11, 1925, P. 130.
J. R. Kupper, Les Nomades en Mesopotamie au Temps les rois de Mari, 1957, P. 33.
وكذا

(١٤) اختلف العلمــاء فى تاريخ عصر حمورابى ، ومن ثــم فقد قدموا لنا التواريخ التالية : (١٨٤٨ ـ ١٨٠٦ ق•م) ، (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ ق•م) ، (١٧٩١ ـ ١٧٤٩ ق•م) ، (١٧٤٢ ـ ١٦٨٦ ق•م) ، ١٦٨٦ ق•م) ، (١٧٣٠ ـ ١٦٨٥ ق•م) ، (١٧٢٤ ـ ١٦٨٢ ق•م) (أنظر : محمد عبد القادر : الساميون فى العصور القديمة ص ٢٥١)

15) J. R. Kupper, in BA, 41, 1947, P. 153-154.

يتاخم أعالى الفرات ، كما تشير الى ذلك نصوص مارى[١٦] .

ويذهب بعض الباحثين الى أن نجاح «زمرى ليم» فى توسيع ملكه ومجال نفوذه ، حتى غدت مملكه مارى فى عهده من القوى الكبرى فى الشرق الادنى القديم ، انما يرجع الى انه كان رجل حرب[١٧] ، كثير التنقل والحركه وغالبا ما كان فى معسكر جنده خارج عاصمته مارى[١٨]، فضلا عن حشده لاعداد ضخمة من العناصر السامية الغربية وخاصة الخانيين الذين اعتمد عليهم «زمرى ليم» بصفة أساسية فى تكوين قواته المقاتلة ، وقد أسفرت هذه الجهود عن مكانة متميزة لملكة مارى فى عهد «زمرى ليم» كقوى ضاربة كبرى فى الشرق الادنى القديم ، حتى قضى عليها «حمورابى» فى عام ١٧٦٠ قبل الميلاد[١٨] .

بقيت الاشارة الى أن الاكتشافات التى قام بها الفرنسيون فى مارى فى الفترة (١٩٣٣ — ١٩٣٩) والفترة (١٩٥١ — ١٩٥٥) أظهرت أنه كان بهذه المنطقة حضارة تنقسم الى عصرين ، الواحد : سابق لعصر سرجون الاول الاكدى ، وهو يمثل حضارة سومرية ، والاخر : أمورى فى الالف الثانى قبل الميلاد[١٦] .

(٢) مملكتا الاموريين فى شرق الاردن :

أقام الاموريون مملكتين آموريتين فى شرق الاردن ، الواحدة : مملكة سيحون ، وتقع بجانب نهر الاردن ، وتمتد حدودها من «أرنون»[٢٠]

---

16) J. R. Kupper, Archives Royal de Mari, Vil. VI, Paris, -954, No.76.
وكذا

J. R. Kupper, Northern Mesopotami and Syria, in CAH, II, Part, I, 1973, P. 9.

17) Ibid., P. 9.

(١٨) محمد عبد اللطيف : سجلات مارى .

(١٩) عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ص ٧٣ ـ ٧٤ .

(٢٠) أرنون : نهر يدعى الان «وادى الموجب» فى المملكة الاردنية الهاشمية ، ويتكون من وادى «وله» الذى يأتى من الشمال الشرقى ، ووادى «عنقيلة» الاتى من الشرق ، و «سيل الصعدة» الاتى من الجنوب ، ويجرى نهر أرنون فى غور عميق حتى يصل الى البحر الميت فى نقطة تقع الى مسافة قصيرة من منتصف الشاطىء الشرقى (قاموس الكتاب المقدس ٥٧/١ ، وكذا

(M. Unger, OP. Cit., P. 127 .

(وادى مؤاب) الى «يبوق»[٢١] (وادى الزرقاء) ، ومن الاردن الى الصحراء[٢٢] ، وكانت «حشبون»[٢٣] عاصمة لها .

وأما المملكة الثانية فهى : مملكة عوج ملك باشان[٢٤] ، وتمتـد من «يبوق» ، وحتى جبل حرمون (جبل الشيخ)[٢٥] ، وقد هزم العبرانيون هذين الملكين (سيحون وعوج) واحتلوا أرضهما[٢٦] ، وذلك عندما كان بنو اسرائيل يتجولون هنا وهناك فى شرق الاردن ، دون أن يستطيعوا العبور الى غربه ، محتكين بكل القبائل الساكنة هناك ، والرافضة أبدا استقبالهم ، وأخيرا نجحوا فى تحدى «سيحون» فى «ياهص»[٢٧] ، كما نجحوا كذلك فى تحدى «عوج» ملك باشان فى «أذرعى»[٢٨] ، وبذلك تمكنوا من الوصول الى الاردن فى مقابل «أريحا»[٢٩] .

---

(٢١) يبوق : هو نهر الزرقاء الذى ينبع الى الغرب من عمان ، ثم يسيل شرقا ثم شمالا ، مارا بمدينة «الزرقاء» التى حملت اسمه ، ثم يصب فى الاردن عند نقطة تقع على مبعدة ٤٣ ميلا الى الشمال من البحر الميت (قاموس الكتاب المقدس ١٠٥١/٢) .

(٢٢) قضـاة ٢٢/١١ .

(٢٣) حشبون : وتعرف الان باسم «حسبان» ، وهى مدينة خربة قائمة على تل منعزل بين أرنون ويبوق ، وتقع على مبعدة سبعة أميال ونصف شمال «مادبا» (قاموس الكتاب المقدس ٣٠٧/١ ـ ٣٠٨) .

(٢٤) باشان : منطقة فى شرق الاردن بين جبلى حرمون وجلعاد ، وسميت باشان نسبة الى جبل هناك ، وتشمل حوران والجولان واللجاة ، ويحدها شمالا أراضى دمشق ، وشرقا بادية سورية ، وجنوبا أرض جلعاد ، وغربا غور الاردن ، ويخترق جانبها الشرقى جبل الدروز ، وهو جبل باشان القديم (قاموس الكتاب المقدس ١٥٩/١ ، وكذا
(M. Unger, Op. Cit., P. 127

(٢٥) تثنية ٤/٣ ، ٩ ، وأنظر
M. F. Unger, Unger's Bible Dictionary, Chicago, 1970, P. 45-46

(٢٦) قضاة ١٩/١١ ـ ٢٣ ، قاموس الكتاب المقـدس ١١٩/١ ، محمد بيومى مهران : اسرائيل ٤٩١/١ ـ ٤٩٢ .

(٢٧) ياهص : وتقع على مبعدة ميل واحد جنوبى زرقاء معين ، ١٢ ميلا شرقى البحر الميت ، وقيل انها قرية «أم المواليد» أو «خربة اسكندر» (قاموس الكتاب المقدس ١٠٤٩/٢آ) .

(٢٨) اذرعى : وتسمى الان «درعة» وتقع فى وادى زبدة ، على مبعدة ٢٩ ميلا شرقى الطرف الجنوبى لبحيرة طبرية ، وعلى الحدود بين سورية والاردن (قاموس الكتاب المقدس ٤٢/١) .

(٢٩) عدد ٢١/٢١ ـ ٣٥ ، تثنية ٣٦/٢ ـ ١١/٣ .

(٣) الاموريون فى التوراة :

تصور التوراة الآموريين فى سفر التكوين ، وكأنهم من سلالة «كنعان»[٣٠] ، وهو نوع من الاضطراب المعهود فى التوراة ، ذلك لان الاموريين — طبقا لرواية التوراة هذه — سوف يكونون من الحاميين، وليسوا من الساميين ، ذلك لان الكنعانيين — فى نظر التوراة — انما هم قوم حاميون[٣١] ، بل ان هناك من الباحثين المحدثين من يرى فى أرض أمور المهد الاول للساميين،وتشمل بلاد الشام ومنطقة الفرات[٣٢]، وعلى أية حال ، فان التوراة تصور الآراميين من الاهمية بما يكفى لان يطلق اسمهم — فى بعض الاحايين — على كل شعوب أرض كنعان ، بصفة عامة[٣٣] .

وأيا ما كان الامر ، فان الآموريين يظهرون فى التوراة ، وكأنهم يحتلون جزءا من بلاد يهوذا ، كما يحتلون كذلك جزءا من منطقة شرق الاردن[٣٤] ، ذلك لان الآموريين كانوا منذ عصر سيدنا ابراهيم عليه السلام (١٩٤٠ — ١٧٦٥ ق٠م) أهم قبيلة فى الارض الجبلية بجنوب فلسطين[٣٥] ، وكانوا يسكنون فى حصون «تامارا» — وهى عين جدى، التى تقع على مقربة من حبرون —[٣٦] • هذا وينسب الى الآموريين انشاء عدة مدن ، لعل من أهمها «تل الحسى» — على مبعدة ١٦ ميلا الى الشرق من غزة — و «تل النجيلة» — على مبعدة ١٨ كيلا الى

---

(٣٠) تكوين ١٦/١٠ ٠

(٣١) تكوين ٦/٢٠

32) A. T. Clay, Amurru, The Home of The Northern Semites 1909.
J. Hastings, A Dictionary of The Bible, Edinburgh, 1936, P. 380.

(٣٣) تكوين ١٦/١٥ ، يشوع ٧/٧ ، ٨/٢٤ ، قضاة ١/٦ ، عاموس ١/٢ ، وانظر

وكذا M. F. Unger, Op. Cit., P. 45-46.

(٣٤) تكوين ٧/١٤ ، ١٩ ، قاموس الكتاب المقدس ١١٩/١

35) A. H. Gardiner, Ancient Egyptian Onomastica, II, Oxford, 1947, P. 187.

(٣٦) تكوين ٧/١٤ ، أخبار أيام ثان ٢/٢٠ ، تكوين ١٣/١٤ ، ثم قارن : تكوين ١٨/١٣ ٠

الشمال الشرقى من غزة ، فضلا عن مدينة «شعليم»[٣٧] ، شرقى اللد، كما جددوا مدينتى «لخيش»[٣٨] و «جازر» ، وحصنوا جميــع المدن وأحاطوها بأسوار .

---

(٣٧) شعليم ــ أو شعلبيم : مدينة فى فلسطين سكنها الاموريون ، وربما هى الان «سلبيط» على مبعدة ثلاثة أميال شمال غربى عجلون ، وقد جاء عنها فى التوراة «وحصر الاموريون بنى دان فى الجبل لانهم لم يدعوهم ينزلون الى الــوادى ، فعــزم الاموريون على السـكن فى جبل حارس فى أيلون ، وفى شعلبيم ، وقويت يد بيت يوسف فكانــوا تحت الجزية وكان تخم الاموريين من عقبة عقربيم من سالع فصاعدا» (أنظر : قضاة ٣٤/١ ــ ٣٦ ، قاموس الكتاب المقدس ٥١١/١) .

(٣٨) لخيش : أو لاخيش أو لاكيش : وكــان يظــن أنهــا «تــل الحصى» (تل الحصى) على مبعدة ٢٦ ميلا الى الشمال الشرقى من غزة ، ١١ ميلا الى الجنوب الغربى من مدينة جبرين ، ويرجح الان أنها «تل الدوير» على مبعدة ٥ أميال غرب بيت جبرين (أنظر :
W. M. F. Petrie, Tell el-Hesy (Lachish), London, 1891.
وكذا
M. F. Albright, in ZAW, 6, 1929, P. 3.

الفصل الثاني

الأموريـون وجـيرانهم

(١) الأموريون ومصـــر

تشير «رسائل العمارنة»[1] الى أن الاموريين انمـا قاموا — فى أخريات أيام أمنحتب الثالث (١٤٠٥ — ١٣٦٧ ق٠م) وعلى أيام أمنحتب الرابع (١٣٦٧ — ١٣٥٠ ق٠م) — بدور خطير فى اضعاف السـيادة المصرية على سورية الشمالية والوسطى ، وذلك عنـدما فقد الشعب الشامى صلاته الشخصية بفرعـون ، وبدأ يئن تحت وطـأة دسائس أصحاب المطامع فى الداخل والخارج ، كما بدأ الحيثيون يعبثون بالحدود السورية والحدود الميتانية[2] ، حتى رأينا «عزيرو» الامورى الخائن يعلن كذبا أن ملك «خاتى» قد ظهر فى «نوخاشى» ، وأنه يخشى وصوله الى «أمور أرض الملك»[3] .

ثم سرعان ما بدأ الحيثيون يغرون ضعاف النفوس بالعمل لصالحهم، وكان هناك فريق من موالى مصر — على رأسه عبدىشرتا وولده عزيرو — مهروا فى النفاق ، واستمروا يضللون أمنحتب الثالث — كما سيضللون ولده اخناتون من بعده — ويسرفون فى الود والطاعة لمصر وفرعونها ، ويسرفون فى الوقت نفسه فى اظهار الحقد لهما —[4] وهكذا بدأ فريق

---

(١) أنظر عن «رسائل العمارنة» (محمد بيومى مهران : اخناتون — عصره ودعوته — القاهرة ١٩٧٩ ص ٢٣٣ — ٢٤٥ وكذا
S. A. B. Mercer, The Tell el-Amarna Tablets, 2 Vols, Toronto, 1939.
J. A Kundtzon and O. Weber, Die El-Amarna Tafeln, 3 Vols, Leipzig, 1915.

(٢) عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم ٢١٨/١ ٠

3) S. A. B. Mercer, Op. Cit., II, P. 529.

(٤) عبدالعزيز صالح : المرجع السابق ص ٢١٨ ٠

من الامراء المحليين ، فى أبعد أطراف الامبراطورية المصرية ، وأقلها تعلقا بفرعون يتطلعون الى الحكم والانفصال عن مصر ، ويستعينون ببدو الصحراء ، ليكونوا لانفسهم دويلات صغيرة ، محتجين على تبعيتهم المستمرة لفرعون ، ولكنهم كانوا فى الواقع ينافسونه فى الحكم، وساعد ترفع مصر واهمالها هؤلاء الامراء على أن يخطوا الخطوة الثانية. وذلك عندما استطاع «عبدى شرتا» وولده «عزيرو» أن يجعلوا من جزء كبير من شمال سورية دويلة مستقلة(٥) .

ويزخر عدد كبير من رسائل العمارنة بالتوسلات اليائسة التى بعث بها «ربعدى» نائب الملك المخلص فى «جبيل»(٦) طالبا العون ضد «عبدى شرتا» الذى كان حاكما على «أمور»(٧) (وهى اذ ذاك منطقة ساحلية تمتد من لبنان شمالا حتى أرواد) ، والذى تمكن من بسط نفوذه عنوة على جيرانه ، فاحتل عرقة وقطنة وحماة ونى فى الداخل ، ثم احتل أرواد ، وهاجم «سيميريا» على الساحل ، وفى الواقع فلقد كان «عبدى شرتا» وأولاده ــ وخاصة «عزيرو» ــ أعداء مزمنين لمصر ، ربطوا أنفسهم بأعداء فرعون المعروفين «بالخابيرو»(٨) أو «ساجاز» (قاطعوا

---

(٥) محمد بيومى مهران : اخناتون ص ٢٤٥ ــ ٢٤٩ ، وكذا
J. A. Wilson, The Culture of Ancient Egypt, Chicago, 1963, P. 230.

(٦) جبيل : كانت تكتب فى الدولة القديمة «كبن» ، وفى الدولة الوسطى «كبنى» ، وفى الدولة الحديثة «كبنا» ، ثم ذكرها الاشوريون باسم «جوبلا» ، والاغريق «بيبلوس» ، والعرب «جبيل» ، وتقع على مبعدة ٤٠ كيلا شمالى بيروت
(A. H. Gardiner, Onom. I, P. 267).

7) S. A. B. Mercer, Op. Cit., II, P. 830-837.
J. H. Breasted, A History of Egypt, N. Y., 1946, P. 382-383.
A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 230-231.

(٨) أنظر عن «الخابيرو» (محمد بيومى مهران : اسرائيل ٢٢/١ ــ ٢٨ ؛ وكذا
A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 203.
J. A. Wilson, Op. Cit., P. 121.
I. Epstein, Judaism, 1970, P. 13-14.
G. Roux, Ancient Iraq, 1966, P. 316.
H. R. Hall, The Ancient History of The Near East, London, 1963, P. 406-407.

الرقاب) ثم فيما بعد بالحيثيين(٩) .

ويستمر «ربعدى» (رب آدى) فى توسلاته اليائسة الى فرعون ، يطلب فيها العون ضد أمير الاموريين «عبدى شرتا» وولده «عزيرو» اللذين كان الواحد منهما بعد الاخر ، انما يحاول القضاء على السيادة المصرية فى غربى آسيا ، غير أن فرعون لم يحرك ساكنا ، حتى يبدو «ربعدى» اخر الامر ، وقد داخله يأس شديد من وصول نجدة تأتى له من فرعون ، ومن ثم يطلب منه أن يأمر قائديه «ينخامو» و «بيخوريا» أن يتجها الى أمور ، ويستوليا عليها(١٠) لان أبناء عبدى شرتا فى الحقيقة أعداء الملك(١١) .

ويصبح «ربعدى» فى مدينة «جبيل» حسيرا محصورا ، وقد حاول «ينخامو» أن يأتى له بنجدة من سيميريا ، ولكن دون جدوى ، فقد كان أولاد «عبدى شرتا» يحاصرون المدينة برا ، وسفن أرواد تحـاصرها بحرا ، ولم يفعل سوى أن يكرر طلب المعونة من فرعون ، وأن يؤكد له أن أبناء عبدى شرتا يعملون لصالحهم ، و «يحتلون مدن مولاى الملك» ثم يجعلونها طعاما للنيران»(١٢) .

وأيا ما كان موقف اخناتون من تابعه ربعدى ، وأيا كان السبب فى عدم امداده بالقوات اللازمة لرد الهجوم الاموری ، وسواء أكان السبب هو عدم وصول رسائل ربعدى للفرعون ، أو أنه انما يكمن فى قـدرة «عبدى شرتا» ، وأولاده من بعده ، على الملق ، وكان الكذب والنفاق

(٩) أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٣٢٠ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢١٨ ، وكذا
K. A. Kitchen, Suppiluliuma and The Amarna Pharaohs, Liverpool, 1962.
A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 231.

10) S. A. B. Mercer, Op. Cit., I, P. 389.

11) Ibid., P. 395.

(١٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢١٩ ، وكذا
G. Steindorff and Keith Seele, When Egypt Ruled The East, Chicago 1963, P. 107.

سلاحين لا يمل الرجل وأولاده من استعمالهما ، حتى كان الواحد منهم يستولى على مدائن الفرعون الواحدة تلو الاخرى ، وفى نفس الوقت يرسل لفرعون رسائل الخضوع والعبودية ، وقد نجح «عزيرو» بصفة خاصة فى اخفاء خيانته عن الفرعون ، بما قام به من رشوة لاولئك الذين كانوا من أقرب الناس الى فرعون ، حتى لم يعد هذا الاخير بقادر على أن يفرق بين المخلصين من ولاته فى غربى آسيا وبين المنافقين منهم[١٣].

وأيا ما كان الامر ، فلم يكن ربعدى هو الوحيد الذى اتهم عزيرو بنشاط معاد لمصر ، فهناك أيضا «أبيميلكى» أمير صــور ، و «اكزى» حاكم «قطنة» ، مما جعل الفرعون يشتد على «عزيرو» فى رسالته اليه، بل ويهدده بالموت وجميع أفراد عائلته ، وأن يطلب منه الحضور فورا لتقديم تفسير عما يحدث ، ومن عجب أن يقوم «عزيرو» بتلك الزيارة التى كان يخشى عواقبها ، وأن يعود كذلك الى مركزه الاول فى أمور ، ومن ثم فقد دعاه الملك «رجل (أمير) أمور»[١٤] . وفى عهد « سيتى الاول» (١٣٠٩ — ١٢٩١ ق.م) ، وعلى الجدار الشمالى لمعبد الكرنك بالاقصر ، نجد التقرير المقتضب القائل بأن الملك قد ذهب لتخريب بلاد قادش[١٥] وبلاد أمعور (أمور)[١٦] ثم ذكرت «أمور» بعــد ذلك فى نصوص معركة قادش من عهــد رعمسيس الثــانى (١٢٩٠ — ١٢٢٤

---

(١٣) نجيب ميخائيل : المرجــع السابق ص ١٤٢ ــ ١٤٨ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢١٨ ــ ٢١٩ ، وكذا

A. C. Stanly, The Lebanon and Palestine in The Amarna Letters, CAH, III, P. 312.

S. A. B. Mercer, Op. Cit., No. 42, 60.

(١٤) محمد بيومى مهران : اخناتون ص ٢٥٥ ــ ٢٦٥ وكذا

W. F. Albright, JEA, 23, 1937, P. 190 F.

S. A. B. Mercer, Op. Cit., No. 55, 156, 159, 162, 164, 169.

(١٥) قادش : وتقع فى مكان «تل نبى مند» على الشاطىء الايسر لنهر الاورنت (العاصى) ، داخل الزاوية التى تكونت ناحية الغرب من اتصاله بنهر الموقادية ، على مبعدة بضعة كيلو متــرات جنوبى النهاية الجنوبية لبحيرة حمص (أنظر

J. H. Breasted, The Battle of Kadesh, Chicago, 1913, P. 13.

16) A. H. Gardiner, Ancient Egyptian Onomastica, Oxfird, 1947, II, P. 189.

ق.م)[١٧] .

ويرد ذكر بلاد أمور فى عهد رعمسيس الثالث (١١٨٢ — ١١٥١ ق.م) ثلاث مرات ، الواحدة : قبيل غزو شعوب البحر لبلاد الشام ، حيث يذهب بعض الباحثين الى أن الفرعون انما قام باخماد ثورة فى أوائل عهده فى بلاد أمور ، ولعل السبب فى هذه الثورة أن الاضطرابات قد بدأت فى غربى آسيا نتيجة هجرات شعوب البحر الهندو — اوربية ، أو أن أمور — جريا على العادة القديمة — قامت بثورة ضد رعمسيس الثالث فى أوائل عهده .

وأيا ما كان الامر ، فان رعمسيس الثالث قد وجد نفسه مضطرا الى اخماد ثورة فى أمور ، وطبقا لرواية النصوص المصرية ، فان «رئيس أمور قد أصبح رمادا ، وبذرته قد انقطعت ، وأخذ كل قــومه أسرى وشتتوا وأخضعوا ، وكل من بقى على قيد الحياة فى بلاده ، كان يأتى بالثناء ليرى شمس مصر العظيمة تطلع عليه ، وجمال قرص الشمس فى وجوههم ، والشمسان «شمس السماء — ثم الملك شمس مصر» اللذان يطلعان ويضيئان ، شمس مصر ، والشمس التى فى السماء ، ويقولون : الرفعة لرع ، ان أرضنا قد خربت ، ولكننا فى أرض حياة ، قد محى فيها الظلام ، ملك مصر العليــا (الصعيد) ومصر السفلى (الدلتا) ، وسر ماعت رع ، مرى أمون ، ابن رع ، رعمسيس الثالث»[١٨] .

وجاء ذكر بلاد أمور للمرة الثانية فى نقش السنة الثامنة من عهــد رعمسيس الثالث (حوالى عام ١١٧٤ ق.م) ، وطبقا لما جاء فى النصوص المصرية ، فقد اتخذت شعــوب البحر — وهى فى طريقها الى مصر — معسكرا فى بلاد أمور ، وسرعان ما خرج لهم الفرعون ، على رأس

---

17) A. H. Gardiner, The Kadesh Inscription of Ramesses, II, Oxford, 1960.

A. H. Gardiner, Onom. II, P. 189-190.

18) W. F. Edgerton and J. A. Wilson, Historical Records of Ramsses, III, Chicago, 1936, Pls. 27-28, P. 22-23.

جيشه ، ثم اتخذ من «زاهى» فى فينيقيا معسكرا له ، وسرعان مادارت رحى الحرب بين الفريقين ، واستطاع الفرعون أن ينـال من شعوب البحر ، وأن يهزمهم شر هزمية[١٩] .

وكانت المرة الثالثة التى جاء ذكر بلاد أمور فيها على أيا مرعمسيس الثالث بعد الهزيمة النهائية لشعوب البحر ، وهو يهاجم حصنا بمساعدة جنده الاشداء ، وقد نكس السوريون حرابهم ، بينما رفع أحدهم الموقد علامة على الاستسلام ، وقد كتب فوق الحصن «كلام نطق به رئيس أمور الخاسىء وأهل قبيلته ، فى حضرة الحـاكم الطيب مثل مونتو ، امنحنا النفس الذى تهبه حتى نستطيع أن نتنفس عن التحدث بشهرتك الى أبنائنا»[٢٠] .

وأما آخر ذكر لآمور ، فقد كان فى مرسوم كانوب[٢١] (أبو قير).

(٢) الاموريين وبلاد الرافدين

(١) الاموريون والاكديون :

لاريب فى أن علاقة الآموريين ببلاد الرافدين انما هى جد قديمة . ورغم أننا لا نستطيع أن نؤكد أن الاكديين انما كانوا ينتمون أصلا الى «المارتو» الساميين الذين وجدوا على التخوم الغربية لمنطقة الفـرات الاوسط ووصفهم السومريين بالبداوة[٢٢] ، غير أن مثل هذا الافتراض انما يبدو مقبولا فقد تركزت العناصر السامية التى نزحت الى السهل الميزوبوتامى فى تواريخ لاحقة ، وخاصة الاموريين ، فى نفس المنطقة التى وجد فيها «المارتو» ، كما تعتبر شبه الجزيرة العربية ، وخـاصة أطرافها الشمالية ، هى المنطقة التى صدرت عنها الهجرات السامية فى

---

19) W. F. Edgerton and J. A. Wilson, Op. Cit., Pls. 29, 31-34, P. 35-

(٢٠) محمد بيومى مهران : مصر والعالم الخارجى فى عصر رعمسيس الثالث ـ الاسكندرية ١٩٦٩ ص ٢١٩ ـ ٢٤٠ .

W. F. Edgerton and J. A. Wilson, Op. Cit., Pls. 90, 96, P. 96, 100.

21) A. H. Gardiner, Onom, II, P. 190.

22) S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1970, P. 286-287.

العصر التاريخى[٢٣] ــ كما وضحنا ذلك من قبل بالتفصيل ــ ونقرأ فى نقش مشهور للملك الاكدى «سرجون الاول» (٢٣٧٠ ــ ٢٣١٥ ق٠م) ما يفهم منه صراحة ، أنه وعشيرته قد نزحوا الى العراق من شبه الجزيرة العربية[٢٤] ٠

هذا فضلا عن أن الاموريين انما قد وجدوا فى نفس المنطقة التى تسغلها المارتو ، وأنهم قد هددوا أسرة أكد نفسها . الامر الذى اضطر الملك الاكدى «شاركالى شارى» (٢٢٥٤ ــ ٢٢٣٠ ق٠م) خامس ملوك هذه الاسرة الى القيام بحملة ضدهم ، وتفيد تسمية العام الثانى من حكمه بأنه «قهر أمورو عند باصار» ، وهو اسم مكان يضم مجموعة من التلال فى الصحراء السورية العربية ، ويطلق عليها حاليا اسم «جبل بشرى» ، ويقع الى الجنوب الغربى من مصب نهر بلخ (بالخ) فى الفرات ، فى غرب «دير الزور» الحالية ، ومن المؤكد أن جهد «شاركالى شارى» انما كان جهدا دفاعيا ، ذلك لان الرجل لم ينتقل بعد ذلك الى مناطق أبعد فى الشمال الغربى ، كما يرجح أن الهدف من الحملة انما كان صد خطر الساميين الاموريين الذين يبدو أنهم أرادوا الافادة من ضعف دولة أكد ، والنزوح الى السهل الميزوبوتامى بغية تحقيق حياة أفضل لأنفسهم[٢٥] ٠

(٢) أسرة ايسين الامورية :

فى أخريات عهد «ايبى سين» (٢٠٢٩ ــ ٢٠٠٦ ق٠م) ــ آخر ملوك أسرة أور الثالثة (٢١١٣ ــ ٢٠٠٦ ق٠م) تعرضت الدولة لهزتين عنيفتين صدرتا عن شعبين فتيين هما : شعب العيلاميين ، وشعب الاموريين . فلقد انتهز العيلاميون وحلفاؤهم من القبائل الجبلية الاخطار التى

---

(٢٣) محمد عبد اللطيف : تاريخ العراق القديم ــ الاسكندرية ١٩٧٧ ص ٢٥٤ ــ ٢٥٥ ، سبتينوموسكاتى : المرجع السابق ص ٥٣ ــ ٥٤ ٠
(٢٤) حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم ــ الاسكندرية ١٩٧٠ ص ١٢٦
(٢٥) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٩٤ ، وكذا
C. J. Gadd, The Dynasty of Agode and The Gutian invasion, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, P. 455.
J. Bottero, in CAH, I, Part, 2, 1971, P. 327.

واجهها «ايبى سين» من ضغط العناصر الامورية فى الغرب ، فهاجموا أرض سومر ، وحاصروا «ايبى سين» فى عاصمته أور[٢٦] .

وفى هذه الظروف السيئة انتهز «ايشبى ارا» — حاكم مارى من قبل ايبى سين ملك أور — فرصة تدهور السلطة المركزية فى آور ، وآخذ يعمل لصالحه الشخصى ، فخرج عن طاعة سيده ، ونقل نشاطه الى مدينة «نيبور» ، ثم الى مدينة «ايسين» الى الجنوب منها بنحو ثلاثين كيلو مترا ، وهناك استقل بالحكم ، وأسس أسرة حاكمة خـاصة به ، هى «أسرة ايسين» فى السنة الثانية عشرة من حكم «ايبى سين» ، اذ يؤرخ حكمه بعد هذه السنة[٢٧] .

ولم يكتف «ايشبى ارا» بذلك ، بل عمل على امتداد سلطانه الى مناطق نفوذ سيده «ايبى سين» ، ويمكن أن نتبين ذلك من نص رسالتين متبادلتين بين «بوزور نوموشدا» (أو بوزو شولجى) حاكم «كازالو» فى الشرق ، وبين «ايبى سين» ملك أور ، الذى رد أسباب المحنة الى القضاء والقدر ، وارادة الارباب وفساد الدولة ، فقال الحاكم «كازالو»: «قضى انليل بالشر على سومر ، وهبط عـدوها من أرض .. واعطى انليل الملكية الى رجل وضيع ، الى ايشى ارا ، الذى ليس من بذرة سومرية ، لقد انداست سومر فى مجمع الالهة ، وقضى انليل أنه طالما بقى أهل السوء فيها ، فلسوف يدمر ايشبى ارا ، رجل مارى ، بنيانها ، ويكتسح أرضها»[٢٨] .

وهكذا أسس الاموريون أسرة حاكمة فى «ايسين» — كبرى عواصم

---

26) H. Hinz, in CAH, I, Part, 2, 1971, P. 658.

(٢٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٤٧ وكذا
C. J. Gadd, Babylonia, 2120-1800 B. C., in CAH, I, Part, 2, 1971, P. 613.

28) S. N. Kramer, Letter of King Ibbi-Sin, in ANET, 1966, P. 480-481.
S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1970, P. 333-335. وكذا
A. A. Fadhil, Three Sumerian Letters, in Sumer, 26, 1970, P. 166-169.
S. N. Kramer, Lipit-Ishtar Law Cod, in ANET, P. 159-161.
وانظر : عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٤٦ـ٤٤٧ ، محمد

الاموريين – واصطنع ملوكها لقب «ملك سومر وأكد» ، كما اصطنعوا الصفات الالهية ، وقاموا بأعمال عمرانية في أنحاء البلاد التى خضعت لهم ، ورمموا كثيرا مما خرب على اثر سقوط أسرة أور الثالثة .

وتشير لوحة فال أشورية الى أن «ايشى ارا» : ليس له منافسون وهو تعبير مبهم على أية حال ، ولكنه مع ذلك انما يشير الى سمعته الطيبة فى العصور اللاحقة التى تعتمد على ما قام به من اصلاحات ، وما بذل من جهود موفقة فى شأن اعلاء شأن مدينته وسيادتها .

على أننا لا نملك الكثير من الوثائق عن تفصيلات الاحداث فى عصر أسرة ايسين ، فالجزء الاكبر من معلوماتنا مستقى من « قائمة نيبور » التى تشير الى أن الاسرة قد حكمت ٢٢٥ سنة ، ٦ شهور[٢٩] ، حكم فيها ١٥ ملكا ، أولهم «ايشبى ارا» ، وآخرهم «دمق ايليشو»[٣٠] .

وعلى أية حال ، فالى هذه الاسرة ينسب واحد من أهم التشريعات فى تاريخ العراق القديم ، وأعنى به تشريع «لبت عشتار»[٣١] خامس ملوك الاسرة ، ويؤرخ بعد «تشريع اشنونا» بنصف قرن ، وقبل تشريع حمورابى بقرن ونصف تقريبا ، ولم يبق من تشريع «لبت عشتار» سوى ثمانى وثلاثين مادة ، يحتمل أنها كانت تؤلف نحو نصف مواد التشريع[٣٢] .

---

(٢٩) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم ١٧٨/٥ .

(٣٠) أنظر عن أسماء ملوك أسرة ايسين وفترات حكمهم (نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٧٦ ، ليواوبنهايم : بلاد ما بين النهرين – ترجمة سعدى فيضى – بغداد ١٩٨١ ص ٤٤٤ – ٤٤٥ ، وكذا (CAH, I, Part, 2, 1971 P. 1000.

(٣١) انظر عن قانون لبت عشتار (نجيب ميخائيل : المرجع السابق ٤٩/٦ – ٥٣٣ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٥٢– ٤٥٣ ، وكذا

F. R. Steele, The Code of Libit-Ishtar, in AJA, L11, 1948, P. 425-450.

(٣٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٥٢ .

وعلى أية حال ، فان الهجرات الارامية بصفة خاصة — والسامية بصفة عامة — والتى نزلت بلاد النهرين منذ أوائل الالف الثانى قبل الميلاد.لم تكن شرا كلها على العراق ، وانما كانت خيرا له فى بعض أمرها، وكان خير ما فيها أن الامورية منها جددت دماء الساميين فى أرض العراق ، وجددت حيويتهم ، ولم تحل دون نشاط المدن الكبرى ، مثل اشنونا وايسين ومارى ، والى حد ما لارسا ، ثم مدينة أخرى استفادت من تنافس المدينتين — ايسين ولارسا — واضعاف ثانيتهما لأولاهما . وقدر لها أن تغطى بشهرتها على مدن العراق كلهـا فى عصرها ، وهى مدينة «بابل» ، وتقع أطلالها الان على مبعدة ٨٠ كيلا ، الى الجنوب من «بغداد» ، على الشاطىء الشرقى للفرات ، وتدل عليها خمس ربوات تحمل الشمالية منها اسم بابل(٣٣) .

(٣) دولة بابل الامورية :

كان الاموريون — أو الساميون الغربيون — حين انتقلوا الى بابل، قد هجروا حياة التنقل ، ومارسوا الزراعة منذ زمن بعيد ، بل انهم كانوا قد اكتسبوا مظاهر حضارية ، قبل استقرارهم فى بابل ، والتى كانت قبل زعماتهم لها مجرد بلدة عادية ، عرفها السومريون باسم «كد نجيرا» ، فأحالوها الى حاضرة كبيرة ، وأحسنوا استغلال موقعها التجارى والزراعى فى أضيق منطقة خصبة يتقارب فيها نهر دجلة والفرات،وأطلقوا عليها اسم «بابل» وهو اسم ليس هناك مايمكن تأكيده عن معناه ، وان كان الشائع هو ترجمته بمعنى «باب ال» أى « باب الاله»(٣٤) ، ويرى أصحاب هذه الترجمة أنها كانت قريبة مما تدل عليه التسمية السومرية «كدنجيرا» التى استمرت تستخدم الى جانبها ، مع

---

(٣٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٥٧ — ٤٥٨ .

(٣٤) قارن ما جاء فى سفر التكوين من التوراة (تكوين ١/١١ — ٩) حيث يروى قصة أو أسطورة طريفة ، ينتهى فيها الى أن بابل «دعى اسمها بابل لان الرب هناك بلبل لسان كل الارض ، ومن هناك (.ى من بابل) بددهم الرب على وجه كل الارض» (تكوين ٩/١١) .

مترادفات أخرى مستحدثة[٣٥] •

وكان مؤسس الاسرة الامورية البابلية الجديدة (دولة بابل الاولى) هو «سمو — ابوم» ، وكان يحكم ، فى بادىء الامر ، رقعة صغيرة فى جنوب العراق ، ثم سرعان ما بدأ فى توطيد نفـوذه بين أمراء المدن الجنوبية ، ثم اعلان نفسه على بابل ملكا ، بعد أن بسـط نفوذه على سومر وأكد ، ثم تلاه أربعة ملوك[٣٦] عملوا على الحفاظ على مدينتهم، وتنشيط اقتصادياتها ، واعدادها للمشاركة فى قيادة بلاد النهرين •

وظل الامر كذلك حتى جاء سادس ملوكهم ، الملك الشهير «حمورابى» الذى استطاع فى النصف الاول من القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، أن يقضى على منافسيه من حكام دويلات المدن،وأن يعيد الى بلاد الرافدين وحدتها السياسية[٣٧] ، وأن يصدر تشريعه الشهير الذى خـلد اسمه بين عظماء الرجال على مدى التاريخ القديم[٣٨] •

(٣) الاموريون وبلاد الأناضول

(١) الاموريون ودولة الحيثيين :

أشرنا من قبل الى علاقة الاموريين بالحيثيين على آيام العمارنة ،

---

(٣٥) عبد العزيز صالح : المرجـع السابق ص ٤٥٨ ، وانظـر : قاموس الكتاب المقدس ١٥٢/١ ، وكذا
(M. F. Unger, Op. Cit., P. 114-118

(٣٦) أنظر عن ملوك دولة بابل الاولى (نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٧٦ ، ليواوبنهايم ، المرجع السابق ص ٤٤٤ ـ ٤٤٦ ، وكذا
CAH, I, P. 2, 1971, P. 1000.

(٣٧) أنظر عن عصر حمورابى :
C. J. Gadd, in CAH, II, Part, I, 1973, P. 176-224.

(٣٨) أنظر عن قانـون حمورابى : (نجيب ميخائيل : المرجـع السابق ٥٣/٦ — ٨١ ، عبد العزيز صالح : المرجـع السابق ص ٤٦١ — ٤٦٩ ، وكذا
T. J. Meek, The Code of Hammurabi, ANET, P. 163-177.
A. Deimel, Codex Hammurabi, 1930.
W. Eilers, AO, 31, 1931. وكذا
R. F. Harper, The Code of Hammurabi, 1904. وكذا

وأن رسائل العمارنة تشير الى تعاون الحيثيين والاموريين — على أيام عبدى شرتا وولده عزيرو — فى القضاء على الامبراطورية المصرية فى سورية الشمالية ، وقد كتب «اكزى» أمير «قطنة» (وهى تل المشرفة الحالية على مبعدة ١٨ كيلا الى الشمال الشرقى من حمص) يستغيث بالفرعون «أمنحتب الثالث» ويسأله أن يرسل اليه رماة الاقواس(٣٩)، ثم يكتب ثانية الى فرعون ينبئه بأن قطنة ورجالها قد أخـذهم ملك «خاتى» ، و «عزيرو» أمير الاموريين(٤٠) ، ثم يتظاهر «عزيرو» الخائن بالولاء لفرعون فيكتب اليه أن ملك «خاتى» قد ظهر فى «نوخاشى» ، وأنه يخشى وصوله الى «أمور أرض الملك»(٤١) ، مع أنه كان فى حلف مع خاتى (خيتا) ضد مصر .

وقد أدرك «شوبيلوليوما» (١٣٧٥ — ١٣٣٥ ق.م) ملك خاتى ، أثناء صراعه مع «ميتانى» أنه لن يتمكن من تحقيق أغراضه فى غربى آسيا ، مادام النفوذ المصرى قويا ، ومن ثم فقد أخذ يؤلب الامراء السوريين ليشقوا عصا الطاعة على فرعون ، فاستجاب له أميران ، هما «ايتوجاما» أمير قادش ، ثم «عبدى شرتا» ملك أمور ، وهكذا ارتبط أمراء أمور بالحيثيين للعمـل ضـد مصر ، وبدأوا يرون فى ملك خاتى الشمس الحقيقية التى تجدر بهم عبادتها ، والتقرب اليها ، وأدركوا أن شمس «بوغازكوى» أقرب اليهم من شمس مصر(٤٢) .

(٢) الاموريون والمراكز التجارية الاشورية فى الاناضول :

تشير الوثائق الاشورية الى أن العنصر الامورى انما قد شارك فى مجتمعات المراكز التجارية الاشورية القديمة فى آسيا الصغرى ، وأن

39) S. A. B. Mercer, The Tell-El-Amarna Tablets, I, Tornto, 1939, P. 229.

40) Ibid., P. 237.

41) Ibid., II, P. 529.

(٤٢) أنظر : محمد بيومى مهران : اخناتون ص ٢٤٦ — ٢٥٠ ، ٢٥٥ — ٢٥٦ .

الاختلاط بين الاسماء الاشورية والامورية فى مجتمع المركز التجارى الاشورى ، ما يشهد بامتزاج هذه العناصر كسكان يتعايشون معا فى نطاق المركز التجارى الواحد •

وكان الاموريون أقرب العناصر للاشوريين ، وأكثرهم ارتباطا بهم اجتماعيا ودينيا ، وقد اعتمدوا عليهم بدرجة كبيرة فى مزاولة نشاطهم التجارى ، أما السكان الوطنيون ، وخاصة العناصر الهندو — أوربية، فقد نظر اليهم الاشوريون بازدراء ، وأطلقوا عليهم صفة «برابرة»[٤٣] •

وهناك مايشير الى أن العنصر السامى الاخر — بجانب الاشوريين— فى سكان الاناضول فى فترة الالواح الكتابية القبادوشية ، انما كان العنصر الامورى ، الذى يشار اليه بالتعبير السومرى «مارتو» Mar-Tu ، ومقابله البابلى والاشورى Amurrum ، والذين ينتمون أصلا الى «أرض أمورى» Mat-Amurre فى الغرب ، ومن الواضح أن الكثير من هؤلاء الاموريين كانوا من المقيمين بأرض آشور، ويتعبدون الى الهها القومى «أشور» ، ثم جاءوا الى آسيا الصغرى مع الاشوريين ، وان كان ليس هناك مايمنع من أن يكون منهم من وفد الى آسيا الصغرى ، قبل حلول الاشوريين بها بوقت طويل[٤٤] •

وأما عن وجود الاموريين فى أرض أشور نفسها ، فتشهد به الرسائل الموجهة الى «اينا» بن «الا ايلى» ، رجل الاعمال الامورى المقيم فى «كانش» من زوجته «تارام كوبى» المقيمة فى مدينة أشور ، ويفهم من هذه الرسائل عدة أمور ، منها أن الرجل لم يترك لزوجه شيئا من المال، عندما تركها فى مدينة آشور ، ليقيم فى الاناضول ، ومنها أن القوافل

---

(٤٣) محمد عبد اللطيف : المراكز التجارية الاشورية فى وسط آسيا الصغرى — الاسكندرية ١٩٨٤ ص ٥٦ ، وكذا
H. Lewy, Anatolia in The Old Assyrian Period, in CAH, Part, 2, P. 717.
(٤٤) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٥٧ ، وكذا
J. Lewy, Amurritica, in HUCA, 32, 1961, P. 67-68, with Notes, 209-211.

التجارية التى كانت تحمل البضائع من آشور الى آسيا الصغرى ، انما كانت تتجمع فى مكان ما فى مجاورات مدينة أشور،وربما كانت ضاحية لها، وأنه قد حمل الاسم «أموروم» وأن سكانه كانوا من الاموريين ، كما قامت فيه عبادة معبودهم «أموروم»(٤٥) •

وليس هناك من ريب فى أن الوجود الامورى فى أرض أشور ، انما كان سببا للتقارب والتعاون بين الاموريين والاشوريين فى آسيا الصغرى وطبقا لدراسة عقود الزواج والطلاق ، فان معظم زيجات الاشوريين بالاناضول انما كانت من هؤلاء الاموريين ، كما كان رجال الاعمال الاشوريين كثيرا ما يستعينون بهؤلاء الاموريين ، وكثيرا ما كانوا يعهدون اليهم بتولى أمر قوافلهم التجارية(٤٦) •

هذا ويذهب البعض الى أن الاموريين فى الاناضول انما كانوا يشبهون الاشوريين الى الدرجة التى يصعب معها التفرقة بينها ، وخاصة أن الفريقين من الجنس السامى ، هذا فضلا عن اقتران اسم المعبود «أشور» بالمعبودات الامورية ، وأن هناك أشوريين قد تعبدوا للاله الامورى«أموروم» كما تشير الى ذلك نصوص الالواح القبادوشية(٤٧) •

وهناك مايشير الى أسماء تتضمن أسماء آلهة سامية غربية (أمورية) مثل «داجان» ، و «أموروم» اللذين عبدهما الاشوريون ، واقترنت بعض أسمائهم بهما ، فأما « داجان» فقد انتشرت عبادته فى اقليم «قبادوقيا» بوسط آسيا الصغرى منذ عصر أكد ، كما انتشرت فى السهل الميزوبوتامى منذ القرن العشرين قبل الميلاد ، على الاقل ، وأما «أموروم» فيمكن اعتباره معبودا قوميا للاموريين ، اذ يدل اسمه على

---

45) J. Lewy, Op. Cit., P. 41, 48-49, 62-66, Notes, 107, 110, 201.
J. Lewy, Some Aspects of Commercial Life in Assyria and Asia Minor in The Nineteenth Pre-Christian Century, in JAOS, 78, 1958, P. 90, with Note. 7.

46) J. Lewy, Amurritica, in HUCA, 32, 1961, P. 65.

47) H. Lewy, in CAH, Part, 2, 1971, P. 721.

الارض والشعب والمعبود ، أسوة بأشور المعبود القومى للاشوريين ، كما يقترن اسم «أموروم» باسم «أشور» فى عــدد من النصوص من «كول تبه»[٤٨] . هذا وتدل النصوص القبادوشية على أن الاموريين كان لهم تأثير كبير على الاشوريين فى وسط الاناضول ، حتى حمل هؤلاء الاشوريين — كما تدل النصوص — أسماء تدل على عبادتهم للمعبود أموروم ، وان كان مما لاشك فيه أن التأثير الاقوى انما كان للاشوريين فهم أصحاب السيادة فى مجتمعات المراكز التجارية بوسط الاناضول[٤٩] .

---

48) J. Lewy, Op. Cit., 35-37, 62, with Notes, 25-27, 187.

وكذا H. Lewy, Op. Cit., P. 720.

وأنظر : محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٥٩ ــ ٦١

49) H. Lewy, Op. Cit., P. 718-720.

J. Lewy, Op. Cit., P. 34-35.

الباب الثالث

الفينيقيـــــون

الفصل الأول

الفينيقيون والاصل السامى

(١) الكنعانيون الفينيقيون :

قدم الكنعانيون — الفينيقيون الى سورية — أو بلاد الشام — مع الاموريين ، أو فى أعقابهم مباشرة — فهم الجماعة السامية الثانية التى قامت بدور رئيسى فى تاريخ بلاد الشام ، بعد الاموريين ، هذا وتنتمى المجموعتان — الكنعانية والامورية — الى أصل واحد ، وتتحدثان بلغتين تتشابهان فى الكثير ، حتى أدى ذلك التشابه الى أن يطلق على «لغة الاموريين» ، اسم «الكنعانية الشرقية» ، تمييزا لها عن لغة الكنعانيين التى عرفت باسم «الكنعانية الغربية — أو الفينيقية» ، وذلك على أساس أن هاتين اللغتين تنتميان الى أصل واحد •

وتطلق وثائق العهد القديم اليهودية على السكان السابقين للعبريين فى سكنى فلسطين اسم «الاموريين» (العموريين) ، بينما يسميهم النص الالوهيمى[1] «الكنعانيين» ، ومن الواضح أن هناك صلة قوية بين هذين الشعبين ، فلغتاهما لا تختلفان الا فى اختلاف لهجة الواحد منهما عن الاخرى ، بل ربما يبدو أن الاموريين (السوريين) اسم أطلقه

---

(١) المصدر الالوهيمى : ويرمز له بالحرف (E) وهو الحرف الاول من كلمة (Elohist) ، وربما ألف حوالى عام ٧٧٠ ق•م فى اسرائيل ، لانه يستعمل اسم العلم «الوهيم» علما على «الله» وقد أدمج مع المصدر اليهوى (والذى يرمز له بالحرف (J) وهو الحرف الاول من كلمة (Jahwist) وربما ألف حوالى عام ٨٥٠ ق•م ، فى يهوذا) فى مجموعة واحدة (JE) حوالى عام ٦٥٠ ق•م ، ويقول «لوسيان جوتيية» ان هذين المصدربن القديمين كانا قد امتزجا قبل أن تنبثق بقية المصادر الاربعة (وهما [illegible]در الكهنوتى والمصدر التثنوى) •

العهد القديم على سكان المنطقة الجبلية فى فلسطين (هضبة يهـوذا)، بينما أطلق اسم الكنعانيين على سكان السهول ، بالرغم من أن كليهما شعب واحد ، ويؤيد هذا الاحتمال أن الاصل العبرى لكلمة كنعـان (ك• ن• ع) ، انما يعنى انخفض أو منخفض ، فالكنعانيون اذن اسم يعنى سكان المنخفض[٢] • وقد ظل اسم كنعان وأرض كنعان يطـلق على سـاحل فلسطين وسـورية حتى بعـد هجرة العبريين الذين قنعوا باحتلال هضبة يهوذا بفلسطين ، أما أرض العموريين فهى الجانب السورى المتاخم للصحراء حتى أعالى الفرات[٣] •

(٢) تاريخ دخولهم سورية :

هذا وقد اختلف المؤرخون فى تاريخ دخول الكنعانيين الفينيقيين الى المنطقة ، وفى المواطن التى قدموا منها ، وأما عن تاريخ الدخـول ، فان «هيرودوت» (حوالى ٤٨٤ ــ ٤٣٠ ق•م) انما يروى ــ على لسان علماء صور ــ أنهم قدموا الى فلسطين فى القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد، بل لقد أثبتت الحفائر أن هذه الهجرة الكنعانية أقدم من هذا التاريخ بكثير ، ذلك لان مدن أريحا وبيسان ومجدو ، أسماء سامية ، وأنها كانت موجودة قبل عام ٣٠٠٠ ق•م ، هذا فضلا عن أن هناك مدنا أخرى قد كشف عنها ، وهى مدن كنعانية ترجع الى نفس العهد ، وربما قبله بنصف قرن وان كان هناك من يرجعها الى عام ٢٥٠٠ ق•م •

(٣) موطن الكنعانيين الفنيقيين الأصلى :

وأما عن الموطن الذى قدموا منه ، فان «هيرودوت» يروى ــ نقلا عن الفينيقيين ــ أنهم مهاجرون من أرتيريا ، سواء قصد بهذه العبارة الجنوب العربى وساحل الحبشة ، أم منطقة الخليج فى الشمال الشرقى

---

2) G. A. Barton, Semitic and Hamitic Origins, London, 1934, P. 80.

(٣) محمد السيد غلاب : الهجرات البشرية الكبرى ــ مجلة كلية اللغة العربية والعلـوم الاجتماعية ، العـدد السـادس ، الرياض ١٩٧٦ ص ٣٠٥ •

للهضبة العربية[٤] ، وأنهم قد وصلوا أولا الى بلاد العرب الصخرية[٥]، شمال الحجاز ، ومنها دخلوا اقليم «النقب» ليأخذوا طريقهم بمحاذاة الساحل الى لبنان وسورية ، وهناك حقيقة تاريخية قيمة نقف عليها من ملاحم «رأس الشمرا» ، اذ يفهم منها أن الكنعانيين الفينيقيين عاشوا ردحا من الدهر فى صحراء النقب جنوبى فلسطين ، وأن الفضل يرجع اليهم فى تخطيط أهم المدن فى تلك المنطقة مثل «بئر سبع» وأشدود[٦].

ويشير الجغرافى الرومانى «سترابو» (٦٦ — ٢٤ ق٠م) فى الكتاب السادس عشر من مؤلفه Geographica [٧] — الى أن مقابر البحرين فى الخليج الاسلامى العربى،انما تتشابه ومقابر الفينيقيين،وأن سكان جزر البحرين يذكرون أن أسماء جزائرهم انما هى أسماء فينيقية ، وأن فى مدنهم هياكل تشبه الهياكل الفينيقية[٨] ، هذا فضلا عن أن« جيمس تيودور بنت» قد أجرى فى عام ١٨٨٩م تنقيبا فى مقابر البحرين،وبعث بشىء منها الى المتحف البريطانى ، فظهر أنها من مقابر الفينيقيين قبل هجرتهم الى سواحل سورية[٩] ، هذا الى جانب أن «جيمس تيودور بنت» (١٨٥٣ — ١٨٩٧) انما كان متاثرا برأى هيرودوت القائل بأن الفينيقيين انما كانوا يدعون فى عهده بأن أسلافهم من البحرين[١٠] .

هذا وقد عثر الرحالة «هارى سان جون بريدجر فلبى» (١٨٨٥ — ١٩٦٠) على مثل هذه المقابر فى الخرج والافلاج من أعمال نجد ، وهو يرى أن الفينيقيين ربما جاءوا من هاتين المنطقتين ، ثم هاجروا منهما

---

(٤) ثروت الاسيوطى : المرجع السابق ص ١٢٥ .

(٥) انظر عن بلاد العرب الصخرية : كتابنا «دراسات فى تاريخ العرب القديم ص ٩٦ ، وكذا Diodorus Siculns, II, 48.

W. Smith, A Dictionary of the Bible, I, P. 91.

(٦) حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم ص ٥٧ — ٥٨ .

7) The Geography of Strabo, Translated by Hamiltons, London 1912. The Geography of Strabo, Translated by H. L. Jones, London, 1949.

8) Strabo, 16-2.

9) A Grohmann, Arabien, Manchen, 1963, P. 251.

10) G. Bibby, Looking for Dilmun, London, 1970, P. 29.

الى منطقة الخليج العربى (الاسلامى) ، كما أن هناك أسماء فى شرق الجزيرة العربية تحمل نفس أسماء المدن التى أنشأها الفينيقيون على الساحل الشامى ، مثل «صور» على ساحل عمان ، و «جبيل» على ساحل الاحساء ، و «أرواد» وهو الاسم القديم لجزيرة «المحرق» ، هذا فضلا عن أن هناك من رأى أن الفينيقيين قد انطلقوا من البحرين الى البصرة، سالكين طريق الهلال الخصيب الى الساحل السورى ، حيث بنوا مدنهم هناك(١١) .

وهكذا يرى «أمين الريحانى» أن المؤرخين والاثريين يجمعون على أن الفينيقيين ساميون ، كالعرب تماما ، بل انهم عرب الاصل ، نزحوا من الشواطىء العربية الشرقية ومن البحرين الى سواحل البحر الابيض المتوسط فى قديم الزمان(١٢) ، الا أن هذه النظرية انما تحيط بها هواتف الريبة ، ذلك لان شواطى الخليج العربى البابلية لا تصلح أمواهها للتربية الملاحية بالنسبة الى ندرة الاخشاب هناك ، وهى الناحية التى برز فيها الفينيقيون وبزوا غيرهم .

وأيا ما كان الامر ، فان التعبير التوراتى «أرض كنعان» انما يغطى كل فلسطين غرب الاردن(١٣) ، وأن الكنعانيين قوم ساميون وليسوا حاميين ، كما أراد سفر التكوين أن يجعلهم(١٤) ، وأنهم قدموا من شبه الجزيرة العربية ، سواء من شرقها أو شمالها أو حتى من جنوبها،وسكنوا فلسطين ، وأقاموا بها حضارة راقية ، كذلك فان جزءا من الكنعانيين انما قد انتقلوا الى الساحل السورى للبحر المتوسط ، حيث عرفوا هناك بالفينيقيين ، وهم بهذا انما يمثلون — على هذه الصورة — امتدادا كنعانيا نحو الساحل .

---

(١١) جواد على ٥٢٩/١ ، عز الدين اسماعيل : تاريخ فلسطين القديم ص ٢٧ وكذا
H. St. J. B. Philby, Shaba's Daughtars, London, 1939, P. 373.

(١٢) أمين الريحانى : قلب لبنان ، بيروت ١٩٥٨ ص ٤٢٣ .

(١٣) عدد ٣٤ : ٢ — ١٢ وكذا M. F. Unger, Op. Cit., P. 171.

(١٤) تكوين ١٠ : ٦ .

وهكذا حتى اذا ما أتى الاسرائيليون الى فلسطين ، كان الكنعانيون مستقرين فيها منذ أجيال وأجيال ، وفى العهد القديم فان القوم الذين سكنوا البلاد — فيما قبل الاسرائيليين — كان يطلق عليهم «الكنعانيون» دون النظر الى الاختلافات الجنسية بينهم ، وقد تركز الكنعانيون فى عدد من المدن المحصنة ، ولكنها لم تكن موزعة على طول البلاد ، كما هو المفترض دائما ، وانما كانت فى معظم الاحايين فى السهول التى هياتها الطبيعة ، بينما كانت هناك أحيانا مدن فى أكثر الجهات القاحلة والجبلية من البلاد ، وهذه المدن كانت فى الواقع قلاعا محاطة بأسوار ، ذات منازل متلاصقة بجوار بعضها ، ولها مناطق ملحقة بها تزودها بالارض الزراعية الضرورية[١٥] .

وأيا ما كان الامر ، فقد بقى الكنعـــانيون فى بلادهم حتى القرن السابع قبل الميلاد[١٦] ، حيث يرد ذكرهم فى سفر صفنيا[١٧] ، رغم المحاولات الاسرائيلية العنيفة أحيانا ، والهمجية أحيانا أخرى ، بل وعمليات الابادة فى أغلب الاحايين .

(٤) أصل كلمة كنعان وفينيقيا :

وقد اختلف المؤرخون فى أصل كلمة «كنعان» : فهناك من رأى أن الكلمة سامية ، وأنهم سموا بالكنعانيين نسبة الى جدهم الاول «كنعان» على عادة العرب فى تسمية قبائلهم ، وأن بنى كنعان انما كانوا يقيمون فى أرضهم السهلة على ساحل الخليج العربى (الاسلامى) وقد نسبت اليهم وسميت بارض كنعان ، وعند نزولهم حملوا معهم اسمهم واسم بلادهم الذى أعطوه لوطنهم الجديد[١٨] ، ومنهم من رأى أن كلمة كنعان مشتقة من أصل سامى (خنع — قنع — كنع) اشارة الى الصفة ، ومنها مجازا ،

---

15) M. Noth, The History of Israel, London, 1965, P. 114.

(١٦) كتب سفر صفنيا فى عهد ملك يهوذا «يوشيا» (٦٤٠ — ٦٠٩ ق.م) على قول ثقات الشراح ، وان رأى البعض انه كتب فى الجزء الاخير من عهد «يهوياقيم» (٦٠٩ — ٥٩٨ ق.م) .

(١٧) صفنيا ٢ : ١٠ — ٧ .

(١٨) عز الدين اسماعيل : المرجع السابق ص ٣١ .

الارض الخفيضة ، على عكس مرتفعات لبنان ، فسمى هؤلاء الساميون بالكنعانيين ، أى سكان المنخفض ، لانفرادهم بسكنى هــذه السهول الساحلية التى تحف بشرق البحر المتوسط •

هذا وقد ذهب فريق ثالث الى أن أصل كلمة «كنعان» انما هو مشتق من كلمة حورية ، هى «كناجى» ، وتعنى الصباغة القرمزية التى اشتهروا بها ، عندما اتصل الحوريون بهذه البلاد فى القرن الثامن عشر أو السابع عشر قبل الميلاد ، ومنها اشتقت الكلمة الاكدية ، «كناخى» أو «كيناخى» ــ كما فى رسائل العمارنة ــ وبالفينيقية «كنع» وبالعبرية «كنعان» ، وكلها مسميات تدل على الحمرة الارجوانية ، ثم جاء الاغريق واتصلوا بهذه الشعوب السامية واتجروا معها ، واحتكوا بهذه المجتمعات المدنية المتناثرة على الساحل ، فأطلقوا عليها اسم «فينكس»[19] ، وهى كلمة تعنى فى بعض الاراء نوعا من النخيل ينمو على شواطىء هذه النواحى، ويقابلها عنــد الرومان Palmyra التى أطلقت على مدينــة «تمر» أو «تدمر»[20] فى شرق البقاع •

وكلمة «تمر» هى الكلمة السامية التى تقــابل كلمة Palm بمعنى النخيل فى بعض اللغات الاوربية حتى اليوم ، وأن أصحاب هذا الرأى يرجحون أن الفينيقيين انما نشأوا عند الخليج العربى ، فى بلاد النخيل، وتحولوا منه الى فلسطين يوم أن كانت وطنا مشهورا بكثرة ما فيه من النخيل[21] ، ولكن هنــاك من يرى أن «فينكس» كلمــة تعنى اللون الاحمر كذلك •

وعلى أى حال ، فلقد اشتقت من هذه الكلمــة ، كلمة «فينيقيا»

---

(١٩) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٧ •

(٢٠) تقع تدمر على مبعدة ١٠٠ كيلو مترا من حمص ، ١٥٠ كيلو مترا الى الشمال الشرقى من دمشق ، فى منتصف المسافة تقريبا بين دمشق والفرات ، وكانت عاصمة التدمر بين (أنظر عن تدمر بالتفصيل : محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم ص ٥٣٣ ــ ٥٤١)

(٢١) عباس العقاد : الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين ص ٢٢ •

وبالتالى أصبحت ترادف كلمة «كنعان» وأن الكلمتين أصبحتا تعنيان ، على الاغلب ، شيئا واحدا ، وهكذا اتفقت التسمية السامية القديمه والتسمية اليونانية الحديثة فى أن تربط بين هذه الشعوب وبين اللون الاحمر ، والواقع أن هذه المدن الساحلية على شواطىء شرق البحر المتوسط تخصصت منذ عرفت فى صناعة نوع من الصبغة الارجوانية كانت تستخرج من حيوانات بحرية رخوة تكثر قرب شواطئها ، ومن هنا جاءت نسبتها الى اللون الاحمر[٢٢] ، وهكذا كانت تسميتهم السامية القديمة بالكنعانيين ، وبالاغريقية الفينيقيين ، وكلاهما علم على شعب سامى واحد ، ينزل بسهول فلسطين الساحلية .

هذا وقد تغير اسم كنعان بتغير العصور . فهو — بادىء ذى بدء — اسم أطلق على الساحل السورى وغرب فلسطين ، ثم سرعان ما أصبح الاسم الجغرافى المتعارف عليه لفلسطين ، وقسم كبير من سورية . وكان هذا أول اسم لفلسطين ، وجميع الاسماء الاخرى اقل أهمية . وفى وثائق العهد القديم الاول أطلق اسم كنعان بمعناه الواسع على جميع سكان البلاد فى غرب الاردن ، أى مدلول جنسى[٢٣] هذا وقد كان تعبير «لغة كنعان»[٢٤] يطلق بصفة عامة على لغة فلسطين السامية[٢٥] .

---

(٢٢) نجيب ميخائيل المرجع السابق ص ١٨ ، فيلب حتى : المرجع السابق ص ٨٥ — ٨٧ ، وكذا :

W. F. Albright, Op. Cit., P. 87.

M. F. Unger, Op. Cit., P. 170-171.

وكذا

(٢٣) عدد ٣٤ : ٣ — ١٢ .

(٢٤) اشعياء ١٩ : ١٨ .

(٢٥) فليب حتى : المرجع السابق ص ٨٧ ، وكذا :

M. F. Unger, Op. Cit., P. 171.

الفصل الثانى

دويـلات المـدن الفينيقيـة

تقديـــم :

تعد فينيقيا واحدة من أصغر دويلات العالم القديم ، وهى تشغل من الناحية الجغرافية شريطا ساحليا ضيقا كان يمتد من جبل الاقرع (كاسيوس) شمالا ، الى جبل الكرمل جنـــوبا ، ومن أرواد (وتسمى خرائبها اليوم طرطوس شمال عمريت) الى عكا (عكـــو بمعنى الرمال الحارة) ولا يزيد طوله على مائتى ميل ، كما لا يزيد عرضه على ٣٥ ميـــلا ، وهو غنى بالخلجان ، وبه عدد من الثغور ، وترتفع الى جانبه من ناحية الشرق جبال شامخة تغطيها الغابات من أشجار الارز والصنوبر والسرو ، وتفصل الخلجان الرؤوس البارزة فى البحر عن بعضها البعض •

وتظهر بالقرب من الشاطىء بعض الجزر التى كان لها كذلك شأن فى تاريخ هذه البقعة ، ذلك لانها كانت عامرة بالقرى والمدائن ، شأنها فى ذلك شأن الساحل نفسه ، بل ان أهميتها تفوق الساحل فى أحايين كثيرة(١) •

وعلى أية حال ، فلقد كان الفينيقيون محصورين فى شريط من الارض على شىء كثير من الضيق ، ذلك لان جبال لبنان لا تبعد عن البحر أكثر من ٥٠ كيلا ، بل يقترب الجبل من البحر فى بعض المواضع فيصير على بعد ما بين ١٢ ، ١٥ ميلا ، وفى بعض المواضع يلاصق الجبل البحر •

هذا فضلا عن أن هذا الشريط الضيق من الارض مقسم طولا الى

---

(١) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم ـ الجزء الثالث ـ سورية ـ الاسكندرية ١٩٦٦ ص ٤٨ •

عدة أقسام منفصلة بعضها عن بعض بامتدادات جبلية ناتئة من جبل لبنان . وواصلة الى ساحل البحر ، وهذا الامتداد الفاصل حاجز حقيقى تنشأ عنه أقاليم مختلفة ، ثم أكثر هذه الامتدادات الناتئة عند الجبل تنتهى عند البحر بانحدار عمودى لا يدع مكانا لطريق يوصل بين جانبيها، وهكذا كان الحال قديما ، أو كان ما وجد على أكثر تقدير ، طريق ضيق منحوت فى جنب النتوء .

ولعل من خير الامثلة على ذلك ، رأس الكلب ، وهو رأس يقع شمال بيروت (وهى بئرونا فى رسائل العمــارنة ، بمعنى الابار) ، ويوجد قرب قمته آثار طريق ضيق ، وفى أسفله الطريق الذى سلكه الفاتحون المصريون والاشوريون والروم ، وكل منهم قد ترك على الطريق نقوشا تخلد ذكراه . وكان البحر أسهل طريق للمواصلات بين كل بلد وآخر ، وهذا الانقسام انما كان أحد الاسباب التى جعلت فينيقيا لا تصلح أن تكون دولة حقيقية ، فصارت عبارة عن دويلات صغيرة ، يسود بعضها البعض الاخر ، طبقا للزمان والظروف السياسية والاقتصادية .

هذا ونعتبر فينيقيا بمثابة ممر ضيــق بين افريقيــا وآسيا ، لان صحراء سورية الكبرى الواقعة وراء جبال لبنان اقليم لا يمكن اجتيازه عمليا . وعكس ذلك من ناحية فلسطين فى الجنوب . اذ تتصل فينيقيا بشبه جزيرة سيناء ثم الى داخل مصر نفسها ، أما فى الشمال فالاتصال ممكن بأعالى وادى دجلة والفرات .

ومن هذا الوضع ندرك كيف كانت فينيقيا غير قادرة على أن تبقى منعزلة محايدة ازاء المنافسات التى تجاذبت العالم القديم ، وكان عليها أن تصطلى بها ، أو أن تنحاز الى فريق منها ، وكان ضمها ضرورة من الضرورات التى تحرص على تأمينها كل امبراطورية كبيرة ، لعظم الموارد التى تنتج من تجارتها ، ولمنفعة الاسطول الذى يجده الفاتح بها .

وكان انحيازها الى فريق من الفريقين المتحاربين ذا فائدة حــربية أيضا ، فهى لمن ملكها باب مفتوح على افريقية وعلى أسيا على السواء.

وهى ثغر يحتمى من وراءه به ، ويتخذه فى نفس الوقت قاعدة لما يقدر من الغزو والتوسع[٢] •

وهكذا تأثر الفينيقيون الى أبعد الحدود بالبيئة التى عاشوا بها ؛ واستجابوا لها استجابة كاملة ، فشكلت تاريخهم وحياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، ذلك لان الوطن الفينيقى الممتد على سواحل الشام على صورة شريط ضيق يقع بين البحر من الغرب ، والصحراء من الشرق ، أصبح بمثابة قنطرة يعبرها الغـزاة الاسيويون القادمون من منطقة الجزيرة قبل نزولهم الى وادى النيـل ، كما تعبرها القـوات المصرية القادمة من الوادى تتعقب الغزاة ، وهم فى طريق فرارهم بعد دفعهم عن حدود مصر •

وكانت الجيوش المصرية تطرق بلادهم باستمرار ، تحاصر مدنهم وتدك قلاعهم ، وتحملهم أسرى الى مصر يسخرهم فرعون فى الاعمال التى يريد ، وقد سجلت الاثار المصرية والوثائق المصرية هـذه الصلة الوثيقة بين فينيقيا ومصر ، وما كادت الشعوب السامية النازلة فى وادى الدجلة والفـرات تفيق وتتطلع الى السيادة على الشرق الادنى حتى اتجهت صوب فلسطين ، وكانت جيوشها الغازية تطرق هـذه القنطرة الساحلية ، وتفعل بها مثل ما فعله المصريون من قبل •

وهكذا أصبح الوطن الكنعانى الفينيقى فى مهب التيارات العالمية ، بين قوى عالمية كـبرى ، قامت فى وادى النيـل ، وفى وادى الدجلة والفرات ، وفى آسيا الصغرى ، وترتب على هذا الوضع نتائج بعيدة الاثر ، اذ لم يستطع الكنعانيون أن يقيموا دولة موحـدة ، تصد هذه التيارات وتضع حدا لهذا النفوذ الاجنبى[٣] •

---

(٢) ج • كونتنو : الحضارة الفينيقية ــ ترجمة د• محمد عبد الهادى شعيرة ، ومراجعة د• طه حسين ــ القاهرة ــ ص ٢٨ ــ ٢٩ ، ٣٤ •
(٣) حسن محمود وآخرون : حضارة مصر والشرق القديم ــ القاهرة ص ٣٨٨ ــ ٣٨٩ •

وهكذا حددت خصائص المنطقة الجغرافية مصيرها التاريخى،فتركز طرق المواصلات الاساسية بين ثلاث قارات فى هذا القطاع الضيق من الارض انما كان يعنى أنه قدر لهذا القطاع أن يكون مسرحا لسلسلة من الهجرات والغزوات ، دون أية فرصة دائمة لانشاء نظم سياسية قوية ، فقد كانت فينيقيا أرض تجارب للمطامع والمنافسات التجارية والحربية للدول الكبرى والتى كانت تقع بينها ، وكانت الشعوب المهاجرة تتدفق عليها مرة بعد أخرى ، لانها كانت منطقة جذابة فى حد ذاتها لخصبها ، ويمكن دخولها من كل جانب ، وكانت مفتوحة أمام مصر وأرض الرافدين وآسيا الصغرى والبحر المتوسط ، فضلا عن الصحراء التى جاء منها البدو الساميون(٤) .

وانطلاقا من كل هذا ، وتخريجا عليه ، لم يستطع الفينيقيون ، بل لم يستطع السوريون جميعا ، أن يشكلوا وحدة سياسية واحدة ، كمصر ، وانما وحدات صغيرة تعيش فى مدن محصنة ذات أسوار عالية ، وأبراج كبيرة ، يلجأ اليها السكان وقت الخطر ، ويحتمون بأسوارها ، ويتخذونها وقت السلم أسواقا لتجارتهم .

على أن قيام هذه المدن المحصنة ، وان كان أحسن وسيلة التجأ اليها الفينيقيون لصد غارات الدول المجاورة أو غارات البدو المجاورين، الا أن تقسيم البلاد الى مدن صغرى يحارب بعضها البعض الاخر ، ولا يسود بينها أى نوع من الاستقرار ، جعلها تقع فريسة سهلة لعدوان القوى المجاورة ، وخاصة الكبرى منها .

هذا ونظرا لان الفينيقيين لا يميلون بطبيعتهم الى النواحى السياسية ، بقدر اهتمامهم بالشئون الاقتصادية ، فانهم انما كانوا يفضلون الامان والاستقرار السياسى،حتى يتمكنوا من تسويق تجارتهم

---

(٤) سبتينو موسكاتى : الحضارات السامية القديمة ـ ترجمه وزاد عليه السيد يعقوب بكر ، القاهرة ١٩٦٨ ص ١٢٢ . . .

والنجاح فى المجالات التجارية بصفة عامة(٥) .

وقد أدت هذه الاوضاع مجتمعة الى ظهور مايسمى بدويلات المدن حيث كان لكل مدينة حكومتها الخاصة بها ، وعلى رأسها حاكم بالوراثة ، قد ينتقل الملك منه الى أسرة أخرى ، أو تنتزع الامارة وتسلب ، نتيجة ثورة من عناصر تصبح لها الغلبة ، ولم يكن سلطان الامير أو الحاكم أو الملك استبداديا مطلقا ، ذلك لان التجارة تتطلب مغامرة وألوانا من النشاط لا يتفق وهذا اللون من الحكم .

وكانت تقوم ، الى جانب الحاكم ، هيئة من المشرعين ، كما كانت تعقد أحيانا مؤتمرات من المدن الكبرى للتداول فى الشئون العامة المشتركة ، وكانت طرابلس مقر الاجتماع العام للمدن الثلاث الرئيسية. وكان للدين نصيبه فى الادارة ، فهو يحدد سلطة الحاكم ، وللكهنة نفوذ يلى نفوذ الحاكم ، أما الموارد المالية فتعتمد على التجارة ، وان كنا لاندرى على وجه التحقيق ، أكان بيت المال يعتمد على المكوس أو على الاحتكار أو على الامرين معا(٦) .

وهكذا انتظم الفينيقيون فى جماعات صغيرة يرأس كل منها ملك ، ويستقرون حول مدن محصنة تحيط بها مناطق زراعية تابعة لها ، وكانت هذه المدن هى العواصم التى يلجأ اليها أهل المناطق الزراعية ، ويحتمون داخل أسوارها وقت الخطر .

على أن المنزاع كثيرا ما كان يحدث بين هذه المدن ، وكانت أكثرها تفوقا تلك التى كانت وسائلها الدفاعية أكثر فاعلية ، هذا الى أن بعضا من تلك المدن انما كان يشغل موقعين ، الواحد : على الساحل ، والاخر : يمثل جزرا صغيرة فى مواجهته يلجأ اليها القوم عند اشتداد الخطر ،

---

(٥) فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ـ ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق ـ بيروت ١٩٥٨ ص ٨٨ ، محمد بيومى مهران : تاريخ مصر الفرعونية والشرق الادنى القديم ـ القاهرة ١٩٨٥ ص ١٨٣ ، حسن محمود : المرجع السابق ص ٣٨٩ .
(٦) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٥٠ ـ ٥١ .

وقد أدى هذا الوضع الى أن يهيأ لكل مدينة مرفأين ، أحدهما شمالى، والاخر جنوبى ، فتلجأ السفن لهذا المرفأ أو ذاك بحسب الفصول واتجاه الريح ، ومثال ذلك صـيدا وصور ، فكانت المسافة بينهما ملاحة يوم واحد(٧) ٠

ويدهى أن المدن المنيعة كانت أقدر من غيرها على البقاء والازدهار، كما أن هذه المدن الفينيقية المتفرقة بسبب مظاهر الطبيعة لم تترك الامر هكذا ، وانما حاولت جاهدة أيجاد نوع من الترابط يؤلف بينها ، ويجمع كلمتها ، وبخاصة فى وقت الاخطار الخارجية ، ومن ثم فقد عمدت الى انشاء تحالف قوى بين عدة مدن ، بزعامة أوفرها قوة ، تحالف كان دائما يمليه الخطر المشترك ، وأحيانا المصالح المشتركة ٠

وكانت مدينة «أوجاريت» فى القرن السادس عشر قبـل الميلاد ، و «جبيل» فى القرن الرابع عشر ، و «وصيدا» بين القرنين الثانى عشر والحادى عشر ، و «صور» بعد هذا القرن الاخير ، ثم «طرابلس» فى القرن الخامس قبل الميلاد ، تتزعم هذه الاحلاف(٨) ٠

ولعل من أشهر هذه المحالفات ، ذلك الحلف المشهور الذى قضى عليه فرعـون العظيم تحوتمس الثـالث (١٤٩٠ — ١٤٣٦ ق٠م) فى «مجدو» حوالى عام ١٤٦٨ ق٠م ، وقد تجمع هذا الحلف ، الذى كان يتزعمه أمير قادش(٩) ، عند مدينة «مجدو» (وهى تل المتسلم الحالية غربى بحيرة طبرية ، وعلى مبعدة ٢٠ ميلا جنوب شرقى حيفا) حيث

---

(٧) كونتنو : المرجع السابق ص ٢٩ ، محمد أبو المحاسن عصفور : معالم حضارات الشرق الادنى القديم ــ الاسكندرية ١٩٦٩ ص ١٥٩ ٠

(٨) فيلب حتى : المرجع السابق ص ٩٢ ٠

(٩) قادش : وتقع مكان تل نبى مند ، على الشاطىء الايسر لنهر العاصى عند اتصاله بنهر الموقادية ، وعلى مبعدة ٧ كيلا جنوبى بحيرة حمص ، وان رأى البعض أنها «قادش» التى تقع شمال فلسطين ، على مبعدة ٧ كيلا شمال بحيرة الحولة : أنظر

J. H. Breasted, The Battle of Kadesh, P. 13.

وكذا A. H. Gardiner, Onom., I, P. 137-141.

جمع هذا الامير حوله «ثلاثمائة وثلاثين أميرا ، كل منهم معه جيشه الخاص» ، لكى يوقفوا تقدم فرعون عند «مجدو» ، وبدهى أن عـــدد الامراء (٣٣٠ أميرا) انما يشير بوضـــوح الى أن ســـورية وفلسطين وفينيقيا ، انما كانت مجزأة بصورة غريبة ، فهؤلاء الامراء لم يكونوا فى الواقع الا زعماء لدويلات صغيرة جدا ، كما كانوا على درجـــة من الاستقلال ، تحول دون تكوين جيش موحد ، بحال من الاحوال[10] •

هذا ويبدو واضحا من رسائل العمـــارنة ، من عصر الملك أمنحتب الثالث (١٤٠٥ — ١٣٧٦ ق٠م) وأمنحتب الرابع (اخناتون ١٣٦٧ — ١٣٥٠ ق٠م) أن القوم لم يفقدوا العمل المشترك بينهم فحسب ، وانما حاول الملوك الفينيقيون جميعا الحصول على الفوائد من سيدهم المصرى، بعضهم على حساب بعض ، وكان معظم هؤلاء الملوك يوجهون رسائلهم بصفة شخصية[11] ، ولعل السبب فى ذلك طغيان احدى المدن ، أو حتى احدى الوحدات ، على جاراتها التى تتزعمهن ، الامر الذى كان يؤدى أحيانا بخروجها عليها ، والانضمام الى أعدائها ، كما حدث حين ثارت صيدا وباليتروس وعكا ضـــد صور ، وأعلنت خضـــوعها لاشور ، بل ووجهت جميعا ضد أسطولا يستهدف تدميرها فباء بالهزيمة •

وانطلاقا من كل هذا نستطيع أن نقرر أن لونا من الاتحاد قام بين الولايات الفينيقية أحيانا ، تزعمته صور ، وفينيقيا فى أوج مجدها،وأما حين دانت بالسيادة لاشور وفارس انحلت عرى الرابطة التى ألفت بين الولايات[12] •

---

(١٠) انطر عن معركة مجدو ، والمراجع الخاصة بها (محمد بيومى مهران : مصر — الكتاب الثالث — الاسكندرية ١٩٨٨ ص ٢٠٣ — ٢١٥ انظر عن رسائل العمارنة (محمد بيومى مهران : اخناتون : عصره ودعوته — الاسكندرية ١٩٧٩ ص ٢٣٣ — ٢٤٥ ، وكذا

J. A. Kundtzon, Die El-Amarn Tafein, 2 Vols., Leipzig, 1908, 1915.

S. A. B. Mercer, The Tell-El-Amarna Tablets, Tornto, 1939.

(١١) فيلب حتى : المرجع السابق ص ٩٢ ٠

(١٢) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٥٠ ٠

وأما أهم المدن الفينيقية من الناحيتين السياسية والدينية فكانت مدن : جبيل : وكانت مركزا مقدسا للعبادة ، ثم «صيدا» وقــد لقبت «بالمدينة الام فى كنعان» ، ثم «صور» ، وكان لها الى جانب ازدهارها التجــارى دور عظيم فى تأسيس العقــائد فى المــدين الفينيقى ، ثم «أوجاريت» ، وكانت مع انضمامها فى بعض الاوقات الى « بيروت » تعيش بسبب بعدها عيشة أكثر استقلالا من مدن فينيقيا الوسطى[١٣].

وكانت تتوسط هذه الثغور والمدن الكبيرة ، قرى أقل شأنا ، تنتشر بينها ولها شهرتها الخاصة فى بعض نواحى الصناعة والفنون .

وقد تحكمت الطبيعة فى تحديد مواقع هذه المدن ، اذ كان العامل فى اختيارها وقوعها على نهر ، أو على مقربة من جبل يسهل معة الدفاع عنها ، وكانت بعض هذه المدن تقام على البر ، وعلى جزر متناثرة قريبة من الساحل ، ويتعاون البر والجزيرة فى حماية المدينة والدفاع عنها ، ولنشر الان الى بعض هذه المدن :

(١) اوجاريت :

كان موقع أوجاريت آهلا بالسكان قبل ابتداء التاريخ بزمن طويل، ودليل ذلك أن الاستاذ«شيفر»كشف على مبعدة ٧ كيلا شمالى أوجاريت على الشاطىء الايمن لنهر العرب عن آثار عمران من العصر الحجرى القديم ، مع أدوات شيلية ، أو أدوات من العصر الشيلى الاول[١٤] .

ويشير تاريخ الابحاث الاثرية الى أنه فى ابريل من عام ١٩٢٨م ، وعلى مقربة من ميناء البيضاء (الميناء الابيض) على مبعدة عشرة أميال الى الشمال من ميناء اللاذقية ، كان أحد الفلاحين يحرث حقله فاصطدم حد المحراث بشىء صلب فى باطن الارض ، فنظر الرجل فرأى جزءا من قبر خرب ، وأخطرت ادارة الاثار فى بيروت ، وعلم أن مخلفات أثرية

---

(١٣) ج . كونتنو : المرجع السابق ص ٣٣ .
(١٤) ج . كونتنو : المرجع السابق ص ٤٤ .

مختلفة كشفت من قبل ، وبدأت الحفائر فى بداية عام ١٩٢٩م ، واكتشف الباحثون أن تلا يبعد نحو نصف ميل عن الشاطىء ويقوم بين فرعى نهر الفد اللذين يلتقيان بعد ذلك ويصبان فى البحر ، أن هذا التل يغطى بقايا مدينة قديمة ، واسمه العربى «رأس الشمرة» (ربما لكثرةماينمو عليه من نبات الشمر = الشمار) •

ثم لم يلبث علماء الاثار أن اكتشفوا أن هذا التل انما يغطى خرائب «أوجاريت» ، وهى مدينة قديمة ذكرتها وثائق مصر وأرض الرفدين والحيثيين ، وباستمرار الحفائر كشفت قبور وأوان فخـارية وتماثيل صغيرة وحلى وعظام حيوانية ، ثم ألواح عليها نقوش مسمارية ، وكان التوفيق عظيما الى حد دعا الى تنظيم بعثة للحفر عاما بعد عام تحت ادارة الاثرى الفرنسى «شيفر» ، وقد توقف العمل عام ١٩٣٩ م لاندلاع الحرب العالمية الثانية ، ولكنه استؤنف مرة أخرى عام ١٩٥٠ م •

هذا وقد كشف فى رأس الشمرة عن نصوص مكتوبة بلغات عدة : الاكدية والمصرية والحيثية والحورية ثم لغات أخرى كانت مجهولة حتى ذلك الوقت ، ومن ثم نشأت مشكلة حل رموز هذه اللغة ، وقد تم ذلك فى خلال عام واحد ، وعلى يد ثلاثة علماء عملوا مستقلين هم : «هانـز باور» الالمانى ، و «ادوارد دروم» و «شارل فيرولو» الفرنسيين ، وقد شغل ثالثهم بنشر النصوص وترجمتها وشرحها منذ عام ١٩٢٩ م

وقد كشفت فى رأس الشمرة عـدة مئات من الالـواح والكسر ، أحدثت ثورة فى معلوماتنا عن الادب الكنعانى ، والمجموعة الاساسية فيها هى مجموعة الملاحم وشعر الاساطير ، وان وصلت الينـا للاسف فى حالة بعيدة عن الكمال ، ولهذا كانت فى ترجمتها عدة فجوات ، هذا الى أن ترتيب الالواح ليس أكيدا فى كثير من الاحيان ، وكذا ترتيب الاحداث فى دورات الملاحم •

وفى عام ١٩٥٣ م كشفت وثائق ملوك أوجاريت ، وهى تشتمل على رسائلهم الى ملوك الحيثيين وغيرهم من الدول ، ولابد أن هذه الوثائق

كتبت كلها قبل تخريب المدينة حوالى عام ١٣٥٠ ق٠م (وان كان الرأى السائد أن المدينة خربت حوالى عام ١٢٠٠ ق٠م ، على يد شعوب البحر الذين جاءوا من سواحل الاناضول وجزر بحر ايجه ، وأغـاروا على الشرق الادنى القديم)[١٥] وترجـع هذه الوثائق الى مـا بين عامى ١٥٠٠ ، ١٤٠٠ ق٠م ، على وجه التقريب[١٦] .

وعلى أية حال ، ففى منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد حدث زلزال فى المنطقة أعقبه طغيان البحر ، فخربت أوجـاريت ، ولكنها مع ذلك نهضت من جديد ، ثم ما لبثت أن وقعت سريعا فى قبضة الحيثيين فى عهد أحد ملوكها ويدعى «نقمان» ، وأصبح هذا تابعا للملك الحيثيين «شوبيلوليوما» (١٣٧٥ — ١٣٣٥ ق٠م) ، وعند قيام رعمسيس الثانى (١٢٩٠ — ١٢٢٤ ق٠م) ثانى ملـوك الاسرة التاسعة عشرة المصرية . بمحاولة استرداد الامبراطورية المصرية فى غرب آسيا ، وحدثت بينه وبين ملك الحيثيين «مواتيلا» وحلفائه من ملوك وأمراء سوريه وفينيقيا معركة «قادش» انضمت أوجاريت لهؤلاء الاحلاف ، راغبة أو كارهة ، بحكم تبعيتها للحيثيين[١٧] .

وانتهت معركة قادش (حوالى عام ١٢٨٥ ق٠م) بنصر شبه مؤزر للفرعون ، وان اضطر الفرعون حوالى عام ١٢٨٢ ق٠م الى أن يخرج

---

(١٥) أنظـر عن «شعوب البحر رغـروهم لمصر وامبراطوريتها فى غربى اسيـا (محمد بيومى مهران : مصر والعـالم الخارجى فى عصر رعمسيس الثالث ــ الاسكندرية ١٩٦٩ (رسالة دكتوراة) .

(١٦) سبنينوموسكاتى : المرجع السابق ص ١١٧ ــ ١١٨ ؛ ٢٧٢ .

(١٧) انظر عن معركة قادش (محمد بيومى مهران : مصر : الكتاب الثالث ــ الاسكندرية ١٩٨٨ ص ٣٠٢ ــ ٣٥٦ ، وكذا

A. H. Gardiner, The Kadsh Inscriptions of Ramsess, II, Oxford, 1960, P. 5-10.

H. Goedıck, JEA, 52, 1966, P. 72-80.

A. Burn, JEA, 7, 1921, P. 194-196.

A. Gotze, LDZ, 32, 1929, P. 832-840.

J. Kuentz, BIFAO, 55, 1928, P. 14 F.

مرة أخرى الى غربى آسـيا ، للقضاء على الثورات التى قـامت فيها بتحريض من الحيثيين ، وأن يلتقى مرة ثانية بالحيثيين فى «تونب» . حيث أوقع بهم هزيمة ثانية ، فضلا عن تلقين ملوكها درسا قاسيا أجبرهم على احترام مصر ، وعدم التدخل فى آمر ولايتها الاسيوية[18] .

وفى حوالى عـام ١٢٦٩ ق٠م ، أبرمت معاهـدة تحالف بين مصر وحاتى[19] ، وظل سكان أوجاريت كما كانوا من قبل . وزادت عليهم عناصر جديدة (من أهل مكينى ببلاد اليونان ومن قبرص) لعبت دورا كبيرا فيما بعد ، وانتعشت أوجاريت للمرة الاخيرة حيث أنهـا خربت حوالى عام ١٧٧٤ ق٠م ، أثناء غزو شعوب البحر لمصر وامبراطوريتها الاسيوية ، بعد أن اسقطت دولة الحيثيين ، ولكن رعمسيس الثـالث (١١٨٢ ـــ ١١٥١ ق٠م) ثانى ملـوك الاسرة العشرين ، كتب له نجحا بعيد المدى فى هزيمة شعوب البحر فى موقعتين ، الواحدة برية ، والاخرى بحرية ، ومن ثم فقد نجح فى القضاء على الاخطار التى هددت مملكته الاسيوية ، فضلا عن مصر نفسـها[20] .

واخيرا فيمكن القول بان أوجاريت بحكم موقعها ، انما كانت أكثر

---

(١٨) انظر (محمد بيومى مهران : مصر والعالم الخارجى فى عصر رعمسيس الثالث ـ الاسكندرية ١٩٦٩ ص ٩٠ ـ ٩٥ ، وكذا
K. A. Kitchen, JEA, 50, 1964, P. 68-70.

G. Gaballa, JEA, 55, 1969, P. 82-88).

(١٩) انظر عن معاهدة التحالف بين مصر وحاتى (محمد بيومى مهران : مصر ـ الكتاب الثالث ص ٣٥٦ ـ ٢١٠ ، وكذا
S. Langdon and A. H. Gardiner, JEA, 6, 1920, P. 179-205.
M. B. Rowton, JCS, 13, 1959, P. 1 F.

(٢٠) أنظر عن غزوات شعوب البحر (محمد بيومى مهران : حركات التحرير فى مصر القديمة ـ القاهرة ١٩٧٦ ص ٢٥٧ ـ ٢٦٤ ، مصر ٣/ ص ٣٧٣ ـ ٣٨٥ ، وكذا
H. Nelson, JNES, 2, 1943, P. 45 F.
W. F. Edgerton and J. A. Wilson, Historical Records of Ramsscs, III, Chicago, 1936, P 35-55.

تأثرا بقبرص والحيثيين ، فضـــلا عن الحوريين ، أكثــر من تأثرهــا بمصر [٢١] •

(٢) أرواد (ارادوس) :

قامت أرواد في شمال فينيقيا على احدى الجزر ، وتقابلهــا على الشاطىء أرواد الداخلية ، وقد وصف «استرابو» هذه الجزيرة التى قامت عليها أرواد بأنها كانت (فى العصر اليونانى الرومانى) بأنها مغطاة بالمبانى بارتفاعات شاهقة ذات طوابق متعددة •

وكانت تسمى أرواد فى العصر الهلينستى «أنتارادس» (Antaradus) وقد أطلق عليها الصليبيون (Tortosa) وهى اليوم «طرطوس» شمالى عمريت ، حيث لا تزال تشاهد بعض الاثـــار الفينيقية الهامة ، وهى معبد وعدة قبـــور •

هذا وكان أهل أرواد يتجمعون فى جزيرتهم الصخرية ــ كما يفعل النان الان فى جزيرة منهاتن فى نيويورك ــ فى ناطحات سحاب مصغرة، وقد ظهرت براعتهم فى ضمان التزود بالمياه لاجل جزيرتهم ، وكانت تخزن مياه المطر الاتية من سطوح المنازل فى صهاريج ، وتضاف اليها مياه ينبوع تحت البحر ، يحصلون عليها بوضع قمع ضخم مقلوب على الينبوع ، بحيث يتصل القمع بانبوب جلدى ، وربما كان هـــذا أقدم ما سجله التاريخ من وجود نبع مياه عذب تحت البحر [٢٢] •

هذا وعلى الرغم من صغر مساحة أرواد ، فقد سجل التاريخ أنها كانت تسيطر على كثير من المدن المجاورة ، مثل «سيميرا» و «مارثوس» ، على أننا لا نعرف الكثير عن تفاصيل تخطيطها ، وربما كانت جباناتها ، وكذا ضواحيها ، تمتد الى الارض الرئيسية ، وقد اشتهر أهل أرواد

---

(٢١) محمد أبو المحاسن عصفور : المدن الفينيقية ــ بيروت ١٩٨١ ص ٢٧ •

(٢٢) فيلب حتى : المرجع السابق ، وكذا Strabo, XVI, 2, 13.

بأنهم ملاحون مهرة ، وكانت لهم فرق كبيرة فى الاسطول الفينيقى ، وقد رسم على ظهر عملتهم الاولى «سفينة» هى شعار المدينة(٢٣) .

هذا وقد تعرضت أرواد ، شأنها فى ذلك شأن غيرها من المدن الفينيقية الرئيسية ، لكثير من أطماع الشعوب المجاوره ، وانتهى أمرها بأن دمرها أقوام البحر ، كما تشير الى ذلك مظاهر التخريب التى ترجع الى القرن الثانى عشر ، وان عادت مرة أخرى الى الحياة ، حيث قاست الكثير من غزوات الآشوريين المتكررة .

(٣) جبيل :

تقع جبيل على مبعدة ٤٠ كيلا الى الشمال من مدينة بيروت ، العاصمة اللبنانية الحالية ، ويرجع تخطيطها الى عصر البرونز ، وتقع المدينة على صقع جبل ، ومنها طريق يتصل بالمينا ، وأهل جبيل يعتبرون مدينتهم أقدم مدن العالم قاطبة ، وقد بناها الاله «ايل» ، فيما تزعم أساطيرهم ، هذا وقد كشفت الحفائر فى جبيل عن آثار ترجع الى عصر Chalcolithic وربما كانت هناك مخلفات ترجع الى عصور أقدم ، كما أن جبيل ربما كانت كذلك من المراكز الهامة والقديمة لعبادة الالهة «عشتار»(٢٤) .

وعلى أى حال ، فلقد ظلت هذه المدينة الى آخر أيامها القصبة الدينية لفينيقيا ، وكان البردى من أهم سلعها التجارية ، ومن ثم فقد اشتق اليونان ، فيما يرى ول ديورانت،من اسمها اسم الكتاب فى لغتهم ببلوس (Biblo) ، ومن هذه الكلمة نفسها استقت كلمة (Bible) اسما للكتاب المقدس (التوراة والانجيل)(٢٥) .

وكان اسم المدينة عند المصريين القدامى يكتب حتى الاسرة

(٢٣) عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ـ القاهرة ١٩٦٦ ص ٢٤٧ .
(٢٤) نفس المرجع السابق ص ٢٤٧ .
(٢٥) ول ديورانت : قصة الحضارة ـ الجزء الثانى ـ ترجمة محمد بدران ـ القاهرة ١٩٦١ ص ٣١٣ ـ ٣١٤ .

الثانية عشرة (١٩٩١ ــ ١٧٨٦ ق٠م) «كبن» ، ولعله تحريف للاسم الفينيقى « جبــل » ، ثم أصبح بعــد ذلك يكتب « كبين » (Kepen) بالباء الثقيلة ، ثم أطلق اليونان عليها اسم «ببيلوس» ، ثم أصبحت فى العربية «جبيــل» ٠

هذا وقد أقام المصريون عــلاقات مع جبيل منذ عصور ما قبــل التاريخ ، وتشير دراسة الخشب الموجود فى مقابر الاسرة الاولى الى أنه وارد من سورية ولبنان ، وأنهم عملوا على احضار خشب الارز من هنا ، كما يشير الى ذلك «حجر بالرمو» ، منذ عهد «سنفرو» مؤسس الاسرة الرابعة ، كما سنشير الى ذلــك بالتفصيل فى فصل العلاقــات الخارجية ٠

وعلى أية حال ، فهناك ما يشير الى أن «جبيل» انمــا كانت آهلة بالسكان منذ أقدم العصور ، وكانت بحكم موقعها ذات مركز تجارى هام ، فنشأت بينها وبين جــاراتها علاقات وثيقة ، ويذهب كثــير من الباحثين الى أن جبيل انما قد خضعت للنفوذ المصرى فى أغلب عهودها ٠

(٤) صيــدا :

كانت صيدا شقيقة صور ، بل لعل صيدا انما كانت فى فترة ما ملكة المدائن الفينيقية وتقع صيدا على مبعدة ٤٥ كيلا الى الجنوب من بيروت ، ٤٠ كيلا شمالى صور (أى فى مكان وسط تقريبا بين بيروت وصور) فى سهل ساحلى شديد الخصوبة ، وافر المياه ، ولكنه ضيــق ينحصر بين السفوح الغربية لجبال لبنان الجنوبية وبين البحر ، يصل اتساعه الى ما يقرب من ميلين[٢٦] ٠

هذا وقد أنشئت المدينــة ، فى بادىء أمرها ، على رأس جبلــى ، اختاره القوم ، فى أكبر الظن ، بسبب المرفأ الممتــاز الذى يتألف من

---

(٢٦) انظــر :
F. C. Eislen, a study in Oriental history, New York, 1907, P. 1.
Dictionnaire de la Bible, Pub. Vigouroux, T. V, Paris, 1928, P. 1704.

سلسلة من الجزر الصغـرى المتصلة بعضها بالبعض الآخـر بأرصفة صناعية ، وكان هذا المرفأ يقع الى جهة الشمال ، وكان هناك ، من ناحية الجنوب ، مرفأ آخر يسمى «المرفأ المصرى» وهو أكبر من الشمالى ، وان كان أقل منه أمنا ، كما كان هناك ، من ناحية البر ، سور لحماية المدينة ، وأما قلعة صيدا الحالية ، وتسمى «قلعة البحر» ، فترجع الى أيام الحروب الصليبية ، وتقـع على أكبر الجزر التى قـامت عليها المدينـة(٢٧) .

هذا ويذهب «الاب هنرى لامانس» الى أن مدينة صيدا القديمة انما كانت جزيرة(٢٨) ، وهو أمر ، فيما يرى أستاذنا الدكتور عبد العزيز سالم ، نستبعده اليوم ، ذلك لان كل الآثار القديمة التى تم العثـور عليها انما كشف عنها فى البـر(٢٩) .

وتقوم المدينة الحديثة فى نفس مكـان صيدا القديمة على وجـه التقريب ، أى على قلعة البر الذى أقيمت عليه قلعة البر الصليبية ، مع ملاحظة أن المدينة الحديثة أمتدت فى فترة لاحقة للاسترداد الاسلامى نحو الشمال الشرقى بحذاء السـاحل ، وأصبحت لا تتعمق كثيرا فى الداخـل(٣٠) .

هذا وقد اشتق اسم «صيدا» من الصيد ، أى صيد السمك ، واليها ينتسب الاله الفينيقى الوثنى «صيدون» ، ومن ثم فقد ذهب البعض الى أنها كانت محطه صغيرة لصائدى الاسماك ، على النحو الذى كانت

---

(٢٧) فيلب حتى : المرجع السابق ص ٩١ ، وكذا
Poidebard et Lauffray, Sidon, Amenagements Antiques du Port de Saida, Beyrouth, 1951, P. 84.
(٢٨) هنرى لامانس : السواحل اللبنانية ــ مجلة المشرق ــ السنة السابعة ــ العدد ٢٠ ص ٩٤٨ .
(٢٩) السيد عبد العزيز سالم : دراسة فى تاريخ صيـدا فى العصر الاسلامى ــ بيروت ١٩٧٠ ص ١٠ .
(٣٠) نفس المرجع السابق ص ١٠ ، وكذا
D. Harden, The Phoenicians, London, 1963, P. 28.
Schwarz, Encyclopaedia of Islam, P. 422.

عليه قرية «راقودة» (راكوتيس) التى أقيمت عليها مدينة الاسكندرية ، وقد أشار «هومير» الى أن السمك فى صيدون أوفر من الرمال ، كذلك فسر «جستان» فى القرن الاول اسم صيدا بكثرة السمك فيها ، على أساس أن الفينيقيين كانوا يسمون السمك «صيدون» ، كما أشار الادريسى الى عين فى صيدا كان ينشأ فيها فى الربيع سميكات على طول الاصبع ، منها ذكور واناث ، وأن لها أيد وأرجل صغار ، وعلى أية حال ، فمازالت صيدا حتى اليوم تشتهر بأسماكها ومازال القوم يعتبرون صيد الاسماك من أهم حرفهم ، بل أن ميناءها الحالى ، ما يزال فى نظر البعض ، لا يعدو أن يكون مرسى لزوارق السفن(٣١) .

هذا وقد عرفت صيدا فى الآشورية باسم «صيدونا» ، وفى اللاتينية «صيدون» أو «صيدونيا» وفى رسائل تل العمارنة المصرية «صيدونو» ، وفى العبرية «صيدون» أو حتى « زيدون » ، وعند الصليبيين «ساجيتا»(٣٢) .

وأما فى العربية فقد عرفت باسم «صيدا» ، وكذا باسم «اربل» ، يقول ياقوت الحموى فى معجمه «اربل اسم لمدينة صيداء التى بالساحل من أرض الشام ، ولعلها سميت «اربل» عند العرب من الربل أى كثرة الشجر ، وقد أشار ابن فضل الله العمرى الى أن كورتها كثيرة الاشجار ، غزيرة الانهار(٣٣) .

هذا وتنسب التوراه مدينة «صيدا» الى صيدون الابن الاكبر

---

(٣١) عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص ١٧–١٨ ، منير الخورى : صيدا عبر حقب التاريخ – بيروت ١٩٦٦ ص ٢٤ ، الادريسى : نزهة المشتاق فى اختراق الافاق ص ١٥ ، وكذا
F. C. Eislen, Op. Cit., P. 11.

(٣٢) أنيس فريحه اسماء المدن والقرى اللبنانية – بيروت ١٩٥٦ ص٢٠٣ ، منير الخورى : المرجع السابق ص ٢٤ ، وكذا
F. C. Eislen, Op. Cit., P. 10.

(٣٣) معجم ياقوت ١٤٠/١ ، القلقشندى : صبح الاعشى فى صناعة الانشا ١١١/٤ ، عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص ١٦ .

لكنعان بن حام بن نـــوح ، ومن ثم فهى تربط بين تأسيس صيدا وبين الكنعانيين الذين عرفوا أيضا باسم الصيدونيين(٣٤) ، وهـــكذا تنسب التوراة «الكنعانيين ــ الفينيقيين» ، كما أشرنا من قبل ، الى الحاميين، وليس الى الساميين ، مع أنهم يتكلمون لغة ســامية ، بل هم أنفسهم ساميون ، والامـــر كذلك بالنسبة الى المصريين الذين جعلهم التـــوراة حاميين ، تقول التوراة(٣٥) فى سفر التكوين «بنوحام : كوش ومصرايم وفوط وكنعان»(٣٦) ، والمصريون ساميون ، ما فى ذلك من ريب ، وكذا الكنعانيون الفينيقيون .

وهكذا تعمد العبرانيون فى توراتهم ، اقصاء الكنعانيين ــ الفينيقيين عن الانتساب الى سام بن نوح ، لاسباب سياسية ودينية ، مع أنهم كانوا يعلمون حق اعلم ما بينهم وبين الكنعانيين من صـــلات عنصرية ولغوية ، وقد أرجع الاصحاح العاشر من سفر التكوين نسب الفينيقيين والسبئيين الى «حام» جد الكوشيين ، ذى البشرة السوداء ، مع أنهم «اى الفينيقيين والسبئيين» من الساميين ، وقد يكون ذلك بسبب وجود جاليات فينيقيه وسبئية فى افريقيـــه ، فعد كتبة التوراة هــؤلاء من الحاميين(٣٧) .

ومن عجب أن يأخذ مؤرخو العرب وجغرافيوهم بالتفسير التوراتى لنسب الفينيقيين ، ومن ثم فقد أجمعـــوا على نسبة الصيدونيين الى

---

(٣٤) تكوين ١٠/١٥ ، أخبار أيام أول ١/١٣ ، يوسف مزهـــر : تاريخ لبنان العام ١/١١ ، وكذا
Schulim Ochser, The Jewish Encyclopaedia, N. Y., 1903, Article, Sidon.
(٣٥) أنظر : عن التوراة ، ومدى الشك الذى يحيط بوثاقة نصها وصحته (محمد بيومى مهران : اسرائيل ــ الكتاب الثالث ــ الاسكندرية ١٩٧٩ ص ١ ــ ٣٧٩) .
(٣٦) تكوين ١٠/١٥ .
(٣٧) جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ــ بيروت ١٩٦٨ ــ الجزء الاول ص ٢٢٤ ، وكذا
R. Nicholson, A Literary History of The Arabs, Cambridge, 1935, P. XV.

«الصيدون بن صدقاء بن كنعان بن حام بن نوح»[٣٨] .

هـذا ويذهب «ايوستاثيوس» الى أن صيدون القـديمة من بناء «بيلوس» ، وأنها سميت باسم ابنته «صيد» ، ولكن الكتاب الاغريق أجروا تعديلا على هذه الاسطورة ، فابدلوا «صيد» بـ «الصيدوس بن ايجيبتوس» الذى بنى صيدون وسماها باسم «صيدوس» ، ويذهب «فردريك كارل ايسلين» الى أن هذا التفسير الاخير انما يشبه الى حد ما تفسير التوراة ، وأنـه يربط المدينة واسمها باسـم «صيدون» ، ويعترض ، وهو على حق فى هذا ، على الاخذ بهذا التفسير الخيالى[٣٩] .

ومن ثم فان «ايسلين» انما يرجح أن صيدون القديمة سميت باسم اله يحمل هذا الاسم ، ومنه اشتقت التسمية الصليبية «ساجيتا» أو «سـاجيت» ، وان كان يميـل الى ربط اسم « ساجيتـا » باللفظة اللاتينية Sagitta بمعنى السهم ، بدليل أن السهم كان شعار مدينة صيدا فى العهد الصليبى ، وكانت العملات التى سكت فى صيدا فى ذلك العهد تحمل هذا الشعار[٤٠] .

ويذهب الاستاذ أنيس فريحـة الى أن يكون «صيد» هو الجذر الذى اشتقت منه صيدون ، وصيدا ، الها ساميا قديما يمثل الصيد ، ويعلل تسمية أهل صيدا للمزار الواقع فى الجنوب الشرقى منها ، والذى يسميه الاهالى «مزار النبى صيدون» ، بانه مكان هيكل فينيقى قديم للاله السامى «صيد» اله الصيد[٤١] .

---

(٣٨) أنظر : معجم ياقوت ٤٣٧/٣ ، القلقشندى : المرجع السابق ـ ١١١/٤ ، ابن شداد : الاعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء دمشق والجزيرة ـ دمشق ١٩٥٦ ص ١٨ .

39) F. C. Eislen, Op. Cit., P. 9.

(٤٠) عبدالعزيز سالم : المرجع السابق ص ١٨ ـ ١٩ ، وكذا
F. C. Eislen, Op. Cit., P. 14.

(٤١) انبس فريحة : المرجع السابق ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ ، عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ص ١٩ .

ويعتقد أستاذنا الدكتور عبد العزيز سالم أن اسم «صيدا» مشتق من الجذر السامى صيــد ، ويقصد به صيد السمك ، وهــو الحرفــة الرئيسية لسكان هذه المدينة منذ نشأتها ، ولا نستبعد تمجيد الاهالى لهذه الحرفة فأطلقوا على مدينتهم اسمها ، بحيث أصبح اسم صيدون يعنى مدينة صيد الاسماك ، ولعل هذا التمجيد كانت له علاقة بالفكر الدينى القديم عند سكان صيدون ، أو لعله كان يرتبط بالطوطمية التى كان من مظاهرها أن يتسمى بها الافراد تعبيرا عن تفاؤلهم بهــا ، كما كان يفعل العــرب فى العصر الجاهلى عندما كانوا يتفاءلون بالطــير كالحمامة مثلا ، ومن المعروف أن كثيرا من الاسمــاء السامية القديمة للمواضع أو للقبائل كانت لها صلات وثيقة بأسماء الالهة ، وليس ضروريا أن تكون حرفة الصيد التى كان يمارسها القوم كانت مقصورة على صيد السمك ، فمن المعروف أن أهل صيــدا احترفوا أيضا صيد نــوع من القواقع أو الاصداف كانوا يستخرجون منها الاصبــاغ الارجوانية المشهورة ، وكانت هذه الحرفة من أسباب ازدهار التجارة الفينيقية[٤٢] .

(٥) صــور :

تقع «صور» (أى الصخرة) عى مبعدة ٤٠ كيــلا جنوب صيدا ، وتعتبر أعظم المــدن الفينيقية جميعا ، دونما ريب ، وطبقــا لرواية «هيرودوت» (عن كهنة ملقــارت) ، فلقد أنشئت صور قبل قــدوم هيرودوت اليها ، حوالى عام ٤٥٠ ق٠م ، بألفين وثلاثمائة سنة ، ومن ثم تكون قد ظهرت الى الوجود ، حوالى عام ٢٧٥٠ ق٠م[٤٣] .

هذا وقد بنيت ، فى الاصل ، على جزيرة تبعد عدة أميال من البر ،

---

(٤٢) عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص ١٩ ، تاريخ العرب فى العصر الجاهلى ــ بيروت ١٩٧٠ ص ٤٠٨ ، وأنظــر : محمد غــلاب : الساحل الفينيقى وظهــيره فى الجغرافيــا والتــاريخ ــ بيروت ١٩٦٩ ص ٣٥٩ .

(٤٣) قاموس الكتاب المقدس ٥٥٩/٢ (بيروت ١٩٦٧) ، وكذا Herodotus, II, 44.

وقد كانت ، فيما يرى استرابو[44] ، «المبنية بنفس الشكل الذى بنيت به أرادس» ، هذا وقد كانت الجزيرة متصلة بالبر بسد طوله نصف ميل ، بناه الاسكندر المقدونى (٣٥٦ — ٣٢٣ ق٠م) أثناء حصاره لها عـــام ٣٣٢ ق٠م ، والذى دام سبعة أشهر من البر والبحر[45] ٠

هذا وقد بدأت المدينة تاريخها ، فى بادىء الامر ، كحصن ، الا أن ميناءها الآمن ، وسلامتها من الغزو ، سرعان ما جعلاها حاضرة البلاد الفينيقية كلها ، ومأوى لخليط من التجار والعبيد قدموا اليها من جميع بلاد البحر المتوسط[46] ، وهكذا ما أن حل القرن التاسع قبل الميلاد ، حتى كانت صور مدينة غنية فى عهد ملكها «حيرام» (٩٨٠ — ٩٣٦ ق٠م) الذى عاصر الملك النبى سيدنا سليمان عليه الســـلام (٩٦٠ — ٩٢٢ ق٠م)[47] ، وفى أيام زكريا (حوالى عام ٥٢٠ ق٠م)[48] كانت الفضة

44) Strabo, XVI, 2, 23.

(٤٥) فيلب حتى : المرجع السابق ص ٢٥٤ ، وكذا
Arrian, II, 18-24.
Diodorus, XVII, 41-46.

(٤٦) ول ديورانت : المرجع السابق ص ٣١٤ ٠

(٤٧) يتفق المؤرخون على أن سليمان عليه السلام قد حكم فى القرن العاشر قبل الميــلاد ، ولكنهم يختلفون فى تحديد هذه الفترة من هــذا القرن العاشر ، فهناك من يراها فى الفترة (٩٧٤ ـ ٩٣٢ ق٠م) (فضلو حورانى : المرجع السابق ص ٣٤) ، ومن يراها فى الفترة ٩٧٣ ـ ٩٣٦ ق٠م (حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم ص ٨٤) ، ومن يراها فى الفترة ٩٦٣ ـ ٩٢٣ ق٠م (فيلب حتى : المرجع السابق ص ٢٠٥) ومن يراها فى الفترة ٩٦١ ـ ٩٢٣ ق٠م (موسكاتى : المرجع السابق ص ١٤٣ ، وكــذا
E. W. Heaton, The Old Testament Prophets, 1969, P. 172.
ومن يراها فى الفترة ٩٧١ ـ ٩٣١ ق٠م
(Epstein, Judaism, 1970, P. 36)
ومن يراها فى الفترة ٩٦٣ ـ ٩٢٩ ق٠م
(Historical Atlas of The Holy Land, 1959, P. 81).
ومن يراها فى الفترة ٩٦٠ ـ ٩٢٢ ق٠م
(W. Albright, The Biblical Period from Abraham to Ezra, P. 120).

(٤٨) لا ريب فى أن زكريا هذا ، انما هو غير زكريا الذى جاء فى القرآن الكريم ، والد النبى يحيى عليهما السلام ، واللذين عاصر السيد المسيح عليه السلام (انظر عن زكريا القرآن : سورة آل عمران : آية ٣٣ ـ ٥٩ ، مريم : آية ٢ـ١٥) ،واما زكــريا المذكور هنا فهو صــاحب ســفر =

التى تجمعت فيها كأنها التراب ، وكان الذهب كأنه «وحل الطرقات»(٤٩)، ويقول عنها «استرابو» : ان بيوتهــا من طبقات كثيرة ، بل انها أكثر طبقات من بيوت روما»(٥٠) ، غير أن هذا الرخاء انما كان قائما فى ذلك العصر ، وفى جميع العصــور ، على التجارة والغنــى ، وليس على الاراضى والفتح(٥١) •

وعلى أية حال ، فلقد ظلت صور ، نتيجة ثرائها ، فضلا عن بسالة أهلها ، مستقلة حتى أيام الاسكندر الاكبر والذى رأى فى استقلالها تحديدا لعظمته وعبقريته الحربية ، ومن ثم فقد أخضعها ، كما أشرنا آنفا ، عام ٣٣٢ ق٠م ، ثم قضى عليها نهائيا ازدهار مدينة الاسكندرية العظيمــة(٥٢) •

وأخيرا ، فلعل من الجدير بالاشارة أن الحفائر التى أجريت تحت سطح البحر ، فضلا عن الخرائط الجوية ، قد أثبتت أن حاجز الماء الذى كان يحمى مدينة صور ، انما يقع اليوم تحت سطح البحر بنحو ٥٠ قدما ، وكان طوله ٧٥٠ مترا ، وعرضه ثمانية أمتار ، وكانت تشرف عليه أسوار المدينة العالية وأبراجها الشامخة ، وقد بنيت هذه الحصون فى عهد ملك صور «حيرام» (٩٨٠ — ٩٢٦ ق٠م) ، وبذلك أصبحت صور من أعظم موانى حوض البحر الابيض الشرقى(٥٣) •

=
زكريا ، وهو السفر قبل الاخير فى العهد القديم ، وقد عاش فى أواخـر القرن الخامس وأوائل السادس ق٠م على الارجح (محمد بيومى مهران : النبوة والانبياء عند بنى اسرائيل ص ٥٩) •

(٤٩) ول ديورانت : المرجع السابق ص ٣١٤ •

50) Strabo, XV, 2. 23.

(٥١) فيلب حتى : المرجع السابق ص ٩١ •

(٥٢) نفس المرجع الســابق ص ٢٥٤ ، ول ديورانت : المرجــع السابق ص ٣١٤ — ٣١٥ •

(٥٣) فيلب حتى : المرجع السابق ص ٩١ ، حسن أحمد محمود وآخرون : حضارة مصر والشرق القديم ص ٣٩٠ ، وكذا
A Poidebard, un Grand Port disparu : Tyr, Paris, 1939, P. 25-26.

الفصل الثالث

عــلاقــات فينيقيــا بمصر

(١) فى عصر الدولة القديمة :

يذهب كثير من الباحثين الى أن علاقات فينيقيا بمصر أنما ترجع الى عصور ما قبل التاريخ ، وليس الى العصر التاريخى فحسب[1] ،

---

(١) كانت لمصر علاقات منذ أقدم العصور بالاقطار الاسيوية بوجه عام ، وكذا بجزر البحر المتوسط ، فقد عثر على آثار فرعونيــة بوسط هضبة الاناضول ، وببلاد ما بين النهرين وأوجــاريت ، فهنــاك على صفحة أحد الاوانى المرمرية من قصر أوجاريت ، أمــيرةِ مصرية تسكب أمام عريسها ، وأمامها نقش بالهيروغيليفية من عهد اخناتون ، وتزوج بعض ملوك مصر أميرات أسيويات ، وقد كثرت آثار المصريين فى كثير من المواقع من لوحات وتماثيل وأوان ، ولا زال متحف بغداد ودمشق وبيروت والقدس يحتفظ بنماذج كثيرة من مخلفات المصريين عثر عليها فى باطن أرض هذه الاقطار ، كما لا زالت توجد أطلال لدور عبادة ، وبعض المعبودات المصرية التى عبدت فى آسيا ، فوجد معبد لامون فى غزة من عهد الرعامسة ، وآخر لبتاح فى عسقلون ، ولكن اغلب هذه المقاصير كانت لموظفين يؤدون طقوس العبادة المصرية هناك ، كما أقام المصريون لوحات لبعض الالهــة المحلبــة مثــل «ميــكال» بيت شــان ، و «بعل ســيفون» أوجاريت ، كما وجــد ، بالمثل ، بعض التاثــيرات الاسيوية فى رســوم الاوانى الفخارية منذ أقدم العصور فى مصر ، وكذا فى الاختام الاسطوانية وبعض الاوانى الحجرية والمعدنية ، غير أن الحضارات الاسيوية (السومرية والاكدية والاشورية والبابلية والحيثية والحورية والفينيقيــة والارامية وغيرها) لم تستطع أن تؤثر على الحضارة المصرية تاثيرا واضحا ، وظلت الحضارة المصرية طوال التاريخ المصرى القديم لها طابعها الخاص المميز عن غيره من الحضارات الاخرى ، ذلك لانها بنيت على أسس قويــة ، وظلت أكثر من أربعة آلاف سنة لها طابعها المصرى الاصيل ، رغم تعرضها فى بعض الفترات القصيرة من عمر التاريخ لمحن ، استطاعت أن تخرج منها بعافية ، فالبيئة والانسان المصرى هما العاملان الرئيسان فى بناء الحضارة المصرية ، وقد تفاعل الانسان مع البيئة وقدم للانسانية أعرق حضارة عرفها التاريخ ، واستطاع أن يتفاعل مع جيرانه ، فاعطى وأخذ ما رآه ملائما ، دون أن يبتعد عن الاطار المصرى الاصيل (انظر : عبد =

ويعتمدون فى ذلك ليس على الميثلولوجيا والاساطير فحسب ، وانما على بعض الاثار كذلك •

ومن النوع الاول ما رواه «بلوتارك» من أن «أوزير»[٢] حين قتله أخوه «ست» وضعه فى صندوق ، ثم ألقى بالصندوق فى أليم ، فجرفه التيار وأرساه على شاطىء مدينة بيبلوس (جبيل) ، وثبته بين فرعى شجرة من شجرات الآثل ، ونمت الشجرة واحتوت بين طياتها جثمان أوزير ، الا أن ملك بيبلوس كان قد أعجب بضخامة الشجرة فأمر بقطعها لتكون عموداً فى قصره ، وتقوم ايزة بالبحث عن أخيها وزوجها حتى تصل الى بيبلوس وتعرف مكانه ، فتحتال حتى تدخـــل القصر فى زى خادمة ، وينتهى أمرها بكشف حقيقتها ، فيأذن لها ملك بيبلوس بحمل العمود الذى يحوى جسد زوجها ، فتأخذه وتعود به الى مصر[٣] •

هذا ويذهب البعض الى أن قصة أوزير هذه ، ليست أسطـــورة نشأت فى عصر متأخر ، وانما هى قصـــة تبلورت فيها ذكـــرى حادثة تاريخية ، وهى قدم العلاقات بين مصر وفينيقيا الى أقصى حدود القدم ، وأن هذه العلاقات لم تكن تجارية فقط ، وانما كانت دينية أيضاً[٤] •

وعلى أية حال ، فهناك من الباحثين من يذهب الى أن هناك ما يشير الى صلات ، ربما كانت بطريق غير مباشر ، بين مصر وفينيقيا[٥] ، منذ

=

الحميد زايد : العلاقات بين مصر وبيبلوس من خلال الاثار الفرعونية ـ مجلة كلية الاداب والتربية بجامعة الكويت ـ العدد السادس ـ ١٩٧٤) •

(٢) أنظر عن «أوزير» (محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية ـ الاسكندرية ١٩٨٤ ص ٢٨٦ ـ ٢٩٨) •

(٣) أنظر عن هذه الاسطورة (كونتنو : المرجع السابق ص ٤٥ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٢٨٢ • وكذا
P. Montet, in Syrie, 4, 1923, P. 190 F.

(٤) كونتنو : المرجع السابق ص ٤٥ •

(٥) اتصلت مصر ببيبلوس عن طريق البحر المتوسط ، وهو الطريق الرئيسى الذى مخرت السفن المصرية عبابه ، وربما استخدم الطريق البرى أيضاً ، وكان يبدأ من الدلتا بمحاذاة شاطىء سيناء ، ويتشعب منه طريق الى قلب سيناء حيث مناجم النحاس والفيروز ، ومنه طريـــق يمتد الى الجزيرة العربية ، أما الطريق الشمالى فيستمر فى محاذاة شاطىء فلسطين الى لبنان ، وهناك فى جنب لبنان طريقان رئيسان ، أحدهمـــا يستمر

=

عصور ما قبل التاريخ ، اعتمادا على دراسة بعض أنواع الفخار ، فضلا عن استخدام البداريين فى العصر الحجرى النحاسى لاشجار الصنوبر[٦]، هذا فضلا عن قطعتين من أدوات اللعب ، يحتمل أنهما مؤرخـان من العصر السابق مباشرة لعصر الاسرات ، كما عثر هناك أيضا على لوحة من الارادوز على هيئة طائر ، أغلب الظـن أنها لانسان عصر ما قبل الاسرات[٧] .

هذا ، ونظرا لان جميع هذه المقتنيات التى كشف عنها تحت أرضية معبد من الدولة الوسطى ، فمن المحتمل ، فيما يرى الدكتور عبد الحميد زايد ، أنها كانت موجودة فى مقصورة أقدم من الدولة الوسطى وأعيد بناؤها بعد ذلك ، ومن الجائز أن التجار الذين كانوا يترددون على تلك المنطقة جاءوا بها ليقدموها لسيدة بيبلوس المحلية الالهة «حاتحور» ، وسوف نرى أن هؤلاء التجار كانـوا يتجهون الى بيبلوس من أجـل الحصول على الخشب من لبنـان[٨] .

وأيا ما كان الامر ، فـان «جبيل» ، فيما يبدو ، انمـا كانت على اتصال تجارى بالدلتا (مصر السفلى) منذ عصور ما قبل الاسرات ،

=

بمحاذاة الشاطىء ، مارا بصـور وصيدا وبيبلوس ، والثانى يسـير فى محاذاة وادى الليطانى والى البقاع فدمشق ، ويلتقى الطريقان فى سهل البقاع عند قادش ثم الى وادى النهر الكبير ثم شمالا الى مضايق كليكية الى آسيا الصغرى ، أو شرقا الى وادى الفـرات ثم الى الخليج العربـى وأما الطريق البحرى فكان لزاما على البحار المصرى أن يختار الوقـت المناسب ، فيتجه الى بيبلوس أو غيرها من موانى الساحل الفينيقى فى شهرى مايو ويونيه حيث تساعده الريـاح الجنوبية أو الجنوبية الغربية ، فيصل بيبلوس فى مد ى أربعة أيام ، فى مسافة ٥٥٠ كيلا ، أمارحلة العودة فكانت صعبة لأن الرياح لم تكن فى الغالب ملائمة ، ولذلك كان يعتمد البحار على المجـادبف وكانت رحلة العودة تستغرق ضعف مدة رحـلة الذهاب (عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ١١١ ــ ١١٢) .

3) G Wainwright, in JEA, 20, 1934, P. 3.

(٧) عبد الحمبد زابد : ارجع السابق ص ١١٣ .

M. Dunand, Fauilles de Byblos, I, Paris, 1939-1958, P. 26-27.

P Montet, Byblos et L'Egypte, I, P. 90-91, 98, 103, II, Pls. LV, LVI.

(٨) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ١١٣ .

حيث وجدت جسور من جذوع الارز يعود تاريخها الى ما قبل الاسرة الاولى (أى الى عصر البدارى)[٩] ، مما يدل على أن الخشب انما كان يستورد من لبنان من ذلك العصر السحيق ، هذا فضلا عن أنه قد عثر كذلك فى جبيل (بيبلوس) على بعض اللوحات الحجرية المرمرية المصرية وبعض التمائم الحيوانية الصغيرة التى ترجع الى عصور ما قبل التاريخ[١٠] .

وعلى أى حال ، فهناك ما يشير الى أن المصريين قد استوردوا من فينيقيا أخشاب الارز والصنوبر التى استخدمت فى مقابر الملوك فى أبيدوس[١١]،وفى صناعة السفن الكبيرة،ربما من عهد الملك «عحا» مؤسس الاسرة الاولى ، فضلا عن استيراد الزيوت والخمور فى أوان فخارية من جنوب سورية ، وقد ذهب البعض الى أن هذه الواردات انما كانت بمثابة جزى ، قدمتها المناطق الخاضعة لمصر فى سورية وفلسطين وفينيقيا .

وهناك من يذهب الى أن التجار الاوائل كانوا يهتمون باحضار زيت شجر الارز الذى جاء ذكره فى نص من عهد «عنج ايب» من الاسرة الاولى ، كما عثر فى مقابر ما قبل الاسرات فى مصر على أوان لها نفس الاشكال السورية أو عليها رسوم تمثل الاوانى السورية ، وكانت غالبا مملوءة بالزيت ، والراجح أنه جيء بها من سورية عن طريق البحر ، اما عن طريق ميناء بيبلوس أو غيره من الموانى .

هذا ويذهب بعض الباحثين الى أن مصر انما كانت لها حصون وعمليات دفاعية فى غربى آسيا منذ أيام الملك «نعرمر» مؤسس الاسرة

---

(٩) انظر عصر البدارى (محمد بيومى مهران : مصر ــ الكتاب الاول ص ١٦٤ ــ ١٧٥) .

10) G. Brunton and Caton Thompson, The Badarain Civilization, 1928, P. 627.

S. R. K. Glanville, The Legacy of Egypt, Oxford, 1947, P. 6.

(١١) انظر عن أبيدوس (محمد بيومى مهران:مصر ٣٢٣/١ــ٣٢٧)

الاولى ، وخلفائه من أمثال «جر» و «دن» و «قاعا» ، أعتمـادا على صورة حصن نقشت على صلاية نعرمر ، وغيرها ، والامر بهذه الصورة غير مؤكد ، الا أن هناك فى نقوش الملوك ، وفى حوليات حجر بالرمو ، ما يشير الى ذلك(١٢) •

هذا وقد عثر فى أوائل الالف الثالثة قبل الميلاد على نسبة كبيرة من التمائم الحيوانية المصرية ، وبعض الاوانى الحجرية فى بيبلوس ، ومن أهمها قطعة حجرية مصرية تحمـل «سرخ» ملكى ، ينتمى الى الاسرة الثانية ، فضـلا عن اناء صغير من الحجر المصقول يحمل اسـم الملك «خع سخموى» آخر ملوك هذه الاسرة(١٣) •

وكانت السياسة الخارجية لمصر فى عهد الاسرات : الرابعة والخامسة والسادسة ، تنحصر فى سلسلة من الحمـلات والغزوات والبعثـات الاقتصادية التى كانت تنطلق من العاصمة أو من قواعد على الحدود ، لتعود مرة ثانية الى نقطة الانطلاق محملة بالثروات ، ولم تكن تتضمن دورات من الكر والفـر ، الامر الذى تتسـم به سياسة التوسـع الاستعمارى •

وهكذا ، وفى الاسرة الرابعة ، وطبقا لما جاء فى حجر بالرمو(١٤) (وقد دونت عليه حوليات الملوك منذ أقدم العصور وحتى عهد نفر اير كارع ، ثالث ملوك الاسرة الخامسة) ، فان الملك «سنفـرو» مؤسس

---

(١٢) عبد الحميد زايد : المرجع اسابق ص ١١٣ ،محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٣٣٨ ــ ٣٣٩ ، عبد العزيز صالح :المرجـع السابق ص ٨٩ ، وكذا

W. M. F. Petrie, The Royal Tombs of The First Dynasty, I, London, 1900, P. 16-18, II, 1901, P. 30.

Y. Yadin, in IEJ, 1955, P. 1-16.

H. Kantor, in JNES, 2, 1942, P. 174 F, 201 F.

(١٣) رشيد الناضورى : جنوب غربى اسيا وشمال أفريقيا ص ١٢٠ ــ ٢١١ •

(١٤) أنظر عن حجر بالرمو (محمد بيومى مهران : مصر ٤٤/١ ــ ٤٧) •

الاسرة ، يرسل أسطولا بحريا مكونا من أربعين سفينة لاحضار كتل من اخشاب الارز من لبنان[١٥] ، وأن كثيرا من تلك الاخشاب قد عثر عليها فى هرمه القبلى فى دهشور ، وما زالت تلك الاخشاب فى حالة جيدة حتى الان ، وما زالت تؤدى مهمتها التى أقيمت من أجلها ، مثل تثبيت بعض الاحجار أو سندها فى أماكنها ، رغم مضى أكثر من أربعة آلاف وستمائة سنة عليهـا[١٦] .

وفى عهد ولده وخليفته «خوفو» ، صاحب الهرم الاكبر تزداد أهمية ميناء «جبيل» ، ذلك الميناء الذى كانت تقيم فيه جالية مصرية منذ أيام الأسرة الثانة على الاقل ، والذى أصبح أكبر ميناء تجارى بين مصر وغربى آسيا ، كما أصبحت السفن التى تتعامل مع «جبيل» أو المصنوعة من أخشابها تسمى «الجبيلية» أحيانـا[١٧] .

هذا وقد ذهب بعض الباحثين الى أن ميناء جبيل انما كان يقوم كذلك بدور الوسيط بين تجارة مصر وكريت[١٨] ، ورغم أن الامر بهذه الصورة غير مؤكد ، الا أن الاتصال بكريت انما كان قائما منذ زمن بعيد ، ذلك لأن الثقافة المينووية انما تقدم دلائل قوية على التاثير المصرى[١٩] ، هذا فضلا عن أن هناك من يذهب الى أن المصريين انما قد وصلوا الى كريت رأسا بوسائلهم الخاصة[٢٠] .

وأيا ما كان الامر ، ففى عهد «خوفو» قام وسط «جبيل»[٢١] معبد

---

(١٥) جان يويوت : مصر الفرعونية ص ٥١ .
A. Fakhry, The Bent Pyramid at Dahshur, Cairo, 1951, Pl. 38, P. 559.
(١٧) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ص ٨٩ .
(١٨) رشيد الناضورى : أقدم صلات حضارية بين مصر ولبنان ص ٢١ وكذا

W. M. F. Petrie, Op. Cit., II, P. 46.
A. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, 1964, P. 36.
19) Ibid., P. 36.
(٢٠) الكسندر شارف : تاريخ مصر ـ القاهرة ١٩٦٠ ص ٤٨ .
(٢١) كانت تكتب فى الدولة القديمة «كبن» ، وفى الدولة الوسطى
=

مصرى ، أضاف اليه من جاء بعده كما تشهد بذلك عدة أحجار من هذا المعبد ، تحمل اسم خوفو ، بل وأسماء بعض من سبقوه على عــرش الكنانة ومن لحقوا به على هذا العرش من ملوك الدولة القديمة •

هذا وليس هناك ما يعرف حتى الان عن الصورة الاولى التى نشأ عليها هذا المبعد ، فقد يكون معبــدا آمورى الاصل ، أراد الملــوك المصريون أن يجاملوا أصحابه ، وأهدوه هدايا ثمينة تحمل أسماءهم،ولم يمنعهم تمسكهم بدينهم المصرى من أن يتسامحوا مع معبودات جيرانهم ، ويعملوا على اثراء معابدها ، وقد يكون معبدا مصرى الاصل شادته جالية مصرية تجارية أقــامت فى جبيل ، وعكفت على عبادة أربابهــ المصريون أن يجاملوا أصحابه ، وأهدوه هدايا ثمينة تحمل أسماءهم،ولم مصريا أقامه أمراء جبيل أنفسهم مجاملة للمصريين ، وتقبلوا فيه بعض العقائد المصرية ، كما تقبلوا له هدايا الملوك المصريين[٢٢] •

هذا وقد أسفرت الحفائر عن اكتشاف معبد للالهة المصرية «ايزة» ، بجانب معبد «بعلة» جبيل ، وأن الالهتين قد أصبحتا بمرور الزمن الهة واحدة [٢٣] ، وعلى أية حال ، فهناك الكثير مما يشير الى ازدهار التجارة

=

«كبنى» ، وفى الدولــة الحديثة «كبنا» ، وذكرهــا الآشوريين باســم «جوبلا» ، والاغريق «بيبلوس» ، والعرب «جبيل» ، وتقع على مبعدة ٤٠ كيلا شمالى بيروت (أنظر : كونتنو : المرجع السابق ص ٤٦ ، وكذا (A. Gardiner, Onom., I, 1947, P. 257.

(٢٢) عبد العزيز صلح : المرجع السابق ص ١٠٦

W. A. Ward, Egypt and The Mediterranean, from Predynastic Times to The End of The Old Kingdom, JESHO, VI, Part, I, 1963, P. 24.

P. Montet, Byblos et Egypte, Paris, 1928, P. 29 F.

H. Nelson, Fragments of Egyptian Old Kingdom Stone Vessels from Byblos, in Beyrtus, I, 1934, P. 19-20.

(٢٣) فيلب حتى : تاريخ لبنان ــ ترجمة أنيس فريحــة (ونقولا) زياده ــ بيروت ١٩٧٢ ص ٧٨ (ويذهب جاردنر : الى أن الالهة المصرية هنا «حاتحور» ، وليست ايزه ، وأنها اقترنت بالالهة عشتار ، هذا وقد جاء ذكر «حاتحور» على خــاتم اسطوانى لاحد حكام بيبلوس ، وقــد صحبه الهين ذكرين : «رع» الخاص بالبــلاد الاجنبية ، و «خاى تاو» ،
=

بين مصر وفينيقيا على أيام الملك «خوفو»(٢٤) .

ولم يكن ملوك الاسرة الخامسة أقل نشاطا مـن أسلافهم ملوك الاسرة الرابعة ، فهناك فى المعبد الجنازى للملك «ساحورع» ما يدل على نشاط خارجى عظيم ، خرجت فيه مصر عـن عزلتها واحتكـت بجيرانها بدرجة أكثر من عصور سبقت ، فهناك منظر رائع للسفن العائدة من سورية بالتجـارة ، والاسيويون على ظهورها ، وأسلحتهم مرفوعة ولاء لفرعون ، وربما كان ذلك بمناسبة حملة الى لبنان للبحث عن الخشب القديم جدا من غاباتها(٢٥) .

وقد اختلفت الاراء حول هذه الحملة ، فذهب رأى الى أن مناظـر الاسطول وعودته لا تدل على أنهما حملة حربية ، وان كنا لا نستطيع أن نتبين الغرض منها على وجه اليقين ، على أن هناك وجها آخر للنظر يذهب الى أن المناظر انمـا تدل على شىء أكثر من اقـلاع الاسطول وعودته ، ثم استقبال الملك وقد حف به كبـار موظفيه ، ومن ثم فهى حمـلة ودية ، وربما عـادت بأميرة من هناك لتصبح احدى زوجـات الفرعـون .

على أن هناك وجهـا ثالثا للنظر يذهب الى أن جبيل انمـا كانت مستعمرة مصرية ، وان رأى «سير ألن جاردنر» أن فى ذلك مبالغة الى حد ما ، ولكننا ندرك على الاقل أن الرسل المصريين انما كانوا يقابلون

=

والذى وصف فى مكان آخر بانه «الموجود فى نيجـاو» ، وهو الاله الخاص بمنطقة غابات لبنان حيث تقطع الاشجار ، واذا صح النص الهيروغليفى على هذا الخاتم الاسطوانى ، فان ذلك يعطينا فكرة عن ثالوث بيبلوس القديم (حاتحور ـ رع خاى تـاو) ومن الجائـز أن ذلـك لا يبعد كثـيرا عن الاسرة الخامسة .

(أنظر : عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ١٢١ ، وكذا W. Helck, Die Beziehungen Agyptens Zu Vorderasien in 3 und 2. Jahriausend V. Chr. (Ag. Abh. 5) 1962, P. 21.

(٢٤) انظر : محمد بيومى مهران : مصر ـ الكتاب الاول ص ٤٦٢ ـ ٤٦٦ .

25) Urk., I, 1932, P. 169.
W. S. Smith, CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, P. 182.

هناك بكل الترحاب والتبجيل[٣٦]

وتروى النصوص المصرية أن «نى وسر رع» قد قام بعدة حروب فى سورية (بمعناها الواسع)، كما يبدو ذلك من المناظر التى كانت فى معبده، كما نجح «وناس» فى الحفاظ على «جبيل» بواسطة أسطوله، وربما كانت المدينة وقت ذاك، فيما يرى كثير من الباحثين، من مستعمرات التاج المصرى، وقد عثر هناك على آنية تحمل اسمه فى البقايا الاثرية التى كشف عنها فى بيبلوس[٢٧] .

وعلى أية حال، فلقد عثر فى جبيل على أجزاء من أوان عليها أسماء كثير من ملوك الدولة القديمة من أمثال : خوفو وخفرع من الاسرة الرابعة، وأوناس من الاسرة الخامسة، وكذا أغلب ملوك الاسرة السادسة، مثل الملك تيتى، رأس هذه الاسرة، واما الذين لم يعثر حتى الان على أسمائهم كالملك «وسر كاف» رأس الاسرة الخامسة، فربما كان ذلك لحدث عارض، أو أن شيئا من مخلفاته لم تكتشف بعد، أو أنها بليت وضاعت، وعلى أية حال، فان الصلات بين مصر وفينيقيا انما كانت بوجه عام وطيدة فى الدولة القديمة[٢٨] .

وعلى أية حال، فهناك ما يشير الى نشاط واسع من العناصر المجاورة لمصر من ناحية الشمال، ويحدثنا «ونى» والذى قاد أربع حملات

---

(٢٦) أنظر : محمد بيومى مهران : حركات التحرير ص ٤٤، مصر الفرعونية ص ١٣٣، وكذا

A. Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, Paris, 1968, P. 43.

A. Gardiner, Op. Cit., P. 89.

(٢٧) فيلب حتى : المرجع السابق ص ١٣٧، وكذا

P. Montet, Byblos et L'Egypte, Paris, 1928, P. 69.

M. Dunand, Fouilles des Byblos, II, Paris, 1958, P. 267.

28) M. Munand, Op. Cit., I, P. 267, 278, 280.

H. Nelson, Op. Cit., P. 20.

W. S. Smith, Interconnections in The Ancient Near East, London, 1965, figs, 6-8.

حربية ، منها واحدة كانت برية وبحرية معا ، وقد حصر فيها عدوه بين فكى الكماشة ، كتب له فيها نجحا بعيد المدى فى تأديب العصاة من سكان الرمال ، فضلا عن القضاء على تمــرد عند «أنف الرئم» ، وهو اقليم يظن أنه جبل الكرمل ، أقصى حدود فينيقيا من ناحية الجنوب[٢٩] .

هذا وهناك ما يشير الى أن «ببى الثانى» (والذى يسجل له التاريخ أطول فترة عرفها تاريخ مصر قاطبة وهى ٩٤ عاما) قد سار على سياسة أسلافه بالنسبة الى التجارة الخارجية ، فهناك ما يدل على اتصال تجارى بين مصر وبلاد بونت[٣٠] وسواحل فينيقيا ، من ذلك ما سجله الملاح المصرى «خنوم حتب» من أنه قد زار جبيل وبونت احدى عشرة مرة ، كان تحت رياسة «ثنى» فى زيارته الاولى ، وتحت رياسة «خوى» عند زيارته الثانية[٣١] .

وعلى أية حال ، فلقد عثــر فى ببيلوس على فؤوس مصقولــة ، وسكاكين من الظران وخرز أسطوانى من المرمر ، وتماثيل صغيرة تشبه تلك التى عثر عليها فى «هيراقونبوليس» (نخن = البصيلة مركز ادفو بمحافظة أسوان) أو غيرهــا مما يحمل أغلبها خراطيش الملوك ، وكلها صنعت فى مصر وصدرت الى ببيلوس،ومنها أوعية صغيرة من عهد «ببى الاول» و «ببى الثانى» (من الاسرة السادسة) على هيئة قردة جالسة القرفصاء ترضع صغارهــا ، وغالبا أن هذه الاشياء كانت ترســل فى مناسبات خاصة ، مثل الاحتفالات الخاصة بعيد ســد[٣٢] .

---

29) F. Daumas, Le Civilisation de l'Egypte Pharaonque, Paris, 1965, P. 292.
M. Lichtheim, Ancient Egyptian Literature California, 1973, P. 18.
A. Gardiner, Op. Cit., P. 96-97.

(٣٠) أنظر : عن بــلاد بونت (محمد بيومى مهران : العــرب وعلاقاتهم الدولية فى العصور القديمة ــ الريــاض ١٩٧٦ ص ٣٠٧ ــ ٣١٠) .

31) K. Sethe, Urk., I, 1932, P. 140-141.
PM, VII, 1951, P. 342.
A. Gardiner, Op. Cit., P. 101.

(٣٢) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ١١٣ ــ ١١٤ .

(٢) فى عصر الثورة الاجتماعية الاولى :

يذهب «جون ويلسون»[٣٣] الى أن أهمية «سورية — فلسطين» فى عصر الدولة القديمة انما كان ينحصر فى أنها طريق تجارى تسير فيه السلع ، وكان يهم مصر أن يبقى هذا الطريق مفتوحا ، ولكنها لم تكن فى الاحوال العادية فى حاجة الى أن ترسل الحاميات أو تستعمر تلك البلاد .

ولكن الامر كان غير ذلك فى حالة الميناء الفينيقى «جبيل» التى كانت ميناء شحن خشب الارز ومنتجاته ، كما كانت الميناء التى تصل اليها ، ثم تخرج منها ، السـفن محملة بالنحاس والصفيح من جزر البحـر المتوسط ، والفضة من آسيا الصغـرى ، والنبيذ والزيتون من شرقى البحر المتوسط ، وحجر الاوبسيديان واللازرد من الممالك الواقعة الى الشرق منهـا .

وكانت تقيم فى الميناء جالية مصرية من التجار ، وكان عددهم كافيا لتبرير اقامة معبد هناك ، وارسال الهدايا من ملك مصر ، وقد توقف ارسال هذه الهدايا المصرية التى كانت تحمل نقوشا فنعرف منها تاريخها الصحيح ، فى عهد الملك «ببى الثانى» فى آخريات الاسرة السادسه ، وحرق المعبد المصرى فى جبيل[٣٤] وهدم ، كمـا توقفت التجارة توقفا كاملا[٣٥] ، وان كان هناك من يرى أن عدم وجود أشياء تحمل أسماء ملكيه فى بيبلوس وغيرها ، فيا بين الدولة القدمة والوسطى لا يعنى أن التجارة قد توقفت تماما[٣٦] .

---

33) John A. Wilson, The Culture of Ancient Egypt, Chicago, 1963, P. 100-101.

وفى الترجمة العربية ص ١٨١

(٣٤) قدر الاثريون حدوث حريق فى بيبلوس بعد عهد الملك ببى الثانى ، فقد لاحظو فى أعمال الحفر وجود رماد يقع فى مستوى الطبقه التى عثر فيها على آثار من عهد ببى الثانى ، وأن طبقة الرماد كانت سميكة ، وقد عثر فيها على أجزاء من انـاء يحمل اسم ببى الثانى ،وقد تكلست هذه الاجزاء بفعل الحريق ، وأن هذه الاكوام من الرماد كافية لان توضح ما أصاب هذه المنطقة من الدمار (عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ١١٤) .

35) J. A. Wilson, Op. Cit., P. 102.

(٣٦) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ١٢٥ .

وأيا ما كان الامر ، فان الوضع الجديد ، واضطراب الامن فى مصر بسبب قيام الثورة الاجتماعية كان له ، دون شك ، اثر سيء على ملك مصر سياسيا واقتصاديا ، الامر الذى دعا حكيم الثورة الاجتماعية الى أن يقول «لم يعد أحد اليوم يسافر شمالا الى جبيل ، فما الذى سنفعله عوضا عن الارز اللازم لمومياتنا ، فقد كان النبلاء يحنطون بالزيت الاتى من هناك ، وما هو أبعد منها (أى جبيل) حتى «كفتيو» (كريت) ولكن هذا لم يعد يأتى»[٣٧] .

وعلى أية حال ، فلقد عثر فى بيبلوس على ما اصطلح على تسميته «اناء مونتية» العديد من الاشياء ، منها أساور ودبابيس لها رؤوس كبيرة ، وأكثر من ٦٠٠ خرزة ، ومعظم الخرز الحجرى يشبه خرز الدولة القديمة والعصر المتوسط الاول فى مصر (عصر الثورة الاجتماعية الاولى) والقليـــل منها له علاقة بخرز ما بين النهرين ، أما الانواط والتمـــاثيل العاجية والحجرية والنحاسية والبرونزية والزجاج ، فكلها لها نظائرها من العصر المتوسط الاول ، ومن عجب أن يوجد فى هذه المجموعة مـــا يقرب من مائة جعران ، وغالبا ما تكون من العصر المتوسط الاول ، وان أرخها البعض بعصر الاسرة الثالثة عشرة ، هذا وبالاناء أيضا ٣٠٠ خاتم اسطوانى الشكل وبعض التمائم ، وأختام أخـــرى يمكن تمييزها عن الاختام التى على شكل أزرار ، والتى اختلف فى شأن نسبتها الى مصر أو الى بلاد ما بين النهرين[٣٨] .

(٣) فى عصر الدولة الوسطى :

قامت السياسة المصرية الخارجية فى عصر الدولة الوسطى بصفة عامة ، والاسرة الثانية عشرة بصفة خاصة ، على أساس تغليب علاقات الود مع الدول المجاورة فى الشام والعراق وجزر بحر ايجة ، واتخاذ الصلات التجارية معها سبيلا الى التأثير الحضارى فيها ، كما قامت على

37) J. A. Wilson, in ANET, 1966, P. 441.

(٣٨) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ١١٤ ــ ١١٥ ، وكذا
W. F. Albright, The Excavation of Tell Merisim, The Pronze Age of The Fourth Campaign, in AASOR, 13, 1933, 24, Sect, 24.

أساس توطيد النفوذ ، وتوسيع الاشراف والاستثمار على امتداد الحدود فى المغرب والجنوب (ليبيا والنوبة) ، مع ايثار السلام المسلح القائم على التحصين واليقظة فى الناحيتين ، وعدم الالتجاء الى استخدام القوة فيها ، الا حين الضرورة(٣٩) .

هذا وهناك ما يشير الى عودة النفوذ المصرى الى جبيل منذ أيام الاسرة الحادية عشرة ، وقد وجدت أشياء مصرية عديدة فى بيبلوس . أوضحها «دوناند» ، وهى غالبا مؤرخة من الاسرة الحادية عشرة(٤٠) ، هذا وقد أشار القائد «حنو» من عهد الملك «منتوحتب الثانى» الى دور له فى معاملة «الحاونبو» ، أى أهل جزر البحر الابيض المتوسط ، لا سيما الكريتيين ، وقد تكون هذه المعاملة ودية أو عدائية ، وان كان الاحتمال الاول هو الارجح(٤١) .

هذا وقد جاء ذكر بيبلوس فى قصة «سنوهى»(٤٢) ، وذلك فى الايام الاولى من الرحلة ولولا شهرة تلك المدينة ، فضلا عن العلاقات الوثيقة التى تربطها بمصر ، لما فكر فى الالتجاء اليها ، وأما عن عدم اقامته فيها، فربما خوفا منه أن تصل أخباره الى مسامع الملك سنوسرت الاول (١٩٧١ — ١٩٢٨ ق.م) وقد كان فى أول ارتحاله ، وما كان يجب ، بل ما كان فى مصلحته ، أن يكتشف أمره ، وهو فى بداية فراره ، ومن ثم ، فاكبر الظن أن ذلك كان من وراء مغادرته بيبلوس الى «قدمى» ، ثم الى قلب فلسطين ، حيث طابت له الاقامة عند أحد شيوخها(٤٣) ،

(٣٩) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ص ١٧٦ — ١٧٧
40) M. Dunand, Fouilles de Byblos, II, Paris, 1958, Pls. CXIII-CXXI.
(٤١) عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها ص ٤٣٣ ، وكذا
J. H. Breasted, ARE, I, P. 209.
(٤٢) أنظر عن قصة سنوهى (محمد بيومى مهران : مصر ٥٩٤/١ — ٥٩٧ ، وكذا
A. Erman, LAE, 1929, P. 14-29.
وكذا
J. Wilson, ANET, 1966, P. 18-22.
A. M. Blackman, Some Notes on The Story of Sinuhe, JEA, 22, 1936, P. 35-44.
(٤٣) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ١١٤ .

وان يشترك فيما بعد بفرقة من أهـل الشام فى صد جماعـات سمى رؤساؤهم باسم «حقا وخاسوت» ، بمعنى حكام البلاد الاجنبية أو حكام البرارى ، وهو نفس الاسم الذى أطلقه المصريون فيما بعد على زعماء الهكسوس[٤٤] .

هذا فضلا عن أن زعامة مصر المادية والثقافية انما كانت أمرا ثابتا بالادلة المادية ، فقد كان الملوك ، وربما النبلاء أيضا ، يرسلون الهدايا الى الامراء الفينيقيين وغيرهم من السوريين الموالين لمصر ، وأن هؤلاء الامراء انما كانوا يحبون تلك الهدايا ، وتنشرح لها صـدورهم ، كما كانت كافية لكسب صداقة تلك الدويلات الصغيرة فى غربى آسيا[٤٥] ، ومن هذه الهدايا أوان من الاوبسديون الاسود اللامع الى أمير جبيل فى عيد توليته امارة مدينته ، فضلا عن تمثال صغير على هيئة أبى الهول من قطنة للاميرة «أتا» ابنة الملك «أمنمحات الثانى» (١٩٢٩ — ١٨٩٥ ق.م) ، وهو أقدم تمثال معروف من نوعه يمثل سيدة مصرية على هيئة أبو الهول[٤٦] .

ومع ذلك فان لوحة «نسموت» ، وتؤرخ بفترة الحكم المشترك بين أمنمحات الاول وولده سنوسرت الاول ، انما تشير الى أن هذا القائد انما كان عليه أن يشهر الحـرب على الاسيويين الرحـل ، وأن يدمر حصونهم ، ولكننا لا نعـرف الى أى مدى بلغ نشـاطه فى الاقاليم الاسيوية[٤٧] .

وعلى أى حال فهناك ما يشير الى أن النشاط المصرى فى غربى آسيا لم يتوقف فى تلك الفترة ، حيث قدر لمصر أن تقوم بدور قيادى ، ومن

(٤٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٧٨ .

45) J. A. Wilson, The Egyptian Middle Kingdom at Megiddo in AJSL, 58, 1941, fig. 14 B, P. 225-236.

(٤٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٧٨ ، وكذا

P. Montet, Byblos et L'Egypte, Paris, 1928, Pls., 88-89.

47) A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 132.

J. H. Breasted, ARE, I, Parag. 469-471, P. 227-228.

ثم فقد تم احتلال مدينة «جبيل» (بيبلوس) أو على الاقل فرضت عليها التبعية المباشرة[٤٨] ، وهـكذا رأينا الحكام هناك يتخـذون لاماراتهم شعارا ذا طابع مصرى ، وربما كانوا يتطيبون عنـد تتويجهم بزيت . وضع فى آنية تحمل اسم ملك مصر[٤٩] ، هذا فضلا عن أنهم انما كانوا يكتبون أسمـاءهم بالهيروغليفية المصرية ، ويستعملون اللقب المصرى «حا تى عا» الذى حمله المصريون من كبار الموظفين منذ أمد بعيـد فى الاقاليم المصرية نفسها[٥٠] .

ومع ذلك ، فان أستاذنا الدكتور أحمد فخرى (١٩٠٥ — ١٩٧٣م) — طيب الله ثراه — انما يرى أن هؤلاء الحكام لم يكونوا من موالى مصر ، أو كانوا يحكمون باسمها ، أو يقدمون لها جزية مفروضة[١]، ذلك لان مصر ، لم يكن لها حتى ذلك الوقت ، فيما يرى جـون ويلسون ، امبراطورية سياسية فى آسيا ابان عهد الدولة الوسطى ، ولكنها كانت تتمتع بالفوائد الروحية والاقتصادية اللتين كانتا تجنيهما ، فقد كانت لها سيطرة فعلية على تلك البلاد فى ميدان الحضارة والتجارة[٥٢] .

ورغم ذلك كله ، فان شواهد التاريخ انما تشير الى أن مصر كان لها نفوذ هناك ، وأن هـذا النفوذ لم يكن مقصورا على مدينة جبيل وحدها ، وانما قد امتد الى مدن أخـرى مثل «أوجـارليت» (رأس الشمرة) التى يحتمل أنها كانت ، فيما يرى بعض الباحثين ، تتبع مصر سياسيا[٥٣] ، هذا فضلا عن أن الآثار المصرية انما كانت قد انتشرت كثيرا فى كثير من المدن السورية والفينيقية[٥٤] ، فهناك فى «قطنة» .

---

(٤٨) جان يويوت : مصر الفرعونية ــ ترجمة سعد زهران ــ القاهرة ١٩٦٦ ص ٩٨ .

49) T. Save-Soderberghe, The Hyksos Rule in Egypt, in JEA, 37, 1951, P. 53.

(٥٠) جان يويوت : المرجع السابق ص ٩٩ .

(٥١) أحمد فخرى : مصر الفرعونية ص ٢٢٨ (القاهرة ١٩٧١) .

52) J. H. Wilson, The Culture of Ancient Egypt, Chicago, 1963, P. 155.

53) T. Save-Soderbergh, Op. Cit., P. 53.

(٥٤) أنظر : محمد بيومى مهـران : اخناتون : عصره ودعوتـه ــ القاهرة ١٩٧٩ ص ٣ ــ ٦ .

(وتقع فى مكان تل المشرفة الحالية على مبعدة ١١ ميــلا الى الشمال الشرقى من حمص) ، قد عثر على تمثال يحمل اسم الملك « أمنمحات الثانى» (١٩٢٩ ـــ ١٨٩٥ ق٠م)[٥٥] ٠

وفى عام ١٩٣٦م ، عثر فى مدينة «الطود» ، وتقع على مبعدة ٣ كيلا شمالى محطة أرمنت بمحافظة قنا ، على كنز ثمين من مصنوعات من الذهب والفضة واللازورد ، تشير بوضوح الى يد الصانع الميزوبوتامى والايجى ، قد نقشت عليها خراطيش «أمنمحات الثانى» ، وربما كانت هدايا ، وربما جزية من حكام بيبلوس[٥٦] ٠

وعلى أية حال ، فلقد اتسعت صلات مصر التجارية بمناطق سورية وفلسطين وفينيقيا على أيام الدولة الوسطى ، وقد عثر فى مقابر أمراء جبيل وأوجاريت على آثار مصرية وصلتهم على هيئة هدايا من الملكين أمنمحات الثالث والرابع ، كما وجــدت احدى المســلات وعليها اسم «أمنمحات الثالث» (١٨٤٢ ـــ ١٧٩٧ ق٠م) ، ومن الجائز أنها من عهد هذا الملك[٥٧] ٠

وأيا ما كان الامر ، ففى عهد «سنوسرت الثالث» (١٨٧٨ ـــ ١٨٤٣ ق٠م) ارتحل الملك نفسه للقضاء على تمرد هناك ، ووصل الى اقليم «سكمم» ، والذى يرى فيه بعض الباحثين ناحية «شسشم» فى منطقة

---

55) A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 132.

(٥٦) انظــر :

R. Bisson de la Roque, Tresor de Tod, Cairo, 1950.

وكذا

R. Bisson de la Roque, Depot Asiatique Trouve a Tod, (1934-1936), Caire 1937, P. 113.

وكذا

J. Vandier, A Propas d'un Depot de Provenance Asiatique Trouve a Tod, in Syria, 18, 1937, P. 174-182.

57) B. Porter and R. L. B. Moss, Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphical Texts, Reliefs and Paintings, Oxford, 1957, 7, P. 386.

وكذا

J. A. Wilson, AJSL, 8, 1941, P. 235.

السامرة الجبلية[٥٨] ، ولعل السبب فى هذه الحملة انما كان اغارة بعض القبائل الاسيوية ، وربما بدو الصحراء المتاخمين لفسلطين ، اغـارة مفاجئة على حدود مصر ، فوجه الملك اليهم هذه الحمـلة التى كسرت شوكتهم •

وعلى أى حال ، فلقد عثر فى «مجـدو» على ختم أحـد مسجلى المواشى ، وعلى تمثال لأمير الاشمونين «تحوت حتب الثانى» على أيام سنوسرت الثالث ، ومن ناحية أخرى ، فلقد عثر فى مقبرة أمير الاشمونين (خمنو فى المصرية بمعنى مدينة الثمانية ، أى آلهة الاشمونين آلثمانية، وتقع على مبعدة ١٠ كيلا شمال غرب ملوى ، وكانت عاصمة الاقليم الخامس عشر من أقاليم الصعيد)[٥٩] فى مصر على صورة ماشية واردة من غربى آسيا (من فلسطين)[٦٠] ، كما عثر فى «بيروت» على تمثـال صغير لأبى الهول وقـلادة للملك أمنمحـات الرابع (١٧٩٨ — ١٧٩٠ ق٠م)[٦١] ، وأما أقصى الاماكن الى الشمال ، والتى عثر فيها على مثل هذه الاشياء ، فهى «أتخانا» التى لا تبعـد كثيرا عن مصب الاورنت (العاصى)[٦٢] •

ولعل كثرة الآثار المصرية فى غربى آسيا من تلك الفترة هى التى دفعت أثريا محنكا مثل «سير ليونارد وولى» (١٨٨٠ — ١٩٦٠م) الى أن يؤكد أنه لابد من أن هناك حملات أكيدة قد تمت فى ذلك العصر ، حتى نلتقى بمثل هذا العدد الذى عثر عليه من الاشياء التى تنتمى الى الاسرة الثانية عشرة[٦٣] •

---

58) J. H. Breasted, Op. Cit., P. 302.

(٥٩) انظر : محمد بيومى مهران : الحضـارة المصرية القديمة ص ١٦٥ •

60) W. S. Smith, Interconnection in The Ancient Near East, London, 1965, P. 14.

(٦١) انظـر : محمد بيومى مهران : اخناتون ص ٤ ـ ٥ ، جـان يويوت : المرجع السابق ص ٩٨ ـ ٩٩ •

62) A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 132-133.
B. Porter and R. B. Moss, Op. Cit., P. 395.

63) A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 132.
Sir Loenard Woolley, PM, P. 386.

وعلى أية حال ، فان أهمية الصلات التجارية انما كانت من وراء تلك الرغبة المشتركة بين مصر من ناحية ، وسورية وفينيقيا من ناحية أخرى، فى استمرار العلاقات الودية بين الطرفين ، ذلك لان مصر انما كانت تبغى فتح أسواق لتصريف منتجاتها ، واستيراد الاخشاب والزيوت من لبنان، وأن تستورد ما كان يتجمع فى موانيها من منتجات شرق البحر المتوسط من فضة وزيوت ومعادن وأحجار كريمة ، وأن تستورد ما كان يتجمع فى أسواقها الداخلية من منتجات بلاد النهرين وايران والاناضول وبلاد العرب ، وأخيرا فانها انما كانت جد حريصة على قوة صلتها بفينيقيا وفلسطين باعتبارها العصب الرئيسى لتجارتها البرية ، مع وما ورائها من بلاد الشام .

والامر كذلك بالنسبة الى الدويلات الصغيرة فى فينيقيا وفلسطين وسورية ، التى وجدت فى مصر خير عميل للتبادل التجارى الواسع ، ومصدرا رئيسيا للتبادل الحضارى ، وكان يعنيها أن تظل علاقاتها وثيقة بمصر القوية الغنية المتحضرة[٦٤] .

هذا ورغم الاضطرابات التى تعرضت لها مصر فى أعقاب الاسرة الثانية عشرة ، فان ملوك الاسرة الثالثة عشرة قد استمروا فى الحفاظ على الوحدة الوطنية متماسكة ، ولمدة قرن على الاقل ، كانت مصر تحكم فيه بملك واحد ، وان كان ضعيفا ، وفى نفس الوقت ظلت هيبة مصر فى النوبة ، وفى غربى آسيا ، قوية الى حد كبير[٦٥] .

وهكذا يذهب كثير من الباحثين الى أن نفوذ مصر انما ظل قويا فى آسيا بعد الاسر الثانية عشرة ، وهكذا ، وفى أيام «سحتب ايب رع»، وهو الخلف المباشر للملك «أمنمحات سونب اف» (سخم كارع) ثانى ملوك الاسرة الثالثة عشرة ، نرى أمير بيبلوس «ياكين اليوم» يعترف بنفسه بأنه «خادم ملك مصر»[٦٦] .

---

(٦٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٨٢ ـ ١٨٣ .

(٦٥) أنظر : محمد بيومى مهران : حركات التحرير فى مصر القديمة ـ دار المعارف ـ القاهرة ١٩٧٦ ص ١٠٦ ـ ١١٧ .

66) W. Hayes, Egypt from The Death of Ammenemes, III, to Seqenenre, II, 1965, P. 6.

هذا ويبدو أن سيادة «خع سخم رع» (نفر حوتب الاول ١٧٤٠ ـــ ١٧٣٠ ق٠م)[٦٧] ، وهو من أهم ملوك الاسرة الثالثة عشرة ، انما كان معترفا بها فى سورية وفينيقيا ، كما أن لوحة الستياتيت التى عثر عليها عند وادى حلفا انما تؤكد أن نفوذه فى النوبة قد امتد الى هناك[٦٨] ٠

ولعل أكثر الاثار أهمية ذلك النقش الذى كشف عنه فى بيبلوس عند الشاطىء السورى ، وفيه يصور «يوناثان» أمير جبيل (بيبلوس) جالسا أمام شخص عظيم ، اختفت صورته ، ولكن النصوص المدونة الى جانبه تؤكد أنه الملك المصرى «نفرحوتب» (خع سخم رع) بالذات[٦٩]، وربما كان «يوناثان» أو «يانتين» هذا ، ابنا للامير «ياكين ـــ اليوم» الذى كان أميرا لمدينة بيبلوس على أيام الملك «سحتب ايب رع» الثانى[٧٠]، وربما كان «يانتين» هو نفسه أمير بيبلوس الذى كان يدعى « يانتين خامو» الثرى الذى تذكره سجلات مدينة مارى الشهيرة[٧١] ٠

غير أن الغريب من الامر ، أن يأتى ذكر بيبلوس فيما اصطلح على تسميته «بنصوص اللعنة» (وهى عبارة عن مجموعة من الدمى والاوانى الفخارية التى كتبت عليها تعاويذ سحرية لسحق أصحابها من أعـداء الملك ، والذين كانوا فى معظمهم أجانب أسيويين أو نوبيين)[٧٢] ، وذلك لانه من المعروف ولاء أمراء بيبلوس لهذا العهد ، الامر الذى يدعو الى

---

67) W. Albright, BASOR, 99, P. 16.
، ويرى «سيف سودربرج» انها فى الفترة (١٧٦٠ ـ ١٧٤٠ ق٠م)
68) J. H. Breasted, ARE, I, Parag. 753 FF.
(٦٩) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٨٤ ـ ١٨٥ ٠
70) W. C. Hayes, Op. Cit., P. 10.
71) W. Albright, Op. Cit., P. 9 F.
وكذا
T. Save-Sadbergh, Op. Cit., P. 54.
(٧٢) انظر عن نصوص اللعنة :
G. Posener, Chronique d'Egypte, 27, 1939, P. 39 F.
وكذا
G. Posener, Princes et Pays d'Asie et de la Nubia, Bruxelles, 1940.
وكذا
K Sethe, Die Achtung feindlicher Fursten, Berlin, 1926, P. 73 F.
وكذا
JAOS, 74, 1955, P. 222-33.

الشك فى بعض ما جاء بهذه النصوص ، ومن ثم فقد ذهب بعض الباحثين الى أنها انما تعبر عن آراء خـاصة بمن كتبوها من الحـكام ، ولذلك لا نستطيع أن نشك فى ولاء حكام بيبلوس لمصر ، وقد قدمنا من قبـل الكثير من الادلة على ذلك ، مثل استعمالهم اللقب المصرى (حاتى عا) وكتـابة أسمائهم بالهيروغليفية المصرية ، واتخـاذهم شعارا ذا طابع مصرى لامارتهم ، واحاطة أنفسهم بمجوهرات وأشياء أخرى ذات طابع مصرى ، كما أنها فى الغالب صناعة مصرية(٧٣) .

وأيا ما كان الامر ، فالذى لاشك فيه أن الاثار المصرية التى كشف عنها فى بيبلوس قبل الوجود الهكسوسى فى مصر ، انما هي جد عديدة، فقد عثر على الكثير منها فيما يسمى بمعبد المسلات(٧٤) ، وهي بدون شك تماثيل صنعت فى مصر ، وصدرت الى بيبلوس ، ومن الجائز أنها تقليد لصناعة مصرية ، ومنها تمثال صغير لرجل من القاشانى يحمل على كتفيه حملا ، وقد كشف عنه بمعبد المسلات ، وموجود الان بمتحف بيروت(٧٥) ، وتمثال صغير لقردة من القاشانى مع وليدها ، وهو أيضا من معبد المسلات فى بيبلوس ، وموجود الان بمتحف بيروت ، وهناك أيضا تمثال لكلب من القاشانى ، وآخر لقطة ، من القاشانى أيضـا ، وأخيرا مسلة صغيرة عليها نص هيروغليفى ، ربما كان من القرن الحادى والعشرين قبل الميلاد(٧٦) .

وفى أيام الوجود الهكسوسى بمصر (١٧٣٠ ــ ١٥٧٥ ق.م) تنقطع العلاقات مع المصريين ، وان وجدت بين حكام الهكسوس وبين غربى آسيا ، وخاصة فى عهد «خيـان» ، والذى عثر له على آثار فى خارج مصر ، وان كنا لا نوافق على أن الرجل قد أقام امبراطورية عالمية ،

(٧٣) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ١١٥ ــ ١١٦ .

74) M. Dunand, Op. Cit., II, Pls. XCVI-CVIII.

75) W. S. Smith, Op. Cit., figs, 61, 62, 63, 64.

(٧٦) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ١١٦ ، وكذا

W. C. Albright, Dunand's New Byblos Volume, Alycian at the Byblian Court, in BASOR, 155, 1959, P. 33-34.

فيما يزعم البعض ، تضم المنطقة ما بين النهرين وكريت ، أى سورية وفلسطين وفينيقيا ومصر ، وان كان هذا لا يمنع من القول بأن فينيقيا فى عصر الهكسوس ، ربما كانت على علاقات تجارية وثقافية بمصر ، أكثر منها علاقات تبعية ، شأنها فى ذلك شأن بقية دويلات سورية بمعناها العام(٧٧) •

(٤) فى عصر الدولة الحديثة :

لم يثر غزو الهكسوس لمصر فى نفوس المصريين العاطفة الوطنية فحسب ، وانما أيقظ كذلك الشعور بالخطر القائم عند الحدود الشرقية، ومن هنا أدرك المصريون أن حدودهم الطبيعية انما تبدأ فى سورية ، بينما لا يقل نطاق الامان من حولهم عن الشرق الاوسط تقريبا ، ومن هنا توسعت الامبراطورية المصرية الى حدودها القصوى ، كلما أمكن ذلك ، لا كاستعمار بالمعنى المفهوم ، وانما لنشر «السلام المصرى» ، بل اننا يمكننا أن نزعم بقليل من خشية ، أن الامبراطورية المصرية فى جوهرها ، وفى معنى ما «امبراطورية دفاعية» أساسا ، حتمتها ظروف الصراع الاقليمى ، والاستراتيجية العريضة فى الشرق الاوسط القديم(٧٨) •

ومن هنا أدرك فراعين الاسرة الثانية عشرة (١٥٧٥ — ١٣٠٨ ق•م)، والاسرة التاسعة عشرة (١٣٠٨ — ١١٨٤ ق•م) ، بل وكذا الاسرة العشرين (١١٨٤ — ١٠٨٧ ق•م) الى حد ما ، أن السياسة الفعلية الوحيدة فى مختلف العصور : هى احتلال حربى لطريق الغزو من وديان الاورنت (العاصى) والاردن — أو سورية وفينيقيا وفلسطين — ووضع قوة لمنع الاحتكاك عند مدخل ممر الغزو فى اقليم حلب ، بين الفرات والعاصى(٧٩) •

---

(٧٧) أنظر : محمد بيومى مهران : حركات التحرير فى مصر القديمة ص ١٤٥ ـ ١٤٨ •

(٧٨) جمال حمدان : شخصية مصر ـ القاهرة ١٩٧٠ ص ١٥٦ •

(٧٩) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ٢/ ١٣٠ •

ورأت مصر أن الخير لكل من الطرفين ــ مصر والدويلات السورية ــ فى اتباع هذه السياسة ، ذلك لان الدويلات السورية سوف تطمئن على أمنها عن هذا الطريق ، بخاصة وأن الشام أو سورية بمعناها القديم ، لم تكن قد عرفت بعد فى تلك العصور ، الكيان السياسى للدولة الموحدة ــ كما حدث فى مصر ، منذ أكثر من ستة عشر قرنا ، أى منذ حوالى عام ٣٢٠٠ ق٠م ــ ومن ثم فهى ليست بقادرة على صد هجرات جديدة ، أو كسر شوكة الهجرات الموجودة على أطرافها ، دون دفع داخلى ، أو عون خارجى(٨٠) ٠

وأما بالنسبة لمصر ، فان احتلالها للولايات السورية ، انما يعتبر بمثابة صمام أمن لها ، بخصة وأنها كانت قريبة عهد بطرد الهكسوس ، الذين ربما اتصلوا بذوى قرباهم فى تلك المناطق ، أو بمن كانوا لايؤمنون بصداقة مصر ، ومن ثم يصبحون ، بمرور الزمن ، خطرا على الولايات الموالية لمصر ، وربما على مصر نفسها ، هذا بالاضافة الى أن سيطرة مصر على أبواب التجارة ، ومداخل الهجرات فى شمال وأطراف العراق(٨١) ٠

وانطلاقا من كل هذا ، فان «أحمس الاول» (١٥٧٥ ــ ١٥٥٠ ق٠م) عندما كتب له نجحا بعيد المدى فى الاستيلاء على «أفاريس» (تانيس ، وهى صان الحجر الحالية بمحافظة الشرقية ، وتقع على مبعدة ٢٠ كيلا الى الجنوب من مدينة المنزلة الحالية) ــ عاصمة الهكسوس ــ وطردهم منها(٨٢) ، ثم محاصرتهم فى مدينة «شاروحين» أعواما ثلاثة ، نجح بعدها فى اجلائهم عنها ، ثم مطاردتهم حتى «زاهى»(٨٣) فى لبنان ،

---

(٨٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٠٧ ٠

(٨١) أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٢٦٩ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٠٥ وكذا

(٨٢) أنظر عن طرد الهكسوس من مصر (محمد بيومى مهران : حركات التحرير فى مصر القديمة ص ١٠١ ــ ٢٢٤) ٠

(٨٣) زاهى : اصطلاح جغرافى استعمل فى الدولة الحديثة للاشارة الى السهل الفينيقى وفلسطين أو الى سورية بمعناها الواسع ٠

وهذا يعنى أن «أحمس الاول» قد أجلى الهكسوس عن المنـاطق التى سكنوها ، والتى لجأوا اليها ، أو سكنها أقوام ينتمون الى جنسهم ، وبالتالى فانه لم يطهر مصر منهم فحسب ، وانما طهر منهم كذلك سورية وفلسطين وفينيقيا ،حتى يغدو بمأمن من غدرهم ومعاودتهم العدوان(٨٤) .

وهناك نص يرجع الى العام الثانى والعشرين من حكم أحمس الاول يشير الى استخدام ستة ثيران مسمنة فى محاجر المعصرة جلبت من بلاد «فنخو» (أى بناة السفن) وهم الفينيقيون ، يقول النص : « الحجر مسحوب بماشية مما استولى عليه جلالته من أراضى الفنخو» ، وان كان هناك شك فى أن هذه الثيران قد جلبت فى حملة ، أو قدمت كجزية من الفينيقيين أو الاسيويين(٨٥) .

وفى عهد تحوتمس الاول (١٥٢٨ — ١٥١٠ ق٠م) اخترقت القوات المصرية منطقة الفرات الى بلاد «نهرين» حيث يحكم ملك الميتان ، فى شمال شرق الشام ، وقرب نهر الخابور والفرات ، دون مقاومة كبيرة من الدويلات السورية ، ثم أقام لوحة تذكارية على ضفة الفرات عند قرقميش(٨٦) .

وفى عهد حفيده العظيم «تحوتمس الثالث» (١٤٩٠ — ١٤٣٦ ق٠م) والذى وصلت الامبراطورية المصرية فى عهـده الى أقصى اتسـاعها ، شارك الفينيقيون فى معركة «مجدو» والتى اشترك فيها ٣٣ ملكا وأميرا

---

84) J. H. James, CAH, II, Part, I, 1973, P. 289-305.

وكذا

J. H. Breasted, ARE, II, 1906, P. 1-11.

وكذا

A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 168-169, JEA, 5, 1918, P. 48 F, 37, 1951, P. 71.

(٨٥) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٢٠٣ ، وكذا

J. H. Breasted, ARE, II, No. 27.

(٨٦) محمد بيومى مهران : اخناتون ص ١٤ — ١٧ ، وكذا

A. Gardiner, Op. Cit., P. 178-179.

J. H. Breasted, ARE, II, P. 34-35, 40,202.

من دويلات ومدن سورية وفلسطين وفينيقيا بقيادة أمير قادش[٨٧] .

وفى العام الثالث والثلاثين من الحكم ، قام تحوتمس الثالث بحملته الثامنة (حوالى ١٤٥٧ ق٠م) ونقرأ فى لوحة «نباتا» أن جلالته قد أمر بصنع السفن فى «جبيل» ، وأن تنقــل برا الى قرقميش على عربات تجرها الثيران ، ثم يعبر بها نهر الفرات ، حيث يسجل نصرا عسكريا على عدوه ملك الميتان ، وعلى أى حال ، فلئن كان الطريق من بيبلوس يمر عبر قطنة وتوينب (قرب حلب) وقرقميش ، فان معنى هذا أن نقل هذه القوات قد قطع أكثر من ٢٥٠ ميلا ، كما أن استخدام عربات تجرها الثيران من ذوات الاربع عجلات ، ظاهرة غير متوقعــة تماما ، ولعلها كذلك من أقدم ، ان لم تكن أقدم ، المرات التى استخدمت فيها السفن الحربية فى التاريخ لعبور جيش كبير على نهر واسع كنهر الفرات[٨٨] .

وتدل الحملة ، دونما أى ريب ، على سيطرة تحوتمس الثالث على ثغور فينيقيا بصفة خاصة ، وسورية وفلسطين بصفة عامة ، كما تدل فى الوقت نفسه على ولاء مدينة بيبلوس للفرعون ، ذلك لانه لولا هذا الولاء من بيبلوس ومن حــولها من الامارات للفرعــون ، لما استطاع تحوتمس الثالث تنفيذ هذا المشروع الخطير،والاول من نوعه فى التاريخ.

وفى عصر العمارنة أدرك «شوبيلو ليوما» (١٣٧٥ ــ ١٣٣٥ ق٠م) ملك الحيثيين ، أثناء صراعه مع ميتانى ، التى أنقذتها مصر منه على أيام أمنحتب الثالث (١٤٠٥ ــ ١٣٧٦ ق٠م) ، أنه لن يتمكن من تحقيق

---

(٨٧) أنظر عن معركة مجدو (محمد بيومى مهران : مصر ــ الجزء الثالث ص ٢٠٣ ــ ٢١٥ .

J. H. Breasted, Op. Cit., P. 157-188.
J. A. Wilson, ANET, 1966, P. 234-237-241.
وكذا A. Gardiner, Op. Cit., P. 189-193.
وكذا H. H. Nelson, The Battle of Megiddo, 1915.
R. O. Faulkner, The Battle of Megiddo, JEA, 28, 1928, P. 2 F.

(٨٨) أنظر : محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٢١٥ ــ ٢١٧ وكذا

J. H. Breasted, Op. Cit., P. 202-203.
M. B. Reisner, JEA, 6, 1920, P. 28.

أغراضــه فى غربى آســيا (سورية وفلسطين وفينيقيــا) مادام النفوذ المصرى قويا ، ومادام أمراء تلك المناطق على ولائهم لفرعون، ومن ثم فقد أخذ يؤلب هؤلاء الامراء ليشقوا عصا الطاعة على الفرعون.

وقد استجاب لدعوة الملك الحيثى «ايتوجاما» أمير قادش ، الذى بسط نفوذه على سهل سورية الشمالى وهزم الامراء الموالين لمصر ، ثم «عبدى شرتا» أمير الاموريين ، الذى تمكن من بسط نفوذه عنوة على حساب جيرانه ، فاحتل عرقة وقطنة وحماه ونى فى الداخل ، ثم احتل أرواد ، وهاجم سيميريا على الساحل .

وفى نفس الوقت كان هناك «ربعدى» أمير جبيل ، الموالى لمصر ، والذى ظل طوال حياته يرسل توسلاته اليائسة الى فرعون يطلب العون ضد «عبدى شرتا» وولده «عزيرو» اللذين كان الواحد منهما بعد الاخر، يحاول القضاء على النفوذ المصرى فى فينيقيا وسورية الشمالية ، وفى نفس الوقت كان يرسل لفرعون رسائل الخضوع والعبودية ، وقد نجح عزيرو بصفة خاصة فى اخفاء خيانته لفرعون حينا من الدهر(٨٩) .

وتقدم لنا رسائل العمــارنة كثيرا من رســائل الامراء الفينيقيين الموالين لمصر ، والذين يحذرون فرعون من تدخل الحيثيين والاموريين فى شئون المدن الفينيقية ، فهاهو «اكزى» أمير قطنة ، يكتب لامنحتب الثالث طالبا منه أن يرسل اليه رماة الاقواس(٩٠) ، ثم يكتب مرة ثانية الى فرعون ينبئه بأن قطنــة ورجالها قد أخــذهم ملك حــاتى وأمير الاموريين(٩١) ، وفى رسالة ثالثة يخبر الفرعون بأن جيوش الحيثيين

89) S. A. B. Mercer, The Tell-El-Amarna Tablets, I, Tornto, 1939, P. 21, 185, 207.

وكذا A. C. Stanly, CAH, III, 1965, P. 312.

A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 231.

K. A. Kitchen, Suppiluliuma and The Amarana Pharaohs, Liverpool, 1962.

90) S. A. B. Mercer, Op. Cit., I, P. 229.

91) Ibid., P. 237.

قد توغلت فى منطقة نفوذه فى وادى الاورنت ، واستولت على تمثال للمعبود «(أمون رع)» عليه اسم الفرعون ، ثم أحـرقت المدينـة عند عودتها[٩٢] .

ويكتب «ربعدى» أمير جبيل بأن قوم حاتى أحرقوا الاراضى ، وأنهم يجمعون الجنود لفتح جبيل[٩٣] . وعندما تزداد الامور سوءا على أيام «(أمنحتب الرابع)» (اخناتون ١٣٧٦ ـ ١٣٥٠ ق٠م) يكتب «ربعدى» (رب آدى) الى اخناتون قائلا «فلينصت الملك مولاى الى كلمات خادمه، ولتأت العربات ورماة الاقواس ، لتحمى مدينة الملك مولاى ، ومدينة خادمه ، حتى يحضر الملك بنفسه»[٩٤] ، وفى رسالة أخـرى يطلب من فرعون أن يرسل اليه أربعمائة رجل وثلاثين زوجـا من الخيل[٩٥] ، بل انه فى رسالة ثالثة يطلب فقط عشرين زوجا من الخيل ، وهو قادر بهم وحدهم على التقدم ضد أعداء الملك ، لان الشعب بأعداده الكبيرة معه «(ومع الملك)»[٩٦] .

وينتهى الامر بأن يصبح «ربعدى» محصورا فى مدينته «(جبيل)» ، وقد حاول «ينخامو» (قائد جيوش الملك هناك) فى أثناء ذلك أن يأتى بنجدة من «سيميريا» ، ولكن دون جدوى ، فقد كان أولاد «عبدى شرتا» يحاصرون المدينة برا ، بينما تحاصرها سفن «(أرواد)» بحرا ، وتنتهى الامور بقيام ثورة فى جبيل ضد ربعدى ، بقيادة أخيه ، وهو فى زيارة لمدينة بيروت ، ويستولى الاموريون على المدينة[٩٧] .

وأما «(زيمردا)» حاكم صيدا ، فقد كان خائنا لفرعون ، والواقع أنه لم يكن ربعدى وحده هو الذى اتهمه بالعمل ضد مصالح الملك مولاه ، وانما هناك كذلك «(أبيملكى)» حاكم صور ، والذى كان متهما بمساعدة

92) Ibid., P. 239.
93) Ibid., P. 215.
94) Ibid., P. 311.
95) Ibid., P. 303.
96) Ibid., P. 303.
(٩٧) انظر : محمد بيومى مهران : اخناتون ص ٢٥٦ ـ ٢٦٠ .

«عزيرو» عدو الفرعون ، كما كان على نزاع مع «زيمردا» الذى ادعى أن ابيملكى قد أخذ منه مدينته صيدا[٩٨] .

هذا وقد كتب «خـامونيرى» (أمونيرى) أمير بيروت ، فى نفس الوقت الذى سقطت فيه جبيل تقريبا ، يشكو للفرعون من أمراء مدن فينيقية أخرى كانوا يهددون مدينته بيروت[٩٩] .

وهناك عدة رسائل من «أبيملكى» أمير صور ، من «زيمردا» حاكم صيدا ، وعزيرو الامورى عدو الفرعون ، وشعب أرواد ، ففى احدى هذه الرسائل يقول لفرعون «قد أقسموا ، وأعادوا القسم فيما بينهم ، وجمعوا سفنهم وعرباتهم ومشاتهم ، لغزو صور ، خادمة الملك ، غير أن يد الملك القوية قد وصلت ، فهزمتهم صور وضربتهم ، ولم يستطيعوا غزوها ، ولكنهم هزموا سيميريا بنصيحة زيمردا ، الذى أتى بكلمة الملك الى عزيرو»[١٠٠] .

وفى رسالة أخرى كتب «أبيملكى» الى اخناتون يقـول «فمنذ أن سمعوا اسم الملك واسم جيشه ، فانهم يشعرون بخوف عظيم ، حتى الذين لا يتبعون الملك»[١٠١] ، وفى رسالة رابعة يقـول : «ابيملكى» : «الى الملك مولاى وسيدى ، هكذا يقول ابيملكى خادمك ، سبع مرات وسبع مرات أسقط على قدميك ، ان الذى قاله الملك مولاى قـد نفذ ، ان كل الارض قد ارتعدت من جنود الملك مولاى ، لقد سمحت لشعبى بأن يبحروا بالسفن لمقابلة جنود الملك مولاى[١٠٢] .

وأيا ما كان الامـر بالنسبة لموالى مصر فى بلاد الشـام ، وأيهم

98) F. J. Giles, Ikhnaton, legend and history, London, 1970, P. 176.
وكذا
S. A. B. Merer, Op. Cit., 11, 1939, P. 489 F, L. 59-68.

99) F. J. Giles, Op. Cit., P. 176

100) S. A. B. Mercer, Op. Cit., 11, P. 489.

101) J. A. Knudtzon, Op. Cit., P. 615.

102) F. J. Giles, Op. Cit., P. 177.

الصادق في رسائله ، وأيهم الكذوب ، فضلا عن المخلص منهم والخائن لسيده الفرعون ، فليس هناك من شك في أن الضعف انما بدأ يدب في جسم الامبراطورية المصرية في غربي آسيا ، منذ أخريات أيام أمنحتب الثالث ، ثم كانت ثورة العمارنة الدينية ضربة قاسية وجهت الى الامبراطورية المصرية .

وأيا كان السبب في هذا الموقف الجديد،وأن سياسة اخناتون في أن يربط بلاد الشام بمصر برباط العقيدة ، فالذي لاشك فيه أن الفرعون قصر في آداء واجبه كملك ، تقع عليه وحده مسئولية الحفاظ على الامبراطورية المصرية ، لانه كان حرا في تصرفاته ازاء ممتلكاته ، ولم تكن بلاد الشام تختلف عن مصر نفسها ، فكلاهما من أملاك فرعون ، ومن حقه أن يتصرف في الواحدة منهما كما يتصرف في الاخرى ، طبقا لمصلحة التاج المصري ، فضلا عن المصلحة العامة لكلا القطرين[١٠٣] .

وعلى أية حال ، فلقد بدأت مصر تعمل على استعادة وحدة البلدين في ظل التاج المصري في أعقاب أيام اخناتون ، وتحدثنا بقايا مقبرة القائد «حور محب» في منف عن حملة كللت بالنصر في غربي آسيا وأن القائد «حور محب» كان عند قدمي سيده الفرعون في ساحة القتال في يوم ذبح الاسيويين[١٠٤] .

هذا ويرجح البعض أن هذه الحملة انما كانت في أخريات أيام اخناتون ، وان رأى آخرون انها كانت على أيام «توت عنخ آمون» (١٣٣٩ — ١٣٣٥ ق٠م) ، وأنها كانت تهدف الى استعداة الهيبة المصرية في غربي آسيا ، والاستيلاء على الجزى الاسيوية التى بدأت تتدفق من

---

103) A. Weigall, The Life and Times of Akhnaton, Pharaoh of Egypt, London, 1943, P. 200-205.
James Baikie, The Amarna Age, London, 1926, P. 341.

104) Wilson, ANET, 1966, P. 250.
A. Gardiner, JEA, 39, P. 4.

جديد على خزائن فرعون[١٠٥] .

وفى عصر الاسرة التاسعة عشرة ، وعلى أيام ثانى ملوكها «سيتى الاول» (١٣٠٩ — ١٢٩١ ق٠م) تقوم مصر بمحاولة جديدة لاسترداد امبراطوريتها المفقودة فى غربى آسيا ، وتنجح فى فرض هيبة النفوذ المصرى فى سورية الجنوبية ، والى حد كبير فى فينيقيا ، وأن تسيطر على اقليم مولى سورى من موالى الحيثيين[١٠٦] .

ويخلف رعمسيس الثـانى (١٢٩٠ — ١٢٢٤ ق٠م) أباه «سيتى الاول» على عرش الفراعين ، ويبدأ حـكمه بمتابعة الانتصارات التى حققها أبوه فى فلسطين ، ثم مدها الى الشمال فى سورية وفينيقيا ، وفى العام الرابع من عهد الفرعون (حوالى ١٢٨٦ ق٠م) يعبر الفرعـون بقواته فلسطين وفينيقيا حتى نهر الكلب شمـالى بيروت ، حيث أقام لوحة تذكارية ، غير أن المعـركة الحاسمة انمـا كانت فى العام التالى (١٢٨٥ ق٠م) فى قادش بين الفرعون وملك الحيثيين «مواتيلا» حيث انضم اليه الكثير من امراء سورية الشمالية وفينيقيا ، وتشير الادلة الى أن الفرعون قد تقدم بالجزء الرئيسى من جيشه من الجنوب عن طريق البقاع ، بينما اتخذت احدى فرقه (فيلق ست) طريقها فى أمور ، فى المنطقة شمال جبيل (بيبلوس) ، وان كان الطريق الاكثر احتمالا ، انما كان المتوغل شمالا عن طريق نهر الكلب ووادى «اليوثيروس» (الليطانى)

---

(١٠٥) دريوتون وفانديه : مصر — ترجمة عباس بيومى — القاهرة ١٩٥٠ ص ٤٦٦ — ٣٦٧ ، وكذا

وكذا J. H. Breasted, A History of Egypt, 1946, P. 407.

وكذا ARE, III, P. 11.

W. C. Hayes, The Scepter of Egypt, II, N. Y., 1959, P. 303-304.

H. E. Winlock, BMMA, XVIII, 1923, P. 6.

(١٠٦) انظر : (محمد بيومى مهران : اخناتون ص ٢٨١ — ٢٨٧ ، وكذا : مصر والعالم الخارجى فى عصر رعمسيس الثالث ص ٨٣ ، دريوتون وفانديه : المرجع السابق ص ٤٧٠ ، وكذا

L. Cottrell, The Warrior Pharaohs, 1968, P. 111-113.

R. O. Faulkner, JEA, 33, 1947, P. 38-39.

الذى يقود مباشرة الى قادش ، والتى كانت قد اتخذت كمكان تجمع فى استراتيجية المعركة ، مما يشير الى أن فينيقيا انما كانت فى قبضة الفرعون ، أو على الاقل قد أعاد هيبة مصر فيها كاملة(١٠٧) .

وعلى أية حال ، فان هناك ما يشير الى أن رعمسيس الثانى انما قد اضطر فى عام حكمه الثامن (حوالى عام ١٢٨٢ ق٠م) الى الخروج الى غربى آسيا لاخضاع المدن الثائرة ، وقد كتب له نجحا بعيد المدى فى سورية وفلسطين وفينيقيا ، ثم يتقدم شمالا حيث يوقع بالحيثيين هزيمة ثانية فى «تونيب» ، وتلقين مملكة حاتى درسا قاسيا أجبرها على احترام السيادة المصرية فى غربى آسيا ، وعدم التدخل فى أمر ولاياتها(١٠٨) .

وجاء مرنبتاح (١٢٣٤ — ١٢١٤ ق٠م) بعد أبيه رعمسيس الثانى، وهناك ما يشير الى تعرض دولة الحيثيين الى متاعب كثيرة فى عهده ، فانتشرت المجاعات وعمت الفوضى ، مما اضطر فرعون الى أن يرسل الى حاتى مددا من القمح ، هذا فضلا عن أن آسيا الصغرى وفينيقيا وشمال سورية انما بدأت تتعرض لهجوم طلائع شعوب البحر ، وهناك ما يشير الى أن فرعون انما قد أرسل جنودا لمساعدة «أوجاريت» (رأس الشمرة) للدفاع عن نفسها ضد شعوب البحر .

هذا وقد ظلت مصر على أيام «رعمسيس الثالث» (١١٨٢ — ١١٥١ ق٠م) ثانى ملوك الاسرة العشرين ، ماتزال تحتفظ بامبراطوريتها الاسيوية كاملة ، وكان خط الحدود المصرية عند «زاهى» فى لبنان ، وهناك ما يشير الى أن الرجل قد اضطر الى اخماد ثورة فى «أمور»

---

108) A. H. Gardiner, The Kadsh Inscriptions of Ramsess, II, Oxford, 1960, P. 7-10.

H. Goedick, JEA, 52, 1966, P. 72-79.

(١٠٨) محمد بيومى مهران : مصر والعالم الخارجى فى عصر رعمسيس الثالث ص ٩٠ ـ ٩٣ ، وكذا

K. A. Kitchen, JEA, 50, 1964, P. 68-69.

J. Kuentz, BIFAO, 55, 1928, P. 14.

ربما نشبت بسبب تهديد شعوب البحر لشمال سورية وفينيقيا(١٠٩) •

وكانت السنة الثامنة من عهد رعمسيس الثالث (حوالى عام ١١٧٤ ق•م) من أقسى السنوات على مصر ، فضلا عن امبراطوريتها الاسيوية. فلقد واجهت فيها البلاد تهديدا خطيرا ، ذلك لان شعوب البحر قد أتت فى موجة كبيرة ، تقدم بعضها عن طريق البحر ، وتقدم البعض الاخر عن طريق البر ، بغية احتلال مصر ، أو سورية وفلسطين وفينيقيا على الاقل ، ثم الاستقرار الدائم فى تلك البلاد ، ومن ثم فقد جاءوا ، وفى ركابهم زوجاتهم وأطفالهم ، وكثير منهم قد ركب عجلات تجرها الثيران التى تميزت بسنام يعلو رقابها،وهكذا تحركت الهجرات من شعوب البحر جنوبا فى آسيا الصغرى ناشرة الخراب فى الاناضول وسيليسيا وسورية وفينيقيا ، ثم اتخذت لها مركزا فى أمور ، وتشير النصوص الى أن شعوب البحر (وبخاصة البلست) قد دمروا صيدا ، وربما كان الارجح نهب وتخريب فى فينيقيا ، وليس تدميرا بالمعنى الحرفى للكلمة •

وعلى أية حال ، فلقد كان رعمسيس الثالث على أهبة الاستعداد ، فلقد سبق المهاجمين فى تحصين حدوده وخاصة عند زاهى : كما جمع أسطولا ضخما وزعه على الموانى الشمالية ، ثم خرج على رأس جيشه حتى وصل الى زاهى ، حيث دارت بينه وبين شعوب البحر معركة برية فى بلاد الاموريين ، هزم على أثرها المهاجمون شر هزيمة •

وتقدم لنا مناظر مدينة هابو فى طيبة الغربية (الاقصر) منظرا لفرعون فى عربته ، وهو يهجم فى قلب قوات شعوب البحر الذين ساد بينهم الارتباك وسوء النظام ، ويساعده مشاة مصريون ، فضلا عن الفرسان وجنود الماريانو ، ويشاهد شعوب البحر وهم يرخون لسيقانهم العنان كما يفرون فى عرباتهم ، كما تفر نساؤهم وأطفالهم بأمتعتهم المحملة

---

109) W. Edgerton and J. Wilson, Historical Records of Ram[illegible], III, Chicago, 1936, P. 22-23.

وكذا G. A. Wainwright, JEA, 46, 1960, P. 24-28.

على عربات ثقيلة تجرها ثيران ذات سنام يعلو رقابها ، وهكذا نجح رعمسيس الثالث فى أول لقاء بينه وبين هؤلاء المتبربرين ، واستطاع أن ينال منهم وأن يهزمهم شر هزيمة ، وأن ينقذ امبراطوريته الاسيوية منهم ، وبدهى أن هذا النصر المؤزر للفرعون وجيوشه انما يمثل أحد أدوار البطولة المصرية التى يسجلها التاريخ لمصر فى القضاء على هذه الموجة الغاشمة التى تتعرض لها الحضارة الانسانية من عصر الى عصر(١١٠) .

وهكذا استطاع رعمسيس الثالث الحفاظ على الامبراطورية المصرية فى غربى آسيا ، الا أن خلفاءه لم يستطيعوا الحفاظ عليها ، صحيح أن هنالك بعض الادلة الاثرية من عهود الفراعين : رعمسيس الرابع والسادس وغيرهما ، ولكنه صحيح كذلك أن مثل هذه الاشياء الصغيرة لا تدل على معان قوية لها قيمة تاريخية من ناحية سلطان مصر على غربى آسيا ، بل ان العكس صحيح ، فهناك ما يدل على أن العلاقات بين مصر ومستعمراتها الاسيوية انما كانت شديدة الضعف فى أخريات أيام الاسرة العشرين ، حتى رأينا حاكم بيبلوس يعتقل رسلا مصريين فى عهد رعمسيس التاسع مدة سبع عشرة سنة ، دون أن يسمح لهم بالعودة الى مصر .

هذا وتقدم لنا رحلة «ون آمون» دليلا على اضمحلال النفوذ المصرى فى فينيقيا ، فلقد ذهب «ون آمون» مبعوثا من كهنة آمون ، ليجرى مفاوضات شراء خشب الارز من بيبلوس فى عهد رعمسيس الحادى عشر ، آخر ملوك الاسرة العشرين ، فسرقه ملاح فى سفينة فينيقية ، كما تعرض لتهديدات الثيكر المتكررة ، ولم يتم مهمته الا بعد مساومات مهينة من ملك بيبلوس(١١١) .

---

(١١٠) انظر : محمد بيومى مهران مصر ـ الجزء الثالث ص ٣٧٣ ـ ٣٨٠ ، حركات التحرير فى مصر القديمة ص ٢٥٧ ـ ٢٦٤ وكذا W. Edgerton and J. Wilson, Op. Cit., P. 35-55.

(١١١) انظر :

=

(٥) فى عهد الانتقال الثانى (الاسرات من ٢١ الى ٢٥):

هناك ما يشير الى أن «سمندس» (نسى بانب دد) والذى كان يحكم مصر الوسطى والدلتا بعد موت آخر ملوك الدولة الحديثة «رعمسيس الحادى عشر» حوالى عام ١٠٨٧ ق٠م ، من عاصمته تانيس (صان الحجر — مركز فاقوس) كان يأتى بالاخشاب لمصر من فينيقيا عن طريق جبيل ، وليست هناك أسباب تدعو الى الاعتقاد بتغيير هذه السياسة، وكانت سورية وفلسطين وفينيقيا قد انفصلت عن مصر وقتذاك،وسرعان ما انقسمت الى امارات صغيرة ، مثل فينيقيا وبلستيا واسرائيل ومؤاب وأدوم وآرام ، ولكن الروابط التجارية والثقافية قد استمرت مع القوى الكبرى على ضفاف النيل والفرات •

وفى عهد الاسرة الثانية والعشرين ، قام «شيشنق الاول» (٩٤٥ — ٩٢٤ ق٠م) رأس الاسرة بحملته المشهورة على فلسطين حوالى عام ٩٣١ ق٠م (وربما حوالى عام ٩٢٦ أو ٩٢٥ ق٠م) ، والتى أراد منها ، فى الدرجة الاولى ، استعادة الامبراطوية المصرية فى غربى آسيا من جديد ، وقد امتد نطاق هذه الحملة ، حتى شرق الاردن ، من ناحية الشرق ، وحتى الساحل السورى من ناحية الغرب ، وأما فى الشمال فقد وصلت الى سهل يزرعيل والجليل ، كما امتدت جنوبا حتى عصيون جابر ، على خليج العقبة ، وحتى حبرون وبئر سبع ، وان كانت نقوشه التى سجلت انتصاراته على الجدران الجنوبية الخارجية لبهو الاعمدة الكبير فى معبد الكرنك لا تذكر مدنا فينيقية مشهورة[١١٢] •

G. Lefebvre, Romains of Contes Egypt, P. 204- 220. =
Leclant, les Relations entre L'Egypte et la Phenicie du Voyage d'Ounamon a L'expedition d'Alexandre, Beirut, 1968, P. 9-31.
A. Gardiner, Late Egyptian Stories, Brussels, 1952, P. 61-76.
A. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1964, P. 306-314.
(١١٢) موك أول ١٤/٢٥ — ٢٧ ، أخبار أيام ثان ١٢/٢ — ٤ ، وكذا
A. Gardiner, Op. Cit., P. 229-230.
K. Kenyon, Archaeology in The Holy London, 1970, P. 272-274.
K. Kitchen, The Third Intermediate Period in Egypt, Oxford, 1972, P. 294-300.
=

وعلى أية حال ، فان هنـــاك ما يشــير الى أن «شيشنق الاول» ، وخلفاءه ، انما قد أعادوا العلاقات الطيبة مع امراء بيبلوس ، والتى ترجع الى أقدم العصور ، حيث كانت مصر تستورد من هناك خشب الارز ، وان توقفت هذه العلاقات الى حد ما على أيام الاسرة الحادية والعشرين وهـكذا فلقد أهـدى « شيشنق الاول » تمثالا جالسا له الى معبد سيدة جبيل ، وربما يشير هذا الى عودة العلاقات التجـارية والسياسية مع ملك جبيل (أبى بعل)[113] .

وفى عهد «أوسركون الثانى» (٨٧٤ — ٨٥٠ ق٠م) اشتركت مصر بعدد رمزى من جنودها فى موقعة «قرقر» (قرقار) المشهورة فى عـام ٨٥٣ ق٠م والتى كانت تتكون من حلف يضم اثنى عشر ملكا من ملوك وأمراء سورية وفينيقيا وفلسطين والاعـراب ضد العـاهل الاشورى «شلمنصر الثالث» (٨٥٩ — ٨٢٤ ق٠م)[114] .

وفى عهد «شبتكـو» (٧٠٢ — ٦٩٠ ق٠م) من الاسرة الخـامسة والعشرين ، وأثناء الغزوات الاشورية على سـورية وفينيقيا ، تكون حلف يضم فينيقيا وفلسطين ومؤاب وأدوم وعمون ويهوذا ، مع بعض القبائل البدوية ، وفوق الجميع كانت مصر ، ضد العـاهل الاشورى «سنحريب» (٧٠٥ — ٦٨١ ق٠م) ولكنه انسحب من الميدان فجأة ، وعاد الى عاصمته نينوى .

وجاء «طهراقا» (٦٩٠ — ٦٦٤ ق٠م) بعد شبتكـو ، وبدأ ينظم المقاومة ضد الاشوريين فى غربى آسيا ويتعاون مع أمرائها ، وخاصة

= A. T. Olmstead, History of Palestine and Syria, 1931, P. 355.
M. Noth, ZDPV, 61, 1938, P. 278-280, PEO, 104, 1972, P. 30.
Y. Tharoni, The Land of The Bible, London, 1966, P. 288-289.

113) R. Dussaud, Syria, 5, 1924, P. 145-147.

(١١٤) انظـر :
J. B. Pritchard, The Ancient Near East, Princeton, 1950, P. 188.
A. L. Oppenheim, ANET, 1966, P. 278-279.
J. Finegan, Light from The Ancient Past ..., Princeton, 1969, P. 24.

أمراء صور وصيدا فى صد الاشوريين ، وقد نجح «طهراقا» فى هزيمة الاشوريين هـزيمة منكرة حـوالى عـام ٦٧٤ ق٠م ، جعلت الامراء السوريين ، وعلى رأسهم ، بعل صـور ، ينضمون تباعا الى الفرعون المصرى طهراقا(١١٥) ٠

(٦) فى عصر انهضة (الاسرة السادسة والعشرون) :

كانت سياسة مؤسس الاسرة السادسة والعشرين «بسماتيك الاول» (٦٦٤ ـ ٦١٠ ق٠م) وولده « نخـاو الثانى » (٦١٠ ـ ٥٩٥ ق٠م) الحفاظ على دولة آشور الضعيفة ، كحاجز بين مصر وبين القوى الخطيرة فى الشرق ، والتى تهدد الان آشور فى المقام الاول ، ولكنها على العموم ربما تتجاوز فى الغد القريب كل الشرق القديم ، وأخيرا لكى تسترجع مصر امبراطوريتها المفقودة فى غربى آسيا ، ومن ثم فقد أسرع «نخاو الثانى» بقواته لمساعدة العاهل الاشورى (أشـور ـ أو بالط الثانى) القابع فى «حران» أملا فى عون يأتيه من السماء عن طريق مصر ، غير أن القوات المصرية لم تصل اليه الا بعد سقوط حـران تحت أقدام البابليين فى عام ٦١٠ ق٠م ، وكانت «نينوى» قد سقطت فى عام ٦١٢ ق٠م ، وربما فى أغسطس عام ٦١٣ ق٠م(١١٦) ٠

على أن «نخاو الثانى» ، رغم أنه لم يوفق فى انقاذ آشور ، الا أن قواته ظلت تسيطر على منطقة عبر الفرات ، بعد أن استولت فى عـام ٩٠٦/٩٠٥ ق٠م،على معقل «كيموخو» ، وهزموا البابليين فى «قوراماتى»

---

(١١٥) أنظر : محمد بيومى مهـران : اسرائيل ٢/٩٧٠ ـ ٩٧٨ ، ملوك ثان ٣٥/١٩ ، اشعياء ٣٦/٣٧ ، وكذا
M. Noth, Op. Cit., P. 268-269.
J. Bright, A History of Israel, 1972, P. 296-308.
B. Mozar, IEJ, 10, 1960, P. 72-77.
ANET, P. 287-288.

(١١٦) أنظر : محمد بيومى مهـران : اسرائيل ٢/٩٨٠ ـ ٩٨١ ، محمد عبد القادر : الساميون فى العصور القديمة ص ٢٤٧ وكذا
M. Noth, The History of Israel, P. 273.
A. Gardiner, Op. Cit., P. 258.

وهما موقعان على الفرات الى جنوب قرقميش ، كما أن «نخاو الثانى» نجح فى أن يخضع المدن الساحلية مثل عسقلون وأشدود وغزة ، وهناك نص بالهيروغليفية عثر عليه فى «صيدا» يشير الى سيطرة نخاو على الساحل الفينيقى سيطرة كاملة ، وقد يسر له ذلك امتلاكه لأسطول فى البحر الابيض المتوسط(١١٧) •

وهناك ما يشير الى أن «نخاو الثانى» قد أنشأ — بجانب أسطوله فى البحر المتوسط ، أسطولا آخر فى البحر الاحمر ، وأنه استغل قدرة الملاحين الفينيقيين وخبرتهم الملاحيـة ، فى الدران حـول افريقيا قبل البرتغاليين بأكثر من ألفى عام ، ويعد «هيرودوت» مصدرنا الاساسى عن هذه الرحلة التى بدأت من البحر الاحمر ، وعـادت الى مصر عن طريق جبل طارق •

وعلى أية حال ، فيكاد من المؤكد الان أن السفن التى أرسلها «نخاو الثانى» بملاحيها الفينيقيين لتقوم بدورة ملاحية حول افريقيا قد نجحت فى هذه المهمة ، حيث قضت فى رحلتهـا ثلاث سنوات دارت فيها حول شواطىء افريقيا ، ثم عادت من بوغاز جبل طارق (أعمدة هيراكليس) محملة بجميع خيرات افريقيـا التى حصلت عليهـا من الموانىء التى مرت بها •

ولعل أهم الادلة على نجاح الرحلة ما ذكره الملاحون من أنهم كانوا دائما يسيرون على مقربة من الشـاطىء ، وكانت الشمس تشرق عن يسارهم ، ولكنهم وصلوا الى نقطة فاذا بهم يرون أن الشمس تحولت

---

(١١٧) ارميا ٤٧/٨ ، وكذا : محمد بيومى مهران : مصر ٢/٢٧٩ — ٢٨١ ، وكذا

D. J. Wiseman, Chronicles of Chaldaean Kings, London, 1965. P. 23, 67.

A. Gardiner, Op. Cit., P. 358.

J. Yoyotte, Nechao, P. 372.

M. Noth, Op. Cit., P. 280

S. A. Cook, Op. Cit., P. 396-397.

وأخذت تشرق عن يمينهم ، وقد رفض هيرودوت تصديق ذلك ، مع أن هذه النقطة بالذات تدل على صدق أنباء الرحلة ، لان ذلك حدث عندما دارت السفن حول رأس الرجاء الصالح ، وكانت المرة الاولى فى التاريخ التى تمر فيها مثل هذه السفن ، وكان الغرض من الرحلة الكشف والمعرفة واظهار المهارة الملاحية ، وفتح أسواق للتجارة ، ولابد وأنه قد مهدت له معارف وارهاصات سابقة(١١٨) .

وعلى أية حال ، فهناك ما يشير الى قيام «بسماتيك الثانى» (٥٩٥ — ٥٨٩ ق•م) بحملة الى فينيقيا ، وان كن هناك من يذهب الى أنها لم تكن لاغراض حربية ، مادام الفرعون قد استدعى كهنة كثير من المعابد للاسهام فيها ، وربما لا تعدو أن تكون أكثر من زيارة تفتيشية لميناء جبيل(١١٩) .

وفى عهد «ابريس» (واح ايب رع) تحولت سياسة مصر فى غربى آسيا الى ممارسة القوة ، ولعل السبب فى ذلك رغبة مصر فى الافادة من امكانات قوتها البحرية النامية فى مراقبة موانى الشام لتعطيل مصالح البابليين فيها ، وحتى لا تستغل ضدها ، ثم عودة البابليين الى التوسع الحربى فى فلسطين وحصارهم لاورشليم فى عام ٥٨٨ ق•م ، ومن ثم فسرعان ما عقد تحالف سرى بين الفرعون «ابريس» (٥٨٩ — ٥٧٠ ق•م) وأدوم ومؤاب وعمون وصيدا وصور بحضور صدقيا ملك يهوذا فى أورشليم ، وقد قام الفرعون بالدور الرئيسى فى اتخاذ القرار بالثورة ضد بابل(١٢٠) .

---

(١١٨) محمد بيومى مهران : مصر ٦٤٢/٣ ـ ٦٤٤ ، أحمد فخرى : مصر الفرعونية ص ٤٢٥ ، وكذا

A. Gardiner, Op. Cit., P. 357.

Herodotus, II, 159-160.

119) Kienitz, Die Politische Geschichte Aegyptens, Berlin, 1953, P. 25.

A. Gardiner, Op. Cit., P. 360. وكذا

Vetus Testamentum, 2, 1952, P. 135-136.

(١٢٠) انظر : محمد بيومى مهران : اسرائيل ٩٩٧/٢ ـ ٩٩٩ ، ارميا ٢٢/٢٦ ـ ٢٤ ، ٣٠/٢٧ ، ٥٩/٥١ ، خرقيال ١٧ /١٥ ، ملوك ثان ٢٠/٢٤ ، وكذا

K. Kenyon, Op. Cit., P. 294-296.

ونقرأ فى التوراة أن الجيش المصرى سرعان ما خرج متجهـا الى فلسطين لمساعدة أورشليم ضد البابليين ومن أسف أن الوثائق المصرية صامتة تماما ، ويبدو أن الجيش المصرى بقى حينا من الدهـر يحمى أورشليم ثم تركها بعد ذلك متجها نحو ساحل البحر المتوسط لاحتلال مدن الساحل الفينيقى بعد أن حول اهتمام البابليين عن أورشليم .

وهناك ما يشير الى أن ابريس قد وجه الجيش الى الهجـوم على صيدا وصور ، ثم تحرك بعد ذلك نحو قبرص فاغار عى شواطئها ، ودمر المحطات الفينيقية ، وطرد الاهلين منها ، ثم عاد دون أن يجنى الكثير من وراء ذلك ، وأخيرا سقطت أورشليم ودمر البابليون المدينة المقدسة تماما ، ثم اتجه «نبو خذ نصر» بعد ذلك الى الساحل الفينيقى وفرض الحصار على صور التى صمدت له قرابة ثلاثة عشر عاما (٥٨٥ــ ٥٧٣ ق٠م) ، وربما ساعدها على ذلك سهولة اتصالها بالبحر ، وقيـام الاسطول المصرى بتمـوينها ، مما اثار حفيظة نبوخـذ نصر على مصر وتصميمه على الانتقام المباشر منها[١٢١] .

وفى عهد الاسرة الثلاثين ، وعلى أيام ثانى ملوكها «جد حر» (٣٦٢ــ ٣٦١ ق٠م) قامت فى مصر صحوة أخيرة لاسترداد الامبراطورية المفقودة فى غربى آسيا ، ومن ثم فقد خرج الفرعون على رأس جيشه الضخم الذى لم يسبق تكوينه منذ أيام الدولة الحديثة ، الى آسيا وأحرز عدة انتصارات ساحقة ، فاحتل فينيقيا ، وأعاد الى الاذهان ذكـرى أيام

---

(١٢١) أنظر : ملوك ثان ٢٤/٢٠ ، ارميا ٢٦/٢٢ ــ ٤ ، ٣٤/٧ ، ٣٧/٥ ، ٤٤/٣٠ ، محمد بيومى مهران : حركات التحرير فى مصر القديمة ص ٣٢٣ ــ ٣٣٤ ، وكذا : مصر ٣/٦٥٣ ــ ٦٥٦ ، وكذا

S. A. Cook, Op. Cit., P. 400-401.
W. Keller, Op. Cit., P. 281.
D. J. Wiseman, Op. Cit., P. 94-95.
W. Keller, Op. Cit., P. 280-284.
A. Gardiner, Op. Cit., P. 361-362.
Kienitz, Op. Cit., P. 29.
D. Baramki, Phoenicia and Phoenicians, Beirut, 1961, P. 30.
D. Harden, The Phoenicians, London, 1963, P. 54.

جيوش عصر الامبراطورية الجرارة المنتصرة ، وأصبح أمر استعـادة الامبراطورية المصرية فى غربى آسيا وشيك التحقيـق : لولا أن أتاه الاذى من مأمنه فى مصر وسورية معا •

ففى مصر كان الاذى من وراء نزوة الحكم وشهوة السلطان التى أصيب بها أمراء الدلتا فى تلك الفترة الحرجة من تاريخ الكنانة ، ودفعت مصر ثمنها غاليا ، ذلك أن الفرعون كان قد ترك عنه أخاه نائبا عنه فى مصر ، وأن هذا الاخ التعس قد راودته نفسه فى لحظة قد غاب فيهـا الضمير ، أن يستخلص الحكم لذاته أو لولده «نخت حر حب» ، ومن ثم فقد أرسل اليه ، وكان على رأس احدى فرق الجيش ، يستدعيه من فينيقيا ، وانتهز الملك الاسبرطى الاجير «اجيسلاوس» الفرصة ، وكان مع مستأجره الفرعون فى ميدان القتال ، فعاد الى مصر مع الابن ليلقى منه ومن أبيه جزاء تأييده لهما ، وخيانته لمستأجره السابق (جد حر) •

وأما فى فينيقيا ، فقد تسربت أخبار ذلك الانشقاق فى الاسرة الملكية الى الجنود ، فضعفت عزائمهم ، وفقدوا الثقة فى النصر ، وزاد الطين بلة ، أن أثينا قد استدعت قائدها المحنك «خبرياس» من ميدان القتال•

وهكذا ضاع الامل ، ولجأ «جد حر» (تيوس) الى صيدا ، ثم الى عدوه ملك الفرس ، حيث عاش هناك ومات فى المنفى ، وانتهت الحملة الكبيرة، والتى بدأت بانتصارات ساحقة ، الى لاشىء على الاطلاق[١٣٢] •

---

(١٣٢) محمد بيومى مهران : مصر ٣/٦٨٨ ــ ٦٩٠ ، نجيب ميخائيل : مصر ٢/٣٧٣ ــ ٣٧٤ ، وكذا

F. Daumas, Le Civilisation de l'Egypte Pharaonique, Paris, P. 103, 112, 563.

A. Gardiner, Op. Cit., P. 376.

Diod,, XV, 90-92, XVI, 40, 46.

M. F. Gyles, Pharaonic Policies and Administration (663-323 B. C), Carolina, 1959, P. 45.

الفصل الرابع

الفينيقيون وعلاقاتهم بجيرانهم الاسيويين

أولا : الفينيقيون وبنــو اسرائيل

(١) فى عهد داود وسليمان عليهما السلام :

لعل من أوضح وأهم العلاقات بين الفينيقيين وبنى اسرائيل ، تلك العلاقات التى كانت على أيام داود وسليمان عليهما السلام ، ذلك أن التاريخ يحدثنا أن سيدنا سليمان عليه السلام ، انما بدأ بنو اسرائيل فى عهده يتجهون بنشاطهم التجارى نحو البحر ، بغية الاتجار مع البلاد الواقعة على الابحر ، فضلا عن استيراد ما يحتاجون اليه من خـــارج فلسطين •

غير أن بنى اسرائيل لم يكونوا قد ألفوا ركوب البحر من قبل ، كما أنهم لم يكونوا على خبرة ، أيا كانت ، بشئون بناء السفن وملاحتها ، ومن هنا فقد بدأ سليمان عليه السلام يعمل على تأمين الطرق عبر وادى عربة ، ثم الاتفاق مع «حيرام» (٩٦٩ ـــ ٩٣٦ ق•م) ملك صور على انشاء أسطول من السفن فى ميناء «عصيون جابر» تستغل فيه المهـــارة الفينيقية ، فضلا عن أخشاب الارز الملائمة لبناء السفن[١] •

ومن ثم فقد أرسل «حيرام» الصورى الاخشاب التى حملها ثمانية آلاف من الرجال الى «عصيون جابر» على خـــليج العقبة ، بنى بهـــا سليمان أسطولا من عشر سفن ، وقد عرفنا الكثير عن هذا الاسطول ، حتى أسماء ربانية من الفينيقيين[٢] •

---

(١) أنظر : محمد بيومى مهران : اسرائيل ٧٨٠/٢ ـ ٧٨٢ •
2) W. Keller, The Bible As History, London, 1967, P. 201.

وهكذا أنشيء هذا الاسطول بالخبرة والاخشاب الفينيقية ، كما كان يديره فينيقيون كذلك ، ونقرأ فى التوراة «وقد عمل سليمان سفنا فى عصيون جابر ، التى بجـانب ايله على شاطىء بحـرسوف فى أرض أدوم»[٣] ، ونقرأ كذلك أن حيرام «قد أرسل فى السفن عبيـده النواتى العارفين بالبحر ، مع عبيد سليمان»[٤] ، كما نقرأ كذلك فى التوراة عن أسطول منفصل لحيرام ، أبحر مع أسطول سليمان الى «أوفير»[٥] وأتى من هناك بالذهب والاخشاب النادرة ، والاحجار النفيسة ، وكل ما هو نادر وغريب[٦] .

هذا ولم تقتصر علاقة الفينيقيين مع بنى اسرائيل على النشـاط التجارى فحسب ، وانما امتدت كذلك الى النشاط المعمارى ، ذلك أن «داود عليه السلام» (١٠٠٠ – ٩٦٠ ق.م) ، أراد – قبل أن ينتقل الى جوار ربه ، راضيا مرضيا عنه ، أن يسجل معاونته الفعالة لولده سليمان عليه السلام فى بناء «المسجد الاقصى»[٧] ، والذى يعرف خطأ فى كثير من اكتابات الاوربية ، بل وبعض الكتابات العربية كذلك بـ«هيكل سليمان» ، ومن ثم فقد أخذ داود عليه السلام يجهـز المواد اللازمة للبناء.

وكان اليهود فى عصر داود عليه السلام ، مايزالون فى بداوة بدائية يندر فيهم من يعرف أصول حرفة أو صناعة أو علم من علوم الدنيا ، ومن ثم فقد كان الاعتماد على الفينيقيين هو الحل الوحيد الممكن أمام داود وسليمان عليهما السلام ، حتى يتم بناء المسجد الاقصى ، ونقرأ فى التوراة أن داود قد «أمر بجمع الاجانب الذين فى أرض اسرائيل،

---

(٣) ملوك أول ٢٦/٩ .
(٤) ملوك أول ٢٧/٩ .
(٥) أنظـر عن أوفـير (محمد بيومى مهـران : اسرائيل ٧٨٢/٢ – ٧٩٣) .
(٦) ملوك أول ١١/١٠ – ١٢ .
(٧) أنظـر عن المسجد الاقصى (محمد بيومى مهـران : دراسـات تاريخية من القرآن الكريم – الجزء الثالث – فى بلاد الشام بيروت ١٩٨٨ ص ١١٥ – ١٢٧) .

فاتخذ نحاتين لنحت حجارة مربعة لبناء بيت الله ، وهيأ داود حديدا كثيرا ومسامير لمصاريع الابواب والاوصال ، ونحاسا كثيرا بلا وزن ، وخشب أرز لم يكن له عدد ، لان الصيدونيين والصوريين أتوا بخشب كثير لداود»(٨) .

وهكذا عندما بدأ سليمان عليه السلام فى البناء ، أرسل الى «حيرام» ملك صور بأن يقطعوا له الارز من لبنان ، على أن يعطيه «عشرين ألف كر حنطة طعاما لبيته ، وعشرين كر زيت»(٩) ، هذا فضلا عن الايدى العاملة التى أرسلها حيرام لتجهيز هذا الخشب والحجارة ، لأن الاسرائيليين لم يكونوا مهرة فى أعمال البناء ، على حين كان الفينيقيون بنائين من الطراز الممتاز فى العمارة والفنون(١٠) .

وعلى أية حال ، فان المعلومات التى توفرها لنا التوراة فى الاصحاح السادس من سفر الملوك الاول تتيح لنا بسهولة التأكد من تأثير مصر وبلاد الرافدين ، على الرغم من أن الكاتب التوراتى يشيد باعجاب الى المساعدة الفينيقية ، والى الانفاق الضخم على البناء .

وأيا ما كان الامر ، فيمكن القول — اعتمادا على استخدام المعماريين والبنائين الفينيقيين ، ومن بقايا قصر سليمان — أنه قد اتبع النظام الفينيقى، الامر الذى نادى به من قبل المؤرخ اليهودى «يوسف بن متى» (٣٧ — ٩٨ أو ١٠٠م) ، وكذا المؤرخان (Monander) و (Dios) استخدما حوليات صور كمصدر لها ، ومن ثم فيمكن الاعتماد عليها(١١) .

ثم ربط يوسف اليهودى بين صداقة سليمان لحيرام الصورى، وبين اقتباسه لنماذج البناء ، خاصة فيما يتعلق بالمعبد ، غير أن هذا التخمين

---

(٨) اخبار ايام أول ٢/٢٢ — ٤ .
(٩) ملوك أول ١/٦ — ٢ ، ٢/٧ ، ٥/٦ — ١١ .
(١٠) محمد بيومى مهران : اسرائيل ٨٤٥/٢ — ٨٤٦ .
(١١) نفس المرجع السابق ص ٨٤٦ — ٨٤٧ وكذا
Josephus, Antiquities of The Jews, VIII, 5, 3.

لا يساعدنا على اعادة التصميم ، وذلك لعدم وجود أية بقايا أثرية لمعابد حيرام ، وحتى اذا كانت هناك بقايا يمكن العثور عليها ، فانها لم تكتشف بعد ، وكل الذى نعرفه من يوسف اليهودى أن حيرام قد بنى معابد ، ولكنه لم يذكر لنا أى شىء عن مظهر هذه المعابد وشكلها[١٢] •

وعلى أية حال ، فيبدو أن معبـد سليمان انما كان فعـلا فينيقى الطراز ، ولعل من أهم ما يدل على أن الفينيقيين هم الذين قاموا بالعمل فى عمارة سليمان ، العثور على جزأين من تاج «عمود — سابق للايونى» (Proto - Ionic) والذى يسمى أحيانا (Proto - Aeolic) فى القدس ، فى القمة الشرقية للحافة الشرقية للمدينة المقدسة ، ومعها حجارة منحوتة مبعثرة كانت ، على الارجح ، تشكل حائطا يشبه ذلك الذى كان مقاما فى مدينة «السامرة» التى كشف فيها عن تيجان شبيهة بذلك ، وفى الغالب أنها صنعت على الطراز الفينيقى ، كما وجدت أمثلة لها فى «مجـدو» و «بيت شان» (بيسـان) حيث توجـد مبان من عهـد سليمان عليه السلام[١٣] •

هذا ومن المعـروف تاريخيا ، أنه لم يكن لبنى اسرائيل حتى ذلك الوقت ، الا تقاليد محلية قليلة فى فن العمارة ، ما كانت لتفيد كثيرا فى بناء المعبد ، ومن ثم فقد كان الاعتماد على الفينيقيين ، وعلى أية حال ، فلقد كان للطابعين — المصرى والبابلى — أثر كبير على الفينيقيين الذين اختلطت فنونهم بفنون المصريين من ناحية ، والبابليين من ناحية أخرى ، وطالما تحدثت التقاليد الاسرائيلية عن نشاط الحرفيين الفينيقيين بكل وضوح وتأكيد •

---

12) O. Eissfeldt, The Hebrew Kingdom, in CAH, II, Part, 2, Cambridge, 1975, P. 598.

(١٣) عبد الحميد زايد : القدس الخالدة ـ قاهرة ١٩٧٤ ص ٦٨ — ٧٠ ، وأنظر :

C. W. Mc-Ewan, The Syrian Expedition of The Oriental Institute, AJA, 1937, P. 8 F.

W. F. Albright, Archaeology and The Religon of Israel, Baltimore, 1963, P. 42.

هذا فضلا عن أخشاب الارز التى قام عليها «بيت وعر لبنان» (وهو اسم أطلقته التوراة على جزء من قصر سليمان)[١٤] ، أتت من فينيقيا ، ومن المحتمل أن استخدام الفينيقيين للاعمدة الخشبية كان يؤدى ماتقوم به الاعمدة الحجرية عند المصريين ، ومن ناحية أخرى ، فان مصر وبابل قد استخدمتا — كفينيقيا تماما — أشجار الارز كحــوائط وأسقف أو عوارض من الداخل ، كما أنه من المشكوك فيه أن الحجــر البرونزى المدعم باثنى عشر ثورا هو تجديد للرمزية البابلية ، ولكنه ربما بنى على أنماط فينيقية ، الا أن وجود المذبح فى مواجهة المدخل هو أسلوب بابلى ، وكان يشيد فى بابل من الاجــر ، بينما كان الحجارة أكثــر ملائمة فى فلسطين[١٥] •

(٢) فيما بعد عهد سـليمان :

رغم أن هناك الكثير من الادلة على أن عبادة «البعل» الفينيقية ، قد عادت الى اسرائيل منذ أيام «يربعام الاول» (٩٢٢ — ٩٠١ ق•م) وفى أعقاب الانفصال الذى حدث بعد وفاة النبى الكريم سيدنا سليمان عليه السلام مباشرة ، الا أن التوراة انما تقــدم لنا الملك الاسرائيلى «أخاب» (٨٦٩ — ٨٥٠ ق•م) فى صورة قاتمة ، حيث تشير الى أنه قد اقترف كل أنواع الشر التى اقترفها أسلافه من قبل •

---

(١٤) كان القصر يتكون من عناصر ثلاثة ، أولها «بيت وعر لبنان» ، وكان يستخدم بالتأكيد كترسـانة أسلحة ، وربما كمكـان للمالية فى نفس الوقت ، ويحتمل كذلك أنه استخدم كحوش للاسطبلات ، هذا وقد كان يؤدى نفس الغرض ثلاثة أو أربعة صفوف متوازية ، صنعت من أخشـاب أرز لبنان ، وثانيها : صالة الاعمدة ، والذى لم يعرف للان الغرض الذى استخدمت من أجله ، وثالثهما : غرفة الاجتماعات الكبيرة ، وقد استخدمت كمكان للقضاء ، فضلا عن الاحتفالات الملكية (انظر : ملوك أول ١٠/١٦ — ٢٠ ، وكذا : محمد بيومى مهران : اسرائيل ٨٦٠/٢ — ٨٦١ ، وكذا
(O. Eissfeldt, Op. Cit., P. 596

(١٥) محمد بيومى مهران : اسرائيل ٦٤٩/٢ ، وكذا
K. M. Kenyon, Archaeology in The Holy Land, London, 1970, P. 247.
R. A. S. Macalister, The Topography of Jerunsalem, in CAH, III, Cambridge, 1965, P. 348-349.

ولعل السبب فى ذلك أن «أخاب» قد تزوج من «ايزابيل» ابنة «ايثبعل» ملك صور ، والتى كانت ذات شخصية قوية ، ومن ثم فقد استطاعت أن تسيطر على زوجها تماما ، ولقد أثار هذا الزواج معارضة قوية فى اسرائيل نفسها ، تزعمها النبى «ايلياء» (حوالى عام ٨٥٠ ق٠م) ذلك لان «ايزابيل» لم تأت فى الواقع لاسرائيل بأفكار الحكم المطلق الغريبة عن التصور العبرى التقليدى عن الملكية فحسب[١٦] ، وانما حاولت احلال آلهة الفينيقيين الوثنية شيئا فشيئا محل عبادة الله فى مملكة اسرائيل[١٧] ٠

وليس هناك من ريب فى أن «ايزابيل» وحاشيتها الصورية انما كانوا يمارسون عبادتهم الوثنية الصورية فى معبد أنشىء فى السامرة ، عاصمة اسرائيل ، من أجل هذا الغرض[١٨] ، وعلى أية حال ، فلم تكن هذه الديانات الوثنية هى شعائر الدولة الرسمية ، فلقد بقى «يهوه» ، رب اسرائيل،هو الاله الرسمى بالنسبة للملك «أخاب» وكذا مملكة اسرائيل، وان كان الملك نفسه ، فيما تروى التوراة «قد عبد البعل وسجد له»[١٩]٠

غير أن وجود هذه العبادات الوثنية فى عاصمة الدولة (السامرة) قد أثار مقاومة التقاليد القديمة الصارمة للقبائل الاسرائيلية التى كانت خدمة «يهوه» هو هدفها النهائى[٢٠] ، وقد تزعم «ايليا» النبى الثورة ضد «أخاب» وزوجه «ايزابيل» اللذين جهدا لالغاء عبادة «يهوه» ، واحلال عبادة «البعل» فى مكانها ، فهدما مذابح رب اسرائيل ، وقتلا أنبياءه ، ومن ثم فقد اندفع ايليا فى طول البلاد وعرضها كالاعصار ، مهددا متوعدا ، بأنه لا طل ولا مطر فى هذه السنين ، وفى السنة الثالثة يقول الرب لأيليا «اذهب وتراء لآخاب ، فاعطى مطرا على وجه

16) C. Roth, A Short History of The Jewish People, London, 1969, P. 25.

(١٧) ج ٠ كونتنو : الحضارة الفينيقية ص ٧٤ ٠

(١٨) ملوك أول ١٦/٣٠ ـ ٣٤ ٠

(١٩) ملوك أول ١٦/٣١ ٠

20) M. Noth, The History of Israel, London, 1965, P. 242.

الارض»[٢١] .

ولعل من الاهمية بمكان أن عبادة «البعل» الصورية قد انتقلت من دويلة اسرائيل الى دويلة يهوذا ، وذلك حين تزوج«يهورام» (٨٤٩ — ٨٤٢ ق.م) ملك يهوذا من «عثليا» ، ابنة آخاب وايزابيل ، وقد أثبتت «عثليا» أنها ابنة أمها حقا ، فتحت نفوذها القوى ، ونتيجة لتأثيرهـا غير المحدود على زوجها «يهورام» لم يحتضن «يهورام» عبادة «بعل» صور فحسب ، ولكنه كذلك عقد العزم على تثبيتها كديانة رسمية للبلاد. وربما لكى يزيل المعارضة عن هدفه فى سياسة عبادة الاوثان ، فقد قتل اخوته الستة ، كما قتل كذلك بعض النبلاء ، وان كان من المحتمل كذلك أن التنافس على العرش كان السبب فى هذه المجزرة المروعة[٢٢] .

وأيا ما كان الامر ، فان «عثليا» عندما يقتل ولدها «أخزيا» (حوالى عام ٨٤٣ ق.م) فى «راموت جلعاد» فى معركة ضد ملك أرام ، وتأتى اليها الاخبار فى أورشليم ، عاصمة يهوذا ، وكانت شديدة الرغبـة فى تولى العرش ، ما أن تأتى لها هذه الاخبار ، حتى تسرع فتأمر بقتل أبناء الاسرة المالكة ، وتعلن نفسها ملكة على يهوذا ، كما تعلن فى نفس الوقت عبادة «البعل» الصورى كعبادة رسمية فى البلاد [٢٣] ، بل ان «سيسل روث»[٢٤] انما يذهب الى أن هـذه المرأة القـوية انما كانت تخطط لاقامة أسرة ملكية جديدة فى أورشليم من موطنهـا صور ، أو بالاحرى من موطن أمها «ايزابيل» ، ذلك لان «عثليا» انما هى ابنـة أخاب ملك اسرائيل .

ولعل «سيسل روث» انما نظر الى هذه المرأة من ناحية أمها ، طبقا

(٢١) ملوك أول ١٧/١ — ١٨/١ ، ١٩/ ٢١ ، انجيل لوقا ١٥/٤ ، رسالة يعقوب ١٧/٥ .
(٢٢) ملوك ثان ١٨/٨ — ١٩ ، أخبار أيام ثان ١/٢١ — ٧ .
I. Epstein, Judaism, 1970, P. 47.
(٢٣) ملوك ثان ١/١١ ، أخبار أيام ثان ١٠/٢٢ ، وكذا
I. Epstein, Op. Cit., P. 47.
24) C. Roth, Op. Cit., P. 32.

للتقاليد اليهودية التى ترى أن من كانت أمه يهودية فهو منهم ، لايعنيهم على أى دين كان أبوه ، هو يهودى صميم ، حتى وان ظل أغلف غير مختتن [٢٥] ، ولكن الامر بالنسبة الى «عثليا» انما هو عكس ذلك فهى من أم صورية فينيقية ، ومن أب اسرائيلى •

وعلى أى حال ، فقد انتهى حكم «عثليا» بعد سنوات ست (٨٤٣ — ٨٣٧ ق•م) [٢٦] اما بمؤامرة من الجيش ، أو بتمرد عام ضد عبادة «البعل» الذى جعلت منه عثليا عبادة رسمية فى يهوذا ، وعلى أى حال، فان كلا الرأيين قد وردا فى التوراة فى الاصحاح الحادى عشر من سفر الملوك الثانى [٢٧] •

وأيا ما كان الامر ، فان الامور سرعان ما تتغير فى يهوذا ، ويعيد الملك الجديد «يهوآش» (٨٣٧ — ٨٠٠ ق•م) [٢٨] ، والنبلاء عبادة «البعل» مرة أخرى ، مما أدى فى نهاية الامر الى اغتياله بيد اثنين من عبيده [٢٩] •

ثانيا : الفينيقيون وبلاد الرافدين

(١) فيما قبل الاشورين :

لعل من أوائل الاشارات المبكرة والغامضة التى تدل على علاقة بلاد النهرين بفينيقيا ، تلك التى ترجع الى أيام الملك السومرى «لوجال زاجيزى» (من القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد) ملك الوركاء ، وذلك

25) I. Epstein, Op. Cit., P. 168.

(٢٦) قارن :
W. F. Albright, The Biblical Period from Abraham to Ezra, N. Y., 1963, P.

(٢٧) ملوك ثان ١/١١ — ١٦ ، وانظر :
A. Lods, Israel From its Beginnings to The Middle of The Century, London, 1962, P. 384-385.

(٢٨) أنظر : ملوك ثان ١/١٢ ، اخبار أيام ثان ١٥/٢٣ ، وكذا
W. F. Albright, Op. Cit., P. 166.

(٢٩) ملوك ثان ١/١٢ — ٢١ ، أخبار أيام ثان ٤/٢٤ — ٢٦ ، وكذا
I. Epstein, Op. Cit., P. 47-48.

حين يقول فى أحد نصوصه ان معبوده «انليل» قد جعل شعوب كل البلاد «من البحر السفلى عند دجلة والفرات (الخليج العربى) حتى البحر العلوى (البحر المتوسط) توجه أقدامها نحوه (أى تتجه اليه كقائد لها) ولم يحصل له مناوىء من الشرق الى الغرب» ، ورغم أن بعض الباحثين يحلو له أن يفسر النص بأن الرجل قد بسط نفوذه من الخليج العربى جنوبا ، وحتى البحـر المتوسط شمالا ، فان هنـاك من يرفض هـذا التفسير(٣٠) .

وفى عهد الملك الاكدى «سرجون الاول» (٢٣٧٠ — ٢٣١٥ ق٠م) أول الملوك الساميين العظام فى العراق القديم — نقرأ فى بعض نصوصه أن المعبود انليل قد منحه كل المنطقة من البحر العلوى (البحر المتوسط) الى البحر السفلى (الخليج العربى) ، وأنه قد غسل أسلحته فى البحر المتوسط(٣١) ، ومن ثم فقد ادعى «سرجون الاول» أن المعبود «داجان» قد أعطاه الارض العلوية ، مارى (تل الحريرى) ويارموتى (جنوب بيبلوس) وابلا (بين تل الحريرى وجبيل) حتى غـابة أخشاب الارز وجبل الفضة»(٣٢) .

هـذا ويذهب «بوتيرو» الى أن «يارموتى» تمثل الحـد الجنوبى للتوسع الاكدى جهة الشمال الغربى ، وأن «ابلا» تمثل الحد الشمالى لهذا التوسع ، ولتدعيم هذا الاقتراح يلفت «بوتيرو» النظر الى الفرق بين تعبير «غابة أخشاب الارز» الوارد فى نص سرجون الاول ، وتعبير «جبل الارز» الذى يرد لأول مرة فى نص حفيده «نارام سن» (٢٢٩١—

30) S. N. Kramer, The Sumeirans, Chicago, London, 1970, P. 58-59, 323.

وكذا
C. J. Gadd, The Cities of Babylonia, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, P. 143.

31) A. Poebel, Historical Texts, 1914, P. 175, 181.
وكذا S. N. Kramer, Op. Cit., P. 324.

32) A. L. Oppenheim, Sargon of Agade, ANET, 1966, P. 268.
وكذا S. N. Kramer, Op. Cit., P. 324.

٢٢٥٥ ق٠م) ، ويوصف به «الامانوس» بمعنى أن سرجون لم يقصد الامانوس بالذات ، بل غابة أخشاب الارز عامة التى تتوفــر بالدرجة الاولى فى لبنان ، وأعطت أهمية كبيرة لمينائها الرئيسى جبيل[٣٣] ٠

على أن هناك من يرى أن «غابة الارز» التى ذكرها سرجون الاول هى نفس «الامانوس» ، جبل الارز الذى أشار اليه نص «نارام سن» وعنى بتحديد اسم المنطقة ، ووصف طبيعتها (جبل)[٣٤] ٠

وأيا ما كان الامر ، فان نصوص «نارام سن» تشير كذلك الى حملة فى الشمال الغربى[٣٥] ، ولا نستطيع أن نجزم بما اذا كان هذا النص يعبر عن اخضاع تمرد مدن الغرب ، أم يشير الى حملات جديدة لـ «نارام سن» فى الغــرب ، وخاصة أنه يرجـــح أن «أوليسوم» التى ذكرت نصوص «نارام سن» أنها تمثل أقصى امتداد لأملاك أكد فى غرب الفرات هى ميناء على ساحل لبنان على مقربة من صور وهذا يعنى أن نفوذ «نارام سن» كان موجودا فى هذا الساحل ، وبلغ فعلا البحر العلوى (البحر المتوسط) ، وهــو ما لم نستطيع أن نثبته بشكل واضـــح من فتوحات سرجون الاول التى لم يضف اليها خليفتاه «ريموش» و «مانيشتوسو» الجديد ، بل كل ما فعلاه الحفاظ عليها[٣٦] ٠

(٢) فى عهد الاشوريين :

لم يسفر الضغط السياسى والعسكرى الاتى من المناطق الشرقية على فينيقيا عن نتيجة حــاسمة ، الا عندما انهــارت الدولة الحثية ؛ وظهرت قوة الدولة الآشورية ، وحينئذ أصبح من مبادىء سياسة حكام

---

33) J. B. Bottero, Syria at The Time of the Kings of Agade,.in CAH, I, Part, 2, 1971, P. 324-325.

(٣٤) محمد عبد اللطيف : تاريخ العراق القديم ـ الاسكندرية ١٩٧٧ ص ٢٦٢ ٠

35) J. Bottero, Op. Cit., P. 325-326.
وكذا
A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 268.

(٣٦) محمد عبد لطيف : المرجع السابق ص ٢٨١ ـ ٢٨٢ وكذا
C. J. Gadd, Op. Cit, P. 442.

الرافدين أن يتوسعوا غربا لكى يقبضوا على نهاية الطرق التجارية(٣٧).

هذا فضلا عن أن «آشور» بدأت ، وخاصة منذ أيام «تجلات بلاسر الثالث» (٧٤٥ — ٧٢٧ ق٠م) ، ترى أن امتلاكهـا لسورية وفلسطين وفينيقيا هو الشرط الاساسى لنجاح امبراطوريتها ، فهو لم يكن بالنسبة لحكام بلاد النهرين بسبب ثروة بلاد الشام من أخشاب نادرة فى الشرق، وبسبب ثروتها المعدنية ، وسواحلها الطويلة على شاطىء البحر المتوسط، وتجارتها الغنية فحسب ، ولكنه كان كذلك — وفى نفس الوقت — المدخل الى جنوب شرق آسيا الصغرى من ناحية ، ومصر من ناحية أخرى ، ولهذا فسوى نرى «تجلات بلاسر» فيما بعد ، يتخذ الخطوات الجادة مباشرة ، لضم الاجزاء الاساسية من سورية وفلسطين وفينيقيا ، ومن هنا فانه لم يقنع — كغيره من الحكام الاشوريين — بقبول الجزية ممن يخضعهم من الامراء فى بلاد الشام ، الامر الذى سوف يتبعه الحكام الكلدانيون كذلك»(٣٨) .

وهكذا بدأت آشور تتجه نحو غزو بلاد الشام فى عهد «تجلات بلاسر الاول» (١١١٦ — ١٠٩٠ ق٠م) الذى غزا سورية فى عام ١٠٩٤ ق٠م، وأعلن نفسه فاتحا لآمور كلها ، وبعد أن اجتاز جبال طوروس الى بلاد الحيثيين ادعى الحصول على ولاء جبيل وأرواد وصيدا من المدن الفينيقيه كوريث للحيثيين فى سيطرتهم على سورية ، وربما كانت جبيل تحت حكم زكريا بعل ، وقطع الفاتح الاشورى أخشـاب الارز من جبال لبنـان وأرسلها الى بلاده لبناء هياكل لآلهته ، وفى «سيميرا» ركب «بحر أمورو العظيم» (البحر المتوسط) ثم اتجه الى البر ، وقتل فى طريقه «حصان البحر» أو «درفيلا»،هذا وقد اصطاد عدد من حكام بلاد الرافدين الثور

(٣٧) فيلب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق — بيروت ١٩٥٨ ص ١٥٠ .

(٣٨) محمد بيومى مهران : اسرائيل ٩٣٤/٢ ، وكذا
M. Noth, The History of Israel, London, 1965, P. 253.

البرى فى جبال لبنان(٣٩) .

وبعد قرابة عقدين من الزمان ، تقدم العاهل الاشورى «ناصر بال الثانى» (٨٨٣ — ٨٥٩ ق.م) نحـــو سورية الشمالية ، ثم اتجه الى الجنوب ، وعبر نهر العاصى ودخل لبنان ، ونزل الى البحـــر المتوسط بدون مقاومة ، وهنا تلقى خضوع المدن الفينيقية ، صور وصيدا وجبيل فى حوالى عام ٨٧٦ ق.م ، وأرغمها على أن تدفع الجزية ، وأن يقدم له سكانها الذهب والفضة والنحاس والقصدير والحـــديد والمنسوجات الملونة وكميات من خشب الابنوس والارز والصندل والعاج ، وأقام بهذه المناسبة لوحة تذكارية عند نهر الكلب ، شمالى بيروت(٤٠) .

هذا وقد تلقى «ناصربال الثانى» أيضا هدايا «عمـــرى» (٨٧٦ — ٨٦٩ ق.م) ملك اسرائيل ، عندما كان عند نهر الكلب(٤١) .

وهكذا ، ولأول مرة ، منذ عهد «تجلات بلاسر الاول» يصـــل ملك أشورى الى البحر المتوسط ويتلقى الجزية من عدد من المدن الفينيقية، ويقول الملك الاشورى «لقد استوليت على كل جبـــال لبنان المترامية الاطراف ، ووصلت الى البحر الكبير فى بلاد أمورو ، وغسلت أسلحتى فى البحر العظيم ، وقدمت قرابينى من الماشية للالهة جميعا»(٤٢) .

وفى عام ٨٥٣ ق.م يتقدم «شلمنصر الثالث» (٨٥٩ — ٨٢٤ ق.م)

---

(٣٩) فيلب حتى : المرجع السابق ص ١٥٠ ، لبنان فى التاريخ ص ١٧٣ ، وكذا

D. D. Luckenbill, Ancient Records of Assyria and Babylonia, Chicago, 1927, I, Parag. 302.

(٤٠) فيلب حتى : لبنان فى لتاريخ ص ١٧٤ ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ص ١٥١ ، يوسف مزهـــر : تاريخ لبنان العام ١/٤٦ ، نجيب ميخائيل : سورية ــ لاسكندرية ١٩٦٦ ص ٧٥ ، وكذا

D. Baramki, Phoenicia and Phoenicians, Beirut, 1961, P. 28.

F. C. Eislen, a Study in Oriental history, N. Y., 1907, P. 43.

41) A. Lods, Op. Cit., P. 377.

42) A. L. Oppenheim, ANET, 1966, P. 276.

الى وسط سورية ، ومن ثم فقد تجمع فى «قـرقر» حلف من ملوك الاراميين والفينيقيين والاسرائيليين والعرب والبدو ، يضم اثنا عشر ملكا ، على رأسهم «بنحدد» ملك دمشق ، حيث حدثت الموقعة الشهيرة، ورغم تفاخر «شلمنصر الثالث» بالنصر فى موقعة «قـرقر» (قرقار) هذه ، فان الحقائق التاريخية تقول ان نصره لم يكن حاسما ، ولم يؤد أبدا الى استسلام دمشـق أو اسرائيل أو فينيقيا[٤٣] ، ومن ثم فقد اضطر الى اعادة الكرة مرات بهدف اخضاع سورية وفينيقيا وفلسطين، حتى استطاع فى عام ٨٤٢ ق٠م ، ارغام المدن الفينيقية ، وخاصة صور وصيدا ، على دفع الجزية له[٤٤] .

ويقول الملك الاشورى فى حولياته عن نصره هذا « فى السنة الثامنة عشرة لملكى عبرت الفرات للمرة السادسة عشرة ، وكان حزائيل ملك أرام يثق بجيوشه ٠٠٠ ولكنى حققت سقوطه ، وزحفت الى «بعلى رأسى» وهو رأس فى البحر وأقمت صورتى هناك ، وفى ذلك الحين تلقيت الجزية من رجال صور وصيدا ، ومن ياهو بن عمرى»[٤٥] .

هذا وقد استمرت صيدا وصور تدفعان الجزية للاشوريين فى عهد «أدد نيرارى الثالث» ، الذى قدم الى فينيقيا مرتين فى عامى ٨٠٤ ، ٨٠٣ ق٠م[٤٦] ، و «تجلات بلاسر الثالث» (٧٤٥ — ٧٢٧ ق٠م) وقد أقام «تجلات بلاسر» معسكره الرئيسى فيما بين عامى ٧٤٣ ، ٧٤١ ق٠م فى «أرباد» (أربادو بالاشورية ، وهى تل أرفاد الحالية ، على مبعـدة ٢١ كيلا شمالى حلب) ، ومن هنا أرسل حملة الى دمشق ، ثم فرض الجزية على المدن الفينيقية ، وطبقا لما جاء فى المسلة السوداء ، فقـد

---

43) A. L. Oppenheim, ANET, P. 279.
وكذا D.D. Luckenlill, ARAB, I, No. 611.
J. B. Pritchard, The Ancient Near East, Princeton, 1950, P. 188.
J. Finegan, Op. Cit., P. 24.
J. Montgomery, Op. Cit., P. 27
44) A. Lods, Op. Cit., P. 377.
45) D. D. Luckenbill, Op. Cit., Parag. 672
(٤٦) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١١٢ .

خضع له كذلك «ياهو» ملك اسرائيل ، وقدم له الجزية على هيئة أوان من الذهب والفضة والرصاص(٤٧) .

هذا ، وطبقا لما جـاء فى رواية يوسف اليهودى ، كما جـاءت فى الحوليات السورية(٤٨) ، فلقد اجتاح «شلمنصر الخـامس» (٧٢٧ — ٧٢٢ ق٠م) فينيقيا ومدنها ، وكانت صيدا وعكا وصور البرية ترغب فى تحرير نفسها من السيطرة المالية لمدينة صور التى فى الجزيرة وزعامتها ، فاعترفت بالفاتح الاشورى وسيادته ، وأعطته أسطولا يتكون من ستين سفينة ، يعمل فيها نحو ثمانمائة مجدف فينيقى ، وقد تفـرق أسطول «شلمنصر الخامس» فى معركة مع سكان الجزيرة ، ولكن عددا كافيا من جنوده بقى ليقوم بمحاصرة الجزيرة من الساحل،وكانت الابار الموجودة داخل المدينة القائمة فى الجزيرة كافية لحاجات السكان ، وأخيرا انتهى الحصار الذى دام خمس سنوات فى عام ٧٢٢ ق٠م بمعـاهدة تحفظ لصور كرامتها(٤٩) .

وفى عهد «سرجون الثانى» (٧٢٢ — ٧٠٥ ق٠م) سقطت السامرة فى ربيع ، وربما خريف عام ٧٢٢ ق٠م تحت أقـدام الاشوريين(٥٠) ، ويبدو أن سرجون الثانى قد اتجه بعد ذلك الى فينيقيا،وكان «ايلوايلى» الموالى لمصر هو ملك صور ، فدافع عن مدينته ضد الاشوريين ، وظهر كأهم شخصية فى منطقة الساحل فى عهد سرجون الثانى ، ويبدو أنه فرض سلطته على جزء كبير من فينيقيا ، حتى أنه حاول اخضاع قبرص كذلك(٥١) .

وجاء بعد «سرجون الثانى» على عرش آشور «سنحريب» (٧٠٥—

47) A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 281.
48) Josephus, Antiquities, IX, 14, 2.
(٤٩) فيلب حتى : المرجع السابق ص ١٥٣ .
(٥٠) أنظـر : محمد بيومى مهـران : اسرائيل ـ الكتاب الثانى ـ الاسكندرية ١٩٧٨ ص ٩٤٠ ـ ٩٥٠ .
(٥١) فيلب حتى : المرجع السابق ص ١٥٣ .

٦٨١ ق٠م) ، ونهج نهج سلفه ، فأعاد فتح المدن الفينيقية والسورية ومملكة يهوذا ، بعد أن أعلنت صور وعسقلان العصيان ، فسارع اليها وأخضعها عام ٧٠٠ ق٠م ، ثم عين «أبو بعل الثانى» ملكا على صيد . وحدد له الجزية التى يلتزم بآدائها ، ثم بعد ذلك تقدم «ملك أرواد». و «أورملكى» ملك بيبلوس ، الولاء للعاهل الاشورى ، ثم قام «سنحريب» بعد ذلك بنقل عمال فينيقيين الى عاصمته «نينوى» ليقوموا بصناعة سفن له تشبه سفن بلادهم ، وقد جهزت هذه السفن ببحارة من صور وصيدا ، وكذا من اليونانيين ، وربما القبارصة ، واستطاع «سنحريب» بهذا الاسطول القيام بحملة بحرية (نهرية) على الدجلة. لاخضاع شعوب «بيت ياقين» والعيلاميين ، وأن يعود من هناك بأسرى وذلك فى عام ٦٩٤ ق٠م(٥٢) ٠

وجاء بعد «سنحريب» ولده «اسرحدون» (٦٨٠ — ٦٩٦٩ ق٠م) وظن «عبد ملكوتى» (ملقارت) ملك صيدا (وهو خليفة أثو بعل الذى عينه ملكا على صيدا) أن فى وسعه أن يستقل ، فسعى الى ذلك وارتبط ببعض الامراء المجاورين فى حلف أدرك أهدافه «اسر حدون» فعجل بالقضاء عليه ، وباءت المحاولة بالفشل ، بعد أن اغتصبت صيدا فى عام ٦٧٨ ق٠م ، وعوملت بقسوة حتى لا تعود لمثلها (٥٣) ٠

وما أن رأى «عبد ملكوتى» ذلك حتى فر بحرا ، ولكنه أقتيد أسيرا «وصيد كالسمكة من البحر» ، ثم أعدم ، وانتقم «اسر حدون» من أهل صيدا ابشع انتقام ، ودمر المدينة وهدم عمرانها ، ودك بيوتها ، وأطاح بتحصيناتها وأسوارها ، وقذف بأحجارها فى البحر ، وكانت هذه الكارثة أول الكوارث التى توالت على صيدا عبر التاريخ ٠

ثم أمر «اسر حدون» سكان صيدا بالانتقال عنها الى بلاده ، وأحل محلهم أقواما من الخليج العربى ، أو من شرق الامبراطورية الآشورية ،

---

(٥٢) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٢٩ ٠
(٥٣) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٢٩ — ١٣٠ ٠

وأمر بتعمير مدينة جديدة فى موضع صيدا اسماها «كار اسر حدون» أى «مدينة اسر حدون»[٥٤] ، وان ذهب «فيلب حتى» الى أنه مجرد حصن أشورى أقامه اسر حدون ، بجانب موقع صيدا ، بقصد القاء الرعب فى قلوب أهلها[٥٥] .

ولعل من الاهمية بمكان أن نتوقف هنا قليلا ، للاشارة الى أن عملية تهجير سكان البلاد المغلوبة ، واحلال آخرين غيرهم من بلاد أخرى ، ليست أمرا غريبا فى تاريخ سياسة بلاد الرافدين القديمة ، وسنذكر هنا مثالين فقط ، أولهما : ما فعله سرجون الثانى مع سكان السامرة ، وثانيهما ما فعله «نبوخذ نصر» مع سكان القدس .

أما عن المثال الاول : فان التاريخ يحدثنا أن العاهل الآشورى «سرجون الثانى» (٧٢٢ — ٧٠٥ ق.م) عندما سقطت السامرة ، عاصمة دويلة اسرائيل ، تحت أقدامه فى عام ٧٢٢ ق.م ، فانه قام بتهجير اكثر عناصر سكان السامرة أهمية ، ربما النبلاء والاغنياء ، الى «حلح وخابور نهر جوزان ، وفى مدن مادى» ، ويقول العاهل الآشورى فى حولياته :

«فى بداية حكمى ، وفى السنة الاولى منه ، حاصرت السامرة واستوليت عليها ، ونقلت من أهلها ٢٧٫٢٩٠ مواطنا ، واستوليت على خمسين عربة من السلاح الملكى ، ثم ملأتها بسكان أكثر مما كان فيها فأطلت بها مواطنين جددا من بلاد كنت قد استوليت عليها ، وعينت حكاما عليها،وفرضت عليها الجزية والضرائب،كما يفعل الأشوريون»[٥٦] .

---

(٥٤) يوسف مزهر : المرجع السابق ص ٥٠ ، فيلب حتى : المرجع السابق ص ١٧٨ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسة فى تاريخ مدينة صيدا ــ بيروت ١٩٧٠ ص ٣٢ ــ ٣٣ ، وكذا

D. Braumki, Op. Cit., P. 29.

(٥٥) فيلب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ص ١٥٥ .

56) A. G. Lie, The Inscriptions of Sargon II, Part, I, The Annalas, 1929, P. 5.

وكذا A. L. Oppenheim, ANET, 1966, P 284.

وبعد سنوات قليلة ، وربما فى عام ٧٢٠ أو ٧١٥ ق٠م ، وبعد قلاقل فى سورية وفينيقيا وفلسطين ، ساهم فيها معظم سكان الولايات المختلفة ، تكررت عملية التهجير والاحلال على درجة كبيرة ، وحين نجح العاهل الآشورى فى القضاء على هذه الاضطرابات ، عمل — كما تقول التوراة — على أن يأتى بقوم آخرين ، وأن يسكنهم هذه الاقاليم ، ومن بينهم مجاميع من العرب ، حددهم النص الآشورى «بقبائل تامودى وابيا ديدى ومرسيمانو وجبابا ، والعرب الذين لم يعيشوا بعيدا فى الصحراء ، والذين لم يعترفوا برؤساء وموظفين ، والذين لم يكونوا قد جاءوا من قبل بجزاهم لأى ملك ، سبيت الاحياء منهم ، ونقلتهم الى السامرة»(٥٧) ٠

ونقرأ فى التوراة(٥٨) كذلك أن العاهل الآشورى قد جاء أيضا بقوم من بابل وكوث (تل ابراهيم على مبعدة ٢٤ كيلا الى الشمال الشرقى من بابل) ومن «عوا وحماة وسفروايم»(٥٩) ومن سوسة وعيلام ٠

وربما كان الآشوريون يهدفون من وراء ذلك الى كسر التحالفات القديمة بادخال أجانب فى البلاد ، ربما كانوا فى بعض الحالات من الآشوريين أنفسهم ، وبداية لظروف جديدة أكثر ملاءمة للامبراطورية الآشورية الطموح ، ومن الصعب أن نقدر أهمية هذا التهجير ، وان كان ، على الاقل ، قد حطم الروابط الاجتماعية والسياسية والدينية ، بدرجة أكثر فاعلية عما سبقه من اجراءات ، وبدون شك فان الغزوات الآشورية قد عجلت بنهاية الدويلات السامية المنهارة ، كما أن الاحوال القديمة قد تغيرت ، واختفت المعالم القديمة ، واضمحلت المشاعر المحلية

---

57) A. L. Oppenheim, ANET, P. 286.

(٥٨) ملوك ثان ٢٤/١٧ ، عزرا ٩/٢٤ ٠

(٥٩) سفروايم : بلدان على ضفتى الفرات على مبعدة ١٦ ميلا جنوب غرب بغداد ، ويرى «رسام» أنها «أبو حبة» الحالية ، بينما يرى آخرون أنها «شومورية» شرقى بحيرة حمص (محمد بيومى مهران : اسرائيل ٩٤٩/٢) ٠

والقومية ، ودمرت الدويلات الحاجزة(٦٠) •

وأما المثال الثانى : فكان عندما سقطتأورشليم (القدس) فى عام ٥٨٦ ق•م (وربما فى أغسطس من عام ٥٨٧ ق•م) تحت أقدام «نبوخذ نصر» (٦٠٥ – ٥٦٢ ق•م) ، فلم يكتف العاهل البابلى بنهب المدينة ، واشعال النيران فيهـا ، واحراق القصر الملكى ، وانما قـام الغازى الجديد ، اتباعا للعرف الآشـورى ، بابعاد الطبقة العليـا الحاكمة فى اليهودية ، ومن ثم فقد أسر بعضا من حاشية الملك اليهودى «صدقيا» (٥٩٧ – ٥٨٦ ق•م) وعديد من الرجال البارزين فى أورشليم وبلاد يهوذا ، وارسلوا الى «ربلـة» حيث لقوا حتفهم جميعا ، وأمـا بقية السكان ، فلقد أقتيد الجزء الاكبر منهم – وقد قدره البعض بأربعين ألفا ، وقدره آخرون بخمسين ألفا – أسرى الى بابل ، ولكن «نبوخذ نصر» لم يفعل ، كمـا فعل الآشـوريون ، بجلب سكان جـدد الى يهـوذا(٦١) •

وعودا على بدء ، الى موقف المدن الفينيقية من «اسر حدون» اذ نرى «ياكين ارسل» ملك أرواد ، يسلم مدينته ، وكذا ابنته ، لاسر حدون، كما خضعت مـدن فينيقية أخـرى تحت زعـامة «بعل» ملك صـور لاسر حدون ، ووقعت معاهدة بين بعل واسر حدون ، غير أن ملك صور سرعـان ما مزقها حين أحـس بأن الوقت أصبح مناسبا لنـزع النير الاجنبـى •

وهناك نصب عند نهـر الكلب ، على مقربة من نصب رعمسيس

---

(٦٠) محمد بيومى مهران : اسرائيل ٩٤٩/٢ ، وكذا
S. A. Cook, CAH, III, Cambridge, 1965, P. 383-385.

(٦١) محمد بيومى مهران : اسرائيل ١٠٠٤/٢ – ١٠٠٥ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ٣٢٠/٥ ، فيلب حتى : المرجع السابق ص ٢٢٠، طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة ٢٩٦/٢ ، ملوك ثان ١١/٢٥ – ٢١ ، ارميا ١١/٣٩ – ١٤ ، وكذا
Werner Keller, The Bible As History, 1967, P. 402.

الثانى ، يمثل اسر حدون واقفا بجلال ، قرب كتابة أثرية تروى خبر الاستيلاء على منف وعسقلان وصور ، وفى نصب آخر فى «زنجرلى» (سمأل القديمة) غـربى عينتاب فى شمالى سـورية يقف اسر حدون ممسكا بحبل ربط به «بعل» ملك صـور ، وطهراقا ، من الانف ، وان كان من المؤكد تاريخيا أن طهراقا لم يقع أبدا فى الاسر ، ومن ثم فالمراد من هذا النصب انما الدعاية والتفاخر الكاذب(٦٢) .

وفى عهد «آشور بانيبال» (٦٦٨ — ٦٢٦ ق٠م) حوصرت صور للمرة الثالثة ، فأقامت الحصون الدفـاعية على الارض الرئيسية ، ووضعت المتاريس فى كل الطرق برا وبحرا ، واضطر أهلها المحاصرون أن يشربوا من دماء البحر ، كما اضطر بعلهـا أن يستسلم فى ظروف قاسية ، وفى صورة تدعو الى الشجن ، اذ سلم ابنته وبنات أخيه الى العاهل الاشورى المنتصر ، كزوجات تحمل كل منهن بائنتها الضخمة، كما سلم ابنه «ياحى ملـك» .

وكان هذا أكثر مما كان يطمع فيه «أشور بانيبال» فرد الابن اذ لم تكن له به حاجة ، واكتفى بالنساء اللواتى ضمهن الى حريمه ، واستونى الآشوريون على خيرات صـور ، وعلى أسطولها الذى استخدموه فى اخضاع ملك أرواد «ياكنلو» الذى اضطـر فى نهاية الامر أن يستسلم ويبعث بابنته الى «نينوى» العاصمة الآشورية ، محملة بالهدايا ، ولم تحتمل أرواد هذه المهانة فخلعت ملكهـا ، واضطر أبناؤه العشرة الى الاتجاه الى بلاط آشور بانيبال يحملون الهدايا ، وكل منهم يطمع فى أن يوليه اشور بانيبال مكان أبيه ، واستطاع احدهم ، وهو «عزى بعل» أن يحقق الهدف ، وان يجلس مكان أبيه على عرش أرواد(٦٣) .

---

(٦٢) انظر : فيلب حتى : المرجع السابق ص ١٥٥ ، وكذا
D. D. Luckenbill, ARAB, II, Chicago, 1927, Parag. 582-585.
Rene Mouterde, le Nahr el-Kelb, Beirut, 1932, P. 18, Pl. VI.
A. T. Olmstead, History of Assyria, N. Y., 1923, P. 384.
H. R. Hall, The Ancient History of The Near East, London, 1963, P. 499
(٦٣) نجيب ميخائيل : سورية ص ١٣٠ ـ ١٣١ .

(٣) فى عهد الكلدانيين :

ورث الكلدانيون البابليون امبراطورية الآشوريين بعد هزيمتهم لهم فى نينوى عام ٦١٢ ق٠م ، ثم فى حران عـام ٦٠٩ ق٠م ، ومن ثم فقد ادعى الكلدانيون ، أصحاب دولة بابل الجديدة ، السيطرة على سورية وفينيقيا وفلسطين ، كورثـة للامبراطورية الآشورية ، غير أن المـدن الفينيقية لم تكن أقل تمردا فى عهد السادة الجدد ، منها فى عصر السادة القدامى ، وكانت مصر وقت ذاك تسعى لاسترداد سيادتها المفقودة على بلاد الشـام ، وكانت المدن الفينيقية بوجه عام أكثر ميـلا للاعتراف بالسيادة المصرية منها بالسيادة البابلية ، ربما لان مصر كانت دائما وأبدا أكثر رحمة بهم ، وأرفع حضارة ، وأشد اهتماما بمصالحهم ٠ وفى عام ٥٨٧ ق٠م ، ظهر «نبوخذ نصر» (٦٠٥ ـ ٥٦٢ ق٠م) فى شمالى سورية ، وأقام معسكره فى «ربلة» ، على مبعدة ٣٣ كيلا جنوبى حمص ، فى وادى العاصى ، ومن هناك أرسل قواته لاخضاع المدن الفينيقية ، وفتح بلاد اليهودية ، وقد تم الاستيلاء على القدس فى عام ٥٨٦ ق٠م ، ونهبـت المدينة المقدسة ، واشعلوا فيها النيران ، واحرقوا القصر الملكى والمعبد ، وفيه البقية الباقية من التابوت الذى كفت الروايات اليهودية عن ذكره بعد نقله الى معبد أورشليم(٦٤) ٠

وفى عام ٥٧٢ ق٠م ، اتجه الغـازى الجديد الى فينيقيا ، فهاجم صيد وحاصرها ، حتى مات عدد كبير من أهلها بسبب الجوع والوباء ، فاستسلمت له ، أما صور فقد تحدته بمقاومتها الباسلة ، واستطاعت أن تصمد أمامه زهاء ١٣ عاما ، تحطمت مقاومتها بعدها ، فاستسلم ملكها «اثبعل الثالث» ، وعندئذ دخلتها قوات الكلدانيين ودمرت مبانيها وسوتها بالارض ـ كما فعلت بالقدس الشريف ، ومنذ ذلك الحين تخلت صور عن مكانتها ، خاصة وأن الفرعون «أحمس الثانى» (٥٧٠ ـ ٥٢٦ ق٠م)

---

(٦٤) محمد بيومى مهـران : اسرائيل ٩٩٧/٢ ـ ١٠٠٤ ، فيلـب حتى : المرجع السابق ص ١٥٥ ـ ١٥٦ ، وكذا
M. Noth, The History of Israel, London, 1965, P. 286-287.

كان قد انتقص من سيادتها ، بانتزاع قبرص ، وان ظلت أسرة صورية تجلس على عرش «سلاميس» حتى خلعت عنه على يدى «ايفا جوراس»، وعلى أية حال ، فلقد انتهت غزوات «نبوخذ نصر» بضياع استقلال صور وصيدا ، وان استطاعت صيدا أن تحل محل صور فى زعامة المدن الفينيقية(٦٥) •

ثالثا : الفينيقيون والفرس

فى أكتوبر عام ٥٣٩ ق•م ، سقطت بابل تحت أقدام الفرس ، وأعلن «كيروش الثانى» (٥٥٨ ــ ٥٣٠ ق•م) نفسه ملكا على بابل (٦٦) ، ولعل من الاهمية بمكان الاشارة هنا الى أن سقوط بابل عام ٥٣٩ ق•م ، ومن قبلها سقوط نينوى عام ٦١٢ ق•م ، لا يعد كنهاية لتاريخ العراق القديم (بلاد النهرين) كدولة مستقلة فحسب ، وانما الامر أكبر من هذا وأخطر ، لأنه فى هذا الوقت ، وفى هذه المنطقة من مناطق الشرق الادنى القديم ، انتهت سيادة العناصر السامية ، وبدأت سيادة العناصر الهندو ــ أوربية ، من فرس واغريق ورومان ، والتى استمرت قرابة اثنى عشر قرنا ، حتى جاء الاسلام الحنيف ، وحرر الارض والقوم من دنس الاستعمار وذل الاستعباد ، فضلا عن تحرير العقول من وثنية الماضى البغيضة ، وبدأ القوم يؤمنون بالله الواحد الاحد ، الذى لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير •

---

(٦٥) يوسف مزهر : المرجع السابق ص ٥٠ ــ ٥٢ ، عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص ٣٣ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٣٤
D. Harden, Op. Cit., P. 54.
Josephus, Antiquities, X, 11, 1.
D. Baramki, Op. Cit., P. 30.

(٦٦) أنظر عن احتلال الفرس لبابل (محمد بيومى مهران : حركات التحرير فى مصر القديمة ص ٣٣٧ ــ ٣٤٤ ، اسرائيل ١٠٢٧/٢ ــ ١٠٣٣ ، وكذا
G. Cameron, JAOS, LII, 1932, P. 304.
R. Ghirshman, Iraq, 1954, P. 131-133.
A. T. Olmstead, History of The Persian Empire, Chicago, 1970, P. 50-51.
Herodotus, I, 178, 188 F.
A. L. Oppenheim, ANET, 1966, P. 315.

هذا وقد أعتبر الفرس ولايات سورية وفينيقيا وفلسطين من أملاكهم ، كورثة للامبراطورية البابلية ، وعلى أية حال ، فلقد اعترفت جميع مناطق الامبراطورية البابلية ، بما فيها فينيقيا بطبيعة الحال ، بالحكم الفارسى الجديد •

ونقرأ فى التوراة أن كيروش أمر فى السنة الاولى من حكمه للامبراطورية البابلية (عام ٥٣٩/٥٣٨ ق٠م) بالسماح بعودة اليهود المنفيين فى بابل الى أورشليم ، ولعل السبب فى ذلك أن الجالية اليهودية فى بابل قد ساعدته على احتلال المدينة ، وربما لان كيروش الثانى قد رأى فى وجود جالية يهودية فى فلسطين تدين بوجودها له ، سوف يشكل توازنا فعالا ، تجاه الحزب الموالى لمصر ، والذى طالما برز بشكل واضح فى شئون فلسطين(٦٧) •

هذا وقد اعتمد اليهود العائدين الى فلسطين فى اعادة بناء مقامهم الجديد على الموارد الفينيقية ، بل ان الفرس أنفسهم قد اعتمدوا على هذه الموارد ، وقد تم هجوم «قمبيز» (٥٢٩ — ٥٢٢ ق٠م) على مصر بمساعدة السفن الفينيقية •

وكان الاسطول الفينيقى أيضا عماد البحرية الفارسية فى هجومها على اليونان بقيادة الملك الفارسى «اكزركسيس» الاول (خشايارشا ٤٨٤ — ٤٦٥ ق٠م) ، ويبدو أن الفينيقيين رحبوا بفرصة ضرب منافسيهم البحريين القدامى ، ومن ثم فقد قدموا له ٢٠٧ سفينة ، كما أظهرت مهارة الفينيقيين الهندسية تفوقها فى حفر قناة عبر البرزخ لتجنب العواصف حول جبل «آتوس» ، وقد حطم الاسطول كله تقريبا فى معركة سلاميس البحرية عام ٣٨٠ ق٠م(٦٨) •

---

(٦٧) عزرا ١/١ — ١١ ، فيلب حتى : المرجع السابق ص ٢٠٢ ، وكذا
C. Roth, Op. Cit., P. 53.
S. A. Cook, Op. Cit., P. 409.
(٦٨) فيلب حتى : المرجع السابق ص ٢٤٦ ، وكذا
Herodotus, VII, 23, 96, VIII, 86, 89, 90, 96.

هذا وقد جعل الفرس من الجزر الفينيقية وفلسطين وسورية وقبرص ولاية ، هى الولاية الخامسة من ولايات الامبراطورية الفارسية ، وسميت «المرزبانة» (عبر نهرا) ، وفرض عليها جزية تعادل ٣٥٠ وزنة (نصف جزية مصر) ، ولم يتعرض الفرس لنظام الحكم الداخلى ، فترك للولاة ادارة شئون ولاياتهم ، ما داموا يدفعون الجزية .

وهكذا دخلت المدن الفينيقية فى فلك الامبراطورية الفارسية عام ٥٢٦ ، ومنحها «قمبيز» كثيرا من الامتيازات ، واتخذ صيدا حاضرة لمدن فينيقيا ، وأسس فيها الفرس قصرا ملكيا تحيط به المتنزهات ، كما أقام والى صيدا الفارسى قصرا لنفسه ، وابقى قمبيز النظام الملكى فى صيدا فى ظل الحكم الفارسى ، ونصب ملكها قائدا عاما للاسطول الفينيقى ، وقد تمتعت المدن الفينيقية فى عهد قمبيز بنوع من الاستقلال ، وكان ملوكها يضربون العملات المحلية بأسمائهم ، وأذن لها أن تعقد اجتماعات سنوية فى طرابلس للبحث فى شئونها[٦٩] .

وانطلاقا من كل هذا ، فان استعمار الفرس لفينيقيا لم يؤثر الا فيما يتصل بالجزية ، واستمر الفينيقيون يباشرون نشاطهم المعهود ويجوبون البحار ، ينقلون المتاجر بين الشرق والغرب ، وفى نفس الوقت أدرك الفينيقيون قوة الامبراطورية الفارسية ، وأنه ليس هناك من يعدلها فى قوتها ، وأنه من الخير مسالمتها ومهادنتها ، ما دامت لا تتعرض كثيرا لأخص شئونها ، ولا تتدخل فيما يمس مصالحها ، ومن ثم فقد وقف الاسطول الفينيقى الى جانب الفرس فى حروبه ضد اليونان ، وان كان الاسطول الفينيقى قد هزم فى «سارديس» ، الا أنه أظهر بعد ذلك مهارة وشجاعة ملحوظتين أدتا الى هزيمة الايونيين عند جزيرة «ليد» المقابلة لمدينة «ميلتس» ، وسرعان ما سقطت ميلتس ، وتقدم الفينيقيون نحو جزر أرخبيل اليونان الاسيوية ، ثم الى شاطىء «تراقيا» ، ثم

---

(٦٩) فيلب حتى : لبنان فى التاريخ ص ١٨٥ ، يوسف مزهر : المرجع السابق ص ٥٥ ، وكذا

D. Harden, Op. Cit., P. 55.

احتل الاسطول الفينيقى بعد ذلك جزر بحر ايجه ، مما مهـد للقوات الفارسية بعد ذلك الانتقال الى «ماراثون» ، حيث انتهت المعركة بهزيمة مروعة للفرس فى عام ٤٩٠ ق٠م ، حتى أن «هيرودوت» يروى أن الملك الفارسى «دارا الاول» (٥٢٢ ـــ ٤٨٦ ق٠م) كلف واحدا من عبيده بأن يذكـره بذلك ثلاث مـرات كل مساء بقوله : «يا مـولاى لا تنسى الاثينيين»[٧٠] ٠

وفى عهـد «اكزركسيس الاول» (خشايارشا ٤٨٤ ـــ ٤٦٥ ق٠م) اشترك الصيدونيون فى الحرب الفارسية اليونانية ، وزودوا الاسطول الفـارسى بعدد من سفنهم ، وخاضـوا معركتين بحريتين فى ميلاتس وسلاميس ، كما قام الاسطول الفينيقى بدور هام فى حروب الفرس ضد اليونان فى عام ٤٦٥ ق٠م ، وذلك على أيـام «أرتاكزركسيس» (أرتا خشاشا ٤٦٥ـــ٤٢٤ ق٠م) والذى كان يعرف باسم «لوفيجمانوس» لان أحد ذراعيه كان أطول من الآخر[٧١] ٠

وفى عهد «أرتاكزركسيس الثانى» (٤٠٤ ـــ ٣٥٨ ق٠م) ثار المصريون ضد فارس ، وولوا عليهم فرعون الاسرة الثامنة والعشرين «أمون حر» (أمير تايوس) عام ٤٠٤ ق٠م ، وحاولوا الاستيلاء على فينيقيا ، حين أدركوا أنها سند فارس مـن الناحية البحرية ، ولكن خطط مصر باءت بالفشل ، ذلك لان جماعات الفارين بعد هزيمة اليونان السابقة كانوا قد عادوا الى فينيقيا ، فغدا من المستحيل على مصر أن تنتهز الفرصة وتعيد سيادتها على فينيقيـا[٧٢] ٠

---

(٧٠) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٣٧ ـــ ١٣٨ ، وكذا
A. Gardiner, Op. Cit., P. 368-369.-
J. B. B. Bury, History of Greek, London, 1930, fig. 78.
(٧١) السيد عبد العزيز سـالم : المرجـع السابق ص ٣٤ ، محمـد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٣٧٤ ، وكذا
F. C. Eislen, Op. Cit., P. 61.
(٧٢) نجيب ميخائيل : لمرجع لسابق ص ١٣٩ ٠

وفى عام ٣٩٠ ق٠م ، قاد ملك صيدا جيشا فى ثمانين سفينة حربية ضد الاسبراطيين الذين كان يمدهم ملك مصر بالمؤن(٧٣) ٠

وفى عام ٣٥٨ ق٠م ، كانت الامبراطورية الفارسية المهتزه تهب فيها حياة جديدة بولاية «أرتكزركسيس الثالث» (أوخوس) فبدأ باحتلال فينيقيا التى بدأت تسعى للتحالف مع مصر ، وفى عام ٣٥١/٣٥٠ ق٠م ، اتجهت حملة الى مصر ، ولكن الحرب انتهت بفشل ذريع للغازى الفارسى ، وأقام الفرعون «نخت حرحب» (٣٦٠ — ٣٤٣ ق٠م) لنفسه تمثالا ضخما فى عاصمته ، زعم على النقش المصاحب له : أنه حامى مصر ، وقاهر البلاد الاجنبية ، وضارب الاقواس التسعة»(٧٤) ٠

هذا وقد أدى انتصار المصريين على الفرس ، أن انتشرت الثورات ضد الاحتلال الفارسى فى كل مكان ، وكانت فينيقيا وقبرص فى مقدمة الثائرين ، وفى عام ٣٥١ ق٠م ، عقد الفينيقيون مؤتمرا فى طرابلس أعلنوا فيه خروجهم على فارس وسلطانها ، وكانت مصر مركز التشجيع كالمعتاد ، كما كانت المكان الذى يستطيع أن يوفر للثائرين الذهب والحبوب فى وفرة ٠

وهكذا بدأت الثورة الفينيقية على الفرس فى الحى الصيدونى فى طرابلس ، حيث أعلن ملك صيدا «ستراتون الاول» العصيان ، وجهز جيشا شاركت اسبرطه فيه بالمال والسلاح والرجال ، وسرعان ما انتقلت الثورة الى مدينة «صيدا» نفسها فى عهد ملكها الجديد «تنس» الذى طرد الحامية الفارسية ، وقطع أشجار الحديقة الملكية فى المدينة أو حول منحدراتها الشرقية ، وأشعلوا النار فى التبن المخزون لخيالة

73) G. F. Hill, Catalogue of The Greek Coins of Phoenicia, London, 1901, P. XCIV.

74) A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 376.

E. Bahelon, Traite, des Monnaies, II, Part, 2, 1910, P. 575 F.

P. Tresson Sur deux Monmments Egyptiens indit Kemi, 4, 1931, P.126F.

A. T. Olmstead, Op. Cit., P. 432.

الفرس ، وسرعان ما طردت تسع من المدن الفينيقية الرئيسية الفرس وأعلنت استقلالها[٧٥] •

وأدرك العاهل الفارسي «أوخوس» أن الامر أخطر من أن يسكت عليه ، ومن ثم فسرعان ما خـرج على رأس جيش ضخم ، قدره كتاب الاغريق بثلاثمائة ألف من المشاة ، وثلاثين ألفا من الفرسان ، وخشى الصيدونيون مغبة الامر ، فالتمسوا عون مصر فأمدتهم بفرقة يونانية على رأسها قائد من «رودس» هو «منتور» •

غير أن «تنس» ملك صيدا عندما علم بضخامة القوة الحربية الفارسية الموجهة ضد مدينته خـاف على نفسه ، فسعى الى التقـرب من الملك الفارسى بأن أرسل «تساليون» أحد نوابه الى معسكر الفرس ، ليعد ملكهم ببذل العون له فى اقتحام صيدا عن طريق الخديعة ، فضلا عـن الاشتراك فى الحملة التى يجهزها ملك الفرس ضد مصر ، ولم يلبث ملك صيدا أن تظاهر بعزمه على التوجه الى طرابلس فى طائفة من رجاله ، بحجة التشاور مع ممثلى المدن الاخرى ، واصطحب معه مائة من خيرة شباب المدينة ، وبدلا من الاتجاه الى طرابلس ، اتجه بهم الى معسكر الفرس ، وسلمهم الى اعدائهم ، فقتلهم الفرس باعتبارهم المحرضين على الثـورة •

ثم زحف «أوخوس» نحو صيدا ، فخرج اليه خمسمائة من ممثلى المدينة يحملون الاغصان طلبا للسلم والابقاء على أرواح الناس . ولكن أوخـوس بادرهم بالحكم عليهم بالمـوت ، وقضى بذلك على الامل فى التفاوض مع أهل صيدا الذين أدركوا ما ينتظرهم على أيدى الفرس من سـوء المصير •

---

(٧٥) محمد بيومى مهـران : حركات التحرير فى مصر القديمة ص ٣٩٥ ـ ٣٩٦ .

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 377.
G. Contenau, Deuxieme Mission Archeologique a Sidon, in Syria, IV, 1923, P. 276 F.

وهنا قرر سكان صيدا الدفاع عن مدينتهم حتى الموت ، وفى لحظة من يأس قاتل أحرقوا سفنهم حتى لا يفكر جبان فى الهرب ، كما اعتصم الكثيرون ببيوتهم ، وفضلوا الموت محترقين مع ممتلكاتهم فى لهب ديارهم، وقد قدر بعض الباحثين من هلكوا منهم فى هذه المأساة المروعة بحوالى أربعين الفا ، أما القلائل الذين أسروا فقد نقلوا الى بابل .

هذا وقد أصدر الملك الفارسى أمره بالعفو عن القائد اليونانى الخائن «منتور» ، وأما ملك صيدا الخائن «تنس» فقد أمر ملك الفرس بقتله ، فحاول الانتحار ولكنه جبن وأحجم ، وعندئذ أجهزت عليه زوجه ، وقتلت نفسها فوق جثتـــه .

ثم تبع هذه المأساة الصيدونية المروعة استسلام بقية المدن الفينيقيه الاخرى متعطلة بمصير صيدا[٧٦] .

رابعا : الفينيقيون والاسكندر المقدونى

كانت معركة ايسوس فى أكتوبر ٣٣٣ ق.م بين الاسكندر المقدونى (٣٥٦ ـ ٣٢٣ ق.م) و «دارا الثالث» (كودومانوس) ، آخر الاخمينيين معركة حاسمة بالنسبة للامبراطورية الفارسية ، حيث كانت بداية النهاية لها ، وعلى أية حال ، فلقد انتهت المعركة بانتصـــار ساحق للاسكندر الاكبر ، وهزيمـــة فاضحة للملك الفارسى الذى سرعان ما اسرع الى الهرب مع فلول جيشه شرقا ، تاركا معسكره وأهل بيته ، وقد عوملت

---

(٧٦) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٣٩٦ ، السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص ٣٥ ـ ٣٧ فيلب حتى : المرجع الســابق ص ١٩٠ ، منــير الخورى : صيــدا عبر التاريخ ص ٧٣ ، أمــين خليفة: تاريخ ســورية قبل الفتح الاســلامى ـ بــيروت ١٩٣٠ ص ١٩٧ ، نجيــب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٤٠ ـ ١٤٤ . وكذا

F. C. Eislen, Sidon, N. Y., 1907, P. 75-77.

A. Gardiner, Op. Cit., P. 377.

A. Olmstead, Op. Cit., P. 434-435.

D. Baramki, Op. Cit., P. 31.

S. Smith, Babilonian Historical Texts, London, 1924, P. 149.

نساء الملك معاملة مهذبة ، وتخليدا لذى الانتصار ، أسست مدينة «الاسكندرونة» التى لا تزال تحمل اسم المنتصر اليونانى ، مكان الحادث[٧٧] .

ولم يتابع الاسكندر عدوه الفارسى «دارا الثالث» (٣٣٦ — ٣٣٠ ق.م) الى الشرق ، وانما اتجه الى الجنوب بحذاء الساحل ، وكانت ضحايا الملك الفارسى «أوخوس» (٣٥٩ — ٣٣٨ ق.م) ما تزال ماثلة فى أذهان الفينيقيين جميعا ، ومن ثم فقد رحبوا بدخول الاسكندر فى البلاد ، وكانت مدينة «أرواد» أول مدينة فينيقية تعلن ولاءها للاسكندر ، وابتهاجا بالتخلص من النير الفارسى .

وسرعان ما نهجت نهج أرواد مدن : طرابلس والبترون وجبيل وبيروت ، وارسلت صيدا رسلها للترحيب بالاسكندر ، ودعته للدخول فيها ، وفتحت أبوابها لجيوشه ، ودانت له بالطاعة فى نفس العام ، فعزل الاسكندر «ستراتون الثانى» ملك صيدا ، الموالى للفرس ، وأقام مكانه أحد أقربائه ، وهو «عبدو لونيم» ، وكان يعمل بستانيا فى القصر الملكى ، وأعاد الاسكندر لمدينة صيدا ممتلكاتها ودستورها الخاص[٧٨] .

وهكذا استسلمت المدن الفينيقية للاسكندر ، ما عدا مدينة «صور» التى حملت وحدها لواء المقاومة وتحدته فى عناد ، معتزة بمكانتها وحصانة أسوارها ، كما كان ملكها حليفا للفرس ، فأحكم الاسكندر الحصار عليها زهاء سبعة أشهر ، وقد عاونه فى هذا الحصار أهل صيدا ، واشتركوا مع المدن الفينيقية الشمالية فى تزويده بثمانين سفينة لتطويق صور من

---

(٧٧) انظر :

Diodorus, XVII, 33.

وكذا
Josephus, Antiquities, XI, 8, 3.

W. W. Tarn, Alexander, in CAH, Cambridge, 1927, P. 366-369.

(٧٨) أسد رستم : تاريخ اليونان — بيروت ١٩٦٩ ص ٢٧ ، وكذا

D. Baramki, Op. Cit., P. 33.

البحر[79] •

وهكذا كانت صور ، التعسة الحظ ، تتوقع المساعدة من شقيقاتها الفينيقيات فى الشمال ، غير أن تصرف الشقيقات كان مخجلا ، فبدلا من تقديم العون لصور ، وضعت سفنها تحت تصرف الغازى الجديد ، وكما خاب أمل صور فى المدن الفينيقية ، خاب كذلك فى ابنتها البعيدة فى الشمال الافريقى «قرطاج» حيث بعثت اليها بشيوخها ونسائها وأطفالها[80] •

وفى يولية من عام ٣٣٢ ق•م ، سقطت صور تحت أقدام الغازى المقدونى ، بعد أن صمدت سبعة أشهر ، ولعل سقوط صور ، فيما يرى البعض ، انما يعد أعظم عمل عسكرى قام به الاسكندر المقدونى ، فقدم من جانبه القرابين والتضحيات لاله المدينة «ملقـارت» ، وقد اعتبره الاسكندر معادلا لهرقل (هركوليس) •

على أن المقدونيين الذين كانوا يشعرون بالمرارة من جـراء ما فعله الصوريون من قبل لرفقائهم الذين وقعوا فى الاسر لديهم ، فانه لم يكن من اليسير كبح جماحهم ، ولذا أعقب استسلام صور الذبح والتقتيل ، وقيل ان ثمانية الاف من المحاربين خروا قتلى ، وبيع الكثيرون فى أسواق النخاسة من الرجال والنساء والاطفـال •

هذا بينما لقى بعض الصـوريين النجـاة على أيدى الفينيقيـين الآخرين ، كما وجدت قلة ملاذا فى معبد «ملقارت» اعتصموا به ، ومن هؤلاء بعض رسل ومبعوثين دينيين من القرطاجيين ، فكان وجودهم مثار أسطورة تقول بان قرطاج كانت تعد وتتأهب لتقديم العون لمدينتها الام •

وأما بيع كثير من أهل صيدا فى سوق النخاسة ، فرغم أنه حقا اجراء

---

(٧٩) يوسف مزهر : المرجع السابق ص ١١١ ، فيلب حتى : المرجع السابق ص ٢٥٤ ، السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص ٣٧ـ٣٨ ، وكذا
F. C. Eislen, Op. Cit., P. 69.

(٨٠) فيلب حتى : المرجع السابق ص ٢٥٤ •

بشع ، غير أنه كان مألوفـا لدى المنتصرين وقت ذاك ، وقـد باشره الاسكندر الاكبـر مرتين أخريين ، احداهما : فى غزة ، والاخـرى فى «قيروبوليس» Cyropolis (حيث كان رجاله قد فتك بهم ولقوا حتفهم) ، على أنه من الجدير بالاشارة أن حملة الاسكندر هذه لم يكن لها فيما يبدو أثر ذو بال على أسواق النخاسة العالمية[٨١] .

هذا وقد أصبحت المدن الفينيقيية بعد موت الاسكندر تحت السيادة المصرية فى العصر البطلمى فى أغلب الاحايين ، وكان بطليموس الاول (٣٢٣ — ٢٨٤ ق٠م) قد قـام بغزو سورية فى عـام ٣٢٠ ق٠م ، ثم الاستيلاء على أورشليم فى عام ٣١٨/٣١٩ ق٠م ، ورغم أنه قد اضطر الى اخلاء سورية الجنوبية (جنوب سورية وفينيقيا) الا أنه سرعان ما عاد اليها مرة أخرى بعد انتصاره العظيم على «ديمتريوس» فى موقعة غزة عام ٣١٢ ق٠م ، وكان من نتائج هذا النصر أن تابع بطليموس الاول تقدمه فاستولى على فلسطين وفينيقيا[٨٢] .

وعلى أية حال ، فلقد نجح بطليموس فى مد خط حدود دولته الى خط يقع شمالى أرواد وجنوبى حمص ، وقد تراجع هذا الخط لدرجة كبيرة حتى جنوبى بيروت ودمشق حوالى عام ٢٥٠ ق٠م ، ليتقدم مرة ثانية حتى شمالى أرواد ، بعد خمس وعشرين سنة[٨٣] .

---

(٨١) أنظر : و٠و٠ تارن : الاسكندر لاكبـر ـ ترجمة زكى على ـ القاهرة ١٩٦٣ ص ٧٣ ـ ٧٨ ، الاب أميل أده : الفينيقيون واكتشاف أمريكا بيروت ١٩٦٩ ص ١١١ ـ ١١٢ ، وكذا

F. C. Eislen, Op. cit, P. 69.
Arrian, II, 18-24.
Diodorus, XVII, 41-46.
G. Glotz, Ancient Greece at Work, P. 350.

(٨٢) مصطفى العبادى : مصر من الاسكندر الاكبر الى الفتح العربى ـ القاهـرة ١٩٦٦ ص ٣٤ ـ ٣٧ ، مصطفـى عبد العليـم : اليهـــود فى مصر فى عهد البطالمة والرومان ـ القاهرة ١٩٦٨ ص ٣٣ ، محمد عــواد حسين : الحرب السورية السادسة ، حوليات جامعة ابراهيم باشـا الكبير ـ القاهرة ١٩٥١ جا ص ٧١ ، ١٢٥ ، محمد بيومى مهــران : اسرائيل ١١٠٦/٢ .

(٨٣) فيب حتى : المرجع السابق ص ٢٦٠ .

الفصل الخامس

الفينيقيون ودورهم فى حوض البحر المتوسط

أولا : الفينيقيون ودورهم فى التجارة البحرية :

لا ريب فى أن الفينيقيين قد تأثروا الى أبعد الحدود بالبيئة التى عاشوا فيها ، واستجابوا لها استجابة كاملة ، فشكلت تجارتهم وحياتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية •

على أن أبرز النواحى التى ظهرت فيها آثار البيئة فى الحياة الفينيقية هى ناحية النشاط البحرى ، فقد كانت جبال لبنان التى تقع خلف الوطن الفينيقى تعرقل صلة السهول الساحلية بالاقاليم الداخلية ، وتجبر السكان على أن يلتمسوا لانفسهم مخرجا آخر بأن يتجهوا الى البحر ، هذا فضلا عن أن البيئة المحلية لم تعد قادرة على اعالة عدد من السكان يتزايد عددهم باستمرار ، ولم تعد الزراعة تكفى لاطعام الاف الأفواه التى تعيش فى المدن الساحلية ، فكان على الفينيقيين أن يلتمسوا لهم سبلا أخرى للمعيشة ، أو ينطلقوا الى ميدان التجارة ، ويتصلوا بالامم الكبرى من وراء البحر ، زد على هذا أن سفوح لبنان تزخر بالخشب الجيد الصالح لبناء السفن •

ومن ثم ، فاذا اقترنت الرغبة فى المخاطرة ، والبحث عن لقمة العيش ، بتوفر الموانى الصالحة ، والمواد الخام اللازمة ، لم نعجب اذا رأينا هؤلاء الساميين القادمين من شبه الجزيرة العربية ، يستجيبون لنداء البيئة ، ويتركون حياة البداوة التى ألفوها ، ويقبلون على البحر ليركبوا متنه •

هذا وقد بدأ القوم برحلات بحرية قصيرة لصيد الاسماك أو البحث

عن الزجاج أو الصلصال ، ثم لبيع هذه الاشياء وغيرها مـن المنتجات المحلية الاخرى ، ثم زاد هذا النشاط بعد القرن الثالث عشر أو الثانى عشر قبل الميلاد ، حينما ضغط الاراميون عليهم فى وسط سورية ، وأحاط بهم الاسرائيليون والفلسطينيون من الجنوب ، فلم يجدوا مفرا من أن يتجهوا الى البحر بكليتهم ، فقد كان هو المخرج الوحيد(١) •

وقد أدى هذا الوضع الجديد الى انشاء محطات ومراكز مستقرة فى المناطق التى تتجه اليها سفنهم لتكون محطات استقرار ، أو على الاقل محطات يستريحون فيها أياما معدودة ، فى أول الامر على الاقل ، وقد أدى ذلك الى تتابع هجراتهم بالتدريج ، وعلى مرات متعددة ، لتحقيق هذا النشاط التجارى فى هذه الاسواق والمناطق الجديدة فى غربى البحر المتوسـط(٢) •

هذا وكانت السفن الفينيقية بسيطة أول الامر ، لا تقوى على أن توغل فى ماء البحر ، فلم تكن أكثر من زوارق مكشوفة ، قليلة الارتفاع ، قليلة الغوص ، تكتسحها الامواج العظيمة ، ولا تستطيع أن تحمل قدرا كبيرا من السلع ، وكانت هذه السفن تصنع من خشب الارز ، وتدهن بالقار النباتى الذى لا يقوى على مغالبة الماء ، ثم قطعوا شوطا آخر فى فن بناء السفن فكبر حجمها بعض الشىء ، واستعين فى تسييرها بالمجداف وبالشراع معا ، وأصبح سمكها كبيرا الى حد ما •

غير أن العمل الجرىء حقا ، والذى ينسـب الى الفينيقيين ، هو مضيهم فى فن بناء السـفن الى أبعد غاية ، حينما توصلوا الى صناعة السفن العظيمة ماخرة المحيطات ، فقد قلب هذاالاختراع فـن الملاحة رأسا على عقب ، فاشتدت جسارة الفينيقيين على السيطرة على البحر

---

(١) حسن أحمد محمود وآخرون : حضارة مصر والشرق القديم — القاهـــرة ص ٣٩٢ •
(٢) محمد بيومى مهران : تاريخ مصر الفرعونية والشرق القديم — القاهرة ١٩٨٥ ص ١٨٤ •

وركوبه ، وتضاعف نشاطهم ، وتضاعفت تجارتهم[٣] •

هذا ولم يبرع الفينيقيون فى صناعة السفن فحسب ، وانما برعوا كذلك فى فن الملاحة وتعمقوا فيه ، وساعدهم على ذلك كثيرا ، اكتشاف أهمية النجم القطبى ، فأقبلوا على الابحار ليلا معتمدين على النجوم . وقد تعلم الاغريق هذا الفن منهم ، حتى أن أسماء النجوم الاغريقية هى نفسها الاسماء الفينيقية ، وهكذا كان القوم يبحرون بنـــاء على خطط مرسومة ، واستطاعوا بعد تجارب طويلة أن يشـــقوا لانفسهم مسالك وطرق كشفوها واستخدموها ، ثم احتكروها •

وهكذا لم يكن الفينيقيون يسيرون فى البحر بغير هدى ، ولم يكونوا قراصنة ، كما تصورهم الاساطير الاغريقية ، وانما كانوا يبحرون بناء على خطط مرسومة ، واستطاعوا ، كما أشرنا آنفا ، ان يشقوا لانفسهم طرقا ، لعل من أهمها ذلك الطريق الذى يمر من صيدا الى صور ، ثم يمر بمصر مباشرة ، أو قد يتجه الى قبرص ، ثم يتجه غربا الى طوروس وليسيا ، عن طريق رودس وكريت ، ثم يتجه الى صقيلة ، ثم شـــمال أفريقيا ثم أسبانيا ، وهناك طرق أخـــرى فرعية تتجه الى الشمال أو الجنوب ، ومن ثم فقد حق لهم أن يسموا أول أمة بحريـــة فى العالم ، وأول أمة جمعت بين النشاط فى البر والبحر[٤] •

هذا وكانت محطات الفينيقيين فى الداخل تضم «أديســـا» وربما « نصيبين » بحيث تصـــل موانئهم على البحر المتوسط بمراكزهم على الخليج العربى ، والفينيقيون ، طبقـــا لمروياتهم ، فقد أتوا الى ساحل فينيقيا من منطقة الخليج العربى ، حيث كانت لهم هناك مـــدن تحمل الاسماء نفسها ، مثل أرواد وصور وصيدا ، وتقدم لنا التوراة فى سفر

---

(٣) حسن أحمد محمود : ارجع لسابق ص ٢٩٣ •

(٤) فيلب حتى : المرجع السابق ص ١٠٥ ــ ١٠٦ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ١٨٤ ، حسن أحمد محمود : المرجع السابق ص ٢٩٣ ، وكذا Strabo, XVI, 2, 24.

حزقيال وصفا مفصلا لتجارة الفينيقيين البريــة والبحرية فى مظاهرها المختلفة ، وهو يذكر بين وارداتهم الفضة والحديد والقصدير والرصاص من أسبانيا ، والرقيق وأوانى النحاس الاصفر من ايونيا ، والكتان من مصر ، والخرفان والماعز من شبه الجزيرة العربية ، ويشير «هيرودوت» الى أن توابل بلاد العرب كانت تنقل عن طريق التجارة الفينيقية[٥] .

ولم يكن الفينيقيون يكتفون بمجرد المتاجرة والعودة من حيث أتوا ، بل كانوا يستقرون ويستعمرون وينشئون مدنا فينيقية جديدة ، أما اذا دنت البــلاد التى ينزلها الفينيقيون ذات حكومات قادرة على حماية نفسها ، فان ملاحى فينيقيا لا يؤسسون مستعمرة حقيقية ، وانما يكتفون بوكالات تجارية ، وبشراء حق حرية التجارة ، كما فعلوا فى مصر ، حين استقروا عند مصبى الدلتا ، وطبقــا لرواية هيرودوت ، فقد اتخــذوا لانفسهم فى منف حيا خاصا سمى «معسكــر الصوريين» ، كما أقاموا معبدا هناك كانوا يتعبدون فيه لـــ «أفروديت الاجنبية» ، وهى عشتار على الارجح[٦] .

وكان الفينيقيون يصدرون أربعة أصناف مــن السلع تحتاج اليها دول البحر الابيض المتوسط هى : الخشب والقمح والزيت والخمر ، ثم حملوا بعد ذلك منتجاتهم الصناعية المشهورة مثل المصنوعات المعــدنية والمنسوجات ، وكان الخشب الجيد بالذات مطلوبا فى مصر والعراق لبناء المعابد والقصور وقوارب الصيد والسفن التجارية وسفن الاساطيل . وكانت أخشاب لبنان المستقيمة والمستديرة تمدهم بحاجاتهم من الاخشاب بل بما يحتاجون اليه من القار والراتنج اللازم لصناعة السفن ، وبالنسبة

(٥) حزقيال ١/٢٧ ــ ٣٦ ، فيلب حتى : المرجع السابق ص ١٠٧ ــ ١٠٨ نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١١٦ ، وكذا

Strabo, XVI, 3, 4.

(٦) محمــد بيومى مهــران : المرجــع السابق ص ١٨٤ ، نجيــب ميخائيل : المرجع السابق ص ١١٦ ، ج ٠ كونتنو : الحضــارة الفينيقية ص ٩٥ .

لليونان كان أرز لبنان أرزا فينيقيا(٧) .

ولعل من أشهر رحلاتهم البحرية التى استغرقت زهاء ثلاثة أعوام، دارت فيها سفن الفرعون «نخاو الثانى» (٦١٠ – ٥٩٥ ق.م) بملاحيها الفينيقيين حول افريقيا عن طريق رأس الرجاء الصالح(٨) ، كما أشرنا من قبل .

ولم يكن «نخاو الثانى» هو وحده الذى استغل مهـارة الفينيقيين البحرية ، وانما سبقه الى ذلك سيدنا سليمان عليه السلام (٩٦٠ – ٩٢٢ ق.م) ، وطبقا لرواية التوراة ، فلقد أنشأ النبى الكريم ، بالاتفاق مع حيرام ، ملك صور ، كما أشرنا من قبل، أسطولا فى ميناء «عصيون جابر» ، استغل فيه المهارة الفينيقية ، كما كان يديره فينيقيون كذلك(٩)، ونقرأ فى سفر الملوك الاول ، أن حيرام قد أرسل عبيده النواتى العارفين بالبحر ، مع عبيد سليمان(١٠) ، ونقرأ كذلك عن أسطول منفصل لحيرام أبحر مع أسطول سليمان الى «أوفير»،وأتى من هناك بالذهب والاخشاب النادرة والاحجار النفيسة ، وكل ما هو نادر وغريب(١١) .

هذا ويذهب «ستانلى كوك» الى أن سليمان عليه السلام ، وحيرام الصورى ، قد امتلكا أسطول «ترشيش»(١٢) ، والذى يمكن الحكم عليه

---

(٧) حسن احمد محمد : لمرجع السابق ص ٣٩٤ ، وكذا
Thepharstus, III, 12, 3, IV, 2, 2, IX, 2, 3.

(٨) محمد بيومى مهران : مصر – الجـزء الثالث ص ٦٤٢ –٦٤٣ (الاسكندرية ١٩٨٨) ، وكذا
Herodotus, IV 42.

9) W. Keller, Op. Cit., P. 201.

(١٠) ملوك أول ٢٧/٩ .

(١١) ملوك أول ١١/١٠ – ١٢

(١٢) ترشيش : يذهب بعض البـاحثين الى انهـا فى «سردينيـا» ، ويذهب آخرون الى أنها «ترتيسوس» فى جنوب أسبانيا على مقربة من جبـل طـارق ، أو لعلهـا (قرطـــاج) المدينـة الواقعـة فى شمـال أفريقيا (قاموس الكتاب المقدس ٢١٥/١ – ٢١٦ ، وكذا
F Thieberger, King Solomon, London, 1957, P. 206.
M. F. Unger, Unger's Bible Dictionary, Chicago, 1970, P. 1070-1071.

من اسمه ، أنه قد ذهب الى ترشيش فى أسبانيا ، وأما أسطول الفينيقيين فقد أبحر من «عصيون جابر» فى أدوم ليحضر الذهب من أرض أوفير[١٣] (ربما الارجح جنوب غرب الجزيرة العربية)[١٤] ، وهكذا يبدو أن رحلة الثلاث سنوات التى ذهبت الروايات الى أنها تتصل برحلة أوفير هذه ، ربما كانت تتصل بأسطول ترشيش الى أسبانيا ، علما بأن هناك من يرى أن هناك علاقات تجارية بين حيرام الصورى من ناحية ، وبين قبرص وأسبانيا من ناحية أخرى[١٥] •

ثانيا : الفينيقيون ومستعمراتهم فى البحر المتوسط :

لم يكن الفينيقيون يكتفون بمجرد المتاجرة والعودة من حيث أتوا ، بل كانوا يستقرون ويستعمرون وينشئون مدنا فينيقية جديدة ، وكان الفينيقيون الذين يستقرون لا يثيرون فزع السكان الاصليين ، فقد كانت أعدادهم قليلة ، وكانوا يتسربون دون أن يثيروا الريب والشكوك، ولم يكن لهم اتجاه سياسى معين ، فسرعان مايتلاءمون مع الوسط الذى يعيشون فيه ، فاذا تم انشاء المستعمرة واستقر فيها المهاجرون بدأت تتصل بالمدن الفينيقية الكبرى عن طريق البحر ، وتعمل على تصريف المنتجات الفنيقية فى البلاد التى تنشأ فيها ، كما تعمل على جمع المادة الخام ، وارسالها الى بلاد الشام •

وهكذا انتشرت المستعمرات من رأس الدلتا الى ساحل قلقية الى بلاد اليونان ، كما انتشرت فى جزر البحر الابيض المتوسط،ومستعمراتهم فى شرق البحر المتوسط أقدم من مستعمراتهم فى أفريقيا وأسبانيا ، فقد استقروا فى قبرص ورودس منذ منتصف القرن الحادى عشر ، ثم استقروا بعد ذلك فى صقلية ثم فى سردينيا •

وقد وصلت المغامرات الاستعمارية الفينيقية فى غرب البحر المتوسط

13) S. A. Cook, in CAH, III, Cambridge, 1965, P. 367.

(١٤) انظر عن الآراء التى دارت حول موقع أوفير (محمد بيومى مهران : اسرائيل ٧٨٢/٢ ـ ٧٩٣) •

(١٥) ج • كونتنو : الحضارة الفينيقية ص ٧٤ •

الى الذروة بعد منتصف القرن العاشر قبل الميلاد الى منتصف القـــرن الثامن قبل الميلاد ، فقد انشئت مستعمرة «قرطاج» فى شمال افريقيا، وتخطوا مضيق جبـــل طارق ونفذوا الى المحيـــط الاطلسى ، وأنشأوا مستعمرة قادس (كاديس أوجاديس الحالية،قرب مصب الوادى الكبير) على شاطىء أسبانيا الغربى ، وكانوا يحصلون من هناك على الفضـــة المتوفرة فى أسبانيا •

هذا وقد كانت السفن تخـــرج من أجادير لاستجـــلاب القصدير ، فتبلغ الشاطىء الشمالى الغـــربى لاسبانيا وقد تصـــل الى جـــزائر «كاسيتيريد» (جزائر سيلى) وكل هذه البلاد الاسبانية كانت تسمى عنـــد الفينيقيين بلاد «ترشيش» ويقابل هـــذه التسمية عند اليونان «ترتيسوس»[١٦] •

وعلى أية حال ، فان اســـم «ترشيش» الذى نصـــادفه فى كتابات التوراة[١٧] وآشور ، هو اسم فينيقى على الاغلب ، بمعنى المنجم أو مكان المصهر أو معمل تكرير ، هذا وقد اكتسبت تسمية «ترشيش» بسبب بعد البلاد معنى غامضا ، وصارت تعنى المغرب الاقصى ، أو أبعد البلاد التى بلغتها التجارة الفينيقية ، وان ذهب بعض الباحثين الى أن ترشيش هى «طرسوس» فى قلقيا ، حيث كانت هناك مستعمرة فينيقية ، كما أن طقوس عبادة البعل فيها تشبه تلك التى فى صور وقرطاجنة[١٨] •

وهناك من المستعمرات الفينيقية فى أسبانيا أيضا «مقـــة» (ملاكة بالفينيقية) ومعنى اسمها «دكان» أو معمل صغير ، ويذكر «سترابو»

---

(١٦) حسن احمد محمود : المرجع السابق ص ٣٩٥ ، فيلب حتى : المرجع السابق ص ١١١ ـ ١١٣ ، ج• كونتنو : المرجع السابق ص ٩٦ ، وكذا Herodouts, III, 115.
وكذا Strabo, III, S, 11.

(١٧) ملوك أول ٢٨/٩ ، ٢٢/١٠ ، اخبار أيام ثان ٢١/٩ ، ٢٠/٣٦ ، أشعياء ١٩/٦٦ ، ارميا ٩/١٠ ، حزقيال ٢٧ /١٢ ، مزمور ٧/٤٨

(١٨) قاموس الكتاب المقدس ٢١٦/١ ، ج • كونتنو : المرجع السابق ص ٩٦ ، فيلب حتى : المرجع السابق ص ١١٢ ، وكذا
W. Albright, in Study in History of Civilization P. 42.

مكانا لتمليح الاسماك فى هـذه المدينة ، وهـو أمر يدل على ما كانوا يصنعونه هناك ، وكانت «قرطبة» فى الاصل مدينة ايبيرية استولى عليها الفينيقيون ، وأقدم نقودها تحمل حروفا فينيقية استبدلت فيمـا بعد باليونانية(١٩) •

ولعل من أهم المستعمرات الفينيقية فى جزر البحر المتوسط انمـا كانت «صقلية» التى اتخذوها محطة ينتفعون بها فى أسفارهم الخطيرة الى أعمدة هيرقل (وهما الرأسان الصخريان عند مضيق جبل طارق) ونزلوا خاصة فى «بانورموس» (بالرمو) وسوليئس (سولونت) وفى «موتيا» ، ومواضع هذه المدن الصقلية الثلاث مواضع اختيرت فى عناية بالغة مسترشدين بما يجدون فيها من المنافع ، وكانت (بانورموس) فى أحد الخلجان ، و «سوليئس» عند أحد الرؤوس ، وموتيا على جزيرة فى بطن الخليج الواقع شمال رأس ليلبيه ، وكانت الاخيرة أهمها جميعا، حيث كانت القاعدة الاساسـية التى انطلقت منها «قرطاج» لمبـاشرة حروبها الصقلية حتى حوصرت ودمرت عام ٣٩٨ ق•م •

وطبقا لرواية ديودور الصقلى ، فلقد استقر الفينيقيون أيضا فى جزيرتى مالطة وجولوس وذلك لانها جزر واقعة فى عرض البحر صالحة للاساطيل لتكون مرافىء ارتفاق عند المرور من شرق البحر المتوسط الى غربيه(٢٠) •

هذا وقد كان للفينيقيين عدة مراكز فى «كورسيكا» و «سردينيا» ، ففى سردينيا كانت هناك أربع مدن رئيسة هى : سولكس وكارالكس ونورا وثاروس ، وكانت «سولكس» تقع على السفح الداخلى لجزيرة «أنتيكو» الحالية ، الى جانب ممر يصل الجزيرة بالارض الرئيسـية وأما الثلاثة الاخرى فهى مرتفعات جبلية •

---

(١٩) فيلب حتى : المرجع السابق ص ١١٣ ، وكذا
Stralo, III, 4, 2.

(٢٠) ج • كونتنو : المرجع السابق ص ٩٥ ـ ٩٦ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ١٨٦ •

هذا ولم يعثر فى «سـولكس» الا عـلى آثار قليـلة تكشف عن طبوغرافيتها الفينيقية ، وان عثر بها على فخار فينيقى يرجع الى القرن الثامن ق٠م ، ويعد أقدم ما عثر عليه فى سردينيا ، كما عثر على عدد من الالواح تشبه نظائر لها عثر عليها فى حظائر «تانيت» فى قرطاج ، مما قد يشير الى احتمال وجود معبد هناك ٠

وأما فى «كارالس» (كاليارى) حيث حجبت أبنية من عصر متأخر الطبوغرافية الفينيقية ، فـان المحلة الاصلية تشـبه من نواحى كثيرة نظيرتها بالقرب من مرتفع «سان ايليا» الى الجنوب الشرقى ، وربما كان موقع الميناء القديم حيث توجد البحيرة المالحة اليوم الى شرقى «كاليارى» ، ولم يعثر هناك على مقابر من عصر مبكر ، ولكننا نلتقى بالمقابر من القرن الخامس وما بعده منتشرة على طول جانب التل الى شمال غرب المدينة الحديثة ٠

وأما «نورا» فتقع عند طرف شبه الجزيرة ، ولها ميناء ، ولم تشغل منذ العصر الرومانى الا بقلعة فى العصور الوسـطى فى مكان قلعـة فينيقية ، وقد عثر بها على مقابر من القرن السادس وما بعده ، كمـا عثر على معبد للمعبود «تانيت» ومجموعة ضخمة من اللوحات والاوانى الجنزية ٠

وأما «ثاروس» ، فتقع الى الغرب من الجزيرة ، ولاتزال بحـاجة ماسة الى اجراء حفائر بها تكشف عن آثارها[٢١] ٠

هذا وقد سعى الفينيقيون للنزول ببلاد اليونان ، وكثر تردد تجارهم عليها ، بل يبدو أن بلاد اليونان لم تخل من مستعمرات فينيقية ، يدل على هذا انتشار الاسماء السـامية فى بلاد اليونان ، كمـا أن بعض المعبودات اليونانية متأثرة بالديانة السامية ، ويبدو أن الفينيقيين لم يتركوا ناحية من البحر المتوسط ، الا أوغلوا فيها فانتشروا فى ساموس

---

(٢١) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٦٠ ٠

وكريت ، بل يذهب «ديودور الصقلى» الى القول بأن أهل مالطة من أصل فينيقى ، كما أن أهل «تراقيا» فينيقيوا الاصل أيضا ، وعلى أية حال ، فليس بجزيرة مالطة آثار لمدينة فينيقية ، ومع ذلك فهناك مقابر «بونية» كثيرة ، ترجع الى القرن الخامس ق٠م وما بعده،وهناك عدد قليل منها يرجع الى القرنين الثامن والتاسع ، وربما كان أشهر مواقعها هو حيث تقع اليوم مدينة «فاليتا»[٢٢] ٠

هذا وتتصل «كورنثوس» ، وهى مؤسسة فينيقية فى الغالب ، بإله من أصل فينيقى هو «مليكرتس» (ملقارت) ، كما تذكر الاساطير ٠

ثالثا : قرطـــاج

لا ريب فى أن أعظم المدن الفينيقية عبر البحر قاطبة انمـــا كانت «قرطاج» ، وتقع على مقـــربة من مدينة تونس الحـــالية ، فيما بين «بوسعيد» و «لاجويت» ، ويرجع تأسيسها الى عام ٨١٤ ق٠م ، وان زعم البعض الى أنه يرجع الى ما قبل ذلك ، الى القرن الثالث عشر ق٠م، كما أن أقدم مخلفاتها لا تشير الى أنها ترجع الى ما قبل القرن الثامن ق٠م ، حيث ثبت الان عدم وجود أية آثار فينيقية الاصل فى تلك المناطق قبل حوالى ٧٥٠ ق٠م[٢٣] ٠

هذا ويذهب البعض الى اسم «قرطاج» الفينيقى مشتق من كلمتى «قرت حـــدشت» بمعنى المدينة أو القـــرية الحديثة ، وطبقا لقصــــة انشائها[٢٤] ، وبعبارة أصح أسطورة انشائها ، فقـــد أسستها الاميرة

(٢٢) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص١٦٠ ــ ١٦١ ، حســن أحمد محمود : المرجع السابق ص ٣٩٥ ، وكذا

Diodorus, V, 12, 2-4.
H. R. Hall, Op. Cit., P. 523.
Autran, Phenicines, P. 5.

فيلب حتى : المرجع السابق ص ١١٣ ٠

23) D. Harden, The Phoenicians, London. 1963, P. 54.
وكذا B. H. Warmington, Carthage, London, 1960, P. 22.

(٢٤) أنظر : رشيد الناضورى : المغـــرب الكبير ــ بيروت ١٩٨١ ــ الجزء الاول ص ١٦٢ ــ ١٦٣ وكذا : محمد بيومى مهران : المغرب القديم ــ تحت الطبـــع ٠

«اليسا» ابنة «متان» ملك صور،عندما هربت من ظلم أخيها «بيجماليون» ويسمى الرواة الاميرة «اليسا» هذه باسم «ديدون» أى «الهاربة» ، وليست لدينا أية وثائق تسوغ قبول هذه الرواية أو رفضها[٢٥] .

وعلى أية حال ، فمنذ تأسيس قرطاج عـام ٨١٤ ق.م ، اعتبرت نفسها جزءا من مدينة «صور» ، أو بعبارة أخرى تابعة لها ، وكانت ترسل فى كل عام عشر دخلها لصور ، فضلا عـن رسول يقوم بتقديم القرابين لمعبود مدينة صور «ملقارت» .

ولم يبدأ التاريخ الحقيقى لقرطاج الا منذ القرن السادس ق.م ، عندما بدأت صور تضمحل ويقل شـأنها تحت تأثير ضربات «نبوخذ نصر» (٦٠٥ ـ ٥٦٢ ق.م) ، وسرعان مـا ازدهرت قرطـاج ، حتى غدت زعيمة المدن الفينيقية فى أواسط البحـر الابيض المتوسط ، ثم سارت قرطاج على نفس سياسة صور وصيـدا ، فأظلت المستعمرات الفينيقية بحمايتها ، وأسست مستعمرات جديدة ، مثـل المستعمرات التجارية فى جزيرة «اليسـا» بين سردينيا وأسبانيا حوالى عام ٦٥٠ ق.م ، فضلا عن مستعمرة أخـرى على شواطىء «مينوركا» فى جزر البليـارد[٢٦] .

غير أن الصدام سرعان ما بدأ بين القرطاجيين واليونـان بسبب المنافسات التجارية والسياسية بينهما ، وقد بدأت بوادر ذلك الصدام فى جزيرة صقلية التى جمعت بين الفينيقيين واليونانيين ، وذلك فى بداية القرن السادس قبل الميلاد ، ولم تستطع مدينة صـور القيام بدور الحماية والدفاع عن هـذه المراكز الفينيقية الغربيـة بسبب الضغط الآشورى والبابلى الكلدانى .

وهكذا بدأت مدينة قرطاج تحتل مكان الزعامة ، وعملت على تحقيق

---

(٢٥) ج . كونتنو : المرجع السابق ص ٩٨ .
(٢٦) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ١٨٥ ـ ١٨٦ ، وكذا
وكذا O. Harden, Op. Cit., P. 54.

تلك الحماية ، ويمكن القول أنه منذ ذلك الوقت بدأت الدول القرطاجية فى التواجد فعلا ، كقوة سياسية سامية جديدة فى غربى البحر الابيض المتوسط ، منذ حوالى منتصف القرن السادس ق•م •

هذا ولم يقتصر التهديد اليونانى على جزيرة صقلية ، وانما ظهر أيضا على الساحل الليبى فى طرابلس ، حيث استقرت بعض العناصر اليونانية وحاولت أيضا منافسة القرطاجيين ، هذا فضلا عن القوة الفارسية العظيمة التى وصلت سيادتها حتى مصر فى عام ٥٢٥ ق•م ، ثم حاولت التحرش بالمراكز الفينيقية فى الشمال الافريقى ، وعلى رأسها قرطاج ، ولكن البحارة الفينيقيون فى الاسطول الفارسى امتنعوا عن تنفيذ الاوامر الفارسية ، وبذا تخلص الفينيقيون من عنصر جديد قوى ، كان من أشد الاخطار التى تهدد تواجدهم فى تلك المنطقة(٢٧) •

وايا ما كان الأمر ، فان الحرب سرعان ما نشبت بين اليونانيين والقرطاجيين حوالى عام ٥٥٠ ق•م ونجح «ملخوس» (ملك=سيد) أن يهزم اليونانيين فى صقلية ، وأن يطردهم منها ، غير أنه انهزم فى سردينيا فعاقبه مواطنوه بالنفى من قرطاج ، وعندئذ تحول ضد وطنه وحاصر قرطاج وأخذها وتولى حكمها ، ثم خلفه «ماجون» وعلى يديه تدعمت قوة قرطاج ، وفى حوالى عام ٥٣٥ ق•م ، وقع اشتباك بحرى بين اليونان والاسطول الفينيقى ، وفى ظل النصر طرد القرطاجيون اليونان من كورسيكا ، وأحلوا مكانهم حلفاءهم أهل «اتروريا»(٢٨) •

وثبت القرطاجيون أقدامهم فى هذه الفترة أكثر من موضع على شاطىء أسبانيا ، وامتدت امبراطوريتهم القوية فى القرن السادس ق•م ، من حدود ليبيا الى أعمدة هيرقل (هيركوليس) وضمت جزر البليارد ومالطة وسردينيا ، وبعض مواقع على ساحل أسبانيا والغال ، وهكذا فان الفرصة التى لم تتح لصيدا وصور ، تحت النفوذ المصرى

---

(٢٧) رشيد الناضورى : المرجع السابق ص ١٧٢ ــ ١٧٣ •
(٢٨) ج • كونتنو : المرجع السابق ص ٩٨ ــ ٩٩ •

والاشورى ، فى أن تكون امبراطورية ، فقد نجحت قرطاج فى أن تفعل ذلــك[٢٩] •

وفى عام ٥٠٩ ق•م ، عقدت قرطا جأول حلف مع رومـــا ، وظل تاريخ قرطاج طوال القرن الخامس كله يدور حول صراعها الطويل مع صقلية ، وهو صراع انتهى لصالح قرطـــاج •

وفى القرن الثالث قبل الميلاد بدأت الحرب البونية ، وفى الحرب الاولى منها (٢٦٨ — ٢٤١ ق•م) انتصر الرومان فى البحر ، وفشلوا فى أفريقية ، فانحازوا الى صقلية وانتصروا بها على أهل قرطاج •

وفى الحرب البونية الثانية (٢١٩ — ٢٠٢ ق•م) قــام «هانيبال» (حانى بعل بالفينيقية ، ومعناه نعمة بعل) ، وكان قد أقسم ، وهو ما يزال يافعا ، أن يكون عدو روما الدائم بمشروعه الذى كرس له حياته ، وزحف على ايطاليا من أسبانيا ، بطريق جبال الالب ، وبعد قتال ناجح دام ١٥ عاما فى الارض الايطـــالية هوجمت رومــا أثناءه ، استدعى «هاينبال» الى أفريقية ، وهناك كسر فى معركة «زاما» عام ٢٠٢ ق•م الحاسمة فى جنوب غربى قرطـــاج •

وفى عام ١٩٦ ق•م ، هرب هانيبال الى صور ، ومن هناك اتصل بملك سورية «انطيوخس» واشترك معه فى الحرب ضد أعداء قرطاج الالداء ، غير أنه كسر نهائيا ، ولم يعد له أمل فى الهرب ، فانتحـــر فى آسيا الصغرى فى عام ١٨٣ ق•م ، وهو يقول «أن هذا سيوفـــر على الرومان قلقهم فى انتظار موت رجل مسن مكروه» •

وفى الحرب البونية الثالثة (١٤٩ — ١٤٦ ق•م) انتصر الرومان على القرطاجيين ، وانتهت قرطاج ، وخربت تخريبا تاما ، حتى لم يبق منها شىء قائم ، وحرم للابد بناء مساكن عند موقع المدينة المهدمة ،

---

(٢٩) فيب حتى : المرجع السابق ص ١١٦ •

والتى تركت طعمة للنيران لمدة سبعة عشر يوما ، حتى جعلت موقعها كومة من الرماد ، ثم اعملوا المحراث فيها ، ومع ذلك فروما نفسها هى التى أسست منازل لحامية جديدة فى موقع قرطاج ، بعد هدمها بأربع وعشرين سنة ، الا أن تاريخ هذه المدينة الجديدة ـ الوارثة للمستعمرة الفينيقية يدخل فى تاريخ روما ، وليس فى تاريخ قرطاج[٣٠] .

بقت الاشارة الى أهم المستعمرات الفينيقية فى الشمال الافريقى ، غير قرطاج ، والتى أهمهـا :

(أ) اوتيكـا :

أو « عتيقة بمعنى القديمة أو القديمة ، تمييزا لها عن قرطاج بمعنى الحديثة ، وقد سماها «ابن خلدون» (وطاقة) ، وتعتبر أقدم مستعمرة فينيقية فى الشمال الافريقى ، على الارجح ، وقد أسستها صور حوالى عام ١١٠٠ ق.م ، وكانت تقع على مرتفع مـن الارض عند مصب نهر «بجراداس» أهم أنهار تونس ، الذى يجرى فى أخصب بقاعها ، وقد تغيرت معالم الموقع اليوم عنهـا فى العصور القديمة ، فغطى الغـرين المجرى الادنى للنهر ، حتى ليرى موقع المدينة الفينيقية الرومانية اليوم فوق مرتفع يحيط به الطمى الفيضى على مبعدة ١٠ كيـلا من البحر ، ويمكن التعرف على القلعة القديمة عند تل كان يوما ما فى داخل البحر ، مع جزيرة الى شرقه ، يفصلها عنه ممر مائى ضيق .

هذا وما تزال هناك ، كما هى الحال فى قرطاج ، خرائب رومانية كثيرة ، وان كان من العسير التعرف على آثار بونية ، وقد ترجع أقدم المقابر هنا الى القرن الثامن ق.م ، ومكانها على جانبى الممر المائى ، أما المقابر من العصر المتأخر فبعيدة الى الغرب والشمال[٣١] .

---

(٣٠) أنظر : رشيد الناضورى : المرجـع السابق ص ٢٤٤ ـ ٢٨٣ ، ج . كونتنو : المرجع السابق ص ٩٨ ـ ١٠٠ نجيب ميخائيل : المرجـــع السابق ص ١٧٩ ـ ١٨١ ، فيلب حتى : المرجع اسابق ص١١٦ ، وكذا
B. H. Warmington, Carthage, London, 1960, P. 160-205.

(٣١) نجيب ميخائيل : المرجع السـابق ص ١٦٤ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ١٨٥ ، ج . كونتنو : المرجع السابق ص٩٧ .

(٢) هيبـــو :

وهى بنزرت الحالية ، وكان لها مرفأ عظيم فى بحيرة بنزرت ، وكانت مقـــرا ملكيا ، ولذا أعطيت لقب Regius ، وكلمة «هيبـــو» كلمة ليبية ، وتذهب الاساطير الى أن «ليبيـــا» وهو الاسم اليونانى لشمال أفريقيا ، كانت فى الاصل اســـم زوجة الاله «بوسيدون» اله البحر ، ووالدة «أجينور» ملك فينيقيـــا •

(٣) ليبتـــس :

وهى المدينة الوحيدة التى اختيرت فى موقع غير مناسب ، بجوار خليج «سرته» ، ولم يكن لها مرفأ الا مصب نهر •

(٤) وأما أبعد مكان أمكن الكشف عنه على الساحل الافريقى غربا ، فكان الى جنوب مدينة «موجادور» مباشرة ، على شاطىء المغرب بين الدار البيضاء وأجادير ، حيث يصب نهـــر «كسوب» فى خليج صغير تذود عنه أمواه المحيط جزيرة صغيرة ، طولها ٣ كيلا ، وعرضا ١½ كيلا ؛ وتبعد عن الشاطىء بمسافة تتـــراوح بين كيلو ونصف ، وثلاثة كيلو مترات ، وقد عثر هناك على ما يؤكد قيام مستعمرة فينيقية بها[٣٢] •

---

(٣٢) فيلب حتى : المرجع السابق ص ١١٠ ، ج• كونتنو : المرجع السابق ص ٩٧ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٦٢ ـ ١٦٣ •

الباب الرابع

الآراميـــون

الفصل الأول

الآراميـــــون

(١) موطنهم الاصلى وهجراتهم :

يذهب فريق من الباحثين الى أن الموطن الاصلى للاراميين ، انما كان فى الصحراء العربية السورية[1] ، ومن ثم فقد ذهب البعض الى اعتبار منطقة الهلال الخصيب هى الموطن الاول للاراميين ، غير أن هناك من يرى أن قيام دولة أرامية أتخذت من دمشق عاصمة لها ، وبسطت نفوذها على شمال الشـــام ، واقليم الجزيرة ، انما كان من وراء هذا الاتجاه[2] ، ولكن المرجح ــ كما أشرنا من قبل ــ أن ذلك الموطن انما كان فى شبه الجزيرة العربية[3] .

هذا وقد توصل «ب • مورتز» بعد دراسة لأسماء الاراميين الى أن القوم ما كانوا الا عربا ، حيث أن هذه الاسماء قد سبق أن عرفت بأنها كلمـــات عربية ، ومن ثم فان الاراميين عـــرب بالمعنى الواسع للاصطلاح الذى استعمله «سبرنجــر» بصفتهم احـــدى المجموعات السامية التى اتجهت الى الهلال الخصيب ، وبدون شك فان أسماءهم الفعلية لدليل على جنسهم السامى ، كما أن هذا يشير الى نطق البدوى فيما قبـــل الارامية المبكرة ، قبل انتشـــار اللغة الارامية فى الهـــلال

---

1) M. F. Unger, Israel and the Aramaeans of Damascus, London, 1957, P. 38.

A. Dupont - Sommer, Les Aramaens, Paris, 1949, P. 15.

(٢) حســن محمود : حضارة مصر والشرق القديم ــ العبرانيون ــ ص ٢٤٩ .

(٣) كارل بركلمان : العرب والامبراطورية العربية ص ١٣ ، وكذا
E. G. Kraeling. Aram and Israel, N. Y., 1918, P. 13.

الخصيب[٤] .

وعلى أى حال ، فان الاراميين انما يمثلون الموجة الثالثة من موجات الهجرات السامية من شبه الجزيرة العربية ، بعد موجة الاراميين من ناحية الشمال ، ويتحركون الى الشرق من ناحية العراق ، والى الغرب من ناحية سورية ، حتى بدأ القوم يستقرون فى العراق الاوسط .

وهكذا كان الاراميون — قبل أن يستقــروا فى مواطنهم الجديدة ويكونوا امارات ودويــلات صغيرة — منتشرين فى البادية انتشــارا واسعا ، حيث كانوا ينتقلون بين نجد فى الجنوب ، وحدود الشام فى الشمال ، ونهر الفرات فى الشرق ، وخليج العقبة فى الغرب[٥] .

كانت الجزيرة العربية — كما قلنا آنفا — تقذف بالموجة تلو الموجة الى منطقة الهلال الخصيب المتاخمة والجذابة ، وكان الاراميون احدى هذه الموجات التى خرجت من بلاد العرب فى فترات من القحط ، ربما كانت بالغة الخطورة[٦] ، ثم اندفعت نحو الشمــال وهبطت سورية وفلسطين ، واستقرت فى البقاع والبلدان المخصبة التــى تحيط بشبه الجزيرة العربية من الشمال ، ثم سرعــان ما بدأت القبائل الارامية تتوغل فى العراق وسورية ، وان كان ذلك بدرجة بطيئة ، بحيث أستغرق هذا التوغل فترة طويلة ، حتى تم للقوم الاستقرار فى نهايتها فى المناطق التى طابت الاقامة لهم فيهــا[٧] .

وأما متى تمت هذه الهجــرة الارامية ؟ فليس عند العلماء اجابة

4) Paymond, A. Bowman, in JNES, 7, 1948, P. 66-67.

(٥) مراد كامل ومحمد حمدى البكرى : تاريخ الادب السريانى من نشأته الى الفتح الاسلامى — القاهــرة ١٩٤٩ ص ٣ ، جرجى زيــدان : العرب قبل الاسلام ص ٤٤ .

(٦) كارل بروكلمان : المرجع السابق ص ١٣ .

(٧) بولس عياد : الآرميون فى مصر ، القاهــرة ١٩٧٥ ص ٧ — ٨ وكذا

H. R. Hall, The Ancient History of the near East, London, 1963, P. 400.

يمكن أن تصل الى حد اليقين ، ويؤكـد «دوبون ـ سومير» أنه ليس هناك أى دليل قاطع يبين العصر الذى توغل فيه الاراميون من أراضى الهلال الخصيب أو المنطقة التى خرجوا منهـا[8] وان رأى أستاذنـا الدكتور نجيب ميخائيل أنها تمت فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد[9] .

٢ ـ بدء ظهور الاراميين :

كان الاعتقاد السائد من قبل أن نقش الملك الاشورى «أريك ــ دين ايلـو» (١٣١ ــ ١٣٠٦ ق٠م) ، ثم نقش «تجـلات بلاسر الاول» (١١١٢ ــ ١٠٢٦ ق٠م) يحتويان على أقـدم اشارة الى الاراميين ، ولكن ثبت الان أن الاراميين يرجعون الى أزمنة موغلة فى القدم : اذ يذكر نقش الملك «نارام ـ سن» (٢٢٩١ ــ ٢٢٥٥ ق٠م) ــ ويرجع الى القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد ــ اقليما يدعى «أرام» ويبدو من النص أنه كان يقع فى أعالى بلاد الرافدين ، وان كان تفسير هذا النص ليس مؤكدا على وجه اليقين ٠

غير أن أرام سرعان ما تذكر من جديد بعد ذلك بقليل ، على لوحة وثائق «درهم»[10] التجارية ، التى ترجع الى حوالى عام ٢٠٠٠ ق٠م ٠ وتشير الى مدينـة أو دولـة « أرام » ، علـى مقربـة من «اشنونا» (تل الاسمـر الحاليـة) فى وادى دجلـة الاسفل ، وثمـة لوحـة أخرى من لوحات «درهم» ترجع الى بضع سنوات بعد ذلك ٠ وقد جاء فيها «أرام» علما للشخص ، وقد تكرر هذا الاسم العلم مرة أخرى ، حوالى عام ٧٠٠ ق٠م ، فى نصوص «مارى» وحوالى عام ١٤٠٠ ق٠م فى نصوص «أوجاريت» ٠

---

8) A. Dupont-Sommer, Op. Cit., P. 15.

(٩) نجيـب ميخـائيل : مصر والشرق الادنـى القديـم ١٩١/٥ (الاسكندرية ١٩٦٣) ٠

(١٠) يرى «موسكاتى» «أن درهم» مدينة سومرية قريبة من «نيبور» وكانت تسمى قديما «بزر شد جن» بينما يرى الدكتور محمد عبد القادر أن درهم أو «دريهم» أسم شخص (سبتينو موسكاتى : المرجع السابق ص ١٧٦ ـ ١٧٩ محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٢٠٠) ٠

هذه أقدم ما لدينا من اشارات الى الاراميين ، وبدهى أنها لا تكفى لمعاونتنا على تتبع تاريخهم القديـم ، ولكنها تكفى لبيان الحاجة الى تعديل الرأى الذى كان سائدا فى وقت ما من أن ذلك التاريخ انما يبدأ فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد[١١] ، كما أشرنا من قبل ، ومن الجائز أنه قبل استعمال اصطـلاح «الاراميين» فان هذا الشعب انمـا كان يعرف بأسماء قبلية مختلفة ، وفى الفترة الاشورية التى تبدأ من عهد «سرجون الثانى» (٧٢٢ ـ ٢٠٥ ق٠م) كان يوجد أكثر من خمسين اسما لقبائل أرامية ٠

٣ ـ اسم أرام والاراء التى دارت حوله :

اختلفت الاراء حول معنى اسم «أرام» فقد ذهب بعض اللغويين الى أن أصل الاسم مشتق من كلمة «ان ع ام ون» أى «مخلوقات» أو كما فسره أحد العلماء بأنه اسم أو لقب اله ، ولكن «كريلنج» يذهب الى أن اسم «أرام» انما هو اسم لشعب ، وليس اسم منطقة ، وأن أرام انما يعنى سكان البلاد ،المرتفعة أو العالية ، وحتى هذه التسمية (أى البلاد المرتفعة) انما كانت موضع خلاف ، فالبعض يرى أنها أطلقت على القوم باعتبارهم من «نجد» ، والبعض الاخر يذهب أن الاسم لم يطلق عليهم حتى ابان اقامتهم فى منطقة «طور عبدين» ، وأن تعبير سكـان البلاد المرتفعة أطلق عليهم لاقامتهم فى أعلى الدجلة والفرات ، باعتبار أن هؤلاء كانوا بالنسبة لسكان الوادى (دجلة والفرات) يعيشون فى أماكن مرتفعـة[١٢] ٠

ولعل علاقة الاراميين بالاخلامو والكلدانيين[١٣] ، انما كانت سببا فى التوسع فى مدلول لفظ «الاراميين» اذ يطلقها البعض على الشعوب السامية التى تناثرت وتتابعت فى منطقة الهلال الخصيب ، ويعللون ذلك

---

11) P. A. Dowman, Op. Cit., P. 66-7.

(١٢) بولس عياد : المرجع السابق ص ٨ ٠

(١٣) فيلب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ـ الجزء الاول ص ١٥٧ ، ١٧٥ ، ٢٣٨ ٠

بأن بلاد الارامين يقال لها عند اليهود أرام ، لان أرام بن سام هو الذى تبوأها وعمرها بنسله[١٤] .

هـذا ويتجه بعض الباحثين الى أن الذين حملوا اسـم «أرام» وأطلقوه على السكان الاراميين فى سورية ، انما هم «الحيثيون» الذين كانوا على اتصال بأرامى أعالى الدجلة والفـرات ، ثم سيطروا على سورية ، وفى تلك الاثناء نقلوا الاسـم الى سورية من أعالى الدجلة والفرات ، ولعل هـذا هو السبب فى أن اسـم الاراميين أطلـق على «الاخلامو» الذين دخلوا سورية بعد تدهـور قوة الحيثيين ، ويرجح «كريلنج» أن هذه القبائل لم تحمل اسم «أرام» حتى اقامتهم فى منطقة طور عبدين ، وأن تعبير (أرام النهرين) ظهر حوالى القرن الثالث عشر قبل الميلاد[١٥] ولكن (مريل أونجر) يشير الى حقيقة هامة ، وهى أن الاسم لم يطلقه عليهم الاشوريون عندما سكن الارميون فى منطقة طور عبدين ، بل يرجع الى عهد أسبق من ذلك[١٦] .

(٤) الاراميون والاخلامو :

هناك من الادلة ما يشير الى أن الاراميين قد ذكروا مع الاخلامو ، بصورة وثيقة فى شمال بلاد الرافدين[١٧] ، وكان تكرار الاسمين معا مما لفت انتباه العلماء ، فهناك نقش للملك الاشورى (اريك ـ دين ـ ايلو)، يتحدث فيه عن انتصاراته على جماعات (أخلامو) ، كما يرد كذلك نفس الاسم فى تاريخ خلفائه ، حتى اذا ما وصلنا الى عهد (تجلات بلاسر

---

(١٤) تكوين ١٠ : ١٢ ، اقليمس يوسف داود : اللمعة الشهية فى نحو اللغة السريانية ، الموصل ١٨٩٨ ض ٧ .

(١٥) بولس عياد : المرجع السابق ص ٨ ، وكذا
Emil G, Kraeling Op. Cit., P. 20-22.

(١٦) M. F. Unger, Op. Cit., P. 39. ، ثم قارن : تكوين ١٠ : ١٢، أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ص ١١٦ وما بعدها ، وكذا
Sabatino moscati Histoire et civilization des peuples Semitiques Paris, 1955, P. 164.
وكذا E. G. Krasling, Op. Cit., P. 21-22.

(١٧) فيلب حتى : المرجع السابق ص ١٥٧ ،

الاول) ، فاننا نجد العاهل الاشورى انما يعلن أنه قد هزم (الاخلامو الارامبين) الذين جاءوا من الصحراء مغيرين على ضفاف الفـرات ، وهكذا كان ذكر (الاخلامو) مع (الاراميين) سببا فى أن يظن البعض بأن الاراميين فرع من الاخلامو ، وأن كلمة الاخلامو انما تعنى (حلفاء)، لان أصل الكلمة العربية (خلم) (بكسر فسكون) انما يعنى صديق أو صاحب ، وجمعها (أخلام وخلماء)[١٨] .

غير أن هناك فريقا من العلماء ، انما يذهب الى أن كلمة (خلم) لا تعنى فى هذا الموضع (حليف) ، بخاصة وأن صيغـة الجمع (أخلامو) انما ترجع الى عصر أحدث[١٩] ، هذا فضلا عن أن هناك أراميين آخرين يحملون اسما آخر أو أسماء أخرى ، كما أن البدو الاسيويين انما كانوا معروفين للمصريين منذ أيام الاسرة الاولى (حوالى عام ٣٢٠٠ ق٠م) تحت اسم (ستيو) (Setia) هذا فضلا عن أنهم قد ذكروا فى النقوش الاكدية منذ حوالى عام ٢٧٠٠ ق٠م وأنهم قد استقروا على طول الفرات الاوسط فى منطقة تدعى (Sutium) [٢٠] .

ويفضل (سبتينو موسكاتى) أن يفسر اسم (أخلامو) على أنه انما كان اسما يطلق على قبيلة من القبائل البدوية ، ثم توسع فى استعمال الاسم ،وهكذا يمكن اعتبار كلمة أخلامو ، انما تعنى المتحالفين ، وهنا يبدو أن الاراميين انما كانوا جزءا من هذا التحالف ، الذى تكون ضد (اريك — دين — ايلو) ، وأما بعد أيام (تجلات بلاسر الاول) فاننا نجد فى المصادر الاشورية عدة اشارات أخـرى الى (الاخلامـو) و (الاخلامو — الاراميين) ، ولكن الاسم البسيط (الاراميين) يزداد ورودا ، وأخيرا ينفرد بالاستعمال[٢١] .

---

(١٨) سبتينو موسكاتى : المرجع السابق ١٧٧ ، ٣٤٤ .
(١٩) محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ١٢٠ .
20) R. A. Bowman, JNES, 7, P. 67.
(٢١) موسكاتى : المرجع السابق ص ١٧٧ ، ٣٤٥ .

(٥) الأراميــون والعبرانيون :

ان العلاقة بين أرامى ما بين النهرين[٢٢] وبين العبرانيين — طبقا لرواية التوراة[٢٣] — انما هى جد وثيقة ، وطبقا لتقاليد الاباء الاوائل التى سجلت فى سفر التكوين ، فقــد كان يعيش فى (فــدان أرام) وميزوبوتاميا وبيت ايل ولابان قوم يدعون الاراميون ، ويعتبرون من سلالة «ناحور» (أخى ابراهيم الخليل)[٢٤] ، وينتسب الى هؤلاء مجموعة الاراميين الذين أرسل اليهم ابراهيم يطلب زوجة لولده اسحاق[٢٥] : كما بعث اسحاق كذلك بابنه يعقوب ليتزوج من هناك — من أبنتى لابان «ليئة وراحيل» ، وكذا من جارتيهما «زلفة وبلهة»[٢٦] ·

وهكذا فمن المجتمع الارامى فى ميزوبوتاميا جاءت النسوة الاراميات ، زوجات يعقوب الاربع ، واللائى يعتبرون ، على الاقل طبقــا لتقاليد التوراة ، جدات القبائل العبرانية ، ومن هنا فاننا نــرى كاتبا عبرانيا يعترف بعد ذلك بهذه التقاليد قائلا «أراميا تائها كان أبى[٢٧]»وهكذا لم يكن هناك فارق كبير بين العبرانيين والاراميين ، ومن المحتمل أن العنصرين كانا قد امتزجا عند التخوم بينهما من أول وهلة ، وبذا أمكن القبائل الاسرائيلية الشمالية — مثل نفتالى — أن تتحول بسهولة من قبيلة اسرائيلية الى سورية أو أرامية[٢٨] ·

---

(٢٢) المقصــود بالنهرين هنــا الفرات ورافــده الخابــور ، وليس الدجلة والفرات ، هذا وليس هناك خلاف يذكر بين تعبير «أرام النهرين» و «فدان أرام» ، ذلك لان التوراة تذكر أن عبد ابراهيم اليعاذر الدمشقى أخذ عشرة جمال ، وذهب الى أرام النهرين ، الى مدينة ناحور (تكوين ٢٤ : ١٠ ، فيلب حتى : المرجع السابق ص ١٧٦) ·

(٢٣) تكوين ٢٤ : ١١ ·

(٢٤) تكوين ٧ : ١٠ ، ٢٤ : ٤٠ ، ٢٥ : ٢٠ ، ٢:٢٨

(٢٥) تكوين ٢٤ : ٣ـ ٤ ·

(٢٦) تكوين ٢٩ : ٢٧ ـ ٣٥ ، ٣٠ : ١ ـ ٢٤ ·

(٢٧) تثنية ١٦ : ٥ ، وكذا
R. A. Bowman, Arameans, Aramaic and the Bible, JNES, 7, 1948. P. 67-68.

28) H. R. Hall, Op. Cit., P. 400.

ولعل هذا هو السبب الذى دفع البعض الى أن يذهب الى أن هناك اتفاق سلام قد عقد بين الارامين والاسرائيليين منذ أيام يعقوب ، ذلك أن جماعة من الارامين قد استقرت لفترة ما ، الى الجنوب من يبوق ، والى الشرق من جلعاد ، ومن هنا كان اللقاء التاريخى الاول بين الاسرائيليين والارامين ، والذى انتهى باتفاق بين الطرفين على اقامة نصب حجرى على جبل جلعاد — ويقع غرب الاردن ويشرف على وادى يزرعيل — كحد فاصل بينها ، تعهد الطرفان بعدم انتهاكه لاغراض شريرة ، وفى الرواية الشعبية عن هذا الاتفاق كان يعقوب ممثلا للاسرائيليين — أو بالاحرى للافرايميين الجلعاديين — كما كان «لابان» خاله وأبو زوجتيه — ممثلا للارامين(٢٩) •

وتمر الايام ويصبح العبرانيون أمة ، ويقاسون المتاعب من جيرانهم الارامين ، ومن ثم يحاولون قطع الروابط القديمة منتهزين كل فرصة لابعاد تفسير الاعتراف المنسوب لابيهم يعقوب(٣٠) ، الامر الذى سوف نشير اليه بالتفصيل فيما بعد •

هذا ويستدل من نصوص بلاد النهرين على أن جماعات أرامية قد اجتاحت قسما كبيرا من هذه البلاد ، وشمال سورية ووسطها ، فى القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد ، وقد سادت العناصر الارامية فيها ، باستثناء بعض الجيوب القليلة التى كان يسيطر عليها الحيثيون ، ولكن الارامين انما بلغوا ذروة سلطانهم السياسى فى القرنين الحادى عشر والعاشر قبل الميلاد ، نظرا لضعف الامبراطوريات الكبرى فى ذلك الوقت •

(٦) الدويلات الارامية :

لعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن قوة توسع الارامين ، التى

---

(٢٩) تكوين ٣١ : ٤٣ — ٤٥ ، وكذا
M. Noth, Op. Cit., P. 159-160.
30) R. A. Bowman, Arameans, Aramic and The Bible, P. 68.

تبرز واضحة فى هذه الفترة ، لم تصحبها القدرة على تنظيم فتوحاتهم، بل لم يصحبها بصفة عامة القدرة على تنظيم دولهم نفسها ، ولم ينشىء الاراميون أبدا وحدة سياسية فعالة ، وكان العامل الاساسى فى ضعفهم انقسامهم الى ممالك محلية صغيرة ، مع كثرة الاجناس المتباينة التى اختلطوا بها ، وقد شهدت نهاية القرن العاشر قبل الميلاد نهوض آشور ، واستيلائها على الدويلات الارامية(31) ولعل من الافضل هنا أن نقسم الامارات أو الدويلات الارامية تقسيما جغرافيا ، فنتحدث عن امارات شمال العراق ، ثم شمال سورية ثم وسطها وجنوبها :

(أ) فى شمال العـراق :

غزت القبائل الارامية الجزء الشمالى من أرض الرافدين ، وأسست مجموعة من الدويـلات الصغـيرة يتكون اسمهـا من كلمـة «بيت» مضافا اليها اسم الجد الاعلى ، لعل أهمها :

(١) دويلة بيت أدينى : ومركزها «تل برسب» ، وتقع على الفرات الاعلى ، ومكانها الان «تل الاحمر» وقـد سماها «شلمنصر الثالث» (٨٥٩ — ٨٢٤ ق٠م) «كرشلمنشرد» (قلعة شلمنصر) بعد انتصـاره على «أخونى» ملك بيت أدينى(32) • وكانت دويلة بيت أدينى (بيت عادينى) تمثل أقوى ولاية فى شمال العـراق ، وقد شغلت مركـزا استراتيجيا على الطريق فيما بين حران وسورية ، ومن ثم فقد كانت تتدخل فى اشعال الثورات بين الدويلات الارامية ضد آشور — كمـا فى ثورة بيت خالوب عام ٨٨٤ ق٠م ، وفى ثورة لاق وخيندان وسوخو عام ٨٧٨ ق٠م — مما دفع آشور الى تأديب بيت أدينى واجبارها على دفع الجزية(33) ، غير أن الاخيرة لم ترعو الا بعـد أن تمكن شلمنصر

---

(٣١) موسكاتى : المرجع السابق ص ١٧٨ •

32) H. Schmokel, Geschichte des alten Vorderasien, Leiden, 1957, P. 254.

(٣٣) بولس عياد : المرجع السابق ص ١٦ •
وكذا E. G. Kraeling, Op. Cit., P. 54-59.

الثالث من القضاء عليها وضمها الى الامبراطورية الاشورية[٣٤] ــ كما أشرنا آنفا ــ .

(٢) دويلة بيت بخياني : ومركزها «جوزانا» (تل حلاف) ، هذا وقد وجدت ولايات أخرى على طول الفرات وروافده فهنــاك ضاحية سوخو وولاية خيندان الصغيرة ، واقليم «لاق» الذى به ولاية «بيت خالوب»[٣٥] .

هذا وقــد توسعت الى الجنوب من ذلك عــدة جماعات أرامية فى الجزئين الاوسط والجنوبى من أرض الرافدين ، وهنا استولى المغتصب الارامى «أدد ــ أبل ــ ادن» على عرش بابل فى القرن الحادى عشر «حوالى عام ١٠٥٠ ق.م»[٣٦] .

(ب) فى شمال سورية :

توغل الاراميون فى شمــال سورية ، مكونين عــددا من الولايات الصغيرة،منها «جرجوم» وعاصمتها «مرقاش» ــ وهى مرعش الحاليةــ و «سمأل» فى كليكيا ، وعاصمتها «سنجرلى» ، و «خاتينا» وعاصمتها «كوتالوا» و «ياخان» وعاصمتها «ارباد» ، ثم «يمخد» وعــاصمتها «خلبو» (حلب)[٣٧] ، وفى «حماه» كشفت حفائر «انجهولت» طبقــة أرامية ترجع الى حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م[٣٨] .

هذا وقد تعرضت هــذه الدويلات للضغط الاشورى عدة مرات ،

---

34) Ibid., P. 60-63.

(٣٥) موسكاتى : المرجع السابق ص ١٧٧ ، بولس عباد : المرجع ص ١٦ ، وكذا
E. G. Kraeling, Op. Cit, P. 53.

(٣٦) موسكاتى : المرجع السابق ص ١٧٧ ــ ١٧٨ ، وكذا
G. Roux, Op. Cit., P. 247-249.
H. Schmokel, Op. Cit., P. 203-247.

(٣٧) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم ٢٩/٣ ، بولس عياد : المرجع السابق ص ١٧ ، وكذا
E. G. Kraeling, Op. Cit., P. 65-66.

(٣٨) سبتينو موسكاتى : المرجع السابق ص ١٧٨ .

حدث ذلك على أيام «اشور ناصر بال الثاني» (٨٨٤ — ٨٥٨ ق٠م) الذى قام بحملة مظفرة على «خاتينا» وأجبر ملكها على الخضوع ودفع الجزية[٣٩] ، ولكن سرعان ما انتهزت خاتينا — بالاتفاق مع قرقميش وجرجوم وسمأل وبيت أدينى — فرصة وفاته وانتقال العرش الاشورى الى «شلمنصر الثالث» ، فقامت بالثورة ضد آشور ، الا أن العاهل الاشورى الجديد تمكن فى عام ٨٥٨ ق٠م من القضاء على الثورة واجبار العصاة على دفع الجزية[٤٠] ثم كتب له آخر الامر — وفى عام ٨٣٢ ق٠م — نجحا بعيد المدى فى القضاء نهائيا على الثورة ، وتوليه أحد الموالين له عرش «خاتينا» ، وسرعان ما اختفت خاتينا من النقوش وضعفت الولاية جدا ، واقتصرت على العمق لانطاكية ، وأصبحت تسمى «أونقى»[٤١] ٠

وفى القرن الثامن قبل الميلاد ، عاودت أشور الهجوم ، ففى عام ٧٤٠ ق٠م وبعد حصار دام سنوات ثلاث ، وقعت فى يد «تجلات بلاسر الثالث» (٧٤٥ — ٧٢٧ ق٠م) مدينة «أرفده» ، وتدل النقوش المكتشفة فى «سوجين» — وتقع على مبعدة ٢٥ كيلو مترا الى الجنوب الشرقى من حلب — على أنها كانت مركز المعارضة ضد آشور[٤٢] ٠

وكانت دويلة «سمأل» آخر الولايات الامورية التى ظلت تكافح من أجل استقلالها حتى القرن الثامن ق٠م ، حين نجح «شلمنصر الخامس» (٧٢٧ — ٧٢٢ ق٠م) فى القضاء على استقلالها وضمها الى امبراطوريته الواسعة ثم أقام «اسر حدون» (٦٨١ — ٦٦٩ ق٠م) شاهدا كبيرا عند مدخل المدينة مجد فيها حكمه ، وعلى أى حال ، فان ما وجد فى «سمأل» من بقايا أثرية لهلاك بالنار ، وانقطاع كل ذكر لها فى مصادرنا ، يدلان ، فيما يبدو ، على أنها لقيت نهاية فاجعة قبل مرور

---

39) E. G. Kraeling, Op. Cit., P. 66.
40) Ibid., P. 68-71.
41) Ibid., P. 71-72.

(٤٢) موسكاتى : المرجع السابق ص ١٧٨ ٠
وكذا H. Schmokel, Op. Cit., P. 262.

زمن طويل[٤٣] .

(جـ) فى وسط وجنوب سورية :

تحدثنا التوراة عن سبع ولايات أو دويلات أرامية فى سورية وشرق الاردن هى :

(١) دويلة ارام النهرين : وتقع هذه الامارة التى تسمى فى التوراة[٤٤] «فدان أرام» أو نهرين فى السهول المنبسطة بين الجزيرة والشام ، وكان مركزها مدينة «حران» التى أصبحت من مراكز الحضارة الارامية[٤٥] ، وفى هذا الاقليم تقع كذلك مدينتا «نصيبين» و «الرها» اللتين اشتهرتا كمركزين للثقافة والآداب السريانية[٤٦] .

وتعتبر دويلة أرام النهرين أقدم الامارات الارامية فى سورية وشرق الاردن ، وأما اصطلاح «أرام النهرين» فقد ظهر — فيما يرى كريلنج — فى القرن الثالث عشر ق.م ، غير أن رواية التوراة[٤٧] ، انما ترجع به الى عصر الاباء الاول — عصر ابراهيم وناحور واسحاق ويعقوب — هذا فضلا عن أن الاصطلاح انما استعمل فى رسائل العمارنة من القرن الرابع عشر قبل الميلاد[٤٨] ، وأما النهران فكان المراد بهما من قبل الدجلة والفرات ، ولكن الراجح الان — كما أشرنا من قبل — أنهما الفرات ورافده الخابور — حيث تقع منطقة حاران التى استقر الاراميون فيها فى عصر الاباء الاوائل ، ومن هنا بدأت القوة الارامية فى الانتشار ، وقد دعا العبرانيون هذه المنطقة «أرام التى فى عبر النهر» واستمرت

---

(٤٣) موسكاتى : المرجع السابق ص ١٧٩ ، وكذا
A. Dupont-Sommer, Op. Cit. P. 68.

(٤٤) تكوين ٢٤ : ١٦ .

(٤٥) فليب حتى : المرجع السابق ص ١٧٧ .

(٤٦) قاموس الكتاب المقدس ١/٤٣ .

(٤٧) تكوين ٢٤ : ١٠ ، ٢٨ : ٢ ، ٥ ، ٢٩ : ٤ — ٥ .

48) Samuel A. B. mercer, The Tell-Amarna Tablets, Toronto, 1939, Vol. 2, P. 898.

هذه الدويلة حتى القرن التاسع قبل الميلاد[٤٩] .

وكان الاراميون فى فدان أرام قد اتخذوا من «حــاران» — وتقع على نهر بلخ على مبعدة ٩٦ كيلا من اتصاله بنهر الفرات ، الى الغرب من تل حلفا ، وعلى مبعدة ٤٤٨ كيلا الى الشمال الشرقى من دمشق — وكانت المدينة مركزا تجــاريا على طريق القوافل التى تصــل نينوى وآشور وبابل بدمشق وصور والمدن المصرية وقد اتخذت القمر الها لها تحت اسم «تارح»[٥٠] ، ثم اتخذها الاشوريون مركزا لهم بعد سقوط نينوى فى عام ٦١٢ ق٠م ، تحت أيدى البابليين والميديين ولكن «نبوخذ نصر» (٦٠٥ — ٥٦٢ ق٠م) استطاع الاستيلاء عليها فى عام ٦٠٩ ق٠م، والقضاء على بقية الجيش الاشورى ، قبل وصول نجدات ملك مصر «نخاو» (٦١٠ — ٥٩٥ ق٠م) لانقاذه[٥١] .

(٢) دويلة أرام دمشــق : وقد تأسست هــذه الدويلة التى كانت عاصمتها دمشق فى أخريات القرن الحــادى عشر قبل الميــلاد ، على رأى[٥٢] ، وأخريات القرن العاشر على رأى آخر[٥٣] ، فكانت معاصرة على وجه التقريب لتأسيس مملكة العبرانيين — طبقــا للرأى الاول ، وهذا مــا نرجحه ونميل الى الاخذ به — ثم سرعان مــا تطورت حتى غدت دولة كبرى — بالنسبة الى جيرانها — تمتد الى الفرات من جهة ، والى اليرموك من جهة أخرى ، وكانت متاخمة لارض الإشــوريين فى الشمال ، ولارض العبرانيين فى الجنوب ، وكانت سورية الداخلية شرقى جبل لبنان ، وسورية الشمالية وباشان ، تحت سلطانها فى حوالى عام ١٠٠٠ ق٠م ، وظل ملوكها يسيطرون على اثنتى عشرة أمة صغيرة من

---

49) E. G. Kraeling, Op. Cit., P. 21.

(٥٠) قاموس الكتاب المقدس ٢٨١/١ .
وكذا M. F. Unger, Op. Cit., P. 455.

51) M. F. Unger, Op. Cit., P. 455.
وكذا A. H. Gardiner, Egypt of the Pharaohs, P. 357-358.

(٥٢) فيلب حتى المرجع السابق ص ١٧٧ .

(٥٣) مراد كامل : المرجع السابق ص ٤ .

حولهم افلحوا فى مقاومة ما كان يبذله الاشوريون من جهود لاخضاع سورية لحكمهم(٥٤) •

وأما علاقة أرام دمشق بالعبرانيين ، فكل دارس للتوراة على معرفة بها وهى — على أى حال — قد بدأت أيام «شاؤل» (١٠٢٠ — ١٠٠٠ ق٠م) ، وان كان «داود» «١٠٠٠ — ٩٦٠ ق٠م» هــو الذى استطاع الاستيلاء على المدينة العريقة(٥٥) ، هذا وقد روت التــوراة بالتفصيل قصة الصراع بين الاراميين والاسرائيليين على أيام «أخاب» (٨٦٩ — ٨٥٠ ق٠م) ، الامر الذى وصل الى أن يحاصر الاراميون «السامرة» عاصمة اسرائيل نفسها ، وان استطاع آخاب أن يصون آخــر الامر حدود اسرائيل الشمالية ، وأن يشترك فى حلف ضد الاشوريين يقوده عدوه القديم ملك دمشق ، وأن يشــارك معه فى حرب ضد آشــور فى موقعة قرقار فى عام ٨٥٣ ق٠م(٥٦)،الامر الذى سوف نناقشه بالتفصيل فى مكانه من هذه الدراسة •

على أن الصلات بين الاراميين والاسرائيليين لم تكن كلها حربية ، وانما كانت هناك صلات تجارية ، وعلى أى حــال ، فلقد بقيت دويلة (أرام دمشق) تقاوم جبروت الاشوريين — على الرغم من أن طــول منافستها مع جيرانها من الاراميين والبدو العبرانيين قد أرهقها كثيرا — الى أن استطاع (تجلات بلاسر الثــالث) (٧٤٥ — ٧٢٧ ق٠م) ، أن

---

(٥٤) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٣٢ ــ ٣٣ ، فيلب حتى : المرجع السابق ص ١٨١ ، مراد كامل المرجع السابق ص ٤ ، أدى شير : تاريخ كلدووأثور ، بيروت ١٩١٢ ــ الجزء الاول ٠ ص ٦٦ ، وكذا

R. H. Pfeiffer, Introduction to the Old Testament, N. Y., 1941, P. 687 JNES, 7, P. 70.

(٥٥) صموئيل ثان ٥:٨ ــ ٦ ، اخبار أيام أول ٥:١٨ ــ ٦ ، قاموس الكتاب المقدس ٣٧٥/١ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٣٣ •

(٥٦) ملوك أول ٢٠ : ١ ــ ٤٢ ، ٢:٢٢ ــ ٣٨ ، وكذا

A. Dupont-Sommer, Op. Cit., P. 35.

A. Lods, Op. Cit., P. 378.

E. G. Kraeling, Op. Cit., P. 73, 75.

يستولى عليها فى عام ٧٣٢ ق٠م ، وأن يقتل ملكها (رصين) وأن يجعلها ولاية آشورية ، ذلك أن العاهل الاشورى كان ـ وقت طلب أحاز ملك يهوذا للنجدة لانقاذه من قوات دمشق والسامرة ـ فى شمال سورية ، وربما كان مع جيشه فى مكان ما فى مجاورات دمشق ، ومن ثم فلم يكن فى حاجة الى توسلات (أحاز) اليهودى ليقوم بحملاته ضد سورية وفلسطين ، وهكذا استطاع العاهل الاشورى أن يجتاح فى عدة حملات الى الغرب دمشق ، بعد حصار دام عامين ، وبسقوط دمشق حان الوقت للاشوريين أن يضموا سورية بأكملها ، وانتهت قوة الاراميين السياسية وأصبحت السيادة على الدويلات الارامية لاشور(٥٧) ٠

(٣) دويلة ارام صوبة : وكانت مملكة أرامية قوية ، تقع عاصمتها «صوبة» فى مكان بلدة «عنجر» فى البقاع جنوبى «زحلة»(٥٨) ؛ وان كنا للاسف ـ لا نعرف شيئا حتى الان عن ملوكها الاوائل ، فيما قبل عهد «حدد عزر» وأما مدى اتساعها فقد وصل فى عهد ازدهارها الى حدود حماه فى الشمال الغربى(٥٩) ٠

وقد وصلت «صوبة» الى ذروة قوتها فى عهد «شاؤل» ملك اسرائيل، والذى كانت العداوة بين الدويلات الارامية واسرائيل فى أيامه على أشدها ، ومع ذلك فان التوراة لم توضح لنا علاقة شاؤل بالدويلات الارامية ، مما دفع «كريلنج» الى القول بأن علاقة صوبة بالعبرانيين فى عهد شاؤل كانت مبهمة(٦٠) كما ذهب «دييون ـ سومير» بأن ملوك الاراميين لهذه المنطقة لم يذكروا لانهم كانوا توابع لصوبة(٦١) ٠

---

(٥٧) ملوك ثان ١٦ : ٥ ـ ١٠ ، بولس عياد : المرجع السابق ص١٤
وكذا M. Noth; Op. Cit., P. 259 F.
وكذا E. G. Kraeling, Op. Cit., P. 118-119.
(٥٨) أحمد فخرى : المرجع السابق ص ١٠٣ ٠
(٥٩) قاموس الكتاب المقدس ٤٣/١ ٠
(٦٠) بولس عياد : لمرجع السابق ص ١٠ ، وكذا
E. G. Kraeling, Op. Cit., P. 40.
61) A. Dupont-Sommer, Op. Cit., P. 26.

وعلى أى حال ، فلقد استمرت صوبة فى عنفوان قوتها حتى السنوات الاولى من أيام داود (١٠٠٠ — ٩٦٠ ق٠م) ، الذى نجح فى آن يضمها اليه مؤقتا ، اذ استمر الصراع بين الاراميين والعبرانيين على أيام داود — كما كان على أيام سلفه شاؤل — وهكذا قامت حروب بين داود و «حدد عزر» ملك صوبة ، ساهمت فيها — الى جانب حدد عزر — معظم الولايات التابعة لصوبة ، كما اشترك فيها أراميو مابين النهرين٠

ذلك أن العلاقات بين العمونيين وداود عندما بدأت تسوء الى الدرجة التى تهدد بدق طبول الحرب بينهما ، طلبوا معونة جيرانهم الاراميين فى أرام بيت رحوب ، وأرام صوبة ومعكه وطوب ، وأتى هؤلاء بحشد كامل من الرجال لمساعدة «ربة» عاصمة عمون ، ضد الهجوم الاسرائيلى الذى أمر به داود تحت قيادة يوآب ، ونجح يوآب فى هزيمة هـؤلاء الاراميين ، ويعلم «هدد عزر» ملك صوبة بذلك ، ويشترك فى حرب مع الاسرائيليين — بقيادة داود — ولكنه ينهزم فيها ، ثم سرعان ما بدأت صوبة فى الاضمحلال وأخذت دمشق مكانها بالتدريج ، حتى صارت أعظم الامارات الارامية[٦٢] ٠

(٤) امارة معكة : وتقع شرق الاردن قرب جبل حرمون[٦٣]، وامتدت نحو الاردن غربا ، كما امتدت نو الجنوب والشرق فى البرية ، وربما كانت «آبل بيت معكة» من بين مدن معكة أو عند حدودها ، واشترك المعكيون مع الاراميين والعمونيين فى الحرب ضد داود ، ولكنه انتصر عليهم[٦٤] ٠

(٥) امارة جشور : وتقع بين حرمون وباشان ، والى الشرق من

---

(٦٢) صموئيل ثان : ١٠ : ٦ — ١٤ ، وكذا
M. Noth, Op. Cit., P. 194-195.

(٦٣) يشرع ١٢:١٣٥:١١ ، صموئيل ثان ٦:١٠ ، ١٠:٨ ، أخبار أول ٦:١٩ — ٧ وكذا
M. F. Unger, Op. Cit., P. 673.

(٦٤) صموئيل ثان ٦:١٠ — ٨ ، قاموس الكتاب المقدس ٩٠٩/٢ ، وكذا
M. F. Unger, Op. Cit., P. 673.

نهر الاردن وبحر الجليل ، والى الجنوب من معكة فى منطقة منسى[٦٥]، وكانت جشور على أيام داود مستقلة ، ومن ثم فقد هرب اليهـا ولده «أبشالوم» بعد أن قتل أخاه «امنون»[٦٦] .

(٦) امارة ارام بيت رحـوب : وتقع بصفة عامة فى مجاورات جشور، واذا وحد هذا المكان بالمكان الذى ذكر فى التوراة فى سفرى العـدد والقضاة فانها تقع قرب معكة ودان[٦٧] ، وعلى أى حال ، فمن المرجح أنها كانت تقع بالغرب من مدخل حماة[٦٨] .

٧ ــ امارة طوب : وطوب اسم عبرى معناه «طيب» ، وتقع شرق الاردن ، وربما توجد «بالطيبة» ــ على مبعدة عشرة أميال الى الجنوب من جدة أو جدار التى تسمى الان مقيس أو أم قيس ــ ومن هنـاك استأجر «عانون» ملك عمون جنودا لحـرب داود ، مما يدل على أنها كانت وراء حدود بنى اسرائيل[٦٩] .

اللغـة الاراميـة :

استمر الاراميون كشعب ، بعد أن قضت الدول الكبرى عليهم ككيان سياسى ، وبقيت لغتهم بعد سقوط دويلاتهم فى الشرق من غير أن تتأثر باللغات الاخرى ، وانتشرت هذه اللغة فى دول الشرق الادنى القديم ، بدرجة لم تصل اليها واحدة من أخواتها من اللغات السامية[٧٠] ، الا

(٦٥) تثنية ١٤:٣ ، صموئيل ثان ٨:١٥ ، ١٣ : ٣٧ .
(٦٦) قاموس الكتاب المقدس ٢٦١/١ .
(٦٧) عدد ١٢:١٣ ، قضاة ٢٨:١٨ .
(٦٨) قاموس الكتاب المقدس ٤٣/١ وكذا M. F. Unger, Op. Cit., P. 77.
(٦٩) صموئيل ثان ١٦:١٠ ، قاموس الكتاب المقدس ٥٨١/٢ ، وكذا M. F. Unger, Op. Cit., P. 77.
(٧٠) قسم العلماء فى عام ١٨٦٩ م اللغات السامية الى مجموعتين . الاولى : وتسمى المجموعة السامية الشمالية ، وتشمل اللغـات : العبرية والفينيقية والارامية والاشورية والبابليـة والكنعانية ، وتسمى الاخـرى المجموعة السامية الجنوبية ، وتشمل اللغـة العربية بلهجاتها والحبشية ولكن هناك من يقسمها الى ثلاث مجموعات : أولها القسم الشرقى : ويضم =

اذا كانت تلك اللغة ، هى اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم ، التى فاقتها بغير حدود •

ولعل من أهم أسباب انتشار اللغة الارامية آنها كانت لغـــة التجار الاراميين الرحل ، كما انها كانت لغة سهلة ، ببساطة أبجديتها وسهولة نحوها وصرفها ، وبما فيها من سهولة ويسر[٧١] ، كذلك يلاحظ أن هذه اللغة كتبت على أوراق البردى كما كتبت على قوالب طينية ، زد على ذلك أن انتشار الاراميين فى الشرق قبل سقوط دويلاتهم أو بعده ، ثم اشتغالهم فى الجندية فى بعض الدول وازدياد عددهم المتواصل ، انما قد ساعد على انتشار لغتهم هذه[٧٢] •

ويرى «جيمس هنرى برستد» أن الابجدية الفينيقية الارامية قد انتشرت فى جميع بلاد آسيا الغربية ، ونقلت من الفرات الى ايران والى حدود الهند[٧٣] ، ومما يدل على انتشارها استخدام الاشوريين والبابليين والفرس والعبرانيين والمصريين لهذه اللغة ، حتى اعتبرها البعض لغة دولية ، فيما بين القرنين الثامن والخامس قبل الميلاد[٧٤] ، وهكذا ظلت اللغة الارامية سائدة فى المنطقة حتى بعد زوال النفوذ السامى وبداية النفوذ «الهندو ـ أوربى» ذلك أنها بقيت لغة رسمية حتى عندما انتقل

=

اللغات البابلية والاشورية والكلدانية الارامية ، وثانيها القســم الغربى : ويضم اللغــات الكنعانيــة والاخــلامية والفينيقيــة والبونيــة والاراميــة والعبرية والسريانية والتدمرية والنبطية والمؤابية والامورية ، وثالثهما • القسم الجنوبى ، ويضم فصيلتين ، الاولى العربية ، ويضم العربية القديمة والقحطانية والحميرية والمعينية والسبئية والعدنانية المضرية أو القرشية الفصحى والثانيــة وتضــم الحبشية أو الاثيوبيــة والجعزية والنيجيريــة والتيجرينائية والامهرية والهررية (جواد على ١/٢٢٣ ، عبد العزيز سالم المرجع السابق ص ٦٢٦) •

(٧١) عبد المنعم حسين : حضارة مصر والشرق القديم ـ الايرانيون القدماء ص ٤٢٩ •

(٧٢) مراد كامل : المرجع السابق ص ٥ ، موسكاتى : المرجع السابق ص ٢٣ •

73) J. H. Breasted, Ancient Times, 1916, P. 140.

(٧٤) بولس عياد : المرجع السابق ص ٢٣ ، ٢٤ ، وكذا

G. R. Driver, Aramaic Documents of the fifth Century, P. 19.

الحكم الى الفرس ، ولاسيما فى عهد «دارا الاول» (٥١١ — ٤٨٦ ق٠م) فى ذلك الجـزء من الامبراطورية الفارسية الذى يقـع بين مصر ونهر الفـرات ، والامر كـذلك بالنسبة الى عهـود السلوقيين والفريثيين والساسانيين ، وفى دولتى تدمر والبتراء ٠

بل ان عرب الشمال ، انما أخذوا أبجديتهم التى كتب بها القرآن الـكريم من الارامية التى استعملها الانباط ، وقد أشـار العلماء الى ظاهرة انتقال الكتابة النبطية من منطقة مدين الى الحجاز ، والى تطور الخط العربى عن الخط النبطى(٧٥) ، ومن ثم فان الكتابة التى نكتب بها اليوم ، انما هى كتابة متطورة عن الخط النبطى ، وهذا بدوره متطور عن الخط الارامى ، الذى استعمل فى شمال شبه الجزيرة العربية ، منذ حوالى القرن الثالث قبل الميلاد ، وقد كان منذ القرن السادس قبـل الميلاد خط كثير من دول الشرق الادنى القديم(٧٦) ٠

هذا وقد استعملت الارامية فى كتابة أجـزاء من التوراة (العهد القديم) ، ذلك أن اليهود انما بدأوا يتحـدثون الارامية تماما أثناء السبى البابلى (٥٨٦ — ٥٣٩ ق٠م) ، ربما لسهولتها ، ولتشابه لهجتها بلهجة اللغة العبرية ، حتى أنه كان من أكبر الصعاب فى وجه احيـاء اللغة العبرية بعد العودة من المنفى ، أن جانبا من الشعب هجر فعلا لغته الاصلية ، وحتى أن الارامية حلت محل العبرية آخر الامر بعد تنازع البقاء الذى وقع بين اللغتين ، وهكذا كان أثر الارامية واضحا فى أسفار عزرا ونحميا واستير ، وأسفار الانبياء يونان وحجى وزكريا وملاخى ودانيال ، وفى غير ذلك مثل سفر الجامعة وبعض المزامير التى أضيفت الى مزامير داود ، فضـلا عن آيات معينة فى سفـر التكوين

---

75) Marin Sprengling, the Alphabet, its Rise and Development from the Sinia Inseriptions, Chicago, 1931. P. 52.
UIE, I, P. 198. وكذا

(٧٦) عبد الرحمن الانصارى : لمحات عن القبائل البائدة فى الجزيرة العربية ص ٨٩ ، فيلب حتى : تاريخ العـرب ١٠٨/١ ـ ١٠٩ ، ديتلف نلس : المرجع السابق ص ٤٠ ـ ٤١ ، سعد زغلول عبد الحميد:فى تاريخ العرب قبل الاسلام ص ١٣٧ ٠

(٣١ : ٧) وارميا (١٠ : ١١) وعزرا (٤ — ٦) ودانيال (٢ — ٦)(٧٧) .

وعلى أى حال ، فلقد أدى توحيد الشرق الادنى فى ظل الامبراطورية الرومانية ، ثم انتشار المسيحية بعد ذلك ، الى انتعاش حالة الارامية ، فمن ناحية استخدمتها دول صغيرة جديدة يسكنها أقــوام من العرب (مثل دولة الحضر)(٧٨) ، ومن ناحية أخرى فان الارامية لما كانت لغة السيد المسيح ، فقد صارت اللغة الرسمية للكنيسة السريانية ، وبهذه الصفة عاشت قرونا بعد ذلك ، وانتجت أدبا دينيا ضخما(٧٩) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن اسم «الارامين» بعد ظهور المسيحية أصبح له مدلول وثنى غير مستحب ، ومن ثم فقد سمى القوم أنفسهم بالاسم اليونانى «سوريين» بالنسبة للشعب،و«سريانى» بالنسبة للغة ، تمييزا لها عن الاراميات الوثنية واليهــودية ، ويذهب البعض الى أن هذه التسمية انما ظهرت بعد المسيح على يد الرسل الذين نصروا هذه الديار ، لانهم كانوا جميعا من ســورية وفلسطين ، وذلك لان المتنصرين الاوائل كانوا شديدى التمسك بالدين المسيحى ، ومن ثم فقد أحبوا أن يسموا باسم مبشريهم ، فتركوا اسمهم القــديم ، واتخذوا اسم «السريان» ليمتازوا عن بنى جنسهم الارامين الوثنيين، ولذا أصبحت لفظة الارامى مرادفة للفظة الصابىء والوثنى ، ولفظــة السريانى مرادفة للفظة المسيحى والنصرانى .

---

(٧٧) موسكاتى : المرجع السابق ص ١٨١ ، محمد بدر : الكنز فى قواعد اللغة العبرية ص ٣٧ (القاهرة ١٩٢٦) .

(٧٨) قامت دولة الحضر فى أرض الرافدين الى الشمال الغربى من مدينة آشور ، وعلى مبعدة ١٤٠ كيلو مترا جنوبى غربى الموصل ، وفى صحراء سنجار بأرض الجزيرة غــرب تكريت ، وقد قامت بعثة المـانية بحفائر فى الحضر واشور (١٩٠٣ — ١٩١٣) وقد كشفت عن نقوش أرامية ترجع الى عهد البارثيين (القرن الثانى الميلادى) ، وكانت المدينة تحمل الطابع العربى واليونانى والرومانى فى آن واحد (موسكاتى : المرجع السابق ص ٣٤٦ ، سعد زغلول : المرجع السابق ص ١٥٩ ــ١٦٢ (R. Dussaud, les Arabes en Syrie avant l'Islam, P. 158.

(٧٩) موسكاتى : المرجع السابق ص ١٨١ .

وهكذا ظهرت اللغة السريانية كلهجة أرامية قديمة فى اقليم مدينة «الرها» (اديسا عند الرومان ، و «أورفا» الحالية جنوب شرق تركيا) ثم ظهر الخط السريانى المعروف «بالخط السرنجيلى» عقب الانشقاق المذهبى المسيحى بين سريان الرها فى عام ٤٨٩ م ، ثم سرعان ما نشأت لهجتــان من السريانية (غربية وتسمى اليعقــوبية ، وشرقية وتسمى النسطورية) ، وعلى أى حال ، فلقد أصبحت السريانية لغة حية فى العلم والفكر فى الشرق حتى القرن العاشر الميلادى وان استمرت لغة الكنائس حتى القرن الثالث عشر الميلادى[٨٠] .

---

(٨٠) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ١١٠ ــ ١٢١ ، فيلب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ١/١٨٤ ــ ١٨٥ ، القس يعقوب الكلدانى : دليل الراغبين فى لغة الاراميين ص ١١ ، اقليمس يوسف داود : المرجع السابق ص ١٦ ، حسن محمود : المرجع السابق ص ٣٨٥ .

الباب الخامس

ممـــالك شرق الاردن

قامت فى شرق الارض عدة ممالك ، لعل من أهمها :

(١) الآدوميـــــون

ينسب الادوميون الى «أدوم» ، وهـو «عيسو بن اسحـاق بن ابراهيم الخليل» ، وتطلق التوراة عليهم عادة «أدوم فقط»[١] وهناك من يعتبرهم — بالاضافة الى المؤابيين والعمونيين — بدوا اشتركوا فى الهجرة الارامية ، ولكنهم سبقوا أقرباءهم الاسرائيليين فى الرحيـل من الصحراء ، وهكذا فان أدوم — أو عيسو — انما ينظر اليه فى المصادر المبكرة كأخ أكبر ليعقوب — أو اسرائيل —[٢] ومن هنا فان الادوميين انما يعتبرون أقرب العناصر دما ولغة الى آل يعقوب ، اذ لم يكن بين الفريقين أقل فرق ، قبل أن يعتنق بنو اسرائيل الموسوية[٣] ، كما أن الاخـيرين لم يكونوا من دم عبرانى أنقى من الاولين ، فهم مزيج من المهاجرين العبرانيين ، وسكان المنطقة الاصليين والعرب .

وأما موطن الادوميين ، فقد كان فى أقصى جنوب بلاد شرق الاردن، وجنوب وادى الحسا الذى ينساب الى الطرف الجنوبى من البحـر الميت ، فى الجبال التى تقع شرق الصخرة العظيمة لوادى العربة[٤] . وتطلق التوراة على هذا الاقليم اسم «سعير» أحيانا[٥] ، ونقرأ فى سفر التثنية أن الادوميين قد طردوا الحوريين منها وسكنوا فى مكانهم[٦] ، وهكذا كانت أدوم تقع فى نقطة بعيدة لا تتصل بالاسرائيليين بحـدود

---

(١) عدد ٢٤ : ١٨ ، يشوع ١٥ : ١ صموئيل ثان ٨ : ١٤ .

(٢) تكوين ٢٥ : ٢٤ — ٢٦ ، وكذا

A. Lods, Op. Cit., P. 58.

(٣) اسرائيلى ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص ١٠٤ .

4) M. Noth, Op. Cit., P. 154.

(٥) تكوين ٣:٣ ، ٨:٣٦ ، يشوع ١١:٢٤ حزقيال ٣:٣٥ ، ١٥:٧ .

(٦) تثنية ٢ : ١٢ .

مباشرة ، وبالتالى فلم تكن هناك أسباب للعداوة بينهما[٧] ، هذا فضلا عن أن أرضهم — طبقا لرواية التوراة — قد حرمها رب اسرائيل على شعبه اسرائيل[٨] •

ومع ذلك ، فان الاسرائيليين انما كانوا يعــدون الادوميين من ألد أعدائهم حتى أن المنازعات السياسية بين الفريقين قد استمرت عــدة قرون ، الى أن انتهى الامر بفنــاء الادوميين وامتزاجهم باليهود من ناحية ، وبالانباط[٩] من ناحية أخرى[١٠] ولعل السبب فى ذلك — فيما أظن — يرجع الى عوامل نفسية ، أكثر منها عوامل سياسية ، فالادميون يحسون أن الاسرائيليين قد سرقــوا حقهم فى البركة أولا ، ثم فى البكورة ثانيا[١١] ، هذا ان كانت رواية التوراة بشأنهما صحيحة ، ومن هنا أتى موقف الادوميين من الاسرائيليين أثناء التيه فى الصحراء[١٢] ،مما أثار عليهم حقد بنى اسرائيل ، الامر الذى تظهر آثاره بوضوح ابان التاريخ اليهودى القديم ، ثم يستمر حتى السبى البابلى ليهوذا فى عام ٥٨٦ ق•م ، حيث يستولى الادوميون عليها ، حتى مدينة حبرون ، وفى القرن الخامس قبل الميلاد يستولى النبط على جبل سعير ، ويطردوا الادوميين منه •

وكان الادوميون يحكمون فى البداية بأمراء يشبهون رؤساء القبائل، ثم استطاعوا بعد ذلك تكوين مملكة ربما كان ملوكها منتخبين[١٣] ، وقد جلس على عرشها ثمانية ملوك ، قبل أن يستطيع الاسرائيليون تكوين

---

7) M. Noth, Op. Cit., P. 155.

(٨) تثنية ٢ : ٤ — ٦ •

(٩) أنظر عن : الانباط : محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم ، الفصل الرابع عشر ، الرياض ١٩٦٧ ص ٤٩٣ — ٥٢٣ •

(١٠) اسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ، القاهرة ١٩٢٩ ص ١٠٥ •

(١١) تكوين ٢٥ : ١٩ — ٣٤ ، ٢٧ : ١ — ٤٥ •

(١٢) تثنية ١/٣ — ١٤ ، عدد ١٨/٢٠ — ٢٠١ •

(١٣) تكوين ١٥/٣١ — ١٩ ، ٣١/٣٦ — ٣٩ •
وكذا M. Noth, Op. Cit., P. 154.

مملكة ، وقبل أن يستولى داود على مملكة أدوم[١٤] ، وليس الى أيام موسى ، الذى يرى فيه «أونجر» أول ملك لاسرائيل ، طبقـا لتفسـير خاص لبعض نصوص التوراة[١٥] ، الامر الذى لا نوافقه عليه .

وكانت «سالع» عاصمة أدوم ، ثم تغير اسمها الى «البتراء» وهى واحدة من أشهر مدن العالم القديم ، وقد أصبحت عـاصمة للانباط ــ بعد أدوم ــ وتقع الى الشرق من وادى عـربة فى منتصف المسافة تقريبا بين رأس خليج العقبة والبحر الميت ، أو على مبعدة خمسين ميلا الى الجنوب من البحـر الميت[١٦] ، والبتراء ــ على أى حال ــ كلمة يونانية تعنى «الصخر»[١٧] ولعلها ترجمة للكلمة العبرية «سلع» التى جاءت فى التوراة[١٨] ، كما تعنى كذلك «الشق فى الصخر» وربما كانت التسمية العبرية أكثر دقة ، لان مدخل البتراء يتسم بوجود أخدود عميق بين جبلين ، يعرف اليوم بالسم «السيق» ، ولعله لفظ نبطى متوارث ، حرفه الناس عن «الشق» فى السبئية القديمة[١٩] ، وأيا ما كان الامر فلقد عرف العرب هذه التسمية كذلك ، وقد ذكـر «ياقوت الحموى» (١١٧٨ ــ ١٢٢٨م) بأن سلع حصن بوادى موسى عليه السلام ، بقرب بيت المقدس[٢٠] .

وأما الاسم العربى للبتراء فهو «الرقيم» وربما كان هو اسم ثان للبتراء ، كان الاغريق يعرفونها به ، وهو Arke فحرفه العـرب الى الرقيم ، وربما أرادوا بالرقيم «خزانة فرعون» بالذات ، وأما اسمها الحديث فوادى موسى[٢١] .

---

14) Ibid., P. 185.

(١٥) تثنية ٥:٣٧ ، خروج ١٨:٦٦آ ــ ١٩
وكذا M. F. Unger, Op. Cit., P. 286.

(١٦) قاموس الكتاب المقدس ٤٤٥/١ ــ ٤٤٦ ، جواد على ٥١/٣

17) Pliny, 2, P. 447.

(١٨) اشعياء ١٦ : ١٠ ، ٤٢ : ١١ .

(١٩) لانكستر هاردنج : آثار الاردن ، ترجمة سليمان موسى ، عمان ١٩٦٥ ص ١١٧ .

(٢٠) ياقوت : معجم البلدان ٢:٦/٣ (بيروت ١١٥٥) .

(٢١) جرجى زيدان : المرجع السابق ص ٧٣ ، ياقوت ٣٤٦/٥ .

ونقرأ فى التوراة أن «أمصيا» (٨٠٠ — ٧٨٣ ق٠م) قد خلف أباه «يهوآش» (٨٣٧ — ١٠٠ ق٠م) على عرش يهوذا ، وأنه حاول أن يسترد أدوم وسلع وقد نجح فى الاستيلاء على الاخيرة ، ومن ثم فقد أطلق عليها اسم «يقتئيل» بمعنى «الخاضع لله»[٢٢] .

وعلى أى حال ، فلقد استمرت البتراء مدينة هامة حتى سقطت فى أيدى الرومان فى عام ١٠٥م أو (١٠٦ م) ، ثم سرعان ما أخذت أهميتها تتضاءل شيئا فشيئا ، حتى أصبحت فى ذمة التاريخ[٢٣] ، الى أن كشف عنها «بوخاردت» (١٨٦٣ — ١٩٣٨م) فى عام ١٨١٢م[٢٤] .

ولعل من أهم مدن أدوم — بعد البتراء — مدينة «بصرة» — ومكانها الآن بصيرة الحديثة على مبعدة ٣٢ كيلا الى الجنوب الشرقى من البحر الميت ، ثم «تيمان» على مقربة من البتراء ، ثم «عصيون جابر» — والتى كان يظن من قبل أنها كانت عند «عين الغديان» فى قعر وادى العربة ، ثم اكتشفها «نلسون جلوك» فى موقع تل الخليفة ، على مبعدة ٥٠٠ قدم من ساحل البحر على الطرف الشمالى لخليج العقبة بالقرب من ميناء «ايلات»[٢٥] .

هذا وقد عرفت بلاد أدوم فى اليونانية باسم «أدوميا» وأما «برية

(٢٢) ملوك ثان ١٤ : ١ — ٧ .
وكذا F. Altheim and Rstiehl, Op. Cit., P. 283.
وكذا A.B.W. Kenuedy, Petra, its History and monuments, London, 1925, P. 78.
A. Lods, Op. Cit., P. 385-6.

(٢٣) فيلب حتى : المرجع السابق ص ٣٤٢ — ٣٢٤ ، مكابيون أول ٥ : ٢٦ — ٢٨ .

24) J. L. Burckhardt, Travels in Syria and the Holy Land, London, 1822, P. 418-434.

(٢٥) قاموس الكتاب المقدس ١٧١/١ ، جواد على ٦٣٧/١ ، موسكاتى : المرجع السابق ص ٢٨٠ ، وكذا
J. Finegan, Op. Cit., P. 181.
Nelson Glusck, The other Side of the Jordan, New Haven, 1945, P. 50-113.

أدوم» فهى الواقعة جنوب البحر الميت ، وقد انتهت حياة الادوميين فى القرن الثانى قبل الميلاد ، وذلك حين استولى «يوحنا المكابى» على حبرون وغيرها من المدن التى كان الادوميون قد استولوا عليهـا ، ثم أجبرهم بعد ذلك على الختان واعتناق اليهـودية ، رغبة منه فى ازالة الفوارق الدينية بينهم وبين اليهود ، وحبا فى نشر اليهودية بينهم[٢٦].

(٢) المؤابيـــون

ينسب المؤابيون – طبقا لرواية التوراة – الى مؤاب بن لوط عليه السلام[٢٧] ويطلق عليهم فى التوراة أحيـانا «مؤاب»[٢٨] ، وهم من الشعوب التى تتصل بالعبرانيين بصلة من قرابة عن طريق لوط ابن أخى ابراهيم الخليل ، عليه الســلام ، كما أن راعوث جـدة داود امرأة مؤابية[٢٩] .

ويقع اقليم المؤاب شمال الحسا – الذى يفصله عن أدوم،والمعروف فى التوراة بوادى زاد – وقد امتدت مملكة مؤاب من ناحية الشرق ، من البحر الميت حتى الصحراء ، واتسعت شمالا حتى وادى الموجب، وهو نهر أرنون فى سفر العدد[٣٠] ، ويتكون من وادى «وله» الذى يأتى من الشمال الشرقى ، ووادى عنقيله الاتى من الشرق ، وسيل الصعدة الاتى من الجنوب[٣١] .

وكانت مؤاب – مثل أدوم – حصينة قوية ، ذات مواقع استراتيجية على الحدود فى الداخل ، ولهذا فقد اضطر الاسرائيليون أثناء التيه أن يكفوا عن الاستمرار فى السير ، «فى البرية التى قبالة مؤاب الى شروق

---

(٢٦) اسرائيل ولفنسون : المرجع السابق ص ١٠٥ .
(٢٧) تكوين ١٩ : ٣٧ .
(٢٨) عدد ٢٢ : ٣ – ٢٤ ، ملوك ثان ١ : ١ .
(٢٩) راعوث ١ : ٤ .
(٣٠) عدد ٢١ – ١٣ – ١٤ .
(٣١) قاموس الكتاب المقدس ٥٧/١ .

الشمس»، حتى وصلوا الى الجانب الاخر من أرنون[٣٢] ، هذا وتروى التقـاليد الاسرائيلية أن منطقة مؤاب هـذه انما كانت ــ بادىء ذى بدء ــ ملكا للايميين فطردهم المؤابيون منها[٣٣] ، أما عربات مؤاب فهى فى وادى الاردن بين مصب يبوق والبحر الميت[٣٤] •

وكانت فرصة مؤاب الوحيدة فى التوسع ، هى الاتجاه نحو الشمال، فيما وراء أرنون ، ومن هـذه المنطقة اتصلـوا بالاسرائيليين اتصـالا مباشرا ، ومنذ البداية فقد كانت رقعة الارض شمال أرنون ، تبدو كما لو كانت قد شغلت أثناء القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، بكل مجالات النفوذ الصغـيرة ، مثل حشبون ، حيث استطـاع جيرانهم من قبيلة «جاد» اخضاعها فى النهايـة •

وعلى أى حال فان أقدم حالة يمكن أن تفطن اليها هى أن المؤاميين قد تقدموا بعيدا الى شمال أرنون ، على الاقل على طول الجبال التى كانت تمتد حتى حدود البحر الميت الشرقية ، مفترضة أن المدن البعيدة الى الشرق فى وسط رقعة الارض التى كانت ما تزال مستقلة حتى ذلك الوقت ، وهناك تقع قمة بعور ــ بين حشبون والنهاية الشمالية للبحر الميت ــ ذلك المزار المشهور لـ «بعل بعور» ، حيث الحدود بين مؤاب ، وقبيلة جاد العبرانية ، وعلى أى حال ، فلقد كان أغلب الجزء الجنوبى من وادى الاردن فى وقت من الاوقات ملكا للمؤابيين[٣٥] •

وأما لغة مؤاب ، فهى من اللهجات التى كتبت بهـا التوراة ، وهى المعروفة عادة بالعبرانية ، والقرابة بين اللغتين ــ المؤابية والاسرائيليةــ

---

(٣٢) عدد ٢١ : ١١ ــ ١٣ ، وكذا
J. Finegan, Op. Cit., P. 154.

(٣٣) تثنيه ٢ : ١٠ ــ ١١ ، ثم قارن : تكوين ١٤ :١٥ ، وأنظـر : قاموس الكتاب المقدس ٢/٩٢٨ •
وكذا M. F. Unger, Op. Cit., P. 753.

(٣٤) قاموس الكتاب المقدس ١/٩٢٨ •

35) M. Noth, Op. Cit., P. 155-157.

مؤكدة ، وهى لغة سامية قريبة مـــن العربية كذلك[٣٦] ، ولكنها أشد شبها ــ فى رسمها وقواعدها ــ باللغة العبرية ، كما يبدو ذلك واضحا من النقش الموجود على «الحجر المؤابى»[٣٧] ، والذى يقدم أقـــدم نقش تاريخى مكتوب على النمط السامى الشمالى القديم[٣٨] .

هذا ونعرف من الحجر المؤابى ــ وكذا من التوراة[٣٩] ــ أن اله المؤابيين انما كان يدعى «كيموش» ، وأن القوم قد عرفوا ــ كما عرف غيرهم مـــن الساميين كالكنعانيين والفينيقيين الاسرائيليين ــ عـــادة التضحية البشرية بالابن البكر ، ذلك أن «ميشع» ملك مؤاب كان قد قام بحملة مظفرة نجح فيها فى توسيع ملكه ، على مدى خط العرض من الطرف الشمالى للبحر الميت ، واخضاء المستعمـــرات الاسرائيلية فى الهضبة الخصبة شمـــال عرنون[٤٠] ، ثم نهب المعبـــد الاسرائيلى فى

---

(٣٦) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٩٧ .

(٣٧) كان المبشر الالمانى «ألاب ف.أ. كلاين» أول من اكتشف هذا الحجر فى عام ١٨٦٨م ، عند العاصمة المؤابية «ديبون» (ذبيان الحالية على مبعدة ثلاثة أميال شمال نهر أرنون ، وشمالى غرب عراعير) ولكنه فشل فى الحصول عليه ، وتصادف أن كـــان الباحث الفرنسى «كلير مونت جانو» ، فى القدس ، فعلم بالامر ، وانطلق مباشرة الى ديبون وأخذ الحجر المؤابى ونقله الى متحف اللوفر بباريس ، والحجر المؤابى عبـــارة عـــن قطعة من صخور البازلت الاسود ، عرضها قدمان وثلاث بوصات ونصف ، وطولها اربعة أقدام ، وسمكها نصف بوصة ، وعليها ٢٤ سطرا من الكتابة المؤابية . وقد أقامه «ميشع» ملك مؤاب حوالى عام ٨٥٠ ق.م . تخليدا لانتصاره على اسرائيل وشكر لالهة «كيموش» . ولكن هناك من يرى أنه ربما كتب بعد موت ملك اسرائيل «أخاب» (٨٦٩ ــ ٨٥٠) وربما بعد زوال بيت عمرى تماما على يد «ياهـــو» (٨٤٢ ــ ٧٤٥ ق.م) ودخـــول بنى اسرائيل فى زمن اليأس الذريع (قاموس الكتاب المقدس ٩٢٩/٢)

وكذا J. Fiuegan, Op. Cit., P. 188-189.

وكذا M. F. Unger, Op. Cit., P. 755-756.

W. F. Albright, ANET, P. 320.

(W. Keller, Op. Cit., P. 230-234

38) C. S. Clermont-Gannean, la Stele de mesa, 1887

وكذا G. A. Cook, TBNSI, 1903, P. 1-14.

(٣٩) ملوك ثان ٣ : ٩ ــ ٢٧ .

40) M. Noth, Op. Cit., P. 244-245.

«بنو» ، ووهب سبعة آلاف من سكانها الى الآلهة «عشتار ـ كيموش»، مما اضطر ملك اسرائيل «يهـورام» (٨٤٩ ـ ٨٤٢ ق٠م) الى طلب العون من يهوذا وأدوم ، ثم القيام بهجوم على مؤاب من الجنوب[٤١]، الامر الذى دفع الملك المؤابى «ميشع» الى أن يضحى بولده البكر لالهه «كيموش» ، حتى ينقذه من هذه القوات المتحالفة[٤٢] .

هذا وقد كشفت آثـار كثيرة فى مؤاب ، لعل أشهرهـا ما كان فى «ربة مؤاب وكرك ومادبا ومعين وأم رصاص»[٤٣] ، وفى عام ١٩٥٠/ ١٩٥١م ، قامت «المدرسة الامريكية للابحاث الشرقية فى أورشليم» بحفائر فى «ديبون» ـ عاصمة مؤاب ـ أتت بنتائج كثيرة، وكشفت عن عدد من المبانى والفخار الذى يرجع الى عصر البرونز المبكر ، وحتى العصر العربى المبكر،ولكنها فى الغالب لم تكشف شيئا يتصل بعصر البرونز المتأخر ، وعلى أى حال فلقد كشف عن عدد من اللوحات الصغيرة التى يمكن أن تؤرخ ـ مثلها فى ذلك مثل الحجر المؤابى ـ بالقرن التاسع قبـل الميـلاد[٤٤] .

(٣) العمونيـــون

تروى التقاليد الاسرائيلية فى سـفر التكوين أن العمونيين انمـا ينسبون الى «بنى عمى» بن لوط[٤٥] ، وأن المنطقة التى سكنوها «سكن الرفائيون فيها قبلا ، لكن العمونيين يدعونهم زمزميين ، شعب كبير وكثير وطويل كالعناقيين ، أبادهم الـرب من قدامهم ، فطـردوهم وسكنوا مكانهم» ، وأن منطقتهم هذه قد حرمت على الاسرائيليين[٤٦] ،

---

41) S. A. Cook, CHA, III, P. 372.

(٤٢) ملوك ثان ٢ : ٢

(٤٣) قاموس الكتاب المقدس ٢/٩٢٩ .

44) J. Finegan, Op. Cit P. 189-190.
وكذا
R. E. Murphy, BASOR, 125, 1942, P. 20-23.
F. V. Winnnett, BASOR, 725, 1952, P. 7-20.
A. D. Tushingham, BASOR, 133, 19554, P. 6-26.

(٤٥) تكوين ١٩ : ٣٨ .

(٤٦) تثنيه ٢ : ١٩ ـ ٢١ .

كما كانوا — كغيرهم من سكان المنطقة — على عداء مع الاسرائيليين(٤٧)، كما ظلوا دائما أعداء لهم قبل السبى البابلى وبعده(٤٨) ٠

هذا وقد كان العمونيون فى صراع مستمر مع الاموريين الى الشمال منهم ، خاصة على الحدود الشمالية والشرقية ، واشتهر «سيحون» الامورى بسلبه قسما كبيرا من أراضيهم(٤٩) ٠

وقد استقر العمونيون فى الشمال الشرقى من المؤاب ، فى الاقليم الاعلى من يبوق ، وكانت عاصمتهم «ربة» أو «ربة عمون» التى سميت فى العصر الاغريقى «فيلاد لفيا» ، نسبة الى ملك مصر «بطليموس الثانى فيلاد لفيوس» (٢٨٤ — ٢٤٦ ق٠م) ، وهى فى موقع تشغله حاليا عاصمة المملكة الاردنية الهاشمية «عمان» ، حيث يوجد فى اسمها جزء من اسم العمونيين(٥٠) ٠

هذا وقد استطاع العمونيون أن يكونوا دولة مستقرة منظمة منذ فترة مبكرة ، ومن ثم فقد كانوا يحكمون بملك قبل أن تبرز فكرة الملكية فى اسرائيل ، هذا ويدل التحالف الذى أقاموه مع جيرانهم الشماليين ٨٥٣ ق٠م ، حيثما اشترك ملك عمون فى حلف يضم اثنى عشر ملكا على رأسهم بنحدد ملك دمشق ، ضد شلمنصر الثالث(٥٢) ، يدل هذا التحالف على أنهم كانوا أقوياء ٠

وأما معبود العمونيين القومى ، فهو «ملكوم» وكانوا يقدمون

---

(٤٧) قضاة ٣ : ١٣ ، صموئيل أول ١٠:١ — ١٠ ٠ مزمور ٨٣ ٠ ٧٠ تثنيه ٢٣ : ٣ — ٤ ٠
(٤٨) نحميا ٤:٣ مكابيين أول ٦ : ٣٠ — ٤٣ ٠
وكذا M. F. Unger Op. Cit., P. 45.
(٤٩) عدد ٢١ : ٢٤ تثنيه ٣ : ٢٧ ، قضاة ١١ ، ١٣ ، ٢٣
50) M. Noth, Op. Cit., P. 157-158.
(٥١) صموئيل ثان ١٠ — ١٢ ٠
52) S. A. Cook, Op. Cit., P. 363.
وكذا M. Noth, Op. Cit., P. 245-6.
وكذا J. A. Montgomery, Op. Cit., P. 27.

أبناءهم ذبائح له[٥٣] ، كما عبدوا كذلك كيموش اله المؤابيين فى عهد يفتاح الجلعادى[٥٤] ، أحد قضاة اسرائيل ، هذا وتدل الاسماء العمونية — كما جاءت فى التوراة — على أن لغتهم ، انما كانت قريبة من العبرية[٥٥] .

---

(٥٣) ملوك أول ١١ : ١٥ ، ٣٣ .
(٥٤) قضاة ١١ : ٢٤ .

55) M. F. Unger, Op. Cit., P.

الباب السادس

بنـــو اسرائيـــل

الفصل الأول

بنو اسرائيل قبل عصر الملكية

(١) العبرانيون والاسرائيليون واليهود والصهاينة :

عرف بنو اسرائيل بأسماء عدة كالعبرانيين والاسرائيليين واليهود والصهاينة[1] ، وقد ساد كل مصطلح من هذه المصطلحات فترة بعينها من تاريخ بنى اسرائيل ، ولعلنا نستطيع القول بحذر أن اسم «العبرانيين» انما ساد الفترة ، فيما بين ابراهيم وموسى عليهما السلام ، كما أصبح اسم «الاسرائيليين» علما على الفترة التى بدأت بخروج بنى اسرائيل من مصر ، ذلك لان رهط موسى انما كانوا أول من أطلق عليهم اسم « بنى اسرائيل » ، وذلك فى سفر الخروج الذى تتحاشى نصوصه كلية ذكر كلمة «عبرانى» ، وهى التى كانت علما على القوم طيلة سفر التكوين ، فيه قصر اسم «اسرائيل على شخص بعينه هو يعقوب عليه السلام ، ولم تنسحب قط على أى من أقوام[2] ، واستمر الامر كذلك حتى قيام مملكة داود عليه السلام (١٠٠٠ — ٩٦٠ ق٠م) ، وطوال عهد سليمان عليه السلام (٩٦٠ — ٩٢٢ ق٠م) ، حيث بدأ يظهر اسم اليهود ٠

ومنذ موت سليمان وبداية عهد الانقسام ، ظهر الاسمان معا (اسرائيل ويهوذا) جنبا الى جنب ، وبقيا كذلك حتى تدمير دويلة اسرائيل فى عام ٧٢٢ قبل الميلاد ، على يد «سرجون الثانى» (٧٢٢ — ٧٠٥ ق٠م) ثم

---

(١) قدم المؤلف دراسة مفصلة عن هذه المصطلحات : انظر (محمد بيومى مهران : اسرائيل ٢٢/١ ــ ٤٧) ٠

(٢) تكوين ٢/٤٩ ، حسين ذو الفقار صبرى : تــوراة اليهود ص ٤ (المجلة ــ العدد ١٥٧ ــ يناير ١٩٧٠) ، وكذا

Max Dimont, Jews, God and History, New York, 1962, P. 41.

ترك المجال لاسم «اليهود» حتى القرن التاسع عشر الميلادى ، حيث بدأ اسم «الصهيونيين» يظهر الى الوجود كاسم مرادف لاسم «اليهود» .

وليس هذا يعنى بحال من الاحوال تحديدا دقيقا للاسماء المختلفة التى عرف بها اليهود طوال تاريخهم ، ودقة انطباعها على هذه الفترات من تاريخ بنى اسرائيل ، ذلك لان هذه الاسماء انما قد تداخلت فى بعضها البعض الاخر فى كثير من المراحل ، ومن ثم فقد عرف أكثر من اسم واحد فى فترة واحدة من تاريخهم .

لقد عرف اليهود — بادىء ذى بدء — باسم «العبرانيين» ، ثم سرعان ما ظهر للوجود اسم «بنى اسرائيل» أو «الاسرائيليين» ، بجانب اسم «العبرانيين» ، وان كان هذا الاسم يكاد يختفى منذ أيام الملكة ، ليظهر بدلا منه اسم «اليهود» ، وليعرف القوم به — كما يعرفوا باسم الاسرائيليين — فى نفس الوقت ، وان عرفوا باسم «اليهود» فى الغالب الاعم ، وبقى الامر كذلك حتى ظهر اسم «الصهيونيين» فى العصر الحديث — وان كان يرجع فى جذوره الى أيام السبى البابلى — ومع ذلك لم يطمس اسم «الصهيونيين» غيره من الاسم — باستثناء اسم العبرانيين الذى أصبح نادر الاستعمال — ومن هنا كان تقسيمنا للمراحل التاريخية المختلفة تقسيما مجازيا ، فليست هناك فترة من التاريخ فيما بعد «يعقوب» عليه السلام ، عرف فيها بنو اسرائيل باسم واحد[٣] .

(٢) بنو اسرائيل فى مصر :

ينسب بنو اسرائيل الى اسرائيل (وهو الاسم البديل ليعقوب عليه

---

(٣) انظر : محمد بيومى مهران : اسرائيل — الجزء اول — الاسكندرية ١٩٧٨ ص ٤٦ — ٤٧ .

السلام ، الذى أمر أن يتخذه بدلا من اسمه الاصلى يعقوب)[٤] بن اسحـاق بن ابراهيم ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعـين ، وكانوا يعيشون فى كنعان قبل هجرتهم الى مصر بدعوة من الصديق يوسف عليه السلام ، والذى كان قد وصل الى مصر ، كرقيق اشتراه رئيس الشرطة المصرى على أيام الهكسوس[٥] (١٧٢٥ — ١٥٧٥ ق.م) ، ثم تعرض الى امتحان رهيب من تلك التى هو فى بيتها ، انتهى الى أن ألقى به فى السجن حينا من الدهر ، تقبله النبى الكريم صابرا محتسبا ، ثم تشاء ارادة الله أن يصبح الصديق عليه السلام ، على خزائن الارض أمينا ، بعد أن كان فى زوايا الارض سجينا ، اذ ينال الحظوة عند ملك مصر ، بعد أن فسر رؤياه تفسـيرا يتفق ومقام النبـوة ، ويتنزه عن تفسيرات حكماء البلاط وكهانه ، فيقلده ما يشبه وزارة التموين فى عصرنا الحاضر على رأى ، ويجعله على خزائن فرعون ومخازنه على رأى آخر، وان كانت التوراة تجعله أشبه برئيس الوزراء[٦] .

وتمر الايام ، ويجتاح أرض كنعان (فلسطين) جدب ، فتقفر الارض وتعم المجاعة ، وتتجه كنعان صوب أرض الكنانة — الطيبة والكريمة أبدا — وينطلق أبناء يعقوب مع المنطلقين ، فقد أصابهم من الجـوع ما أصاب غيرهم ، ويتعرف يوسف عليه السـلام على أخوته وهم له منكرون ، وتدور بينهم محاورات تنتهى بأن يستدعى يوسف — باذن من ملك مصر — أباه وأخوته وأهلهم أجمعين ، للاقـامة معه فى أرض الكنانة[٧] ، فى منطقة «جوشن» (جسم أوجاسان ، كما قرىء اسمها فى

(٤) تكوين ٨/٣٢ ، ٢٢ — ٣٢ ، ٩/٣٥ — ١٣ ، وكذا
M. Unger, Op. Cit., P. 541.
A. Lods, Israel, From its Beginning to the Middle of the Eigh Century, London, 1962, P. 155.

(٥) أنظر عن عصر دخول بنى اسرائيل مصر (محمد بيومى مهران : اسرائيل ٢٤٩/١ — ٢٥٩) .

(٦) سورة يوسف : آية ٢١ — ٥٦ ، قاموس الكتاب المقدس ١١١٦/٢ ، محمد رجب البيومى : البيان القرآنى ص ٢٢٥ ، تكوين ١/٣٩ — ٣٦/٤١ — ٤٥ ، محمد بيومى مهران : اسرائيل ٢١٣/١ — ٢٢٣ .

(٧) أنظر : سورة يوسف : آية ٥٨ — ١٠٠ ، تكوين ٥٦/٤١ — ٢٨/٤٥

المصرية) ، وتقع فى «وادى طميلات» (والذى يمتد من فرع النيــل البيلوزى ، متجها نحو الشرق حتى بحيرة التمساح)[8] •

ويعيش بنو اسرائيل فى مصر — ما شاء الله لهم أن يعيشوا — فترة رخاء واسترخاء ، تنتهى بظهور فرعون يصب عليهم من العذاب أشده، حتى أنه يذبح أبناءهم ويستحى نساءهم ، والى هذا يشير القــرآن الكريم فى قوله تعالى «ان فرعون علا فى الارض وجعل أهلها شيعا ، يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحى نساءهم»[9] وفى قــوله تعالى «واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ، يذبحون أبناءكم ويستحون نساءكم ، وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم»[10] • .

وفى هذه الفترة التى سلط الله فيها فرعون على بنى اسرائيل يذبح أبناءهم ويستحى نساءهم ، يبعث الله موسى عليه السلام ، رسولا نبيا، لاخراج بنى اسرائيل من مصر ، واطلاق سراحهم من عبودية المصريين — كما تؤكد ذلك الاصحاحات العشرة الاولى من سفر الخروج — ومن ثم فالهدف من دعوة موسى عليه السلام ، كما تصورها التوراة ، انما هو اخراج بنى اسرائيل من مصر ، وأن يقيهم شر العذاب المهين الذى

---

(٨) محمد بيومى مهران : اسرائيل ٢٣٣/١ — ٢٣٧ ، وكذا
A. Gardiner, JEA, 5, 1918, P. 262.
A. Lodos, Op. Cit., P. 178.
E. Naville, JEA, 10, 1924, P. 31.
P. Montet, L'Egypt et Bible, 1959, P. 57.
JEA, 5, 1918, P. 18-23.
M. Noth, The History of Israel, London, 1965, P. 113.

(٩) سورة القصص : آية ٤ •

(١٠) سورة البقرة : آية ٤٩ ، وانظر : تفسير روح المعانى ٢٥٢/١ — ٢٥٤ ، تفسير البحر المحيط ١٨٧/١ — ١٨٨ ، تفسير الطبرى ٣٦/٢ — ٣٩ ، تفسير الطبرسى ٢٣١/٢ — ٢٣٥ ، تفسير القرطبى ص٣٢٥ — ٣٣٠ ، تفسير المنار ٣٠٨/١ — ٣١٣ ، تفسير الدر المنثور فى التفسير المأثور ٦٨/١—٦٩ ، تفسير النسفى ٤٧/١ — ٤٨ ، تفسير الكشاف ١٣٧/١ — ١٣٨ ، تفسير ابن كثير ١٣٦/١ — ١٣٧ ، فى ظلال القرآن ٧٠/١ — ٧١ ، صفــوة التفاسير ٥٧/١ — ٥٨ ، الجواهر فى تفسير القرآن الكريم ٥٩/١ — ٦٠ .

كانوا يتعرضون له فى مصر ، الامر الذى يقرره القرآن الكريم فى عدة سور ، من ذلك قوله تعالى «وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب العالمين ، حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق ، قد جئتكم ببينة من ربكم ، فأرسل معى بنى اسرائيل»[١١] ، وقوله تعالى «فأتياه فقولا انا رسولا ربك فأرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم»[١٢] ، وقـوله تعالى «فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين ، أن ارسل معنا بنى اسرائيل»[١٣] .

ويقول صاحب الظلال : وواضح من هذا أن موسى عليه السلام لم يكن رسولا الى فرعـون وقومه ليدعوهم الى دينــه ويأخذهم بمنهج رسالته ، انما كان رسولا اليهم يطلب اطلاق بنى اسرائيل ليعبدوا ربهم كما يريدون ، وقد كانوا أهل دين منذ أبيهم اسرائيل ، وهو يعقوب أبو يوسف عليهما السلام ، فبهت هذا الدين فى نفوسهم ، وفســدت عقائدهم ، فأرسل الله اليهم موسى لينقذهم من ظلم فرعون ، ويعيد تربيتهم على دين التوحيد[١٤] .

ويقول فى مكان آخر من تفسيره : ان موضوع رسالتهما (أى موسى وهارون) «فأرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم» ، ففى هذه الحدود كانت رسالتهما الى فرعون ، لاستنقاذ بنى اسرائيل ، والعــوده بهم الى عقيــدة التوحيد ، والى الارض المقــدسة التى كتب الله لهم أن يسكنوها الى أن يفسدوا فيها فيدمرهم تدميرا[١٥] .

وأيا ما كان الامر ، فلقد خرج موسى عليه السلام ببنى اسرائيل من مصر ، بأمر الله تعالى ، اذ أوحى الله الى موسى أن يسرى بعباده،

---

(١١) ســورة الاعراف : آية ١٠٤ ــ ١٠٥ .
(١٢) ســورة طــه : آيــة ٤٧ .
(١٣) ســورة الشعــراء : آيــة ١٦ ــ ١٧ .
(١٤) فى ظلال القرآن ٢٥٩٠/٥ .
(١٥) فى ظلال القرآن ٢٣٣٧/٤ ، ثم قارن : تفسير البحر المحيط ٣٥٦/٤ .

وأن يرحل بهم ليلا ، بعد تدبير وتنظيم ، ونبأه أن فرعون سيتبعهم بجنده ، وأمره أن يقود قومه الى ساحل البحر ، وبدهى أنه ليس بعد قول الله تعالى قول ، وبالتالى فان خروج بنى اسرائيل من مصر ، انما تم بأمر الله تعالى(١٦) ، وليس بأمر موسى أو فرعون ، كما تقول توراة يهود(١٧) .

هذا وقد اختلف المؤرخون فى الفرعون الذى خرج بنو اسرائيل من مصر على عهده ، وفى تاريخ الخروج ، وبالتالى فى تاريخ الاستقرار الذى تلاه فى فلسطين ، ومن ثم فقد قدموا لنا نظريات مختلفة ، يصل الفرق بين أقدمها وأحدثها الى أربعة قرون ، وعلى أى حال ، فان أهم الاراء التى دارت حول تاريخ الخروج خمسة ، أولها : رأى يذهب أصحابه الى أن الخروج انما تم أثناء طرد الهكسوس من مصر على أيام أحمس الاول ، حوالى عام ١٥٧٥ ق.م ، وثانيهما : أنه تم على أيام تحوتمس الثالث (١٤٩٠ ـ ١٤٣٦ ق.م) أو ولده «أمنحتب الثانى» (١٤٣٦ ـ ١٤١٣ ق.م) وثالثهما : أنه تم فى أعقاب أيام «اخناتون» (١٣٦٧ ـ ١٣٥٠ ق.م) ، وربما فى الفترة فيما بين موت اخناتون ، وتولية «حور محب» العرش ، حوالى عام ١٣٣٥ ق.م ، ورابعها : أنه تم على أيام رعمسيس الثانى (١٢٩٠ ـ ١٢٢٤ ق.م) .

وأما خامس الاراء ، فانه تم على أيام «مرنبتاح» (١٢٢٤ ـ ١٢١٤ ق.م) ، فاذا كان هذا الرأى صحيحا ـ وهذا ما نميل اليه ونرجحه ـ فان الخروج لابد وأن يكون فى العام الاخير من حكم «مرنبتاح»،سواء كان هذا العام العاشر من الحكم (حوالى عام ١٢١٤ ق.م) أو أن يكون العام الثامن من الحكم (حوالى عام ١٢١٦ ق.م) ، على خلاف فى الرأى ، ذلك لان التوراة(١٨) ، والقرآن العظيم ، انما يقولان أن

---

(١٦) أنظر : سورة طه : آية ٧٧ ، سورة الشعراء : آية ٥٢ ، سورة الدخان : آية ٢٣ ـ ٢٤ .
(١٧) خروج ١٧/١٣ ـ ١٨ ، ١٤/ ١١ ـ ١٢ ، عدد ١٤/ ٣ ـ ٤ .
(١٨) خروج ٢٦/١٤ ـ ٣١ ، ١/١٥ ـ ٥ ، الرسالة الى العبرانيين ٢٩/١٥ .

الفرعون قد غرق فى البحر ، وان أضاف القرآن الكريم أن جثة فرعون انما قد انتشلت لتكو آية لمن خلفه[١٩] .

على أن هناك آراء أخرى ، ذهب أولها الى أن الخروج تم على أيام «سيتى الثانى» (١٢١٤ — ١٢٠٨ ق٠م) ، وذهب ثانيها الى أنه كان فى نهاية الاسرة التاسعة عشرة (١٢٠٨ — ١١٨٤ ق٠م) ، وأما ثالثها فقد تأخر به الى ما بعد عهد رعمسيس الثالث (١١٨٢ — ١١٥١ ق٠م)، ثانى ملوك الاسرة العشرين (١١٨٤ — ١٠٨٧ ق٠م)[٢٠] .

(٣) بنو اسرائيل فى التيـه :

تميزت الفترة التى قضاها بنو اسرائيل فى سينـاء ، منذ انفلاق البحر ، وحتى موت موسى عليه السلام بالردة والتمرد :

فاما عن الـردة : فان القرآن الكريم قد انفرد — من دون التوراة — باخبارنا بأن بنى أسرائيل ما كادوا يمضون مع موسى ، بعد خروجهم من البحر ، ونجاتهم من آل فرعون ، وقالوا ، فيما حكاه القرآن عنهم، «وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم، قالوا يا موسى اجعل لنا الها ، كما لهم آلهة ، قال انكم قوم تجهلون ، أن هولاء متبر ما هم فيه ، وباطل ما كانوا يعلمون»[٢١] .

وأكبر الظن أن هذه الاصنام التى رآها بنو اسرائيل ، وطلبوا أن تكون لهم آلهة مثلها ، ربما كانت تماثيل المعبودة «حاتحور»[٢٢] ، ربة

(١٩) سورة يونس : آية ٩٠ — ٩٢ ، وانظر : تفسير القرطبى ص ٣٢١٨ — ٣٢٢٠ تفسير ابن كثير ٦٦٥/٢ — ٦٦٨ ، تفسير المنار ٣٨٧/١١ — ٣٩٠ ، الطبرى ١٩٤/١٥ — ١٩٨ ، فى ظلال القرآن ١٨١٧/٣ — ١٨١٨ ، مسند الامام أحمد ٣٠٩/١ ، تحفـة الاحوذى ٥٢٥/٨ ، محمـد بيومى مهران : اسرائيل ٤٢١/١ — ٤٢٢ .

(٢٠) أنظر عن تاريخ الخروج وفرعون موسى والاراء التى دارت حولهما (محمد بيومى مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم ٢٢٣/٢ — ٣٣٢ ، اسرائيل ٣٥٧/١ — ٤٣٩ ، مصر الجزء الثالث — ص ٤٤٥—٥٠٨)

(٢١) سورة الاعراف : آية ١٣٨ — ١٣٩ .

(٢٢) أنظر عن «حاتحور» (محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية — الجزء الثانى ص ٣٣٧ — ٣٤١) .

الفيروز ، والتى كان قد أقيم لها معبد فى مناجم الفيروز ، التى كانت تكثر فى وادى مغارة وسرابيط الخادم منذ أيام الدولة الوسطى ، حيث كان يتعبد لها عمال المناجم هناك[٢٣] ، ويذهب المفسرون والمؤرخون المسلمون الى أن الاصنام التى وجدها بنو اسرائيل بعد انفلاق البحر ، انما هى تماثيل بقر (حيث كانت تصور حاتحور كبقرة) ، ويذهب الامام البيضاوى الى أن ذلك أول عبادة العجل ، ويقول الامام الطبرى : ان القوم كانوا يعبدون أصناما على صور البقر ، فلما عجل السامرى شبه اليهم أنه من تلك البقر ، ومن ثم فقد أثار ذلك شبهة لهم فى عبادة العجل بعد ذلك[٢٤] .

غير أن الردة الكبرى انما كانت «عبادة العجل» ، ذلك أنه لم يمض وقت طويل على انفلاق البحر ، وعلى محاولة عبادة البقر فى صورة حاتحور — أو عبادة حاتحور فى صورة بقرة — حتى كانت الردة الكبرى وعبادة العجل ، كما جاء فى التوراة[٢٥] والقرآن العظيم[٢٦] .

وهكذا بقيت الوثنية راسخة فى قلوب بنى اسرائيل ، حتى بعد انفلاق البحر لهم ، وحتى بعد أن جاوزوه على يبس ، وحتى بعد أن من الله عليهم بالمن والسلوى ، وحتى بعد أن استسقوا موسى فضرب الحجر بعصاه ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، لكل سبط من أسباطهم الاثنى عشر ، مشربهم ، وحتى بعد أن نزلت عليهم شريعة تحذرهم من اتخاذ آلهة أخرى ، غير الله سبحانه وتعالى ، حتى بعد هذا كله ، فانهم

---

23) A. Gardiner, A. T. Peet, and J. Cerny, The Inscription of Sinai, II, London, 1955, P. 41.

(٢٤) أنظر : تفسير البحر المحيط ٣٧٧/٤ — ٣٧٨ ، تفسير الطبرى ٨٠/٣ — ٨٤ ، تفسير البيضاوى ٢٥/٣ ، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ١١٤/٣ ، تفسير النسفى ٧٤/٢ ، تفسير ابن كثير ٣٨٧/٢ ، محمد بيومى مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم ٣٣٥/٢ — ٣٤٢ .

(٢٥) خروج ١/٣٢ — ٢٨ .

(٢٦) سورة البقرة : آية ٥١ ، ٥٤ ، ٩٢ ، ٩٣ ، سورة النساء :آية ١٥٣ ، سورة الاعراف : آية ١٤٨ — ١٥٢ ، سورة طه : آية ٨٣—٩٨ .

سرعان ما زاعوا عن الصراط المستقيم ، وكفروا بالله الواحد الاحد[٢٧]، وهو نفس ما سوف يفعلونه فى دويلة اسرائيل على أيام «يربعام الاول» (٩٢٢ ـ ٩٠١ ق٠م) وبعد موت سيدنا سليمان عليه السلام فى عـام ٩٢٢ ق٠م مباشرة ، وذلك حين أقام يربعام الاول مكانين لعبادة العجل الذهبى ، الواحد فى «بيت ايل» والاخر فى «دان» ، بل ان عاصمتهم «السامرة» انما قد زودت أيضا بعجل ذهبى[٢٨] ٠

وأما التمـرد : فقد بدأ بعد عبور البحر بقليل بسبب قلة الماء العذب مرة أخرى[٢٩] ، غير أن أخطر الثورات ـ من وجهـة النظر العقدية ـ كانت حين طلبوا من موسى أن يروا الله ـ تعالى عن ذلك علوا كبيرا ـ جهرة ، وكأنهـم بعد كل هذه المعجزات لم يؤمنوا بموسى ور بموسى فيطلبون من نبى الله ـ فى مقابل ايمانهم ـ أن يروا الله جهرة ، قال تعالى «واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ، فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون،ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون»[٣٠]٠ ثم هناك ثورة أخرى ضد موسى تزعمها أحـد اللاويين ، سبط موسى نفسه ، تتهم موسى وهارون بالترفـع على جماعـة الرب ، من بنى اسرائيل[٣١] ، ثم ثورة ثالثة تنكر على موسى خروجه ببنى اسرائيل من مصر[٣٢] ٠

وعلى أية حال ، فان موسى عليه السلام ، سرعان ما يأمر قـومه الاسرائيليين بدخول الارض المقدسة التى كتب الله لهم ـ سواء أكانت هذه الارض هى فلسطين بعامة أو القدس أو أريحا فيما يرجح البعض ـ

(٢٧) سورة البقرة : آية ٦٠ ـ ٦١ ، سورة الشعراء : آية ٦٠ ـ ٦٨
(٢٨) خروج ٧/٣٢ ـ ٨ ، ملوك أول ٢٥/١٢ ـ ٣٢ ، هوشع ٥/٨ ـ ٦ وكذا

(٢٩) خروج ٢٣/١٥ ـ ٢٥ ، ٢/١٦ ـ ٣ ، وانظر : سورة البقرة : آية ٦٠ ـ ٦١ ٠
(٣٠) سورة البقرة : آية ٥٥ ـ ٥٦ ٠
(٣١) عدد ١/١٦ ـ ٥ ٠
(٣٢) عدد ٥/٢١ ـ ٩ ٠

تنفيذا لأمر الله تعالى «يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين»[٣٣] ، على أن الغريب أن يمتنع بنو اسرائيل عن دخول كنعان ، لان دخولها انما يعنى الحرب مع سكانها الاصليين ، رغم أن موسى عليه السلام بدأ يحرضهم على القتال ، ولكنهم مع كثرتهم «تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى»[٣٤] ، فقد كانوا يخافون الحرب ، ويهابون القتال ، ومن ثم فلم يستجب لموسى ، الا هارون أخاه ، ومن ثم فقد حكم الله تعالى عليهم بالتشرد والتيه فى الارض أربعين سنة[٣٥] .

والى هذا يشير القرآن الكريم ، فى قوله تعالى «يا قوم ادخلوا الارض المقدسة ، التى كتب الله لكم ، ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين ، قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين ، وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فان يخرجوا منها فانا داخلون ، قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ، أدخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ، ان كنتم مؤمنين ، قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون ، قال رب انى لا أملك الا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الارض ، فلا تأس على القوم الفاسقين»[٣٦] .

وهكذا انتهت قصة بنى اسرائيل مع موسى عليه السلام ، وطبقا

---

(٣٣) سورة المائدة : آية ٢١ .
(٣٤) سورة الحشر : آية ١٤ .
(٣٥) أحمد ضياء الدين مهران ، دراسة تاريخية للعلاقات بين مصر وبنى اسرائيل اثناء الالف الاول قبل الميلاد ـ الاسكندرية ١٩٨٨ ص ١٢٦ ـ ١٢٨ .
(٣٦) سورة المائدة : آية ٢١ ـ ٢٦ ، وأنظر : تفسير النسفى ٢٧٨/١ ـ ٢٨٠ ، تفسير المنار ٢٦٥/٦ ـ ٢٧٩ ، تفسير البيضاوى ١٤٨/١ ـ ١٥٠ ، تفسير روح المعانى ٢٦٤/١ ـ ٢٦٩ ، تفسير ابن كثير ٥٨/٢ ـ ٦٥ ، تفسير الطبرى ١٦٧/١٠ ـ ٢٠٠ ، تفسير القرطبى ص ٢١٢٠ ـ ٢١٣٠ ، صفوة التفاسير ٣٣٥/١ ـ ٣٣٧ ، فى ظلال القرآن ٨٦٩/٢ ـ ٨٧١ .

لرواية التوراة ، فمن رأس الفسجة ، التى يفترض أنها جــزء من جبل «نبو» ، على مبعدة ٤ كيــلا من نهر الاردن ، نظــر موسى الى أرض الميعاد ، ودفن فى أرض مؤاب[٣٧] .

(٤) دخول بنى اسرائيل كنعان :

آل أمر بنى اسرائيل بعد موت موسى عليه السلام الى يشوع بن نون ـــ خادم موسى وفتاه ـــ[٣٨] وسرعان ما بدأ يخطط لغزو فلسطين فعبر الاردن عند المخاضة المعروفة بالمغطس أو الحجلة ، على مبعدة ٣ كيلا جنوبى كوبرى اللنبى ، فى وقت كان النهر فيه ضحلا على أيام الربيع ، وان ذهبت رواية أخرى أن المياه المنحدرة من فوق وقفت ، وقامت ندا واحدا بعيدا جدا عن «أدام المدينة»[٣٩] فسار القــوم فى الأرض الجافة ، على أن هناك من يذهب الى أنه فى منطقة «أدام» (تل الدامية على مبعدة ٢ كيلا جنوبى اتصال نهر يبوق بالاردن) يوجــد جرف من الحجر الجيرى يكون عند الزلازل شقا فى النهر يسده تماما لفترة ، ويمنع تدفق مياه الاردن لمدة تزيد عن ٢٠ ساعة ، كمــا حدث عام ١٩٣٧م[٤٠] .

وأيا ما كان الامر ، فلقد عبر بنو اسرائيل الاردن ، وعسكروا فى «الجلجال» عند تخم «أريحا» الشرقى ثم احتلوا أريحا بعد سبعة أيام ، عن طريق خيانة امرأة زانية تدعى «رحاب» ثم أشعلوا النيران فى المدينة فحرقوها بمن فيها وما فيها ، ما عدا الذهب والفضة وآنية النحاس[٤١] ،

---

(٣٧) تثنيه ٢٧/٣ ، ١/٣٤ ـ ٨ ، وأنظر
S. Saller, The Memorial of Moses on Mount Nobo 2 Vols, London, 1941.

(٣٨) خروج ١٣/٢٤ ، عدد ١٢/٢٧ ـ ٢٣ ، تثنيه ٢٨/١ .

(٣٩) يشــوع ١٥/٣ ـ ١٦ .

40) J. Finegan, Light from The Ancient Pasct, The Archaeology back Ground of Judaism and Christianity, Princeton, 1969, P. 155.

(٤١) يشــوع ١٩/٤ ـ ٢٤ ، ١/٦ ـ ٢٧ .

وان ذهب البعض الى أن سقوط أريحا انما كان بسبب زلازل وقعت في المدينة ، وليس بسبب خيانة امرأة ، وضرب كهنة يهود بأبواقهم حول المدينـــة(٤٢) .

وكانت الضربة التالية من نصيب «عاى» (وهى التل الحالية على مبعدة ٢٠ كيلا شمال غرب أريحا) التى سقطت بسبب خدعة يهودية(٤٣) وان كانت حفائر «جوديث ماركيت كروز» فى موقع «عاى» تشير الى بقايا مدينة من عصر البرونز المبكر قد دمرت تمــاما حوالى عام ٢٢٠٠ ق.م ، كما أن اسم عاى بمعنى الخــراب ، ومن ثم فالتفسير المحتمل لرواية التوراة هو الخلط بين عاى وبيت أيل (بيتين = على مبعدة ٣ كيلا من عاى)(٤٤) .

وتقدم يشوع فاستولى على «جبعون» (الجيب الحالية على مبعدة ١٣ كيلا شمال غرب القدس) ولبنـــة (تل بورناط شمالى غــرب بيت جبرين) وجازر (تل الجزر على مبعدة ٢٥كيلا جنوب شرق حيفا) وعجلون (خربة عجلان قرب أربد) وحبرون (مدينة الخليل الحالية) ودبير (تل بيت مرسيم على مبعدة ١٧ كيلا جنوب غرب الخليل) وحاصور (تل القدح على مبعدة ١٢ كيلا شمال بحر الجليل) ، ثم تزعم التوراة بعد ذلك أن يشوع قد استولى على أملاك ٣١ ملكا فى كنعان ، وأنه «أخذ كل الاراضى حســـب ما كلم الرب موسى ، وأعطاهـــا ملكـــا لبنى اسرائيل»(٤٥) .

---

42) J. Fingan, Op. Cit., P. 158.
T. R. Glover, The Ancient World, 1968, P. 134.

(٤٣) يشــوع ٣/٧ ــ ٢٩/٨ .

44) W. F. Albright, AJA, 40, P. 158, BASO, 118, P. 31.
Judith Marquet-Krause, les Voulles de Ay (ea-Tell), 1933-1935, 2 Vols, 1949.
J. Finegan, Op. Cit., P. 159-160.

(٤٥) يشوع ٣/٩ ــ ٧ ، ١/١٠ ــ ١١ ، ١/١١ ــ ٢٣ ، ١/١٢ ــ ٢٤ ، محمد بيومى مهران : اسرائيل ٦١٢/٢ ــ ٦٢٢ ، وكذا =

على أن العلماء انما يجمعون — أو يكادون — على أن غزو كنعان (فلسطين) انما كان بعيداً عن التمام على أيام يشوع ، وذلك لأن كثيراً من المدن الحصينة فى طول البلاد وعرضها لم تخضع لبنى اسرائيل ، فضلا عن مجموعات القبائل ، ثم ان احتلال كنعان — حين تم — انما تم بجهود كل سبط فى الدفاع عن منطقته ، وأن ذلك قد استغرق أكثر من قرن ، وليس فى جيل واحد ، فضلا عن أن يكون فى خمسة أو سبعة أعوام ، كما تزعم التوراة ، وانما استمر أيضا طوال عهد القضاة وحتى بداية عصر الملوك الاوائل ، حيث تم الاستيلاء على أورشليم (القدس) ومجدو وتعناك وبيت شان (بيسان) ومنطقة دور ، وجازر ، وطبقا لرواية التوراة ، فان القدس لم يتم الاستيلاء عليها الا على أيام داود ، وجازر على أيام سليمان ، وبقوات مصرية بأمر من فرعون»[٤٦].

(٥) عصر القضاة :

يبدأ عصر القضاة بموت يشوع ، وينتهى بقيام الملكية على يد طالوت (شاول) وتستغرق هذه المرحلة ما بين قرن وأربعة قرون على اختلاف فى الرأى[٤٧] ، وانى لأميل الى أنها لا تعدو القرن ونصف القرن ، اذا اعتمدنا على الرأى الذى يرجح الخروج على أيام «مرنبتاح» حوالى

=
A. Lods, Op. Cit., P: 332.
J. B. Pritchard, BA, 19, 1956, P. 65-75.
J. Finegan, Op. Cit., P. 106-164.

(٤٦) يشوع ١٠/١٤ — ١١ ، صموئيل ثان ٦/٥ — ٩ ، ملوك أول ١٦/٩ ، وكذا
A. Lods, Op. Cit., P. 229-231.
I. Epstein, Judaism, 1970, P. 33.
O. Roux, Ancient Iraq, 1966, P. 242.

(٤٧) أعمال الرسل ٢٠/١٣ ، شاهين مكاريوس : تاريخ الامة الاسرائيلية — القاهرة ١٩٠٤ ص ١٨ ، فيلب حتى : المرجع السابق ص ١٩٥ ، باروخ سبينوزا : رسالة فى اللاهوت والسياسة — القاهرة ص ٢٩٠ — ٢٩٤ (مترجم) ، وكذا
J. Gray, Op. Cit., P. 112.
O. Eissfeldt, The Period of The Judges, in CAH, II, Part, 2, 1975, P. 553.

عام ١٢١٤ ق.م ، وقيام الملكية على يد «طالوت» حوالى عام ١٠٢٠ ق.م ، آخذين فى الاعتبار فترة التيه وعهد يشوع بن نون .

هذا وكانت القبيلة — أو السبط — هى أساس النظام الاجتماعى عند بنى اسرائيل ، وطبقا لرواية التوراة ، فقد كانت الارض المفتوحة تقسم على احدى عشرة قبيلة ، بينما وزعت القبيلة الاثنى عشر — وهى قبيلة اللاويين رهط موسى وهارون — على القبائل الاخرى للخدمة الدينية ، كما كانت القبائل بدورها تقسم الى عشائر ، ولكنها تتجمع حول هيكل مركزى فى شيلوه (سيلون الحالية على مبعدة ١٤ كيلا شمالى بيت بيت ايل ، ٢٥ كيلا شمالى القدس) (٤٨) .

هذا وقد قارن بعض العلماء هذا النظام القبلى العبرانى بمجلس «الامفكتيون» Amphictyony اليونانى ، والذى يقوم على مبدأ مماثل من المركز الدينية (٤٩) ، وكانت سلطة الكاهن الاكبر عظيمة ، ولكن من المبالغة أن نزعم وجود حكومة ثيوقراطية ، فان سلطته لم تكن سياسية ، اذ كان يتصدر القوم أثناء الازمات زعماء محليون هم «القضاة» (٥٠) ، وقد ظل هؤلاء القضاة يحكمون بنى اسرائيل طوال القرن ونصف القرن التاليين لدخولهم فلسطين ، وكانت سلطة القضاة عارضة محدودة المدى والمدة ، وهى فى هذا النظام تذكرنا بسلطة زعماء النظام البدوى الذى تتميز به الحياة السامية الاقدم عهدا (٥١) .

---

(٤٨) يشوع ١/٨ — ١٠ ، موسكاتى : المرجع السابق ص ١٤٠ ، وكذا
M. Unger, Op. Cit., P. 1015.

(٤٩) موسكاتى : المرجع السابق ص ١٤٠ ، وكذا
M. Noth, Das System der Zwolf Staemme Israels, 1930, P. 39-60.

(٥٠) القضاة هم : عثنيئل بن قناز ، أهود ابن جبرا ، شمجرين بن عناة ، دبورة النبيه القاضية ، جدعون ، أبيمالك ، تولع بن فواه ، يائير الجلعادى ، ابصان ، عبدون بن هليل ، شمشون ، عالى ، صموئيل النبى (صموئيل أول ١/١ — ٢١/٤ ، محمد بيومى مهران : اسرائيل ٦٣٠/٢ — ٦٥٧) .

(٥١) يشوع ١/٨ — ٨ ، موسكاتى : المرجع السابق ص ١٤٠ — ١٤١ ، وكذا
M. Noth, Op. Cit., P. 39-60.
وكذا
M. Unger, Op. Cit., P. 1015.

ولم يكن القضاة قضاة بالمعنى المفهوم ، ولم يكونوا مشرعين بالمعنى القديم ، وانما كانوا طبقة من الرجال المحـاربين والمنقذين : أقامهم الرب «ليخلصوا بنى اسرائيل من ناهبيهم» ، ولم يكونوا خلفاء لبعضهم البعض ، بل اننا لنشهد أكثر من واحد فى وقت واحد ، ولم يكن هناك ملوك فى بنى اسرائيل فى ذلك الوقت ، ومن ثم فقـد كان الواحد من هؤلاء القضاة يطلق عليه أحيانا لقب ملك أو قاض(٥٢) ، كما أن واحدا منهم لم يستطع أن يبسط سلطانه على جميع بنى اسرائيل ، فكل واحد من هؤلاء القضاة أو الشيوخ انما كان يتسلم قيادة زمرة واحدة ، عندما كانت هذه الزمرة تهدد تهديدا مباشرا ، وهو اذا ما كتب له النصر ، لم يحتفظ حتى بقيادة تلك الزمرة(٥٣) .

وعلى أية حال ، فلقد انتهى عصر القضاة على أيام «عالى» الكاهن، حيث استطاع الفلسطينيون هزيمة بنى اسرائيل فى «أفيق» (تل المخمر على مبعدة ٥ كيلا شرقى حيفا) ، واستولوا على «تابو تالعهد»(٥٤) ، وكانت نتيجة الهزيمة مروعة ، فلقد دمر الفلسطينيون المعبد الرئيسى فى شيلوه ، فضلا عن اخضاع بنى اسرائيل لسلطانهم ، واقامة الثكنات العسكرية الفلسطينية فى المناطق الاسرائيلية ، واحتلال الجبال الرئيسية فى غرب الاردن ، واقامة النصب التذكارى لنصرهم فى «جبعة بنيامين» (تل الفو لعلى مبعدة ٥ كيلا شمالى القدس) ، هذا فضلا عن تعيين موظفين من الفلسطينيين لجمع الضرائب المفروضة على الشعب المهزوم، كما كانوا يراقبونهم من مراكز المراقبة الثابتة ، وأخيرا فلقد نزعـوا سلاح بنى اسرائيل حين منعوهم من صناعة أسلحة جديدة ، وهكذا عمل الفلسطينيون على تقـوية امتيازاتهم السياسية عن طريق تفوقهم فى

---

(٥٢) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٣٢٥ .

(٥٣) جوستاف كوبون : المرجع السابق ص ٣٥ .

(٥٤) صموئيل أول ٤/٤ ــ ١/١٠ ، وكذا

O. Eissfeldt, Op. Cit., P. 571.

M. Noth, The History of Israel, London, 1965, P. 165-166.

C. Roth, A Short History of The Jewish People, London, 1969, P. 14.

السلاح ، وضعف أعدائهم فيه ، بل منعه عنهم ، فضلا عن القضاء على فكرة الثورة ضدهم بين بني اسرائيل (٥٥) .

(٥٥) صموئيل أول ٤/٤ ـ ١٠/١ وكذا
O. Eissfeldt, Op. Cit., P. 571.

الفصل الثانى

عصر داود عليه السلام

اولا ـ قيـام الملكيـة وعصر طالوت

(١) أسباب قيام الملكية الاسرائيلية :

يذهب الباحثون الى أنه بعد هزمية «أفيق» المروعة ، فى الربع الاخير من القرن الحادى عشر ، تجمعت كل العوامل الضرورية لانهاء حكم القضاة وقيام الملكية عند بنى اسرائيل ، والتى كان منها (أولا) ضغط الفلسطينيين على بنى اسرائيل ، وقد كان ذلك من أقوى العوامل لتجميع قوى بنى اسرائيل وقيام مملكة ، بل ربما كان الاصح أن تهديد الفلسطينيين للكيان الاسرائيلى من أساسه هو السبب فى قيـام الملكية الاسرائيلية ، ومنها (ثانيا) أن بنى اسرائيل كان لهم أقطـاب أشبه بالملوك،كما كان للادوميين والعمونيين والمؤابيين ملوك ، وكان للفلسطينيين ممالك مدن ، الامر الذى دفع بنى اسرائيل للمطالبة بملك يحارب حروبهم ويكون لهم قاضيا كذلك ، ومنها (ثالثا) أن الكهنوت الاسرائيلى كانت قد تسلمته أياد ضعيفة منذ أيام «فنحاص» ، حتى أن «عالى» الكاهن كان من غير «بيت العازار» الابن الاكبر لسيدنا هارون عليه السلام ، والذى يجب ـ طبقا للنظام الاسرائيلى ـ أن تستمر الكهانة فى نسله، وانما كان من بيت الابن الاصغر «ايثمار» •

ومنها (رابعا) أن هناك نصـا فى التوراة يجعل الحـكم فى بنى اسرائيل ملكيا ، ومنها (خـامسا) التهديد العمونى لحـدود اسرائيل الشرقية ، ولعل هذا السبب ـ بجانب التهـديد الفلسطينى ، وتدمير الكثـير من مدن بنى اسرائيل ـ كان السبب المبـاشر لقيام المـلكية

الاسرائيلية[1] .

(٢) ملكية طالوت :

وهكذا أدى التهديد الخارجي ، والاضطراب الداخلى الى أن يضطر شيوخ اسرائيل الى الاجتماع ، والمطالبة بتتويج ملك على شعب اسرائيل ، ومن ثم فقد اختار لهم «صموئيل النبى» ملكا هو «(طالوت)» (شاؤل بن قيس من سبط بنيامين فى التوراة) ، ومع ذلك فرواية التوراة تشير الى تردد صموئيل كثيرا فى اجابة قومه الى ما يطلبون ، بل «لقد ساء الامر فى عينى صموئيل» ، وحذر قومه من غضب الرب ، ان هو رضى فملك عليهم ملكا ، ولكن بنى اسرائيل أصروا على طلبهم ، ورغم ذلك ، فما كان عند النبى صموئيل النية فى اقامة ملك مستقل حقيقة ؛ وكل ما كان يرجوه أن يكون هذا الملك قائدا حربيا ، وزعيماً وسندا لكل بنى اسرائيل ، يخلصهم من سيطرة الفلسطينيين ، ثم يخضع بعد ذلك لصموئيل طوال حياته[2] .

على أن القرآن الكريم — وهو أصدق المصادر وأصحها قاطبة — انما يخبرنا أن الملأ من بنى اسرائيل انما قد طلبوا من نبيهم أن يختار لهم ملكا يقاتلون معه عدوهم ، فحذرهم نبيهم من أن السوابق التاريخية انما تشير الى أن بنى اسرائيل ليس لهم صبر على القتال ، ولا يملكون شجاعة يقفون بها أمام أعدائهم ، ومع ذلك فقد أخبرهم أن الله قد اختار لهم «(طالوت)» ملكا ، بسبب مميزاته العلمية والجسمانية[3] .

---

(١) تثنية ١٤/١٧ — ١٥ ، صموئيل أول ٢٢/٢ — ٢٥ ، ماير : حياة صموئيل النبى — القاهرة ١٩٦٧ ص ٣٥ — ٦٥ (مترجم) ، محمد بيومى مهران : اسرائيل ٦٦١/٢ — ٦٦٧ ، وكذا

S. Mowinckel, General Oriental and Specific Israelite Elments in The Israelite Conception of The Sacral, Kingdom, 1 59, P. 60.

(٢) صموئيل أول ١/٨ — ٢٢ ، حسن ظاظا : الفكر الدينى الاسرائيلى — ص ٤٠٠ ، وكذا

H. R. Hall, Op. Cit., P. 242 .

(٣) أحمد ضياء الدين مهران : المرجع السابق ص ١٣٧ — ١٣٨ .

والى هذا يشير القرآن الكريم فى قوله تعالى «ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى ، اذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله ، قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتـال ألا تقاتلوا ، قالوا وما لنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ، فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين ، وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا ، قالوا أنى يكون له الملك علينا ، ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال ، قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم ، والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم ، وقال لهم نبيهم ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة ، ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين»(٤) .

ومن عجب أن يزعم الحاخام الدكتور «أبشتين» أن اختيار «شاؤل» (طالوت) ملكا على بنى اسرائيل انما يعتبر أول ملك دستورى فى التاريخ لانه تم برضى عام من بنى اسرائيل(٥) ، وفى الواقع أن ما ذهب اليه «أبشتين» ليس صحيحا ، فالنبى صموئيل هو الـذى اختاره ، وليس بنو اسرائيل ، وذلك اعتمادا على سلطته الدينية ، حيث فرضه كممثل معتمد لربهم «يهوه» ، هذا فضلا عن أن بنى اسرائيل لم يقبلوه جميعا ، وطبقا لرواية التوراة ، فلقد رفضه «بنو بليعال» وازدروه ، «وقالوا : كيف يخلصنا هذا فاحتقروه ، ولم يقدموا له هدية ، فكان كأصم»(٦) ، وكما يقول الذكر الحكيم «قالوا أنى يكون له الملك علينا ، ونحن أحق بالملك منه ، ولم يؤت سعة من المال»(٧) .

---

(٤) سورة البقرة : آية ٢٤ ــ ٢٤٨ ــ وانظر : تفسير المنار ٣٧٢/٢ ــ ٣٧٣ ، فى ظلال القرآن ٢٦٦/٢ ــ ٢٦٩ ، تفسير النسفى ١٢٤/١ ــ ١٢٥ ، تفسير الطبرى ٢٩١/٥ ــ ٣٢٨ ، تفسير الطبرسى ٢٧٥/٣ ــ ٢٨٤ ، تفسير ابن كثير ٤٤٩/١ ــ ٤٥٢ ، تفسير القاسمى ٦٤١/٢ ــ ٦٤٧ ، تفسير الفخر الرازى ١٨١/٦ ــ ١٩٣ .

5) I. Epstien, Judaism, 1970, P. 35.

(٦) صموئيل أول ١١/١٠ ــ ٢٧ .

(٧) سورة البقرة : آية ٢٤٧ .

هذا فضلا عن أن اختيار «طالوت» انما كان — فيما يرى كثير من الباحثين — انما كان تجنبا لحرب أهلية كان يمكن أن تنشب ، لو وقع الاختيار على واحد من القبائل القوية دون الاخرى ، ومن هنـــا كان اختيـــاره من سبط بنيامين ، أضعف أسباط بنى اسرائيل ، وكان هذا اختيارا موفقا ، لانه لا يسبب له حقدا من الاسباط الاخرى ، فضلا عن أن خيامه ، انما كانت تقع بين أفرايم ويهوذا ، أى فى مكان وسط بين القبائل الشمالية والجنوبية(٨) .

وعلى أية حال ، فلقد فشلت ملكية طالوت فشلا ذريعا ، لانها كانت تطورا مباشرا من حياة البداوة الى حياة الاستقرار ، كما أن طالوت انما كان مهيئا — بطبيعته وبتكوينه العقلى وظروفـــه الاجتماعية — للنجاح فى ظروف عصر القضاة ، والفشل فى أحوال عصر الملوك ، فقد كان ذا شخصية محاربة متهورة طاغية ، حظها من الروح الدبلوماسية قليل ، وهذا هو السر فى مصيره المحزن ، فقـــد وفق توفيقا رائعا فى توحيد القبائل تقريبا تحت زعامته ضد الفلسطينيين وقادها الى النصر فكوفىء على ذلك بالملكية ، ولكن عجزه عن السيطرة على الفئات المعارضة داخل مملكته منعه من توطيد انتصاراته ، فضلا عن سلطته ، وأدى الى سقوطه ، وكان نزاعه مع داود عليه السلام ، زوج ابنته وقاتل جالوت الفلسطينى ، من أهم عوامل سقوطه ، فانهيار ما بينه وبين داود ، أبعد عنه تأييد رجال الدين الاقوياء(٩) .

وسراعان ما دارت معركة جبل جلبوع (حوالى عام ١٠٠٠ ق٠م) ، وانتهت بهزيمة ساحقة لبنى اسرائيل ، وفقدا ولدا طالوت حياتهمـــا ، وانتحر طالوت حيا ، وأجبرت الاقلية التى كانت تسكن بيسان ومدن سهل يزرعيل الاخرى على الهجرة ، وسقط وسط فلسطين تحت السيادة

---

(٨) صموئيل أول ١/٩-٢ ، محمد بيومى مهران : اسرائيل ٦٦٨/٢ — ٦٧٤ ، وكذا

W. Keller, The Bible as History, 1967, P. 179.

(٩) سبتينوموسكاتى : الحضارات السامية القديمة ص ١٤٢ .

الفلسطينية مرة أخرى[10] ، وهكذا احتل الفلسطينيون الخليـل وبلاد شرق الاردن ، وبدت مشكلة السيادة على فلسطين ، كما لو كانت قد استقرت لصالح الفلسطينيين هذه المرة ، وفى كل المرات[11] .

هذا وقد اختلف المؤرخون حول فترة حكم طالوت ، فهناك من يراها فى الفترة (١٠٢٠ — ١٠٠٠ ق٠م)[12] ومن يراها فى الفترة (١٠٣٠ — ١٠٠٤)[13] ، ومن يراها فى الفترة (١٠٢٥ — ١٠١٣ ق٠م)[14] ، ومن يراها فى الفترة (١٠٠٠ — ٩٨٥ ق٠م) ، ومن يراها فى الفترة (١٠٢٠— ١٠٠٤ ق٠م)[15] .

ثانيا : عصر داود عليه السلام

(١) داود فيما قبل الملكيـة :

تروى التوراة أن داود عليه الســلام ، كان حامل ســلاح شاول (طالوت) ، كما كان طلق اللسان فصيحا ، خفيف الروح ، شجاعا ، بل مقاتلا جبارا ، وداود هو : داود بن يسى من سبط يهوذا ، موطنـه «بيت لحم» (على مبعدة خمسة أميال جنوب القدس) ، ونسبه ينتهى الى يهوذا بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم» عليهم السلام ، وقـد أرسله الله حين غضب على شاول ليكون ملكا على بنى اسرائيل ، مختارا

10) H. R. Hall, The Ancient History of The Near East, London, 1963, P. 359.

(١١) محمد بيومى مهران : اسرائيل ٢/ ٦٨٠ — ٦٩٢ ، وكذا
M. Noth, The History of Israel, London, 1965, P. 178.

(١٢) محمد بيومى مهـران : الثـورة الاجتماعية الاولى فى مصر الفرعونية ص ٢٠٣ .

13) O. Eissfeldt in CAH, II, Part, 2, Cambridge, 1975, P. 575.

14) W. F. Albright, The Archaeology of Palestine, London, 1949, P. 120.

(١٥) فيلب حتى : المرجع السابق ص ٢٠٢ — ٢٠٣ ، وكذا
I. Epstien, Judaism, 1970, P. 35.
W. Keller, Op. Cit., P. 181.
Historical Atlas of The Holy Land, New York, 1959, P. 81.

اياه من بين أولاد أبيه «يسى» الستة على رأى ، والسبعة على رأى آخر ، بل والثلاثة عشر ، فيما تروى المصادر العربية ، وكان أشقر مع حلاوة العينين ، وحسن المنظر ، وفى المصادر العربية — عن وهب بن منبه — كان قصيرا أزرق العينين ، قليل الشعر ، طاهر القلب نقيه[١٦].

وكان قبل اشتراكه فى الحرب ضد جالوت وقومه مكلفا بالقيام برعى غنم أبيه ، وقد أظهر فى مهمته هذه اخلاصا نادرا ، وشجاعة فائقة ، فقد قتل أسدا ودبا هاجما القطيع[١٧] ، ويروى الطبرى فى تاريخه أن أباه أتاه ذات يوم فقال : يا أبتاه ما أرمى بقذافتى شيئا الا صرعته ، قال : أبشر يا بنى ان الله جعل رزقك فى قذافتك ، ثم أتاه مرة أخرى فقال : يا أبتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت أسدا رابضا فركبت عليه وأخذت بأذنيه فلم يهجنى ، فقال أبشر يابنى ، فان هذا خير يعطيكه الله ، وكان داود راعيا ، وكان أبوه خلفه يأتى الى أبيه والى أخـوته بالطعام[١٨] .

وقد بدأ نجم داود يسطع بين قبـائل بنى اسرائيل منذ أن قتل جالوت،فقرت به عين الملك ، ووعده بأن يزوجه ، ابنته الكبرى «ميرب» ولكنه زوجها الى «عدريئيل المحولى» ولما أحبته أختها «ميكال» وعده بها على أن يمهره اياها مائة غلفة من الفلسطينيين[١٩] ، ولكن يبدو أن الشعبية التى اكتسبها داود قد جعلت الملك يعدل عن الاصهار اليه ، وان كانت الرواية العربية تذهب الى أن طالوت رجع فأنكح داود ابنته ، وأجرى خاتمه فى ملكه ، فمال الناس الى داود وأحبوه[٢٠] ، ومن ثم فقد بدأ طالوت يخاف داود وصار «شاؤل» (طالوت) عدوا لداود لكل

---

(١٦) صموئيل أول ١٦/١ — ١٧/١٢ ، أخبـار ايام اول ١٥/٢ ، تاريخ الطبـرى ٤٧٢/١ ، ٤٧٦ ، ابن كثـير : البداية والنهاية ١٠/٢ ، ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ١٢٣/١ .
(١٧) صموئيل أول ١٧/٣٤ — ٣٦ .
(١٨) تاريخ الطبرى ٤٧٢/١ ، تاريخ ابن الاثير ١٢٣/١ .
(١٩) صموئيل أول ١٨/٧ — ٢٩ .
(٢٠) تاريخ الطبرى ٤٧٣/١ ، تاريخ ابن الاثير ١٢٤/١ .

الايام»[٢١] بل «وكلم ، شارل يوناثان ابنه وجميع عبيـــده أن يقتلوا داود» ، ولكنه سرعان ما يعفو عنه نتيجة توسلات ولده يوناثان،صديق داود ، غير أنه سرعان ما يغير رأيه مرة أخرى ويفكر فى قتل داود ، فيطعنه بالرمح ولكنه يخطئه ، فيفـــر داود من أمامه ، فيزداد غضب طالوت ، وتتأجج نار الغيرة فى صدره فيرسل الى داود من يقتله فى بيته «فأخبرت داود ميكال امرأته قائلة ان كنت لا تنجو بنفسك هذه الليلة فانك تقتل غدا ، فأنزلت ميكال داود من الكوة فذهب هاربا ونجا» ، ووضعت فى مكانه على الفراش الترافيم ولبدة المعترى وغطته بثوب[٢٢]، وفى الرواية العربية أن داود لما علم أن طالوت يريد قتله ، جعـــل فى مضجعه زق خمر وسجاه ، ودخل طالوت الى منام داود ، وقد هرب داود ، فضرب الزق ضربة خرقه فوقعت قطرة من الخمر فى فيه فقا ل: يرحم الله داود ما كان أكثر شربه الخمر[٢٣] ، فلما أصبح طالوت علم أنه لم يصنع شيئا ، فخاف داود أن يغتاله فشدد حجابه وحراسه ، ثم ان داود أتاه من المقابلة فى بيته وهو نائم ، فوضع سهمين عند رأسه وعند رجليه ، فلما استيقظ طالوت بصر السهام فقال : يرحم الله داود هو خير منى ، ظفرت به وأردت قتله وظفر بى فكف عنى ، وأذكى عليه العيون فلم يظفروا به ، وركب طالوت يوما فرأى داود يركض فى اثره، فهرب داود منه واختفى فى غار فى جبل[٢٤] .

وهكذا اضطر داود للفرار من مكان الى آخر ، معرضا حياته للخطر، ومع ذلك فلم يذهب الى موطنه فى بيت لحم (٥ أميال جنوب القدس) وانما ذهب الى صموئيل النبى فى الرامة (رامة الله) ومن هناك الى «نوب» (مدينة الكهنة) حيث يعيش «أخيمالك» الكاهن ، الذى دفع حياته ، وكذا مدينته بما فيها من رجال ونساء وأطفال وماشية ، ثمنا

---

(٢١) صموئيل أول ١٨/٢٩ .
(٢٢) صموئيل أول ١٩/١ ــ ١٧ .
(٢٣) تاريخ الطبرى ٤٧٣/١ ، تاريخ ابن الاثير ١٢٤/١ .
(٢٤) تاريخ الطبرى ٤٧٣/١ ، تاريخ ابن الاثير ١٢٤/١ .

لايواثه داود[٢٥] ، وهكذا ضيق طالوت الخناق على داود ، حتى اضطره أن يودع أباه وأمه عند ملك مؤاب ، وأن يلجأ الى ملك «جت» الفلسطينى وحين لم يأمن مكره ، لجأ هو ، الى مغارة «عدلام» حيث جمع هناك من حوله أربعمائة رجل من مريديه[٢٦] .

٢ ـ اختيار داود ملكا علـى يهـوذا :

سرت الانباء من كل أرجاء البلاد ، كما تسرى النار فى الهشيم ، بأن طالوت قد مات، وأن أولاده الثلاثة (يوناثان وأبيناداب وملكيشوع) لقوا نفس المصير ، وأن الاسرائيليين قد هزموا شر هزيمة فى معركة جبل جلبوع (حوالى عام ١٠٠٠ ق٠م) وأن البلاد قد عادت مرة أخرى تحت النير الفلسطينى[٢٧] ، وقد أدى ذلك الى قيام صراع مرير بين القبائل الاسرائيلية على السلطة ، خاصة وأن صموئيل النبى كان قـد مسح داود أثناء حياته خليفـة لطالوت ، وان لم ينـاد به ملكا على اسرائيل ، وفى نفس الوقت كان «ايشبعل» بن شـاؤل (طالوت) قد اعتبر نفسه الخليفة الشرعى لابيه بعد وفاته ، فضلا عن وفاة اخوته الكبار ، وكان يسانده فى ذلك «أبنير» قائد جيش أبيه ، وأحـد امراء بيته ، ومن ثم فقد نودى به ملكا فى «محانيم» (شمالى عجلون بميلين) عاصمة منطقة أفرايم فى أرض جلعاد ، جنوب يبوق ، حيث ذكرى أعمال أبيه شاؤل الجرئية منذ سنوات مضت مازال باقية هناك ، وعلى أية حال ، فقد شملت ملكية ايشبعل مناطق غير محددة لقبائل الجبال فى شرق الاردن وفى الجليل والسامرة ، وقد أطلق ايشبعل على نفسه ، كما فعل أبوه من قبـل ، لقب «ملك اسرائيل» وادعى أنه يحكم كل القبـائل الأسرائيلية ، ولكن بما أن القبائل الجنوبية قد انفصلت (تحت حكم

---

(٢٥) صموئيل أول ١٩/١٨ ـ ٢٢/٢٣ ، قارن : تاريخ الطبرى ١/ ٢٧٣ ، تاريخ ابن الاثير ١/١٢٤ .

(٢٦) صموئيل أول ٢١/١٠ ـ ١٥ ، ٢٢/١ ـ ٥ ، وانظـر : محمد بيومى مهران : اسرائيل ٢/٦٩٧ ـ ٧٠١ .

27) H. R. Hall The, The Ancient History of the Near East, 1963, P. 359, CAH, III, 1965, P. 426.
M. Noth, Op Cit., P. 177-180.

داود) عن القبائل الاخرى ، فان التصور السياسى لاسرائيل تحت حكم «ايشبعل» انما كان يشمل فقط الجزء الاكبر من القبائل فحسب[٢٨] .

وفى نفس الوقت كانت يهوذا قد مسحت داود ملكا على بيت يهوذا فى حبرون (مدينة الخليل) أو ممرا[٢٩] ، وليس هناك من شك فى أن شخصية داود نفسه كان لها دور كبير فى اغراء القبائل الجنوبية لاتخاذ هذه الخطوة ، فقد كان لتأثيره الشخصى أثر كبير ، ما فى ذلك من ريب ، كما أنه كحامل لدرع طالوت قد جعل منه شخصا محبوبا لكل من حوله، وهو بالنسبة للقبائل الجنوبية رجل من دائرتهم ، وقد برهن بنفسه ، بعد انفصاله عن طالوت ، أنه بالتأكيد رجل من القبائل الجنوبية ، وان كان النظام الملكى قد انتهى سريعا ، فان طالوت هو الملام لفشله ، وقد ساهم المركز الخاص والثابت للقبائل الجنوبية بدور أساسى فى الموقف دون شك ، وقد استغل داود هذا الموقف لصالحه ، كما كانت شخصية داود وعلاقاته وحاشيته الحربية ، هى الاساس فى تنصيبه ملكا على كل بيت يهوذا ، هذا فضلا عن أن رجال الدين كانوا موالين له ، كما أن اختيار النبى صموئيل له من قبل ، قد لاقى قبولا حسنا من غالبية القوم[٣٠] .

وأما الفلسطينيون ، أعداء بنى اسرائيل ، فكانوا يرقبون الموقف عن كثب ، وكان يهمهم بالدرجة الاولى أن تظل فلسطين تحت سيادتهم تماما ، وربما رأوا فى قيام مملكتين اسرائيليتين منفصلتين مما يحقق أغراضهم ، بل ربما كان الفلسطينيون من وراء قيام هاتين المملكتين ، الواحدة فى حبرون ، وعلى رأسها داود ، والاخرى فى الشمال ، وعلى رأسها «ايشبعل» وربما كانت هـذه المملكة الشمالية تحت السـيادة الفلسطينية ، وفى كل الحـالات فان الوضـع الجديد كان فى مصلحة

---

28) M. Noth, Op. Cit., P. 181-184.

(٢٩) صموئيل ثـان ٢/٤ .

30) H. R. Hall, CAH, III, Cambridge, 1965, P. 427.
وكذا M. Noth, Op. Cit., P. 182-183.

الفلسطينيين الذين ما كانوا أبدا بكارهين أن يروا أعداءهم الاسرائيليين ضعافا عن طريق الانقسام الداخلي[31] ، والذى يقضى بالتأكيد على تحالف القبائل الاثنى عشر ، كوحدة سياسية وحــربية ، خاصة وأن داود ، ومن ورائه القبائل الجنوبية كانوا يعملون على استمــرار هذا التحالف ، ومن هنا فقد سكت الفلسطينيون مؤقتا على ما يجرى من أحداث ، لانهم لم يجدوا سببا لمساعدة طرف على آخــر ، كما كانوا قانعين بترك مواليهم من بنى اسرائيل يحطم بعضهم البعض الاخر[32] .

٣ ـ داود وتوحيد اسرائيل :

كان طموح داود أعظم وأكبر من أن تكفيه منطقة ضئيلة فى أقصى جنوب فلسطين ، كالتى اعترفت بسلطانه ، فبدأ يرنوا بناظريه الى الشمال ، الذى استقل تحت حكم ايشبعل الضعيف ، وكان الصدام بين الحزبين المتنافسين أمرا لا مفر منه ، وهكذا بدأ داود يعـــد عدته سياسيا وعسكريا لاستعادة وحدة اسرائيل ، ومن ثم فانه لا يكتفى بعلاقاته الودية مع القبائل الجنوبية ، ولكنه يمدها الى شرق الاردن ، ومن ثم فقد تزوج من ابنه ملك «جشور» الارامى ، لان مملكته كانت مجاورة ليابيش جلعاد ، حيث لجأ ايشبعل وتحصن هناك ، كما أنه دخل فى حلف مع ملك عمون ، ليطبق كماشته على ايشبعل ، ونقرأ فى التوراة أن داود بدأ يتفاوض مع رجال عدوه ويدفعهم الى الانضمام اليه ، وقد أجابه كثيرون ، وهكذا أصبح الموقف العام فى يهوذا ضد اسرائيل، بل وبدأت يهوذا تستغل مشاكل اسرائيل لمصلحتها[33] .

---

31) M. Kenyon, Archaeology in the Holy Land, 1970, P. 240.
وكذا The Jewish Encyclopdedia, 1903, P. 452.

32) M. Noth, Op. Cit., P. 183.
وكذا 32) H. R. Hall, Op. Cit., P. 427.

(٣٣) صموئيل ثان ٢/٨ ، محمد بيومى مهران : اسرائيل ٢/٧٠٦ - ٧١٠ ، اسماعيل راجى الفاروقى : أصول الصهيونية فى الدين اليهودى - القاهرة ١٩٦٤ ص ٤٤ ـ ٤٥ ، وكذا
S. A. Cook, CAH, II, 1931, P. 373.

ثم سرعان ما لبثت يهوذا واسرائيل ، تحت حكل داود وايشبعل ، أن غرقتا فى اشتباكات عسكرية فى منطقة الحدود ، وعندما قرر «ابنير» قائد جيش ايشبعل ، غزو مملكة داود الصغيرة ، وضمها لمملكة اسرائيل، فقد هزم فى «جبعون» على يد «يوآب» قائد جيش داود[٣٤] ، وقد كشفت البعثات الامريكية عام ١٩٥٦م أسوار مدينة «جبعون» (٧ أميال شمالى القدس) ، كما اكتشفت كذلك مشهد المعركة الدموية فى تلك الايام الخوالى من بداية الالف الاول قبل الميلاد ، وطبقا لرواية التوراة ، فلقد حدث قتال عنيف فى هذه البقعة يدا بيد بين أعوان المتنافسين[٣٥] ، وسرعان ما قتل ايشبعل ، وخلص حكم بنى اسرائيل لداود وحده ، ودانت له الاسباط جميعا[٣٦] «وجاء جميع شيوخ اسرائيل الى الملك ، الى حبرون ، فقطع الملك داود معهم عهدا فى حبرون أمام الرب ، ومسحوا داود ملكا على اسرائيل ، وكان داود ابن ثلاثين سنة حين ملك ، وملك أربعين سنة ، فى حبرون ملك على يهوذا سبع سنين وستة أشهر ، وفى أورشليم ملك ثلاثا وثلاثين سنة على جميع اسرائيل ويهوذا»[٣٧] ، وقد أشرنا من قبل الى الاراء المختلفة التى دارت حول تحديد الفترة التى حكم فيها داود عليه السلام ، وارتضينا أن نأخذ بما ذهب اليه «وليم أولبرايت» من أنها فى الفترة (١٠٠٠ — ٩٦٠ ق.م)[٣٨] .

٤ ـ داود والفلسطينيون :

لم يتقبل الفلسطينيون عن رضى اتحاد قوى اليهودية واسرائيل فى

34) W. Keller, Op. Cit., P. 188.

(٣٥) صموئيل ثان ١٣/٢ ـ ٣٢ ، وكذا

J. B. Pritchard, BA, 19, 1956, P. 62-75, UMB, 21, 1957, P. 3-26.

W. Keller, Op. Cit., P. 188.

(٣٦) صموئيل ثان ١٣/٢ ـ ١٢/٤ ، وكذا

M. Noth, Op. Cit., P. 186.

The Jewist Encyclopaedia, 4, P. 461.

(٣٧) صموئيل ثان ٥/٣ .

38) W. F. Alleright, Op. Cit., P. 120-122.

دولة واحدة ، تحت زعامة داود ، البطل الجديد ، ومن ثم فقد بدأوا يفكرون فى مقاومة هذه الوحدة ، التى كانت ، دونما ريب ، تمثل تهديدا خطيرا لسيطرتهم على فلسطين»[39] ، ونقرأ فى التوراة « وسمع الفلسطينيون أنهم مسحوا داود ملكا على اسرائيل ، فصعد جميع الفلسطينيون ليفتشوا على داود ، واحتلوا وادى الرفائيين»[40] (وادى البقاع جنوب غربى القدس على الارجح) ذلك لان منطقة القدس هى التى تفصل المناطق التى تحتلها اسرائيل عن تلك التى تحتلها يهوذا ، وبهذا قطعوا اتصال داود بالاسباط الشماليين أو على الاقل عملوا على منع تجميع جيوش المملكتين •

وشرع داود يستعد بفرقته من الجنود المحترفين ، وربما قام بهجوم مفاجىء قرب وادى جبعون ، نجح فيه فى قهر الفلسطينيين تماما ، وهزيمتهم باستخدام أسلوبهم الحربى ، فلم يواجههم ، كما فعل طالوت ، بالجانب الاكبر من قواته ، وانما بفرقة من المحترفين التى ربما كانت قد عززت وتطورت أثناء حكم داود فى يهوذا[41] ، وكان

39) M. Noth, Op. Cit., P. 187.

(٤٠) صموئيل ثان ١٧/٥ ــ ١٨ •

(٤١) كان جيش اسرائيل على أيام داود يتكون من عنصرين هما : (١) السبا (Saba) أى أفراد الحرس الملكى ، وهم جماعة من رجال القبائل الاقوياء يستدعون بصوت النفير ، وبرفع الاعلام أو اشعال النار على التلال ، وهى قوات بدون زى موحد كان تجميعها ووضعها تحت السلاح يعتمد على الارادة الفردية الجيدة ، وكان داود يستخدمهم ضد الشعوب المجاورة فى شرق الاردن ، وكانوا يحملون مع التابوت الى أرض المعركة ، ومن الواضح أن داود كان ينظر الى التابوت باهمية كبيرة ، فهو الى جانب قيمته الدينية ، انما كان يمثل تحالف القبائل الاسرائيلية جمعا • (٢) الجبوريم (Gibborim) وهى القوات الدائمة وقد تكونت نواتها الاولى من ستمائة مقاتل كانوا قد تجمعوا حول داود عندما هرب من طالوت ، وكانوا يسمون «رجال داود الاقوياء» وان لم يكونوا جميعا من بنى اسرائيل ، بل أن معظمهم من شعوب أجنبية (ومنهم أوريا الحثى) وكانوا ينتمون الى داود شخصيا ، وليس الى القبائل الاسرائيلية ، وكانوا سلاحه فى خطواته الاولى نحو عرش اسرائيل ، وقد أحرز بهم انتصارات هامة ، كانتصاره على الفلسطينيين وكاحتلاله «دولة المدينة أورشليم» •

لديهم الفهم المحترف لفن الحرب ، وهكذا هزم داود الفلسطينيين بهذا الجهاز السريع الحركة ، وبمهارته المنقطعة النظير[42] ، ولكن سرعان ما قام الفلسطينيون بمحاولة ثانية ، بعـد أن قدروا ، نتيجة للجولة السابقة ، القـوة والمهارة الحربيـة لداود ، ولم يعـدوا كل قوتهم لمواجهته ، ومن ثم فسرعان ما ظهروا فى وادى رفائيم ، وهزمهم داود مرة أخرى فى مكان تصفه التـوراة بأنه «مقابل أشجار البكا»[43] ، وربما أطبق داود بقواته عليهم من الشمال ، من جانب دولة اسرائيل ، فجأة ، كما حدث من قبل ، وعلى أية حال ، فطبقا لرواية التوراة ، فلقد قام داود «بضرب الفلسطينيين من جبع الى مدخل جازر» وان ذهبت رواية أخرى الى أنه ضربهم «من جبعـون الى جازر ، مقتفيا أثرهم حتى حدود بلادهم»[44] .

وهكذا كتب لداود النصر المبين على أقـوى أعدائه ، وأكثرهم أهمية ، كما كتب له نجحا بعيد المدى فى طردهم من المناطق الاسرائيلية بل اننا لنسمع عن حرب دقت طبولها عند «جت» ، احدى المدن الخمس الرئيسية فى الاتحاد الفلسطينى ، بل وقد أصبت مدينة «جت» فيما بعد مدينة اسرائيلية تحت حكم داود[45] .

غير أن تلك الانتصارات التى حققها داود ضد الفلسطينيين ، كما جاءت فى التوراة ، لم تجعل الفلسطينيين تابعين لداود سياسيا ، صحيح أنها أجبرتهم على الاعتـراف بسيادة داود على الجـزء الاكبـر من فلسطين ، ولكنه صحيح كذلك أنهم بقوا فى اقليمهم الصغير على ساحل البحر المتوسط ، القوة الوحيدة التى لم يقدر لداود أن يخضعها ، ولعل السبب فى ذلك فيما يرى بعض الباحثين ، أن مصر ، رغم أنها كانت تمر بفترة ضعف فى تلك الآونة ، قـد أعطت الفلسطنيـين من تأييدهـا

---

42) M. Noth, Op. Cit., P. 187-188.

(٤٣) صموئيل ثـان ٥/٢٣ .

(٤٤) صموئيل ثان ٥/٢٥ ، أخبار أيام أول ١٤/١٦ ، وكذا
M. Noth, Op. Cit., P. 188-189.

45) A. Lods, Op. Cit., P. 360.

مايمنع داود من ضمهم الى نفوذه ، بل ان السهل الساحلى الفلسطينى لم يصبح أبدا جـزءا من الاملاك الاسرائيلية ، هـذا فضلا عن أن الفلسطينيين سرعان ما يظهرون مرة أخـرى كجماعة مستقلة فى القرن الثامن والسابع قبل الميلاد[٤٦] .

٥ ـ داود ومؤاب وعمون وآرام وأدوم :

كانت مؤاب أول قـوة ، من أعداء اسرائيل القـدامى ، هوجمت وهزمت وأصبحت ولاية تـابعة لداود عليه السلام ، وطبقـا لرواية التوراة ، فلقد «أصبح المؤابيون عبيـدا لداود يقدمون هدايا» ، وان استمر النظام الملكى فيها قائما كما كان من قبل ، مع الاعتراف بالتبعية لداود عليه السلام[٤٧] .

وكانت عمون هى القوة التالية التى ضربهـا داود ، ولعل السبب المباشر للصدام بين داود و«بن عمون» انما هو اساءة العمونيين لرسل داود الذين كانوا فى مهمة ودية بمناسبة تغيير السلطة فى عمون ، حيث قام «حانون» ملك عمون الجديد .«فأخذ عبيد داود وحلق أنصاف لحاهم وقص ثيابهم من الوسط الى استاههم ، ثم أطلقهم»[٤٨] ، ومن ثم فقد أدرك العمونيين ، بعد فعلتهم هذه ، أن الحرب مع بنى اسرائيل أصبحت أمرا لا مفر منه ، ومن هنا فقد بدأوا يطلبون معونة جيرانهم الاراميين فى «أرام بيت رحوب» وأرام «صوبة» وفى معكة وطوب[٤٩] ، وأتى هؤلاء بحشد كامل من الرجـال والمعدات لمسـاعدة العمونيين ضـد الهجوم الاسرائيلى المرتقب ، وقد نجحت قوات داود بقيادة «يؤاب»

---

(٤٦) صموئيل ثان ١٧/٥ ـ ٢٥ وكذا

K. M. Kenyon, Op. Cit., P. 244.
M. Noth, Op. Cit., P. 194.

(٤٧) صمويل ثان ٢/٨ ، وكذا

M. Noth, Op. Cit., P. 194.
H. R. Hall, Op. Cit., P. 430.

(٤٨) صموئيل ثـان ١/١٠ ـ ٥ .

(٤٩) انظر عن هذه الولايات الارامية فى شرق الاردن (محمد بيومى مهران : اسرائيل ٥٣٩/٢ ـ ٥٤٢) .

فى هزيمة هؤلاء الاراميين ، ثم «رجع يؤاب عن بنى عمون وأتى الى أورشليم»(٥٠) •

ويعلم «هدد عزر» ملك صوبة بذلك ، فيستدعى «أرام الذى فى عبر النهر» الى «حيلام» (ربما كانت عليم أو علمه فى سهل حوران) ويتقدم قائده «شوبك» لملاقاة بنى اسرائيل ، وينجح داود ، الذى كان على رأس جيشه هذه المرة ، فى احراز النصر ، وفى العام التالى يأمر داود قائده «يؤاب» بالاتجاه نحو عمون ، وسرعان ما يحاصر يؤاب «ربة» (ربة عمون)(٥١) ، غير أنه لا يستطيع اخضاعها ، ومن ثم يطلب نجدة من داود ، الذى يسرع لانقاذ قائده بنفسه ، فيستولى على قلعة المدينة ، ويعاقب العمونيين بقسوة ، وطبقا لرواية التوراة ، فان داود أمر بحرق المغلوبين ، وسلخ جلودهم ووشرهم بالمنشار ، بعد أن وضعهم تحت نوارج وفؤوس من حديد (وبدهى أن ذلك من تحريفات التوراة، فما كان النبى الاواب يفعل ذلك أبدا) ، ثم وضع التاج العمونى ، بما فيه من ذهب وأحجار كريمة ، على رأسه ، وبعبارة أخرى ، فلقد أصبح داود ملكا على عمون(٥٢) •

ثم اتجه جيش داود بعد ذلك الى أدوم ، وطبقا لرواية التوراة ، «فان يؤاب وكل اسرائيل أقاموا فى أدوم ستة أشهر ، حتى أفنوا كل ذكر فى أدوم» ، وهكذا هزمت قوات اسرائيل أدوم ، وقتل « حداد الثانى» ، وهو الملك الثامن من سلسلة ملوك أدوم ، ولكن ولده «هدد»، والذى كان ربما كانت أمه مصرية ، قد استطاع الهروب الى مصر،حيث

---

(٥٠) صموئيل ثان ٦/١ ــ ١٤ وكذا
M. Noth, the History of Israel, London, 1965, P. 195.

(٥١) ربة أوربة عمون : هى عاصمة العمونيين ، وقد سميت فى العصر الاغريقى «فيلادلفيا» ، نسبة الى ملك مصر «بطليموس الثانى فيلادلفيوس» (٢٨٤ ــ ٢٤٦ ق٠م) ، وهى فى موقع تشغله حاليا عاصمة المملكة الاردنية الهاشمية «عمان» حيث يوجد فى اسمها جزء من اسم العمونيين (محمد بيومى مهران) اسرائيل ٥٥٧/٢ •

(٥٢) صموئيل ثان ٢٦/١٢ ــ ٣١ ، وكذا
M. Noth, Op. Cit., P. 195.

تزوج هناك من أميرة مصرية «أخت تحفنيس الملكة» ، وعاش ضيفا على فرعون الى أن مات داود عليه السلام ، حيث بدأ الامل يعاوده فى استعادة حقه الشرعى فى عرش أدوم (٥٣) .

وقد نجح داود الى حد بعيد فى تنظيم أدوم ، كولاية تحت امرته، ورغم أنها كانت بعيدة نسبيا عن دولته ، الا أنها كانت مهمة بالنسبة اليه ، فهى تمكنه من الوصول الى خليج العقبة ، ومن ثم الى البحر الاحمر ، هذا فضلا عن أنها كانت تحتوى على كثير من الرواسب المعدنية على حدود وادى العربة ، ومن هنا كانت أدوم ذات أهمية اقتصادية كبيرة بالنسبة الى داود ذلك لان الصحراء العربية ، والتى تمتد من نهاية جنوب البحر الميت ، وحتى خليج العقبة انما كانت غنية بمعدنى النحاس والحديد ، وقد استغل داود ذلك أفضل استغلال ، «وهيأ داود حديدا كثيرا للمسامير لمصاريع الابواب وللوصل ونحاسا كثيرا بلا وزن (٥٤)» .

٦ ـ دولة داود ومدى اتساعها :

لا ريب فى أن داود عليه السلام قد كتب له نجحا بعيد المدى فى أن يخلص قومه الاسرائيليين من النير الفلسطينى ، وفى أن يحقق لهم الاستقلال التام ، بل وأن يوجد لنفسه نفوذا فى مؤاب وأدوم وعمون، وفى أن تتقدم له الهدايا — وليس الجزى — من أرامى دمشق ، وفى أن يقيم علاقات المودة مع «توعى» ملك حماة ، ضد عدوهما المشترك «هدد عزر» ملك الاراميين فى صوبة ، ومع ذلك فعلينا ألا نبالغ كثيرا فى تقدير سعة مملكة داود عليه السلام ، فنطلق عليها وصف «امبراطورية» ، كما أراد أن يصفها بعض المؤرخين المحدثين (٥٥) ، أو نبالغ فى حدودها كما

---

(٥٣) صموئيل ثان ١٣/٨ ، ملوك أول ١٤/١١ ـ ٢٢ ، وكذا
H. R. Hall, Op. Cit., P. 431.
W. M. F. Petrie, Egypt and Israel, London, 1925, P. 65.
(٥٤) أخبار أيام أول ٤/٢٢ ، وكذا
M. Noth, Op. Cit., P. 196.
W. Keller, Op. Cit., P. 188.
55) O. Eissfeldt, The Kingdom, in CAH, II, Part, 2, Cambridge, 1975, P. 583.

فعل بعض الكتاب المصريين المحدثين ، فجعلها تمتد من نهر الفرات الى البحر المتوسط ، ومن دمشق الى الخليج العربى[٥٦] ، بل ان هناك من زعم ، دونما أى دليل ، أن داود وسليمان عليهما السلام قد أقاما دولة تشمل الشام كله ، والجزيرة العربية كلها[٥٧] ، (الامر الذى يدعونا الى مناقشته بشىء من التفصيل عند الحديث عن دولة سليمان عليه السلام).

وعلى أية حال ، فربما كان تحديد الدكتور الحاخام «أبشتين» أقل مبالغة من غيره ، فقــد ذهب الى أن دولة داود كانت تمتد من فينيقيا (لبنان) فى الغرب ، الى حدود الصحراء العربية فى الشرق ، ومن نهر العاص (الاورنت) فى الشمال الى خليج العقبة فى الجنوب[٥٨] ، وأما التوراة فقد ذهبت الى أن مملكة اسرائيل كانت فى أقصى اتساع لها «من دان الى بئر سبع»[٥٩] ، ومن ثم فالتوراة التى اشتهرت بمبالغاتها فيما يتصل بمملكة اسرائيل ، انما تحدد لها من الشمال مدينة «دان» وتقع عند سفح جبل حرمون عند تل القاضى حيث منابع الاردن على مبعدة ثلاثة أميال غربى بانياس[٦٠] ، ومن الجنوب «بئر سبع» الحالية ، ولم تشر التوراة الى حدود لاسرائيل من الغرب أو الشرق ، هذا وقد ذهب المسعودى الى أن ملك داود انما كان على فلسطين والاردن ، كما جاء فى مروج الذهب(١/٧٠) .

ولعل من الجدير بالاشارة أن فينيقيا كانت ــ وخــاصة على أيام «حيرام» (٩٨٠ ــ ٩٣٦ ق.م) الذى عــاصر داود وسليمان وكان ذا نشاط كبير فى الاقتصاد والفن والعمارة فى اسرائيل ــ دولة مستقلة ، وليست هناك أية اشارة فى التوراة أو الوثائق التاريخية الى أن حيرام

---

(٥٦) على امام عطية : الصهيونية العالمية وأرض الميعاد ص ٦٣ .
(٥٧) جمال عبد الهادى ووفاء رفعت : ذرية ابراهيم عليه الســلام وبيت المقدس ــ الريــاض ١٩٨٦ ص ٢٥٥ ــ ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٢٧٠ .
58) I. Epstein, Judaism, 1970, P. 35.
(٥٩) قضاة ١/٢٠ ، صموئيل أول ٢٠/٣ ، صموئيل ثان ١٥/٢٤ أخبار أيام أول ٢/٢١ ، وكذا
M. F. Unger, Op. Cit., P. 236.
(٦٠) قاموس الكتاب المقدس ٣٥٦/١ ــ ٣٥٧ .

كان خاضعا لداود ، كما أن هنـــاك ما يشير الى محـــاولة داود توطيد علاقاته بحماة من أقصى الشمال ، فضلا عن الفلسطينيين فى الغرب ، وأن السيطرة الاسرائيلية على أيام داود لم تكتمل بالاستيلاء على كل فلسطين ، وحتى الجزية ، فيما يبدو ، لم تكن ترسل الى القدس،أضف الى ذلك أن الفلسطينيين الجنـــوبيين قد وضعـــوا أنفسهم ، راغبين ، لا مكرهين ، تحت حماية فراعين مصر الشماليين فى تانيس ، والذين كانوا يتبعون سياسة نشطة فى فلسطين فى تلك الايام ، حتى ان « شيشنق مؤسس الاسرة الثانية والعشرين ، عندما غزا يهوذا بعد موت سليمان عليه السلام ، لم يذكر المدن الفلسطينية ، مما يدل على أنها كانت تحت الحكم المصرى من قبل»(٦١) .

ومن ثم يذهب «هربرت ويلز» الى أن أرض الميعاد (المزعومة) لم تقع يوما — ولن تقع،فى قبضة العبرانيين،هذا فضلا عن أن ما وطد ملك داود ، وهيأ له شيئا من الاتساع ، أن أمور مصر كانت فى عهده مرتبكة، فخفت هيمنتها على فلسطين وبلاد الشام ، وكانت أمور آشور مرتبكة كذلك ، وقد منح هذا كله لداود عليه السلام شيئا من الحرية والنشاط وممارسة السيادة(٦٢) .

وأيا ما كان الامر ، فان حكم داود — وكذا سليمان ، عليهما السلام، انما يمثل فترة الرخاء الوحيدة التى قدر للشعوب العبرانية أن تعرفها على مر الدهور ، وهى تقـــوم على محالفة وثيقـــة الاواصر مع مدينة «صور» الفينيقية التى يلوح أن ملكها «حيرام» كان رجـــلا قد أوتى نصيبا كبيرا من الذكاء والقدرة على المغامرة ، وكان يبغى أن يكفل للتجار فى البحر الاحمر طريقا آمنا عبر منطقة التلال العبرانية ، وكان الاصل فى التجارة الفينيقية أن تذهب الى البحر الاحمر عن طريق مصر ، بيد

---

(٦١) ج . كونتنو : الحضارة الفينيقية — ترجمة محمد عبد الهادى شعيرة ص ٧١ ، وكذا

H. R. Hall, Op. Cit., P. 431.

62) H. G. Wells, the Outline of History, London, 1965, P. 279.

أن مصر كانت فى تلك الفترة تمر بحالة من الفوضى ، هـذا وقد أنشأ حيرام أوثق العلاقات مع داود وسليمان عليهما السلام : وقد أنشئت بمساعدة حيرام أسوار أورشليم وقصرها ومعبدها ، وفى مقابل ذلك بنى حيرام سفنه على البحر الاحمر وسيرها فيه ، وأخذ سيل جسيم من التجارة يتدفق خلال أورشليم نحو الشمال والجنوب(٦٣) ، بخاصة وأن داود عليه السلام قد سيطر تماما على طرق القوافل القادمة من بلاد العرب الجنوبية والتى كانت تمر فى مملكته عند النهاية الشمالية لخليج العقبة على الجانب الشرقى لوادى عربة ، وحتى غوطـة دمشق ، ثم ترتبط بالطرق المؤدية الى شمال سورية فآسيا الصغرى ، وتلك التى كانت تمر بالصحراء الغربية الى «ميزوبوتاميا» ، مما كان له أكبر الاثر فى حالة دولة داود الاقتصادية ، بل ان هناك من يذهب الى أن حروب داود انما كانت لهذا الغرض ، على الرغم من أن المصادر المتبقية من عهده لا تعطى أهمية لذلك(٦٤) ، وهذا ما نرفضه تماما ، ذلك أن داود، وان كان ملك اليهود القدير ، فهو قبل ذلك وبعده نبى الله ورسوله ، وما كان الانبياء أبدا يحاربون من أجل أسباب اقتصادية ، وانما كانت حروبهم كلها جهادا فى سبيل الله ونشر كلمة «لا اله الا الله» .

٧ ـ وراثة العرش والخلافـات العائليـة :

لم تكن هناك قاعدة عامة قد وضعت بعد لخلافة العرش فى دولة اسرائيل الجديدة ، ولكن مما لا شك فيه أن الابن الاكبر كان صـاحب الحق فى ذلك ، الا أن مكانة الام ورغبة الملك واختيار الشعب والموافقات الدينية قد تكون سببا فى اختيار أحد أخوته الصغار(٦٥) .

ويذهب بعض الباحثين الى أنه ربما كانت فكرة داود عليه السلام عندما طلب «ميكال» ابنة طالوت «شاؤل» لتكون زوجة له ، انما كان يبغى من وراء ذلك أن الابن الاكبر من هذا الزواج تكون له الافضلية على

63) H. G. Wells, A Short History of The World, P. 76.
64) O. Eissfeldt, Op. Cit., P. 583.
65) A. Lods, Op. Cit., P. 364.

بقية اخوته من علات ميكال ، وربما يستطيع هـذا الابن المرتقب أن يجذب اليه عواطف هؤلاء الذين كانوا يؤيدون بيت شاؤل ، بصفته حفيدا لشاول ، ولكن «لم يكن لميكال بنت شاؤل ولد الى يوم موتها» (٦٦) وهكذا ضاع الامل فى أن يكون خليفته داود هو فى نفس الوقت حفيد شاؤل (طالوت) ، وأما بالنسبة لبقية أبناء داود فطبقا للقانون الاسرائيلى — كما قررته التوراة فى سفر التثنية (٦٧) ، فـان للابن الاكبر نصيب الاسد من ميراث أبيـه ، بصرف النظر عن مكانة الام بين عـلاتها من زوجـات الأب ، ومن هنا كان من الطبيعى أن يخلف داود على عرش أسرائيل أكبر ولده ، ولكن هنا فى حالة داود عليه السـلام ، مؤسس الملكية والبيت المالك ، فان الابن الاكبر ، الذى ولد بعد اعتلائه العرش مباشرة ، ربما كانت له أفضلية خاصة ، ولكن أبناء داود أنفسهم ماكانوا يعيرون المظهر الاخير أية أهمية خاصة ، وانما كانوا يعتبرون أنفسهم جميعا خلفاء محتملين للعرش ، طبقا لترتيب أعمارهم (٦٨) .

وهناك فى التوراة قائمة بستة أبناء ولدوا فى حبرون أثناء فترة ملكية داود على يهوذا وهم «وكان بكره أمنون من أخينـو عم اليزرعيلية ، وثانيه كيلاب من أبيجايل ، والثالث أبشالوم ابن معكة بنت تلماى ملك جشور ، والرابع أدونيا بن جحيث ، والخـامس شفطيا بن أبيطال ، والسادس يثر عام من عجـلة» (٦٩) ، ولكن نظـرا لان داود كانت له زوجتان على الاقل ، يعتبران أقدم من الاخريات (أخينوعم وأبيجايل)، وطبقا لرواية التوراة فى صموئيل الاول (٤٢/٢٥ — ٤٣) فربمـا كان البعض من هؤلاء الابناء أكبر قليلا من الاخرين ، وأن القائمة السابقة كانت اضافة لاحصاء أبنـاء داود الذين ولدوا فى أورشليم (٧٠) ، وهم

---

(٦٦) صموئيل ثـان ٢٣/٦ .

(٦٧) تثنية ٥/٢١ — ١٧ ، وانظر عن «البكورية» عند بنى اسرائيل (تكوين ٣١/٢٥ ، تثنية ١٧/٢١ ، خـروج ٢٩/٢٢ ، قامـوس الكتاب المقدس ١٨٧/١ ، محمد بيومى مهران : اسرائيل ١٨٩/١ — ١٩٢) .

68) M. Noth, Op. Cit., P. 200.

(٦٩) صموئيل ثـان ٢/٣ — ٥ .

70) M. Noth, Op. Cit., P. 200.

طبقا لرواية صموئيل الثانى (١٣/٥ ـــ ١٦) : شموع وشوباب وناثان وسليمان وبيجار واليشوع ونافج ويافيع واليشمع واليداع واليفط» •

هذا ويوصف «أمنون» صراحة فى سفر صموئيل الثانى (٢/٣) بأنه ابن داود البكر ، ومن ثم فقد اعتبر نفسه ، كما اعتبره اخوته كذلك ؛ وليا للعهد أو الملك القادم ، غير أنه لم يكن حكيما بما فيه الكفاية ، كما لم يكن كريما ولا عفيفا ، وطبقـا لرواية التوراة فى صموئيل الثـانى (اصحاح ١٣ ـــ ١٤) فقد اعتدى على أخته غـير الشقيقة ، مما دفع أبشالوم الى أن يثأر لعرض شقيقته «ثامار» فيقتله ، ثم هرب عنـد أخواله فى جشور ، وبقى هناك ثلاث سنوات[٧١] ، ومن ثم فقد أصبح كيلاب الابن الثانى لداود وليا للعهد ، ولكنه سرعان ما يختفى لسبب لا ندريه على وجه اليقين ، ومن ثم فقد أصبح أبشالوم الابن الثالث لداود وليا للعهد ، ولكنه بدوره سرعان ما يختفى فى ثورة دامية ، كما سنرى ، ومن ثم تصبح ولاية العهد من حق الابن الرابع «أدونيا» ، ولكنه لم يصل الى العرش أبدا ، حيث سيكون ذلك من نصيب سليمان، الابن العاشر كما سنشير الى ذلك بالتفصيل فيما بعد •

٨ ـ ثـورة أبشـالـوم :

بدأ أبشالوم يعد العدة لاعتلاء عرش أبيه ، وكان أول ما فعله أن حصل ـــ بمساعدة يؤاب ـــ على عفو أبيه المطلق عن جريمته بقتل أخيه أمنون ، ومن ثم فقد عاد أبشالوم من جشور الى أورشليم ، وبدأ يبث الدعوة لنفسه بين المقربين اليه ، ثم سرعان ما نجح فى اكتساب عطف وتأييد القبائل الاسرائيلية وخاصة يهوذا قبيلة أبيه ، وحين استوثق من النجاح ذهب الى حبرون باذن من أبيه ، بحجة الوفاء بنذر كان قد نذره ابان اقامته فى «جشور» ، وهناك فى حبرون أعلن عصيانه ونادى بنفسه ملكا على اسرائيل ، ومن أسف أن القوم سرعـان ما انضموا اليه ضد

---

(٧١) انظر ن قصة أمنون وأخته ثامار (صموئيل ثان ١/١٣ ـ ٣٩ • محمد بيومى مهران : اسرائيل ٢١١/٣ ـ ٢١٣) •

داود ، بل ان ثورة أبشالوم سرعان ما ضمت اليهـا « أخيتوفل » وهو واحد من مستشارى داود المقربين(٧٢) .

وتعلل بعض المصادر الاسلامية سرعة استجابة اليهود لأبشالوم ، بأن قصة امرأة أوريا الحثى كانت سببا فى ازالة طـاعة داود عن بنى اسرائيل واستخفوا بأمره ووثب عليه ابن يقال له «ايشـا» وأمه ابنة طالوت ، فدعى الى نفسه ، فكثر أتباعه من أهل الزيغ من بنى اسرائيل، فلما تاب الله على داود اجتمع اليه طائفة من الناس ، فحارب ابنه حتى هزمه ، ووجه اليه بعض قواده وأمره بالرفق به والتلطف لعله يأسره ولا يقتله ، وطلبه القائد وهو منهزم فاضطره الى شجرة فقتله ، فحزن عليه داود حزنا شديدا وتنكر لذلك القائد(٧٣) .

ويذهب بعض المؤرخين المحدثين الى أن القبائل الاسرائيلية ربمـا كانت غير راضية عن اتساع أملاك داود التى بدأت تمتد الى ما وراء مناطقها ، ذلك لان ضم اسرائيل لعديد من المدن المستقلة ذات المستوى الحضارى المتقدم ، والتى تمتلك صناعات هامة ، فضلا عن سيطرتها على أراض كبيرة وغنية تمر خلالها طرق القوافل ، كل ذلك أدى الى رخاء مفاجىء فى اسرائيل ، تمتعت به طبقة خاصة صغيرة من رجـال البلاط وكبار الموظفين وقادة الجيش والتجار ، بينما لا يتمتع العامة من القوم ممن كانوا يعملون جنودا عاديين فى الجيش بمثل هذا الرخاء ، مما جعلهم غير راضين عن الوضع الجديد المفاجىء ويتقبلون دعاوى أبشالوم ضد أبيه(٧٤) ، أضف الى ذلك ، فيما يرى البعض ، التوتر القائم بين يهوذا واسرائيل ، والذى ظل قائما أبدا ، ورغم أنه لم يكن السبب الرئيسى للثورة ، الا أنه لعب دورا هاما فيها ، بخاصة وأن يهوذا حيث قـامت

---

(٧٢) صموئيل ثـان ٢٩/١٣ ، ١/١٤ ـ ٣ ، ٧/١٥ ـ ١٠ ، ماير : حياة داود ص ٣٦٢ (مترجم) ، وانظر : تاريخ اليعقوبى ٥٣/١ .

(٧٣) ابن الاثـير : الكامل فى التاريخ ١٢٧/١ ، وانظـر : تاريخ الطبـرى ٤٨٤/١ .

74) O. Eissfeld, Op. Cit., P. 585-586 A. Alt, Die Staatenluidung der Israeliten in Palastina, Munchen, 1953, P. 56 Fl.

الثورة فى حبرون ، بدأت تحس أن داود بدأ يفضل اسرائيل عليها[٧٥]، وأخيرا فلعل من أسباب الثورة ذلك الاتجاه العدائى من القبائل الاسرائيلية ، التى اعتادت النظام القبلى ، ضد سياسة المركزية التى بدأت تسير عليها مملكة داود[٧٦] .

ومع ذلك فان أسباب ثورة أبشالوم مازالت تنتظر مزيدا من الوضوح ، ذلك لان حركة السخط التى قام بها «شبع بن بكرى» من سبط بنيامين[٧٧] (سبط طالوت) ضد داود ، بعد انتصاره على ولده أبشالوم ، انما قد استمدت قوتها من المعارضة الدائمة بين قبائل الشمال والجنوب ، ورغم أن داود عليه السلام قد كتب له نجحا بعيد المدى فى القضاء على كليهما ، وأن القضاء على ثورة شبع كان أسرع من القضاء على ثورة أبشالوم ، فالذى لا شك فيه أن الامور فى اسرائيل ربما كانت سوف تتغير كثيرا بسبب هاتين الثورتين ، لولا وجود شخصية داود القوية[٧٨] ، ذلك لان التنافس بين قبائل الشمال والجنوب كان أقوى عوامل هدم مملكة اسرائيل ، وهو تنافس لم يقض عليه أبدا ، بل هو نفسه الذى قضى على الدولة[٧٩] .

وأيا ما كان الامر ، فان ثورة أبشالوم انما كانت جدا خطيرة ، حتى ان داود عليه السلام لم يجد بجواره غير حرسه الخاص وحتى اضطر الى أن يعبر الاردن الى «محانيم» تحت حماية التابوت مع رجاله ، حتى لا يفاجأ بأبشالوم وأتباعه فى العاصمة أورشليم[٨٠] ، بل ان بعض المصادر العربية جعلته يلحق بأطراف الشام ، بل ان الخيال ذهب بهم الى أن يصلوا به الى خيبر وما اليها من بلاد الحجاز[٨١] ، بينما ذهب

---

75) Eissfldt, Op. Cit., P. 586.
76) W. Albright, Archaeology and Religion of Israel, P. 158.
(٧٧) صموئيل ثان ١/٢٠ ــ ٢٢ .
78) O. Eissfeldt, Op. Cit., P. 586.
(٧٩) سبتينو موسكاتى : المرجع السابق ص ١٤١ .
(٨٠) صموئيل ١٤/١٥ ــ ١٤/١٦ .
(٨١) تاريخ ابن خلدون ١١١/٢ (بيروت ١٩٨١) .

آخرون الى أن داود هرب ماشيا على رجليه حتى صعد عقبة طور سيناء، وبلغ منه الجوع حتى لحقه رجل معه خبز وزيت فأكل منه ، ودخل أبشالوم مدينة أبيه ، وصار الى داره وأخذ سرارى أبيه فوطئهن وقال : ملكنى الله على بنى اسرائيل ، وخرج معه اثنا عشر ألفا فطلب داود ليقتله ، فهرب داود حتى جاز نهر الاردن[٨٢] ، وهكذا يبدو واضحا مدى اضطراب الروايات فى تحديد المكان الذى لجأ اليه داود عليه السلام ، فهو فى رواية لجأ الى محانيم فى عبر الاردن ، وهو فى رواية ثانية انما يلجأ الى خيبر فى شمال غرب الجزيرة العربية ، وفى رواية ثالثة صعد الى عقبة طور سيناء ، بل ان نفس الرواية سرعان ما تعكس الاتجاه وتذهب به الى الشرق ، فتعبر به الاردن ، وبدهى أن اضطراب هذه الروايات انما يقلل من قيمتها التاريخية،ويجعلها فى مظان الشك وهواتف الريبة ، فضلا عن الشك فى القصة من أساس ، وهذا ما نميل اليه ونرجحه .

وعلى أية حال ، فان أبشالوم ، طبقا لرواية التوراة ، قد استطاع أن يستولى على أورشليم ، وأن يغتصب عرش أبيه بل انه حتى لم يتورع عن أن ينتهك عرض أبيه بمشورة أخيتوفل على مرأى من الناس «فنصبوا لابشالوم الخيمة على السطح ، ودخل أبشالوم الى سرارى أبيه أمام جميع اسرائيل»[٨٣] غير أن بنى اسرائيل بدأوا بعد ذلك يعودون الى داود والانضمام الى جيشه تدريجيا ، ربما نتيجة لما بذله بعض المخلصين له من حبرون ، وربما نتيجة لغرور أبشالوم وأخطائه الكثيرة ، واصغائه للحمقى من المقربين اليه ، وما ترك ذلك من آثار سيئة فى نفوس الناس .

وأيا ما كان السبب ، فان أبشالوم قد حاول بكل ما وسعته المحاولة من أن يمنع عودة أبيه الى أورشليم ، ومن ثم فقد جمع أنصاره قبل تفاقم الامر ، وزحف بهم الى شرق الاردن ، حيثكان أبوه فى جلعاد،وقد

---

(٨٢) تاريخ اليعقوبى ٥٣/١ (بيروت ١٩٨٠) .
(٨٣) صموئيل ثان ٢٢/١٦ وانظر : تاريخ اليعقوبى ٥٣/١ .

اجتمع اليه عدد كبير من الانصار ، وهكذا بدأ القتال فى «وعر افرايم» قرب محانيم على الارجح ، وأثبت رجال داود أنهم أعلى كعبا من رجال القبائل الاسرائيلية الذين التفوا حول أبشالوم ، ودارت الدائرة على أبشالوم الذى أمر الملك بعدم قتله ، «وكانت هناك مقتلة عظيمة فى ذلك اليوم ، قتل عشرون ألفا ، وكان القتال هناك منتشرا على وجه كل الارض ، وزاد الذين أكلهم الوعر من الشعب على الذين أكلهم السيف فى ذلك اليوم» ، وقتل أبشالوم أثناء هروبه ، على الرغم من أوامر الملك الصريحة على ملأ من الشعب بعدم قتله ، وكما يقول الطبرى : وجه داود فى طلبه قائدا من قواده (يؤاب) وتقدم اليه أن يتوقى حتفه ، ويتلطف لأسره ، فطلبه القائد وهو منهزم ، فاضطره الى شجرة فركض فيها ، وكان ذا جمة ، فتعلق بعض أغصان الشجر بشعره فحبسه ولحقه القائد فقتله مخالفا لأمر داود ، فحزن عليه داود حزنا شديدا ، وتنكر للقائد ، وربما طبقا لرواية التوراة أن رجلا رأى أبشالوم معلقا من رأسه فى شجرة كبيرة ملتفة الاغصان فأخبر القائد يؤاب الذى أمره بقتل أبشالوم على أن يعطيه عشرة من الفضة ومنطقة ، لكن الرجل رفض أن يقتل ابن الملك ، بعد أن سمع الملك يوصى بعدم قتله ، ولو أعطاه ألفا من الفضة ، ومن ثم فقد تقدم يؤاب «وأخذ ثلاثة سهام بيده ونشبها فى قلب أبشالوم ، وهو بعد حى فى قلب البطمة ، وأحاط بها عشرة غلمان حاملوا سلاح يؤاب وضربوا أبشالوم وأماتوه» ، وقد أدى ذلك كله الى حزن داود المرير على ولده ، حتى «صعد الى علية الباب وكان يبكى ويقول ، وهو يتمشى ، يا ابنى يا أبشالوم يا ابنى يا ابنى أبشالوم ، ياليتنى مت عوضا عنك يا أبشالوم ابنى يا ابنى» ، وهكذا لم يعد أمام القبائل الاسرائيلية سوى المناداة بداود ملكا عليها مرة ثانية[٨٤] .

---

(٨٤) صموئيل ثان ١/١٨ ـ ٤١/١٩ ، تاريخ الطبرى ٤٨٤/١ ، تاريخ ابن خلدون ١١١/١ ، تاريخ اليعقوبى ٥٣/١ ، الكامل لابن الاثير ١٢٧/١ .

٩ ـ التعداد العـام ونتائجـه :

تروى التوراة أن رب اسرائيل غضب على شعبه اسرائيل «فأهاج عليهم داود قائلا : امض واحص اسرائيل ويهوذا ، فقال الملك ليؤاب رئيس الجيش الذى عنده : طف فى جميع أسباط اسرائيل من دان الى بئر سبع وعدوا الشعب فاعلم عدد الشعب» ، ويقوم يؤاب بالمهمة التى تستغرق ستة أشهر وعشرين يوما . «وكان اسرائيل مئة ألف بأس مستل السيف ، ورجال يهوذا خمس مئة ألف رجل» ، غير أن رب اسرائيل سرعان ما يرسل جاد النبى ليخير داود بين «سبع سنى جوع فى أرضك، أم تهرب ثلاثة اشهر بين أعدائك ، أم يكون ثلاثة أيام وباء فى أرضك»، ويترك داود الخيرة لربه «الذى يجعل وباء فى اسرائيل من الصباح الى الميعاد فمات من الشعب من دان الى بئر سبع ، سبعون ألف رجـل ، وبسط الملاك يده على أورشليم ليهلكها ، فندم الرب[٨٥] عن الشر وقال لأملاك المهلك الشعب كفى ، الآن رويدك»[٨٦] .

ومن عجب أن التوراة لم تقدم لنا هنا سببا مقنعا لغضب يهوه على شعبه ، وان أشارت أن ذلك انما كان بسبب خطايا داود ، ومن ثم فهو يقول ، ملتمسا عفو ربه ورحمته بشعبه «ها أنا أخطأت ، وأنا أذنبت ، وأما هؤلاء الخراف فماذا فعلوا ؟ فلتكن يدك على وعلى بيت أبى» ، ثم تعود مرة أخرى فتروى نفس الرواية ، ولكنها تقدم أرقاما للاحصـاء تختلف عن المـرة الاولى «فاسرائيل كان ألف ألف ومئـة ألف مستلى السيف ، ويهوذ أربع مئة وسبعين ألف رجل مستلى السيف» ، هـذا

---

(٨٥) من المؤلم أن توراة اليهود ، وليست توراة موسى ، كثيرا ما تصور يهوه (الله) ليس معصوما ، وأنه كثيرا ما يقع فى الخطأ ثم يندم على خطئه ، حدث ذلك عندما فكر فى اهلاك اليهود عن بكرة أبيهم ، مما اضطر موسى الى أن ينصحه فينتصح ، ثم هناك ندمه على اختيار شاؤل (طالوت) ملكا ، غير أن شنع أخطائه خلقه الانسان ، ثم ندم على ذلك (انظـر : تكوين ٦/٦ ، خـروج ١٤/١٢ ، ١٠/٣٢ ، صموئيل أول ١٥ /١١ ، ارميا ٧/١٨ ـ ١٠ ، عاموس ١/٧ ـ ٦ ، يونان ٣ / ٩ ـ ١٠ ، محمد بيومى مهران : اسرائيل ١٢/٤ ـ ١٤) .

(٨٦) صموئيل ثـان ١٠/٢٤ ـ ١٧ .

بخلاف سبطى لاوى وبنيامين[٨٧] ، والتعارض هنا بين نصوص التوراة ليس أمرا جديدا علينا فنظائره كثيرة •

وعلى أى حال ، فان التوراة تجعل التعداد الذى قام به داود . بأمر من رب اسرائيل ، سببا فى البلايا التى أنزلها رب اسرائيل باسرائيل ، وان كنا لا ندرى لم يغضب رب اسرائيل من قيام ملك اسرائيل بهذا التعداد ، الذى تقوم به شعوب كثيرة[٨٨] ، حتى يفرض عليه واحدة من بلايا ثلاثة : أقلها وباء يروح ضحيته سبعون ألف رجل، غير أن الامام الطبرى يروى عن «وهب بن منبه» أن سبب غضب الرب أن داود فعل ذلك دون أمر من ربه ، فعتب الله عليه ذلك وقال : قد علمت أنى وعدت ابراهيم أن أبارك فيه وفى ذريته حتى أجعلهم كعدد نجوم السماء ، وأجعلهم لا يحصى عددهم ، فأردت أن تعلم عدد ماقلت، انه لا يحصى عددهم ، فاختاروا بين أن أبتليكم بالجوع ثلاث سنين أو أسلط عليكم العدو ثلاثة أشهر أو الموت ثلاثة أيام ، فاستشار داود فى ذلك بنى اسرائيل فقالوا : ما لنا بالجوع ثلاث سنين صبرا ، ولا بالعدو ثلاثة أشهر ، فليس لهم بقية ، فاذا كان لابد فالموت بيده لا بيد غيره، فذكر وهب أنه مات منهم فى ساعة من نهار ألوف كثيرة ، لا يدرى ماعددهم ، فلما رأى داود ذلك شق عليه ما بلغه من كثرة الموت ، فتبتل الى الله ودعاه فقال : يارب أنا آكل الحماض (أى ما فى جوف الاترجة) وبنو اسرائيل يضرسون ، أنا طلبت ذلك فأمرت بنى اسرائيل ، فما كان من شيء فبى ، واعف عن بنى اسرائيل ، فاستجاب الله لهم ورفع عنهم الموت»[٨٩] •

---

(٨٧) أخبار أيام أول ٢١/٥ ـ ٦ ، محمد بيومى مهران : اسرائيل ٧٣٨/٢ ـ ٧٤٠ •

(٨٨) لعل أول شعوب العالم التى قامت بعمل تعداد عام انما هم المصريون ، وقد قام به الملك «دن» (وديمو) رابع ملوك الاسرة الاولى الفرعونية ، وذلك قبل عام ٣٠٠٠ ق٠م ، ولأول مرة فى التاريخ ، وبالمناسبة فان آخر تعداد تم فى مصر كان فى نوفمبر عام ١٩٨٦ ، وبلغ سكان مصر أكثر من ٥٠ مليون •

(٨٩) تاريخ الطبرى ٤٨٥/١ ، وانظر تاريخ اليعقوبى ٥٥/١ ـ ٥٦ ، تاريخ ابن خلدون ١١١/١ •

والغريب فى هذه الرواية أنها تناقض رواية التوراة فى أمور ، منها أن التعداد هنا كان بأمر داود ، مع أن رواية التوراة صريحة فى أن الذى أمر بالتعداد انما هو رب داود ، وليس داود ، ومنها أن بنى اسرائيل هنا هم الذين اختاروا الموت عقابا لهم ، وفى رواية التوراة أن داود ترك الخيرة لأمر ربه ، فاختار لهم الموت ، ومنها أن عدد القتلى هنا غير معروف وان كان ألوفا كثيرة ، مع أنه فى رواية التوراة قد حدد بسبعين ألفا ، ومنها أن داود أعتـذر هنا بأنه ياكل الحمـاض وبنو اسرائيل يضرسون ، وفى رواية التـوراة اعتراف صريح «هـا أنا أخطأت وأنا أذنبت ، وأما هؤلاء الخراف فماذا فعلوا» والاعجب أننا ما ندرى لوهب ابن منبه مصدرا فى روايته هذه غير التوراة ، ولم يقل لنا الامام الطبرى أو وهب بن منبه ، عن مصدر آخر غير التوراة اعتمد عليه فى روايته هذه ، فما بالك بالتوراة نفسها موضع شك كبير .

١٠ ـ وفـاة داود عليه السـلام :

وتنتهى أيام داود ، النبى الاواب ، فى هذه الدنيا ، وينتقـل عليه السلام الى جوار ربه ، راضيا مرضيا عنه من ربه الكريم ، «واضطجع داود مع آبائه ودفن فى مدينـة داود» ، وفى الواقـع فان دفن النبى الاواب فى مدينة أورشليم(٩٠) (مدينة داود) لأمر غريب ، ذلك لان هناك عبارة طالما تكررت فى التوراة ، وهى أن فلانا قد انضم الى قومه» أو «انضم الى آبائه»(٩١) ، وربما لا تعدو أن تكون اشارة الى عقيدة القوم فى أن الموتى من أسرة ما ، يجب أن يدفنوا فى مكان واحد ، ليبقوا كما كانوا على قيد الحياة(٩٢) ، ومن هنا فقد كان من المنتظر أن يدفن داود فى مقابر أسرته فى «بيت لحم» ، وهو الحريص على التقاليد ، والتى يستطيع قارىء التوراة أن يقدم الكثير من الادلة عليها ، بل ان داود لينقل عظام شاؤل ، وكذا ولديه ، من يابيش جلعاد ، ليدفنوا فى أرض

---

(٩٠) يذهب ابن خلدون فى تاريخه (١١٢/١) الى أن داود دفن فى بيت لحـم .
(٩١) تكوين ٨/٢٥ ، قضـاة ١/٢ .
92) S. Yeipin, JNES, 7, 1948, P. 30.

بنيامين فى صيلع فى قبر قيس أبيه»(٩٣) ، ومع ذلك فان داود نفسه الذى كان مخلصا للعادات والتقاليد الى هذا الحد ، لم يدفن فى مقبرة أسلافه فى بيت لحم ، وانما فى مقبرة جديدة فى القدس (مدينة داود)، وقد يقال ان ذلك تم بدون رغبة منه أو أنه لم يترك تعليمات فيما يختص بمكان دفنه ، ولكن هناك عبارات فى التوراة يفهم منها أن الرجل المحتضر كان يوصى أقرباءه بدفنه فى مقبرة الاسرة(٩٤) ، وأن داود الذى أعطى تعليماته النهائية لولده وخليفته سليمان فيما يختص بأعدائه لم ينس بطبيعة الحال التعليمات الخاصة بمكان دفنه(٩٥) .

ويذهب بعض الباحثين الى أن السبب فى دفن داود فى القدس ، وليس فى بيت لحم ، والامر كذلك بالنسبة الى خلفائه المباشرين الاثنى عشر ، هو تقليد الملك داود لجيرانه من الملوك ، ذلك أنه منــذ القرن الثالث عشر ، وحتى القرن السادس أو السابع قبل الميلاد على الاقل كان العرف السائد فى كل حوض البحر المتوسط هو أن يدفن المــلوك فى قصورهم ، أو على مقربة منها ، وليس داخل أسوار مدنهم فحسب(٩٦)، وانى لأظن ، وليس كل الظن اثما ، أن المؤرخين قد أخطأوا كثيرا فى تفسير الاحداث الخاصة بداود عليه السلام ، فهم يتعاملون معه على أنه ملك اسرائيل فحسب ، ونسوا ، أو تناسوا ، أنه قبل ذلك وبعده نبى الله ورسوله ، وطبقا لهذه الحقيقة التى يتغافل عنهــا البعض ، يمكننا تفسير مكان دفن داود عليه السلام فى القدس ، وليس فى بيت لحم ، اعتمادا على ما روى عن سيدنا ومولانا محمد رسول الله ﷺ من أن الانبياء يدفنون حيث يموتون ، فلقد حدث أبو بكر الصديق أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «ما قبض نبى الا دفن حيث قبض» ، وفى رواية «ما مات نبى الا دفن حيث قبض» .

---

(٩٣) قضاة ٣٢/٨ ، صموئيل ثان ٣٧/١٩ ـ ٣٨ ، ١١/٢١ ـ ١٤ .
(٩٤) تكوين ٢٩/٤٩ ـ ٣٣ .
95) S. Yeivin, The Sepulchers of the Kings of the House of David, JNES, 7, 1948, P. 31.
96) S. Yeivin, Dp. Cit., P. 36-38.

هذا وكان عمر داود عليه السلام ، فيما وردت به الاخبار عن رسول الله ﷺ مائة سنة[٩٧] ، فقد جاء فى الاحاديث الواردة فى خلق آدم أن الله لما استخرج ذريته من ظهره ، فرأى فيهم الانبياء عليهم السلام ، ورأى فيهم رجلا يزهر فقال أى رب من هذا ، قال ابنك داود ، قال أى رب كم عمره ، قال ستون عاما،فقال رب زد فى عمره ، قال لا الا أن أزيده من عمرك ، وكان عمر آدم ألف عام ، فزاده أربعين عاما ، فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت ، فقال بقى من عمرى أربعون سنة ، ونسى آدم ما كان وهبه لولده داود ، فأتمها الله لآدم ألف سنة ، ولداود مائة سنة» (رواه الامام أحمد عن ابن عباس ، والترمذى عن أبى هريرة وصححه ، وابن خزيمة وابن حبان ، ورواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم)[٩٨] ، وقال الطبرى : وأما بعض أهل الكتاب فانه زعم أن عمـــره كان سبعا وسبعين سنة[٩٩] ، وأما رواية التوراة فتجعل عمره سبعين عاما «كان داود ابن ثلاثين سنة حين ملك ، وملك أربعين سنة»[١٠٠] وبدهى أن رواية التوراة ، وكذا رواية بعض أهـــل الكتاب كما نقلها الطبرى وغيره ، غير صحيحة ، أو كما يقول ابن كثير فهذا غلط مردود عليهم ، وأما مدة ملكه ، وهى أربعون سنة[١٠١] ، فقد يقبل منهم ، لانه ليس عندنا ما ينافيه ولا ما يقتضيه[١٠٢] .

---

(٩٧) تاريخ الطبرى ٥٨٤/١ .
(٩٨) ابن كثير . البداية والنهاية ٨٧/١ ـ ٨٨ ، ١٦/٢ .
(٩٩) تاريخ الطبرى ٥٤٨/١ ، وانظر : تاريخ اليعقوبى حيث يذهب الى أن داود عليه السلام مات وله مائة وعشرون سنة ، وكان ملكه أربعين سنـــة (تاريخ اليعقوبى ٥٦/١) .
(١٠٠) صموئيل ثـــان ٤/٥ .
(١٠١) ابن كثير : البـــداية والنهـــاية ١٦/٢ ، الكامل لابن الاثـــير ١٢٨/١ ، تاريخ المسعودى ٧٠/١ ، تاريخ الطبرى ٤٨٥/١ .
(١٠٢) ابن كثير : البداية والنهاية ١٦/٢ ، الكامل لابن الاثير ١/ ١٢٨ ، تاريخ المسعودى ٧٠/١ ، تاريخ الطبرى ٤٨٥/١ .

الفصل الثالث

عصر سليمان عليه السلام

(١) السياسة الداخلية :

ورث سليمان داود فى مملكته ، ومن ثم فقد أصبح ملكا فى أورشليم (القدس) وحاكما على مملكة اسرائيل ، هذا ويتفق المؤرخون على أن سليمان قد حكم فى القرن العاشر قبل الميلاد ، ولكنهم يختلفون فى تحديد فترة حكمه من هذا القرن العاشر ، فهناك من يرى أنها فى الفترة (٩٧٤-٩٣٢ ق٠م)[١] ، ومن يرى أنها فى الفترة (٩٧٣ — ٩٣٦ ق٠م)[٢] ومن يرى أنها فى الفترة (٩٧٠ — ٩٣٣ ق٠م)[٣] ، ومن يرى أنها فى الفترة (٩٦٣ — ٩٢٣ ق٠م)[٤] ، ومن يرى أنهـا فى الفترة (٩٦١ — ٩٢٣ ق٠م)[٥] ، ومن يرى أنها فى الفترة (٩٧١ — ٩٣١ ق٠م)[٦] ، ومن يرى أنها فى الفترة (٩٦٣ — ٩٢٩ ق٠م)[٧] ، ومن يرى أنها فى الفترة (٩٦٠ — ٩٢٢ ق٠م)[٨] ، وهذا ما نميل اليه ونرجحه ، وسنسير عليه فى هذه الدراسة ٠

---

(١) فضلو حورانى : المرجع السابق ص ٣٤ ٠
(٢) حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم ص ٨٤ ٠
(٣) فيلب حتى : المرجع السابق ص ٢٠٥ ٠
(٤) نفس المرجـع السـابق ٠
(٥) سبتينو موسكـاتى : الحضـارات السـامية القديمـة ص ١٤٣ (مترجم) وكذا

E. W. Heaton, The old Testament Prophets, London, 1969, P. 172.

6) I. Epstein, Judaism, 1970, P. 36.
7) Historical Atlas of the Holy Land, 1959, P. 81.
8) W. F Albright, The Biblical Period from Abraham to Ezra, N. Y., 1963, P. 120-122.

هذا وكان اختيار سليمان بعد أبيه داود ، عليهما السلام ، ملكا على بنى اسرائيل ، انما يرجع الى كفاءته الشخصية ، فهو لم يكن أبدا أكبر أبناء داود الكثيرين ، كما أنه لم يكن حتى أكبر الابناء الذين ولدوا بعد اعتلاء داود عرش اسرائيل ، وأيا ما كان الامر ، فلقد خلف سليمان أباه دونما أية صعوبات أو ثورات داخلية ، ثم سرعان ما عمل على القضاء على منافسيه والتخلص من مؤامراتهم ، وما قد يحيكون له من دسائس(٩) ، ثم اتجه بعد ذلك الى تدعيم عرشه فى الداخل ، فاستخدم معظم موارد دولته فى تقوية دعائم الحكومة ، وتجميل العاصمة أورشليم، ومن ثم فقد أقام سليمان كثيرا من الحصون ، كما رمم القديم منها ، ووضع حاميات فى المواقع ذات الاهمية الاستراتيجية ، ليرهب بها الثائرين والغازين على السواء •

ثم عمل سليمان بعد ذلك على القضاء على طموح البطون والعشائر التى كانت تسعى للاستقلال ، ذلك لان سليمان انما كان يعرف تماما أن أخطر المشاكل التى واجهت أبوه داود من قبل ، انما كانت طموح بعض القبائل الى التمتع بحكم ذاتى ، ولاشك أن هذه الرغبة انما كانت تتعارض كثيرا مع رغبة سليمان فى الحكم المركزى ، ومن ثم فقد ركز كل جهوده فى تفتيت أى تحالف يقوم بين هذه القبائل ويهدد الوحدة الاسرائيلية العامة ، وهكذا قسم سليمان مملكته الى اثنتى عشرة محافظة ، على كل واحدة منها محافظ يتولى الضرائب ، كما فرض على كل محافظة اعاشة الملك وحاشيته وجيشه وخيله شهرا فى السنة ، ذلك لان سليمان كان فى حاجة الى تزويد الجنود ، وكذا الخيول ، الموجودة فى الحصون التى أقامها ، بالمؤون والعلف ، فضلا عن اعاشة رجالات القصر الذين زاد عددهم عن أيام أبيه كثيرا(١٠) •

---

(٩) ملوك أول ١/١ ـ ٥٣ ، ٢/٣ ـ ٤٨ ، ٣/١٢ ـ ١٣ ، تاريخ الطبرى ٤٨٥/١ ، الكامل لابن الاثير ١٢٧/١ (بيروت ١٩٧٨) •

(١٠) فؤاد حسنين : المرجع السابق ص ٢٣٧ ، اندريه ايمار ، وجانين ابوايه : المرجع السابق ص ٢٦٦ ، صموئيل ثان ٩/٩ ، ٢٣/١٣ ، ١/١٦ وما بعدها ، وكذا

O. Eissfeldt, Op. Cit., P. 371.

وأيا ما كان الامر ، فلقد كانت حدود المناطق الجديدة ، باستثناء أربع أو خمس حالات ، ليست متطابقة مع حدود القبائل الاسرائيلية ، مما يتفق وهـدف سليمان من تحطيم البناء الحكومى الاقليمى المستقل ، وبالتالى يمكن أن يضعف النزعة الانفصالية بين القبائل الاسرائيلية ، وأن يؤلف منهم شعبا واحدا[11] ، وعلى أى حال ، فلقد كان على كل منطقة من المناطق الجديدة «مشرفا» أو «وكيلا» عليه توزيع المسؤولية الخاصة بالمؤونة بين الملاك المختلفين ، وأن يراقب وصولهـا فى الوقت المحدد ، وأن يجمعها فى مدن الصوامع ، ثم يسلمها فى أورشليم فى الشهر المعين ، وكان على رأس هذا النظام موظفا أعلى يسمى «رئيس الوكلاء» لم تظهر وظيفته على أيام داود ، وانما ظهرت لأول مرة بين الموظفين الكبار فى عهد سليمان ، ومن هنا كان الصدام بما يسمى حرية القبائل الاسرائيلية ، وذلك عن طريق التصرف فى انتاج زراعتهم ونتاج مواشيهم بطريقتهم الخاصة أو على حسب هواهم[12] .

ويبدو أن المدن الكنعانية التى كانت قد احتفظت باستقلالها حتى ذلك الوقت ، مثل دور ومجدو وتعنك وبيسان ، قـد ضمت الى مملكة اسرائيل ، أما منطقة يهوذا ، أو على الاقل الاقليم الجبلى منها ، فلايبدو أنها كانت تكون جزءا من أى اقليم من الاقـاليم الاثنى عشر ، الامر الذى يرى فيه بعض الباحثين دلالة على أن سليمان قد أعفى هذه القبيلة الملكية من الواجبات المفروضة على غيرها ، وبالتالى كان سببا فى تذمر قبائل الشمال عندما فرض عليهم العمل فى تحصين العاصمة ، وقد أخمد التذمر ، وأجبر زعيمه «يربعام» الى الهروب الى مصر[13] ، على أن كثيرا من الباحثين يرون أن يهوذا ، لابد وأنها قد كلفت بعمل آخر ، لانه

---

(١١) ول ديورانت : المرجع السابق ص ٣٣٤ ، وكذا
A. Lods, Op. Cit., P. 371.
12) M. Noth, Op. Cit., P. 212-213.
13) A. Lods, Op. Cit., P. 371-72.
، ثم قارن : تاريخ ابن خلدون ٢/٢١٤ .

من غير المقبول أن تترك بدون أى التزام مالى نحو الدولة(١٤) ، فضلا عن أن سليمان ، وهو الملك النبى ، ما كان فى حاجة الى اجبـــار بنى اسرائيل للعمل فى تحصين العاصمة ، وقد سخر الله له الجن «يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات»(١٥).

14) O. Eissfeldt, Op. Cit., P. 591.

وكذا

W. F. Albright, Arachaeology and the Religion of Israel, Baltimore, 1963. P. 140.

(١٥) ســورة ســبأ : آيــة ١٣ .

(٢) السياسة الخارجية :

كان سليمان عليه السلام سياسيا حكيما ، كما كان محاربا عظيما ، واداريا قديرا ، ورغم أنه قد أدرك بفطرته السليمة أنه من الضرورى أن يكون له جيش قــوى يحمى مملكته[١] ، ويساعده فى تبليغ الدعــوة ، فسليمان كما كان ملكا عظيما ، فقد كان كذلك رسولا نبيا ، فقد أدرك فى نفس الوقت بتفكيره السليم أن مملكته الصغيرة فى مساحتها لن تعيش فى سلام الا بالتفاهم مع جيرانها ، وأن من وسائل هذا التفاهم ، وربما من وسائل نشر الدعوة أيضا ، أن يرتبط برباط المصاهرة مع جيرانه من الملوك والامراء ، ومن ثم فقد تزوج من بنات أمراء العمونيين والمؤابيين والاراميين والكنعانيين والحيثيين[٢] وغيرهم ، بل وقد تخطت مصاهراته حدود الشام ، فصاهر فرعــون مصر ، ومن ثم فقــد أصبحت الاميرة المصرية السيدة الاولى فى مملكته[٣] .

ونقرأ فى التوراة أن فرعون «قد صعد وأخذ جازر وأحرقها بالنار، وقتل الكنعــانيين الساكنين فى المدينــة ، وأعطاها مهرا لابنتــه امرأة سليمان»[٤] ، ونطالع هذه الامور ، فيما يرى جاردنر ، وكأنها تاريخ حقيقى ، ولكننا لا نلتقى بما يؤكدها من الجانب المصرى ، وأما الشك من الناحية التاريخية فى هذا الزواج ، فانه ، وان حصر فى حدود ضيقة نسبيا ، الا أنه يكفى للتشكيك فى أى الفراعين هو المقصود هنا ، هذا الى أن اســم «تحبنيس» (Tahpenes) لايستطــاع مطابقته على نظــير له

1) O. Eissfeldt, Op. Cit., P. 589.

(٢) ملوك أول ١١/١ ــ ٢ .

(٣) ملوك أول ١/٣ ، وكذا O. Eissfeldt, Op. Cit., P. 601. ، وانظر : تاريخ ابن‌خلدون ١١٢/٢ ، تاريخ اليعقوبى ٥٧/١ ، ثم قارن :
H. G. Wells, The Outline of History, N. Y., 1965, P. 280.

(٤) ملــوك أول ١٦/٩ .

بالهيروغليفية(٥) ، ومن ثم فقد اختلف الباحثون فى اسم هذا الفرعون الذى صاهر سليمان عليه السلام ، فمن يرى أنه «سى أمون»(٦) ، ومن يرى أنه «بسوسنس الثانى»(٧) ، ومن يرى أنه آخر ملوك الاسرة الحادية والعشرين(٨) (١٠٨٧ — ٩٤٥ ق٠م) أو ما قبل الاخير من ملوك هذه الاسرة(٩) ، بل ان هناك من اقترح «شيشنق الاول» مؤسس الاسرة الثانية والعشرين(١٠) (٩٤٥ — ٧٣٠ ق٠م) ، وعلى أى حال ، فأيا كان فرعون مصر هذا ، الذى تنسب التوراة اليه مصاهرة سليمان عليه السلام ، فالذى لا شك فيه أن هذا الزواج ، فيما يرى المؤرخ اليهودى سيسل روث ، قد ساعد سليمان عليه السلام فى أن يضيف الى مملكته اقليم جازر ، وهى القلعة الكنعانية القديمة ، وواحدة من أهم المراكز التجارية فى الشرق الادنى القديم ، ومن ثم فقد اكتسب مملكة اسرائيل موطىء قدم على البحر المتوسط(١١) ، وان كنا لا نرى أبدا أن سليمان كان فى حاجة الى عون فرعون ، وقد سخر الله له طائفة من الجن ومردة الشياطين يعملون له الاعمال التى يعجز عنها البشر ، كما أشرنا من قبل، فضلا عن أن جند سليمان انما كان مؤلفا من الانس والجن والطير ، قال تعالى «وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون»(١٢) .

5) A. H. Gardiner, Egypt of the Pharaohs, Oxfrod, 1964, P. 329.

(٦) عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ـ القاهرة ١٩٦٦ ص ٣٨٩ ، وكذا O. Eissfeldt, Op. Cit., P. 588.
A. Malamat, Aspects of the Foreign Policies of David and Solomon, JNES, 22, 1963, P. IF.

(٧) محمد ابو المحاسن عصفور : المرجع السابق ص ٢١١ ، وكذا W. F. Petrie, Egypt and Israel, London, 1925, P. 66.

(٨) من المفروض أن «بسونس الثانى» هو آخر ملوك الاسرة الحادية والعشرين ، غير أن هناك من يرى أنه (بسونس الثالث) (انظر : H. Gauthier, Le Livre des Rois d'Egypte, III, Paris, (1907, P. 301. (A. Gardiner, Op. Cit., P. 447.

9) A. Lods, Op. Cit., P. 368.

10) W. O. E. Oesterley, Op. Cit., P. 226. وكذا J. H. Breasted, A History of Egypt, 1946, P. 529.

11) C. Roth, Op. Cit., P. 21.

(١٢) سورة النمل : آية ١٧ .

(٣) التنظيمات العسكرية :

يجمع المؤرخون أو يكادون ، على أن خليفة داود ، عليهما السلام، المحارب الشجاع ، انما قد أدرك جيدا ضرورة تكوين جيش قوى للدفاع عن دولته ، فضلا عن دعوته ، وربما تجارته كذلك ، ومن ثم فان المصادر التـــاريخية انما تنسب الى سليمان عليه الســـلام استعمال « العربات الحربية» ، ولأول مرة فى جيش اسرائيل ، ونقرأ فى التوراة أن داود عليه السلام عندما هزم مملكة «أرام صوبة» قـــد استولى على مئات الخيول[1] ، غير أن داود لم يكن يملك عربة حربية واحدة ، رغم أنه قد أدرك بنفسه أهمية هذا السلاح أثناء حروبه مع الاراميين ، هذا فضلا عن أن المصريين قد استخدموا هذا السلاح منذ مئات السنين[2] ، وكذا فعل الكنعانيون.

وهكذا ما أن ورث سليمان ملك أبيه داود ، عليهما السلام ، حتى أدخل هذا السلاح «العربات الحربية» فى جيشه بل انه انما جعل منه القوة العسكرية الرئيسية فى هذا الجيش ، وربما كان السبب المباشر فى ذلك ، أن الاراميين فى دمشق قد عملوا على استرداد نفوذهم المفقود بعد موت داود مباشرة ، وفى أوائل أيام سليمان ، ومن ثم فقد أصبحت دولة «ارام دمشق» نتيجة استخدامها لهذا السلاح ، انما تمثل تهديدا مباشرا لاسرائيل[3] ، وطبقا لما جاء فى التوراة[4] ، فان سليمان انما كان

---

(١) صموئيل ثان ٣/٨ ــ ٥ .

(٢) محمد بيومى مهران : حركات التحرير فى مصر القديمة ــ دار المعارف ــ الاسكندرية ١٩٧٦ ص١٤٠ ــ ١٤٣ ، ص ١٩٧ ــ ١٩٨ .

3) O. Eissfeldt, The Hebrew Kingdom, in CAH, II, Part, 2, Cambridge 1975, P. 583-589.

(٤) ملوك أول ٢٦/١٠ .

يملك ما بين ١٤٠٠ ، ٤٠٠٠ حصانا[٥] ، وأما عن مبانى الثكنات العسكرية الخاصة بفصائل العجلات الحربية ، وطبقا لما جاء فى سفر الملوك الاول[٦] فقد اكتشف فى «مجدو» وغيرها اسطبلات للخيول ، وحظائر للعربات مع بعضهـا ، وكانت تلك التى فى « مجـدود » تسع ١٥٠ عربة ، ٤٥٠ حصانا[٧] .

هذا وكان قائد العربة يتلقى تدريبات طويلة شاقة ، ويظل فى الخدمة طالما كان قادرا على أداء وظيفته ، أو على الاقل لعدة سنوات ، ومن ثم ثم فانه يصبح جنديا محترفا ، وعندما زاد عدد العـربات أصبح من الضرورى استخدام عدد لا بأس به من الجنود غير المحترفين ، ذلك لان عددا قليلا من الاسرائيليين الذين كانوا مكلفين بالخدمة العسكرية كانوا يصبحون جنـودا محترفين ، وليس هذا يعنى أن هـؤلاء الاسرائيليين المجندين بالجيش ، ولا يعملون فى سلاح العربات الحربية ، قد أعفوا من القيام بالمهمات العسكرية ، بل على العكس من ذلك ، فقد كان الواحد منهم اذا لم يستدع للخدمة فى الجيش ، فقد كان يكلف بالعمل فى بناء التحصينات والحظائر الخاصة بالعربات ، فضلا عن العمل فى المشاريع البنائية الاخرى ، ومن ثم فمن الافضل أن نطلق على العمل الذى اشتهر خطأ باسم «السخرة» ، اسم خدمة الاعمال العامة وصيانة التحصينات الدفاعية وخدمة الجيش[٨] ، وكان الرجـال المكلفون بالخـدمة العامة يستدعون طبقا لكشوف ثابتة ، تحدد الاعمال التى يمكنهم القيام بها فى

5) W. F. Albright, Op. Cit., P. 135 F.
وكذا O. Eissfeldt, Op. Cit., P. 589.
(٦) ملوك أول ١٩/٩ ، ١٦/١٠ .
7) W. F. Albright, From the Stone Age to Christianity, P. 127, 233.
وكذا Y. Yadin, New Light in
وكذا C. Watzinger, Denkmaler Plastines
on Salomon's Megiddo, BA, 23, 1960, P. 62 F.
Leipzeg, 1933, P. 67 F. fig. 80-81.
وكذا W. F. Albright, The Archaeology of Palestine, P. 124.
8) O. Eissfeldt, Op. Cit., P. 590.

المجال الزراعى والصناعى ، وكانوا بطبيعة الحال يتأثرون من هذا الاستدعاء فى أعمالهم الخاصة[٩] ، وطبقا للتقاليد الخاصة بانقسام مملكة اسرائيل بعد موت سليمان ، فلقد تحملت اسرائيل ، وليس يهوذا ، العبء الاكبر من هذه الخدمة العامة[١٠] .

---

9) Ibid., P. 590.

(١٠) ملوك أول ٦/٤ ، ٢٧/٥ – ٣٠ ، ٢٠/١١ – ٢٣ ، وكذا O. Eissfeldt, Op. Cit., P. 591.

(٤) النشاط التجـارى :

امتاز عهد سليمان عليه السلام بنشاط تجارى عظيم ، فلقد احتلت التجارة من اهتمامه وتدبيره مكانا عظيما ، حتى أن فصائل العربات انما كانت فى خدمة التجارة ، عندما لا تكون فى خدمة الدفاع عن الدولة[1] ونشر الدعوة ، وقد ساعـد على نجاح التجـارة سيطرة سليمان عليه السلام على الطرق التجارية فى سورية وفلسطين والتى كانت قائمة منذ عهد أبيه ، وليس هناك من ريب فى أن سليمان قد احتفظ بحقوق كاملة على طرق القوافل التى كانت تمر عبر أراضى الادوميين[2] ، ومن هنا نراه يهتم بتحصين المراكز التى كانت تسيطر على الطرق التجارية الهامه التى كانت تمر بمملكته ، حتى أصبحت فلسطين قنطرة بين آسيا وافريقيا، كما استغل سليمان علاقاته الودية من ناحية ، ومهارته السياسية من ناحية أخرى،فضلا عن أن حدوده الجنوبية انما كانت آمنة بسبب صلاته الطيبة مع مصر،هذا الى أن تحالفه مع «حيرام» ملك صور،أقوى الامراء الفينيقيين ، قد حمى مواصلات سليمان مع المدن الفينيقية ، وهـكذا تمكنت القوافل من السفـر ، بصفة دائمـة ، من أرض مصر الى بلاد الرافدين ، ومن فينيقيا الى الجزيرة العربية ، فى أمان وسلام ، وهكذا نجح سليمان عليه السلام فى السيطرة على مصـدر الثروة العائد من التجارة[3] ، ولعل الذى دفع سليمان الى الاتجـاه الى التجـارة ، أن فلسطين انما كانت بلدا زراعيا خاليا من الصناعة مما اضطره أن يحضر الصناع من صور،والنجارين من جبيل (ببلوس) عندما بنى بيت المقدس، كما أن فلسطين لم تكن تملك سلعا للتصدير يمكن أن تقوم عليها تجارة ناجحة ، ولكنه فى موقع يمكن التصرف منه كوسيط ، وقد استغل هـذا

1) Ibid., P. 596.
2) Ibid., P. 587.
3) H. R. Hall, Op. Cit., P. 433.

الموقع أحسن استغلال[٤] ، فالى جانب العمل فى التجارة ، فقد عبدت الطرق وزودت ببعض المحطات ، وهكذا كانت القوافل الاتية من الجزيرة العربية[٥] ، والمحطة بالتوابل ، خاضعة لدفع الرسوم عندما كانت تمر بتلك الطرق والمحطات التى تقع فى فلسطين[٦] .

ونقرا فى التوراة أن سليمان عليه السلام كان شغوفا بالخيل[٧] ، رغم أن رب اسرائيل ، فيما تروى التوراة ، كان قد حذر ملوك اسرائيل من الخيل والنساء والذهب[٨] ، غير أن سليمان انما كان يرى أن «الفرس معدة ليوم الحرب» وان كانت «النصرة من الرب»[٩] ، ومن ثم فقد اهتم سليمان عليه السلام بالخيل كثيرا ، لانها اداة الجهاد فى سبيل الله ، فضلا عن أنها وسيلة كسب ، ومن ثم فان دولة سليمان انما كانت فى تلك الفترة تحتكر تجارة الخيل تماما ، ذلك لان كل طرق القوافل الهامة بين مصر وسورية وآسيا الصغرى كانت تمر بمملكة سليمان[١٠].

وكانت مصر المصدر الرئيسى للخيل والمركبات ، ونقرأ فى التوراة «وكان مخرج الخيل التى لسليمان من مصر ، وجماعة تجار الملك أخذوا جليبة بثمن ، وكانت المركبة تصعد وتخرج من مصر بست مئة شاقل من

---

4) A. Lods, Op. Cit., P. 370.

(٥) أهم طرق القوافل هذه طريقان : الاول : الطريق الجنوبى الشمالى : ويبدأ من عدن وقنا فى بلاد اليمن وحضرموت ، ثم مأرب الى نجران فالطائف ثم مكة ويترب وخيبر والعلا ومدائن صالح ، وهنا ينقسم الى فرعين ، فرع يتجه الى تيماء صوب العراق ، ويستمر الفرع الاخر الى البتراء ثم غزة فالشام ومصر ، وأما الطريق الثانى فهو طريق «جرها - البتراء» ويبدأ من الهفوف ثم الى شمال اليمامة فى موقع مدينة الرياض الحالى ، ثم يتجه غربا الى بريدة ثم حائل ثم تيماء فالبتراء (محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم - الرياض ١٩٧٧ ص ١٣٣ - ١٣٦) .

(٦) فيلب حتى : المرجع السابق ص ٢٠٧ ، فؤاد حسنين : المرجع السابق ص ٢٣٨ .

(٧) ملوك أول ١٠/٢٦ - ٢٩ ، أخبار أيام ثان ١/١٤ - ١٧ .

(٨) تثنية ١٧/١٦ - ١٧ .

(٩) سفر الامثال ٢١/٣١ .

10) Werner Keller, The Bible A History, 1967, P. 207.

الفضة ، والفرس بمئة وخمسين»[11] ، أى أن قيمة الحصان انما كانت تساوى ربع قيمة العربة ، وربما كان ذلك لأن سليمان كان يتمتع فى مصر بامتياز خاص ، ولان صـــناع المركبات المصريين انما كانوا على درجة عالية من المهارة فى صنع المركبات ذات العجلتين الخاصة بالصيد والحرب، كما كانوا يستوردون الخشب المتين من فينيقيا وسورية ، وهذا يفسر لنا الفرق بين سعر المركبة والفرس فى مصر[12] ، وعلى أية حال ، فهناك مصد آخر للخيل ، هو Koa وهو اسم دولة فى سيليسيا كانت تقع فى السهل الخصيب بين جبل طوروس والبحر الابيض المتوسط ، وتشتهر بتربية الخيول ، وطبقا لرواية «هيرودوت» فان الفرس كانوا يحصلون على أحسن خيولهم من سيليسيا[13] ، وأما سوق هذه التجارة فقد كان عند ملوك الارامين والحيثيين[14] .

وهناك ما يشير الى أن سليمان قد أقام حظائر للخيــل فى جهات متعددة ، وقد ألقت بعثه الحفائر الامريكية فى «مجدو» الضوء على هذه الحظائر ، حيث عثر على بقايا من عدة أجزاء كبيرة من اسطبلات الخيول، والتى كانت دائما تنتظم حول فناء دائرى مبلط بملاط من الحجر الجيرى ويخترق كل اسطبل ممر عرضه عشرة أقدام ، وقد رصف بصخور خشنة ليحول دون انزلاق الخيل ، وقد وضعت على كل جانب وراء نتوءات الاحجار ، مرابط فسيحة عرض كل منها عشرة أقدام ، ومايزال الكثير من هذه الاسطبلات محتفظا بمعالف طعام الخيــل ، كما لاتزال كذلك أجزاء من معدا تالسقى ظاهرة ، ولعل مما يثير الانتباه فخــامة تلك الاسطبلات حتى بالنسبة لظروف الحياة الحاضرة ، فضلا عن العنــاية الفائقة التى بذلت بوفرة فى المبانى والخدمات ، والتى يمكن الحكم عن

---

(١١) ملوك أول ١٠/٢٨ ــ ٢٩ .

12) H. Breasted, The Dawn of Conscience, 1939, P. 355.
وكذا O. Eissfeldt, Op. Cit., P. 593.
W. F. Albright, Archaeology and the Religion of Israel, P. 135.

13) W. Keller, Op. Cit., 207.
M. F. Unger, Unger's Bible Dictionary, Chicago, 1970, P. 1036.

(١٤) ملوك أول ١١/٢٩ .

طريقها بأن الخيول انما كانت مرغوبا فيها فى تلك الايام ، وعندما تم الكشف عن المبنى بأكمله ، قدر بعض الباحثين لكل اسطبل ٤٥٠ حصانا ولكل حظيرة ١٥٠ عربة ، هذا وقد اكتشفت نظائر لهذه الاسطبلات فى بيسان وحاصور وتعنك وأورشليم[١٥] ، كما أشرنا من قبل ، وأما تاريخ هذه الاسطبلات ، فهناك من يرجعها الى عهد «أخاب» (٨٦٩ — ٨٥٠ ق٠م) أكثر من عهد سليمان[١٦] (٩٦٠ — ٩٢٢ ق٠م) ، غــير أن أكثر الدراسات أهمية فى مدينة «مجدو» انما تضع الطبقة الرابعة التى وجدت بها هذه الاسطبلات جزئيا على الاقل فى عهد الملك سليمان ، وأن بقايا هذه المبانى المشهورة انما ترجع حقيقة الى عهد سليمان ، دون غيره[١٧].

---

15) W. F. Albright, The Archaeology of Palestine, P. 124.
C. Watzinger, Op. Cit., P. 67 F.
M. Burows, what Mean These Stones New-Haven, 1941, P. 127 F.
W. Keller, Op. Cit., P. 195.

16) J. W. Crowfoot, PEQ, 1940, P. 143-147.

17) W. F. Albright, Op. Cit., P. 124.
G. E. Wright, BA, 13, 1950, P. 44.
R. M. Engberg, BA, 4, 1941, P. 12 F.
AJA, 44, 1940, P. 546-550.

(٥) النشاط البحـــــرى

اتجه سليمان أيضا نحو البحر ليفتح لبلاده أبواب التجارة مع البلاد الواقعة على الابحر ، ولكن قومه العبرانيين ، لم يكونوا قد ألفوا ركوب البحر من قبل ، كما أنهم لم يكونوا على خبرة ، أيا كانت ، بشئون بناء السفن وملاحتها ، ومن هنا بدأ سليمان يعمل على تأمين الطرق عـــبر وادى عربة ، ثم الاتفاق مع «حيرام» ملك صور ، على انشاء أسطول فى ميناء «عصيون جابر» تستغل فيه المهارة الفينيقية ، هذا وقد ركزت التوراة على التجارة البحرية فى عهد سليمان أكثر من التجارة البرية ، وقد أثبتت الحفريات مما يؤكد كثيرا من النصوص الخاصة بهذه التجارة البحرية[1] ، ونقرأ فى التوراة «وقد عمل سليمان سفنا فى عصيون جابر التى بجانب أيلة على شاطىء بحر سوف فى أرض أدوم»[2] ، وقد كشف فى تل الخليفة «عصيون جابر»[3] مسامير كبير من الحديد أو النحاس الممزوج بالحديد ، وقطع حبال غليظة وكتل من القار لضم السفن،وأخرى

---

1) O. Eissfeldt, Op. Cit., P. 593.

(٢) ملوك أول ٩/٢٦ .

(٣) كان يظن من قبل أن «عصيون جابر» تقع عند «عين الغديان» فى قعر وادى العربة ، غير أن بعثة أمريكية ، برياسة نلسون جلوك ، قد كشفت موقعها فى «تل الخليفة» على مبعدة ٥٠٠ مترا من ساحل البحر على الطرف الشمالى لخليج العقبة على مقربة من ميناء «ايلات» الحالى ، فى منتصف الطريق بين مدينـــة العقبة والطرف الشرقى مـــن خليج العقبة ، و «أم الرشراش» على الطرف الغربى ، وقد عرفت عصيون فيما بعد باسم «برنسيا» Perenice ، فيمـــا يرى البعض ، ثم أعاد «عزايـــا» ملك يهودا بناءها باسم ايلات (انظر :

N. Glueck, The other side of the Jorden, New-Haven, 1940, P. 50-113.

W. J. Hastings, Op. Cit., P.253.

Albright, The Archaeology of Palestine, P. 44, 127, 128.

J. Homell, Antiquity, 21, 1947, P. 66.

من الصمغ لطلائها ، وكان من الممكن قطع الاخشاب اللازمة من غابات البلوط التى كانت توجد فى أدوم فى ذلك الوقت(٤) ، ومع ذلك ، ورغم وجود غابات كثيرة من النخيل فى مجاورات هذا المكان ، الا أنه لا توجد الاخشاب اللازمة لأغراض البناء ، ومن ثم فقد أرسل «حيرام» الصورى الاخشاب التى حملها ثمانية آلاف من الرجال ، بنى بها أسطول من عشر سفن ، وقد عرفنا الكثير عن هذا الاسطول حتى أسماء ربانيه من الفينيقيين(٥) ، كما عرفنا كثيرا عن أسطول منفصل لحيرام ، أبحر مع أسطول سليمان الى «أوفير» ، وأتى من هناك بالذهب والاخشاب النادرة والاحجار النفيسة ، وكل ما هو نادر وغريب(٦) ، هذا وقد اكتشف قرب «تل أبيب» (Tel - Aviv) عن «أوستراكا» ترجع الى ما بين عامى ٩٠٠ ، ٨٠٠ قبل الميلاد ، وعليها نص يقول : «ذهب أوفير من أجل بيت حورن»(٧) .

(٤) جورج فضلو حورانى ، المرجع السابق ص ٣٤ .

5) W. Keller, Op. Cit., P. 201.

(٦) ملوك أول ١٠/١١ ـ ١٢ .

7) B. Mailer, Two Hebrew Ostraca from Tell-Qasile, JNES, 10, 1951, P. 265 F.

(٦) النشـاط الصناعى

لم تكن عصيون جابر ميناء تجاريا فحسب ، ولكنها كانت كذلك مركزا صناعيا ، وفى الواقع فلقد كان اختيار موقعها اختيارا موفقا ، فى مكان لم يسـكن من قبـل ، بين تلال أدوم من الشرق ، وتلال فلسطين من الغرب ، حيث يمكن الافادة الى أقصى الحدود من الريح التى تهب من الشمال ، حيث تبلغ غاية سرعتها فى وسط وادى عربة ، وذلك للانتفاع بها فى تأجج النار اللازمة للتكرير ، هذا فضلا عن أدوم ، وكل المنطقة الواقعة بين البحر الميت وخليج العقبة ، غنية بالنحاس والحديد[١] ، ونقرأ فى التوراة عن «أرض حجارتها حديد،ومن جبالها تحفر نحاسا»[٢] ومن هنا كانت عصيون جابر ، بجانب وادى عربة والنقب ، مركزا لصهر الحديد والنحاس فى عهد سليمان ، حتى كانت فلسطين فى عهده من أكبر مصدرى النحاس فى العالم القديم[٣] .

هذا وقد كشف «بترى» فى «جمة» معـامل لاستخراج النحاس ، أصغر كثيرا من تلك التى فى عصيون جابر ، ويبدو أن داود عليه السلام قد نازع الادوميين احتكار الحديد ، واستولى عليه بعد هزيمتهم ، ومن ثم فان مخزونات النحاس والحديد قد استخـرجت وصهرت فى عهـد سليمان عليه السلام بدرجة كبيرة ، حتى أنه لم يعثر حتى الان فى أى

---

(١) موسكاتى : المرجع السابق ص ٢٨٠ ، وكذا
J. Finegan, Op. Cit., P. 181.
Eissfeldt, Op. Cit., P. 594.

(٢) تثنيـة ٨/١٢ .

3) W. F. Albright, Archaeology and the Religion of Israel, Baltimore, 1963, P. 133 F.
وكذا N. Glueck, Op. Cit., P. 89 F.
وكذا NGM, 85, 1944, P. 233-236.

مكان آخر فى العالم القديم على ما يضاهى معـامل تنقية النحاس فى عصيون جابر ، ولعل أفضل هذه المعامل من جهة الاعداد والبناء ماوجد فى الطبقة (ط) التى تحوى مخلفات أقـدم للفترات الخمسة الرئيسية لعمران هذا الموقع(٤) .

---

(٤) وليم أولبرايت : آثار فلسطين ص ١٢٨ ، فيلب حتى : المرجع السـابق ص ٢٠٧ وكذا

W. Keller, Op. Cit., P. 198-199.

(٧) مملكة سليمان ومدى اتساعها

اختلف المؤرخون ، ومايزالون مختلفين ، حول اتساع مملكة سليمان عليه السلام ، فرأى يذهب أصحابه من المؤرخين المحدثين الى أن المملكة التى ورثها سليمان عن أبيه داود عليهما السـلام ، أكبر من تلك التى ورثها سيدنا سليمان لمن أتوا بعده من ملوك بيت يهوذا وإسرائيل ، وذلك لان الامور فى خارج فلسطين لم تكن تسير فى نفس المجرى الذى اتخذته فى الداخل[١] ، وقد بدأت المتاعب ضد دولة سليمان تظهر على الحدود ، ذلك أن «يوآب» قائد جيش داود كان قد اجتـاح «أدوم» قبـل ذلك بنصف قرن ، وقتل كل ذكورها بحد السيف ، وقد استطاع «هدد» وهو طفل أدومى من الاسرة المالكة ، أن يهرب الى مصر ، وحين اشتد ساعده وجد رضا فى عين فرعون الذى زوجه من «تحبنيس» (تحفنيس) أخت زوجه الملكة ، ثم عاد هدد الى أدوم ، بغير موافقة فرعـون ، وأصبح العدو اللدود لسليمان مدى الحياة[٢] ، ونقرأ فى التوراة أنه « أصبح ملكا على أدوم»[٣] ، وربما قد حدث ذلك فى فترة مبكرة من عهد سليمان ، وطبقا لرواية أخرى فى التوراة[٤] ، فقد كان لسليمان مدخل الى خليج العقبة وميناء «عصيون جابر» ، عبر وادى عربة ، أى عبر الجزء الاساسى الهام من أدوم ، ويفترض بعض المؤرخين أن سليمان قد عقد اتفاقا مع «هدد» بتوسط من فرعون الذى ما كان يريد أن تفسد علاقاته الودية مع

---

1) M. Noth, Op. Cit., P. 206.
وكذا A. Lods, Op. Cit., P. 268.
2) A. Lods, Op. Cit., P. 368.
C. Roth, Op. Cit., P. 231.
M. Noth, Op. Cit., P. 250-256.
H. R. Hall, Op. Cit., P. 433.
(٣) ملوك أول ١٤/١١ ــ ٢٢ وكذا
A. H. Gardiner, Egypt of the Pharaohs, 1961, P. 329.
(٤) ملوم أول ٢٥/١١ .

صهره سليمان،ان صحت روايات التوراة،وان لم تعد لسليمان سيطرة على ولاية أدوم ، كما أنه ليس هناك ما يدل على أن سليمان قد اتخذ من الخطوات ما يجعله يستعيد سيطرته على أدوم مرة أخرى[٥] .

ونقرأ كذلك فى التوراة «أن الله أقام لسليمان خصما آخر ، هو «رزون بن اليداع» (رصين) الذى هرب من سيده «هدد عزر» ملك صوبة ، وأقام مملكته فى دمشق ، وكان خصما لاسرائيل كل أيام سليمان مع «هدد»[٦] ، وهكذا نمت المملكة الارامية فى دمشق ، ثم تطورت بعد فترة قصيرة حتى غدت أقوى سلطة فى سورية ، الامر الذى أدى الى أن ما أوجده داود من نفوذ فى دمشق قد ضاع الان[٧] .

هذا وفى نفس الوقت كانت مصر قد بدأت حالتها فى الانتعاش ، وبالتالى فقد بدأت تحاول اعادة سيطرتها فى غربى كنعان فهناك مايشير الى حملة ضد الفلسطينيين شعوب البحر فى جنوب غرب كنعان ، فقد عثر فى «تانيس» على نقش بارز على جدران مبنى شيده «بسوسنس الاول» و «سيامون» (سى آمون) من الاسرة الحادية والعشرين،جنوب معبد آمون الرئيسى ، يصور فيه «سيامون» ، وهو يضرب عدوا راكعا أمامه ، وقابضا فى يده على فأس للحرب مزدوجة من ذلك النوع الذى كان يتخذه الايجيون من أسلحة الحرب[٨] هذا فضلا عن أن هناك مايشير الى أن سيامون قد أرسل جيوشه لمحاربة الفلسطينيين فى جنوب غرب كنعان ، وأن مدينة أشدود قد غزيت ، وأن هناك آثارا فى تل «فرعة» لنفس الفرعون[٩] ، بل ان هناك من يذهب الى أن سيامون قد فكر فى غزو اسرائيل نفسها[١٠] .

---

5) A. Lods, Op. Cit., P. 268.
M. Noth, Op. Cit., P. 206.

(٦) ملوك أول ١١/٢٣ ـ ٢٥ .

7) M. Noth, Op. Cit., P. 206.
8) P. Montet, Osorkon, II, P. 36, PL. 1.
9) A. Malamat, Aspects of the Foreign Policies of David and Solomon, in JNES, 22, 1963, P. 12, No. 48-49.
10) Ibid., P. 13, 16 F.

أضف الى ذلك أن أعداء سليمان قد نشطوا كثيرا ، ونجحوا فى استعادة بعض البقاع التى كانت خاضعة لداود ، وأصبح ملك سليمان فى غرب الاردن فقط(١١) (فلسطين) ، وأصبح الفلسطينيون الهندو أوربيون فى غزة وما بعدها فى نجوة من سلطانه ، هذا فضلا عن أن ممالك وملوك شعوب شرق الاردن انما كانوا يمارسون سلطانهم المحلى بعيدا عن قبضة سليمان ، مما يدل على أن هذه الممالك والشعوب التى كان داود قد أخضعها فى شرق الاردن وسورية الارامية قد تفلتت من سيادته ، كما تفلت الفلسطينيون منها كذلك(١٢) .

وعلى أى حال ، فان النبى الكريم ما أن ينتقل الى جوار ربه راضيا مرضيا عنه ، حتى يستولى «شيشنق الاول» أول فراعنة الاسرة الثانية والعشرين (٩٤٥ — ٧٣٠ ق.م) على أورشليم ، ويأخذ معظم ما فيها من كنوز(١٣) ، وسواء أكانت حملة شيشنق هذه ، فيما يرى البعض(١٤)، بسبب استنجاد «يربعام» زعيم الثوار الاسرائيليين بمصر ، ضد بيت سليمان ، أو أنها كانت ، فيما يرى آخرون ، لاعادة سورية وفلسطين الى حظيرة الامبراطورية المصرية(١٥) ، فان التدخل المصرى فى اسرائيل ، فى أعقاب موت النبى الكريم ، انما أدى الى احتلال معظم مدن فلسطين، والاستيلاء على خزائن معبد سليمان وقصره(١٦) ، بل ان التوراة نفسها(١٧) انما تشير الى خضوع «يهوذا» التى كانت من نصيب رحبعام ابن سليمان ، للامبراطورية المصرية ، أو على الاقل ، فان معظم المدن هناك انما كانت تقوم بدفع الجزية لمصر، وأما الدويلة الاخرى (اسرائيل)

---

11) C. Roth, A Short History of the Jewish People, 1969, P. 21.

(١٢) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ٢٦٢ — ٢٦٣ .

13) H. G. Wells, A Short History of the World, 1965, P. 76-77.

14) H. R. Hall, Op. Cit., P. 436-437.

A. Lods, Op. Cit., P. 374.

15) A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 329-330.

(١٦) ملوك أول ١٤/٢٥ — ٢٧ .

(١٧) أخبار أيام ثان ١٢/١٨ .

فقد أصبحت تحت النفوذ المصرى تماما[18] .

على أن فريقا آخر يذهب أصحابه من المؤرخين المسلمين الى ملك واسع لسليمان عليه السلام ، وربما بغير حدود ، بل ان المصادر الاسلامية انما تزعم لدولة سليمان ما لم تزعمه لها المصادر اليهودية نفسها ، ذلك أن التوراة رغم المبالغات المعروفة عنها ، انما تذهب الى أن مملكة اسرائيل فى أقصى اتساع لها ، وفى أزهى عهودها ، انما كانت «من دان الى بئر سبع»[19] (ودان تقع عند سفح جبل حرمون عند تل القاضى ، على مبعدة ثلاثة أميال غربى بانياس)[20] من الشمال الى الجنوب ، وأما من الشرق الى الغرب ، «فمن النهر (الاردن) الى أرض فلسطين والى تخوم مصر[21] ، وهى حدود تشمل فلسطين بالكاد ، ومع ذلك فان بعض المصادر العربية تجعل سليمان عليه السلام واحدا من أربعة ملكوا الدنيا كلها (نمرود وبختنصر وهما كافران ، وسليمان بن داود وذو القرنين وهما مؤمنان)[22] ، بل ان الخيال ليذهب بالبعض الاخر الى أن يجعل عاصمة سليمان بعيدا فى ايران ، حيث اتخذ من «اصطخر» (التى ينسبون اليه أو الى الجن المسخر بأمره ، أمر بنائها)، مقرا لحكمه ، بينما يذهب فريق ثالث الى أن ملك سليمان انما قد وصل الى اليمن[23] .

وفى عام ١٩٨٦م صدر كتابان ، يزعم الاول منهما أن دولة داود

---

18) S. A. Cook, Op. Cit., P. 359.

(١٩) قضاة ١/٢٠ ، صموئيل أول ٢٠/٣ ، صموئيل ثان ١٥/٢٤ ، أخبار أيام أول ٢/٢١ ، وكذا

M. F. Unger, Op. Cit., P. 236.

(٢٠) قاموس الكتاب المقدس ٣٥٦/١ ــ ٣٥٧ .

(٢١) ملوك أول ٢١/٤ ، ثم قارن ملوك أول ١١/٩ .

(٢٢) أنظر : تاريخ الطبرى ٢٣٤/١ ، الكامل لابن الاثير ٥٤/١ ، البداية والنهاية ١٤٨/١ ، ثم أنظر مناقشتنا لهذا الاتجاه (محمد بيومى مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم ١١٦/١ ــ ١١٩) .

(٢٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان ٢١١/١ (بيروت ١٩٥٥) ، دائرة المعارف الاسلامية ٤٥٨/٣ ــ ٥٦٩ (دار الشعب ــ القاهرة ١٩٧٠) على امام عطية : الصهيونية العالمية وأرض الميعاد ص ٧١ ــ ٧٢ .

وسليمان عليهما السلام انما قامت فى غرب شبه الجزيرة العربية (من الطائف وحتى نجران) ، وليست فى فلسطين ، وكما تقول التوراة «من دان الى بئر سبع» غير أن «دان» فيما يزعم المؤلف ، ليست هى المدينة التى تقع عند سفح جبل حرمون عند تل القاضى ، حيث منابع الاردن، على مبعدة ثلاثة أميال من بانياس ، كما هو معروف،وانما عى «الدنادنة» فى تهامة زهران ، وأن «بئر سبع» ليست هى المدينة المعروفة فى جنوب فلسطين ، وانما هى الشباعة فى مرتفعات خميس مشيط ، ومن ثم فان دولة داود وسليمان ، فيما يزعم المؤلف ، انما تمتد من «الدنادنة» فى تهامة زهران جنوب وادى أضم ، وحتى شباعة فى مرتفعـات خميس مشيط ، شرقى جبال ألمع ، وأما عاصمة الدولة القدس (أورشليم) فيذكر المؤلف رواية التوراة أن داود عليه السلام نقل عاصمته من حبرون الى أورشليم ، لكنه يزعم أن هناك خمسة أماكن تسمى «حبرون» ماتزال تحمل اسم «خربان» على المنحدرات البحرية لعسـير ، ومن الامكنة الخمسة يختار المؤلف قـرية «الخربان» الحالية فى منطقـة المجاردة ، كعاصمة أولى لداود ، وهى نفسها ، فيما يزعم ، حبرون ابراهيم عليه السلام ، وليست «حبرون» المشهورة فى فلسطين ، وهى مدينة الخليل الحالية ، على مبعدة ١٩ كيلا شمال القـدس ، وأما «أورشليم» فهى ليست ، فيما يزعم ، مدينة القدس الحالية (حيث المسجد الاقصى) وانما هى قرية «آل شريم» الحالية،على مبعدة ٣٥ كيلا شمالى بلدة «النماص» فى سراة عسير ، شمال مدينة أبها[٢٤] .

وأما الكتاب الثانى فيزعم صاحباه أن سليمـان عليه السلام قامت على عهده ، وعهد أبيه (داود عليه السلام) دولة اسلامية عاصمتها بيت المقدس ، وحدودها من المؤكد كانت تشمل بلاد الشام الحالية (سورية وفلسطين) وتشمل الجزيرة العربية كلها ، وأنهما يعتبران ذلك من تمكين

---

(٢٤) كمال سليمان الصليبى : التوراة جاءت من جزيرة العرب ــ ترجمة عفيف الرزاز ــ ط ثانية ــ بيروت ١٩٨٦ ــ مؤسسة الابحاث العربية ص ١٧٥ ــ ١٩٣ .

الله لسليمان فأعطاه ملكا لم ولن ينبغى لأحد من بعده(٢٥) ، ثم يقولان بعد ذلك ، وفى نفس الكتاب : لا يعقل أن تكون هناك أمة مشركة فى عهد سليمان الذى طويت له الارض ، ومكن له فيها ، وأوتى من كل شىء(٢٦)، فضلا عن أنهما زعما فى كتاب آخر أن سليمان عليه السلام كان نبيا عربيا(٢٧) ، بينما يذهبان فى كتاب آخر أنه من سلالة اسرائيل عليه السلام(٢٨) .

ولعل من الافضل هنا ، أن نرد أولا على هذه الاراء الانفة الذكر . قبل أن نتعرض لرأى المفسرين فى تفسيرهم لقوله تعالى : «قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى انك أنت الوهاب»(٢٩) ، فأما أصحاب الرأى الاول ، والذى يذهب الى أن المملكة التى ورثها سليمان عن أبيه داود عليهما السلام أكبر من تلك التى ورثها سليمان لمن أتوا بعده من ملوك يهوذا واسرائيل ، وذلك بسبب عودة «هدد» أمير أدوم من مصر واستقلاله بدولته ، وبسبب «رصين» الذى أقام مملكته فى دمشق وقضى على نفوذ اسرائيل فيها ، وبسبب حالة الانتعاش فى مصر والتى صاحبت عهد سليمان ، فذلك رأى بالغ أصحابه فيه كثيرا . فضلا عن اعتمادهم فى الدرجة الاولى على التوراة ، فيما يتصل بهدد ورصين ، والتوراة ، كما هو معروف ، مصدر غير موثوق فيه ، وأقل ما يوصف به أنه نص محرف(٣٠) ، ومن ثم فلا يمكن الاعتماد عليه ، ما لم تؤيده مصادر أخرى ، وهذا ما لم يثبت حتى الان ، ثم ان كل الدلائل ، الدينية والتاريخية ، تشير الى أن سليمان قد مكن له ، كما

---

(٢٥) جمال عبد الهادى ووفاء محمد رفعت : ذرية ابراهيم عليه السلام وبيت المقدس ــ دار طيبة ــ الريض ١٩٨٦ ص ٢٥٦ ، ٢٥٩ .

(٢٦) نفس المرجع السابق ص ٢٧٠ .

(٢٧) جمال عبد الهادى ووفاء رفعت : جزيرة العرب جـ١ ص ٨٠ .

(٢٨) جمال عبد الهادى ووفاء رفعت : ذرية ابراهيم عليه السلام وبيت المقدس ص ٢٥٥ ــ ٢٥٦ .

(٢٩) سورة طه : آية ٣٥ .

(٣٠) انظر : سورة البقرة آية ٧٩ ، ١٥٩ ، آل عمران : آية :٧٨، النساء : آية ٤٦ ، المائدة ١٣ ، ١٥ ، محمد بيومى مهران : اسرائيل ١٣٦/٣ ــ ٣٧٩ .

مكن لأبيه من قبل ، وأما الانتعاش المصرى والرغبة فى اعادة السيادة المصرية على غربى كنعان ، فأدلة أصحاب هذا الرأى تعتمد على آثار تشير الى حملات مصرية ضد الفلسطينيين الهندوأوربيين ، والذين كانوا يسكنون المنطقة ما بين يافا وغزة على ساحل البحر المتوســط ، وليس هناك دليل واحد يشير الى حملات مصرية ضد مملكة سليمان ، بل ان الادلة كلها تشير الى علاقات ودية بين مملكة سليمان ومصر ، وأن فرعون كان حريصا على أن لا يفسد العلاقات الودية بينه وبين صهره سليمان ملك اسرائيل ، كما رأينا من قبل ، وأما حملة «شيشنق» على فلسطين، والتى يعتبرها البعض دليلا على ضعف مملكة سليمان ، فيكفى القول ان هذه الحملة كانت بعد موت سليمان بأعوام خمسة ، ومن ثم فهى غير ذى موضوع بالنسبة لعهد سليمان ، كما أنها كانت بعــد انقسام مملكة سليمان بين ولده رحبعام والثائر يربعام •

وأما ما ذهب اليه «برستد» من أن سليمان كان واليا تحت النفوذ المصرى[٣١] ، فيكذبه أن صاحبه لم يقدم دليلا واحدا على صحته ، وهى سقطة لاشك فيها من المؤرخ الكبير ، كما أن مصر على أيام سليمان لم يكن لها نفوذ فى فلسطين من أى نوع ، والاهم من ذلك كله : هل يقبل عاقل أن يكون نبى أى نبى ، تابعا لملك كافر ، ولماذا يتبعه ، هل ليكون ملكا على فلسطين ، ولكن ما قيمة ملك فلسطين ، بجانب شرف النبوة ، فما بالك اذا كان هذا النبى هو سليمان ، الذى وهبه الله ، بجانب النبوة، ملكا لا ينبغى لأحد بعده ، اللهم انا نبرأ من قول كهــذا ، ونسألك أن تلهمنا جانب الصواب والادب مع أنبيائك ورسلك ، وأن تحمينا من أن ننساق دون أن ندرى ، فى تيار كتبة التوراة ، أو فى تيار قلة من المؤرخين المحدثين ممن يلقون التهم جــزافا على سيدنا سليمان عليه السلام ، وبدهى أن خضوع سليمان النبى لفرعون من الفراعين تهمة لاشك فيها، نبرأ الى الله منها ، وأخيرا فان أصحاب هذا الرأى تسقط كل حججهم بالرجوع الى قصة سليمان مع ملكة سبأ ، كما جاءت فى القرآن الكريم،

31) J. H. Breasted, A History of Egypt, N. Y., 1946, P. 529.

فان الذى يهدد ملكة سبأ ، أعظم دول الجزيرة العربية ، وهى بعيدة عن مملكة سليمان بآلاف الكيلومترات ، لايمكن بحال من الاحوال ، أن تكون دولته ضعيفة ، يهددها أمثال أمير أدوم أو دمشق أو غيرهم من النكرات التى كانت تعيش فى سورية وفلسطين تحت ظلال دولة سليمان ، ثم ان سليمان الذى سخر الله له طائفة من الانس والجن والطير والشياطين، لن يعجز عن كبح جماح قوم من ضعاف المشركين،ولاريب فى أن من سخر له من يأتيه بعرش ملكة سبأ قبل أن يرتد اليه طرفه ، يمكن أن يسخر له ، ما يستطيع به القضاء على كل أعدائه ٠

وأما أصحاب الرأى الذى يعطى سليمان عليه السلام ملكا واسعا، ربما بغير حدود ، ويجعل عاصمته فى «اصطخر» ويملكه بلاد اليمن ، فأما عن «اصطخر» فليت الذين ذهب بهم الخيال الى هذا الحد يعرفون أن اصطخر لم يبدأ الفرس فى بنائها الا حوالى عام ٥٢٠ ق٠م ، على أيام دارا الاول (٥٢٢ ـــ ٤٨٦ ق٠م) ، ولم يتم البناء الا فى عهد «أرتخشتا الاول» ، حوالى عام ٤٦٠ ق٠م ، أى بعد وفاة سليمان (٩٦٠ ـــ ٩٢٢ ق٠م) بحوالى أربعة قرون[٣٢] ، وأما ملك اليمن فأمره عجيب ، فالبعض خلط بين اسلام ملكة سبأ وبين خضوع دولتها لسليمان ، والبعض أعطى سليمان ملك اليمن ٣٢٠ سنة ، مع أن المؤرخين ، ومنهم صاحب هذا الرأى ، يجمعون على أن ملك سليمان لم يزد عن أربعين سنة ، وأنه مات ، وله اثنتان وخمسون سنة[٣٣] ، وأما اسلام ملكة سبأ فقد كان لله مع سليمان «قالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين» ، وهكذا اهتدى قلبها واستنار ، وعرفت أن الاسلام لله وحده ليس استسلاما لأحد من خلقه ، حتى وان كان هو سليمان ، النبى الملك صاحب المعجزات ، انما الاسلام اسلام لله رب العالمين ، ومصاحبة للمؤمنين به والداعين الى طريقه على سنة المساواة «وأسلمت مع سليمان

---

(٣٢) أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ص ٢٢٩ ، آرثر كريستنسن : ايران فى عهد الساسانيين ص ٨٠ ٠
(٣٣) تاريخ اليعقوبى ١/٦٠ ؛ ١٩٦ ٠

لله رب العالمين» وقد سجل السياق القرآنى هذه اللفتة الاخيرة وأبرزها، الكشف عن طبيعة الايمان بالله والاسلام له ، فهى العزة التى ترفع المغلوبين الى صف الغالبين ، بل التى يصبح فيها الغالب والمغلوب أخوين فى الله لا غالب منهما ولا مغلوب ، وهما أخوان فى الله رب العالمين على قدم المساواة(٣٤) ، ثم ان الذين يقولون بضم اليمن الى مملكة سليمان انما يخطئون فى فهم دعوة الرسل ، فهم لا يريدون ملك الناس ودنياهم، وانما يريدون هدايتهم الى عبادة الله وحده ، والى الايمان بشرائعه. كما أشرنا الى ذلك من قبل فى قصة سليمان مع ملكة سبأ .

وأما الدكتور الصليبى فلم يقدم لنا فى دعواه أية أدلة علمية يمكن أن تؤيد مزاعمه التى تمس الدين والوطن ، سوى الزعم بأن هناك قرى فى غرب الجزيرة العربية ، يمكن أن تتشابه أسماؤها مع أسماء أماكن جاءت فى توراة يهود ومن ثم زعم أن غرب الجزيرة العربية هى أرض التوراة ، وليست فلسطين ، وفى الواقع لو طبقنا مزاعمه هذه على الولايات المتحدة الامريكية مثلا ، لكان الكثير من مدنها ، اعتمادا على تشابه أسماء بعض المدن ، انما هى مدن عربية ، كان يسكنها العرب فى العصور القديمة ، ناهيك عن تشابه أسماء بعض المدن والقرى فى البلاد، العربية نفسها ، الامر الذى يمكن أن يتفق وما زعمه الدكتور الصليبى من مسخ للحقائق الدينية الثابتة،فضلا عن الحقائق التاريخية والجغرافية المتعارف عليها منذ آلاف السنين .

وأما دعوى الدكتور جمال عبد الهادى والدكتورة وفاء رفعت من أن سليمان قامت على عهده ، وعهد أبيه داود ، عليهما السلام دولة اسلامية عاصمتها القدس ، وحدودها من المؤكد أنها كانت تشمل الشام كله والجزيرة العربية كلها ، فلست أدرى من أين جاءا بدعواهما أن داود كون دولة شملت الشام كله والجزيرة العربية كلها ، وليس فى القرآن الكريم والحديث الشريف ولا فى المصادر العربية أو اليهودية ما يشير

(٣٤) فى ظلال القرآن ٢٦٤٣/٥ .

الى ذلك من قريب أو بعيد ، وأما ملك سليمان لليمن فقد ناقشناه من قبل ، وليس هناك من دليل يثبت استيلاء سليمان على اليمن وضمها الى مملكته ، فضلا عن ضم الجزيرة العربية كلها ، واليمن جزء من الجزيرة العربية ، وليس كل الجزيرة العربية ، ثم يقـول المؤلفان أن الله مكن سليمان فأعطاه ملكا لم ولن ينبغى لاحد من بعده ؟ فهل ملك الشـــام والجزيرة العربية يعتبر هو الملك الذى لم ينبغ لأحد من بعد سليمان ، أم أن هناك آخرون ملكوا أكثر من الشام والجزيرة العـربية ، فمثلا الاسكندر المقدونى فى التاريخ القديم ، والدولة الاســلامية على أيام الراشدين والامويين والعباسيين ، ناهيك عن الامبراطوريات الاوربية فى العصر الحديث .

وأما القول بأنه لا يعقل أن تكون هناك أمة مشركة فى عهد سليمان الذى طويت له الارض ومكن له فيها ، وأوتى من كل شىء ، فلست أدرى ماذا يعنى المؤلفان بذلك،وهل لم تبق حقا أمة مشركة فى عهد سليمان بعد ايمان ملكة سبا ، وهل أصبحت مصر الفرعونية أو العراق القديم مثلا، وهما أقرب الى فلسطين مقـر مملكة سليمان من اليمـن ، من الامم المسلمة فى عهد سليمان ؟ ثم ، وهذا فى منتهى الاهمية ، هل بعث سليمان للناس عامة ، أم أنه بعث الى قومه خاصة ، ذلك أنه من المعروف أن كل نبى انما كان يبعث الى قومه خاصة ، وأن سيدنا محمد رسول الله ﷺ هو وحده الذى بعث الى الناس كافة بشيرا ونذيرا «قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا» ، «وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا» ، وفى الصحيحين عن جابر قال رسول الله «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلى ، نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا ، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة»[٣٥] .

---

(٣٥) تفسير ابن كثير ٨٥٧/٣ .

ثم ان المؤلفين مضطربان فى نسب سليمان عليه السلام ، فهو مرة نبى عربى ، وهو مرة أخرى من بنى اسرائيل من سلالة يعقوب (اسرائيل) بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام ، وهذا هو الصحيح، ثم كيف يكون سليمان نبيا عربيا ، وسيدنا رسول الله ﷺ يقول فى حديث أبى ذر المشهور : وأربعة من العرب ، هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر»(٣٦) ، وفى رواية : «وأربعة من العرب ، هود وصالح وشعيب ومحمد عليه السلام»(٣٧) .

بقى الان أن نتحدث عن رأى المفسرين والمؤرخين فى قوله تعالى : « رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى انك أنت الوهاب»(٣٨) ، اذ ترى جمهرة كبيرة من المفسرين والمؤرخين أن سياق الايات الكريمة تفيد أن الزيادة التى أوتيها سليمان عليه السلام فى ملكه المعبر عنها بقوله تعالى : «ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى» انما هى ايتاؤه بعض المعجزات التى لم تكن لغيره من الانبياء عليهم السلام ، بدليل التعقيب عليه بقوله تعالى : «فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص ، وآخرين مقرنين فى الاصفاد»(٣٩) ، المتضمن استجابة الله تعالى لدعائه ، مفتتحا بالفاء الدالة على الربط والتعقيب والترتيب(٤٠) ، وهذا ما نميل اليه ونرجحه، ويقول ابن الاثير أن سليمان عليه السلام سأل الله أن يؤتيه ملكا لاينبغى لأحد من بعده ، فاستجاب الله وسخر له الانس والجن والشياطين والطير والريح ، فكان اذا خرج من بيته الى مجلسه ، عكفت عليه الطير ، وقام له الانس والجن حتى يجلس(٤١) ، ويقول الطبرى(٤٢) : وسخرت

(٣٦) البداية والنهاية تفسير ابن كثير ٨٩١/١ ـ ٨٩٢ (بيروت ١٩٨٦) .
(٣٧) تفسير النسفى ٢٦٣/١ ـ ٢٦٤ .
(٣٨) سورة ص : آية ٣٥ .
(٣٩) سورة ص : آية ٣٦ ـ ٣٧ .
(٤٠) عويد المطرفى : المرجع السابق ص ١١٤ ـ ١١٥ .
(٤١) الكامل لابن الاثير ١٢٨/١ .
(٤٢) تاريخ الطبرى ٥٠١/١ .

له الريح والشياطين يومئذ ، ولم تكن سخرت له من قبل (أى بعد أن جلس الشيطان على كرسيه) وهو قوله تعالى : «وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى انك أنت الوهاب»[٤٣] ، ومن هنا فقد ذهب المسعودى الى أن ملك سليمان كان أربعين سنة على فلسطين والاردن[٤٤] ، ويقول ابن خلدون : ان سليمان قد ضرب الجزية على جميع ملوك الشام مثل فلسطين وعمـون وكنعان ومؤاب وأدوم والارمن (أى الارامبين) وهذا لا يعدو أيضا فلسطين وشرق الاردن[٤٥] .

واذا ما رجعنا الى كتب التفسير لرأينا الاستاذ سيد قطب ، طيب الله ثراه ، يقول فى تفسير الآية الكريمة : «رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى انك أنت الوهاب» ، ان أقرب تأويل لهذا الطلب من سليمان عليه السلام لم يرد به أثره ، وانما أراد الاختصاص الذى يتجلى فى صورة معجزة ، فقد أراد به النوع ، أراد به ملكا ذا خصوصية تميزه عن ملك كل ملك آخر يأتى بعده ، وذا طبيعة معينة ليست مكررة ولا معهودة فى الملك الذى يعرفه الناس ، وقد استجاب الله له ، فأعطاه فوق الملك المعهود ، ملكا خاصا لا يتكرر[٤٦] ، ثم يحدد صاحب الظلال هذا الملك المعهود بأنه لا يتجاوز ما يعرف الان بفلسطين وسورية ولبنان والعراق الى ضفة الفرات[٤٧] ، أى الشام بمعنى آخر ، لا أكثر ولا أقل، أو لا ينبغى لأحد أن يسلبه منى بعده هذه السلبة (يعنى الشيطان الذى جلس على كرسيه) أو لا يصح لأحد من بعـدى لعظمته[٤٨] ، ويقول النسفى أن سليمان عليه السلام سأل ملكا بهذه الصفة (لا ينبغى لأحد

---

(٤٣) سورة ص : آية ٣٥ .
(٤٤) مروج الذهب للمسعودى ٧٠/١ (بيروت ١٩٦٥) .
(٤٥) تاريخ ابن خلدون ١١٢/٢ .
(٤٦) فى ظلال القرآن ٣٠٢٠/٥ .
(٤٧) فى ظلال القرآن ٢٦٣٥/٥
(٤٨) الدر المنثور ٣١٣/٥ .

من بعـــدى)[٤٩] ليكون معجزة له ، لا حسدا[٥٠] ، وكان قبل ذلك لم يسخر له الريح والشياطين ، فلما دعا بذلك سخرت له الريح والشياطين ولن يكون معجزة حتى يخرق العادات[٥١] .

ويقول ابن كثير فى تفسير الاية الكريمة : قال بعضهم : معنـــاه لا ينبغى لأحد من بعدى ، أى لا يصح لأحد أن يسلبنيه بعدى ، كما كان من قضية الجسد الذى ألقى على كرسيه ، لا أن يحجر على من بعده من الناس ، والصحيح أنه سأل من الله تعالى ملكا لا يكون لأحـــد من بعده من البشر ، وهــذا هو ظاهر الســياق من الاية ، وبذلك وردت الاحاديث الصحيحة من طرق عن رسول الله ﷺ ، قال البخارى عند تفسير هذه الاية ، حدثنا اسحاق ابراهيم أخبرنا روح ومحمد بن جعفر عن شعبة عن محمد بن زياد عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : «أنى عفريتا من الجن تفلت على البارحة ، أو كلمة نحوها ، ليقطع على الصلاة، فأمكننى الله تبارك وتعالى منه ، وأردت أن أربطه الى سارية من سوارى المسجــد حتى تصبحــوا وتنظروا اليه كلكم ، فذكــرت قــول أخى سليمان عليه الصلاة والسلام : «رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعـــدى» ، قال روح : «فرده خــاسئا» ، وكذا رواه مسلم والنسائى من حديث شعبة به[٥٢] .

هذا وقد قــدم لنا الامام الطبرى عدة روايات فى تفســير الاية

---

(٤٩) تفسير البيضــاوى ١٩/٥ .
(٥٠) جاء فى تفسير الطبرى (١٦٤/٢٣ ط بيروت ١٩٨٤) ذكر عن الحجاج بن يوسف الثقفى أنه قرأ قوله تعالى : «رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى» فقال : «انه كان لحسودا ، فان ذلك ليس من أخلاق الانبياء ، قيل : أما رغبتــه الى ربه فيما رغب اليه من الملك، فلم تكن ان شاء الله به رغبة فى الدنيا ، ولكن ارادة منه أن يعلم منزلته من الله فى اجابته فيما رغب اليه فيه ، وقبول توبته ، واجابته دعائه» .
(٥١) تفسير النسفى ٤٣/٤ .
(٥٢) تفسير ابن كثير ٥٦/٤ ــ ٥٧ (ط بيروت ١٩٨٦) وانظــر : صحيح البخارى ١٥٦/٦ ، صحيح مسلم ٧٢/٢ ، سنن النسائى ١٣/٣ ، مسند الامام أحمد ٣ك ٨٣ .

الكريمة ، منها أن الله تعالى سخر لسليمان الريح والشياطين يومئذ ، ولم تكن سخرت له من قبل ذلك ، وهو قوله : «وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي» ، لا يسلبنيه أحد ، كما سلبنيه قبل هذا الشيطان ، ومنها يقول تعالى ذكره : «فاستجبنا له دعاءه فأعطيناه ملكا لا ينبغي لأحد من بعـده ، « فسخرنا له الريح » مكان الخيل التي شغلته عن الصلاة .«تجري بأمره رخاء» يعني رخوة لينة ، وهي من الرخاوة ، عن الحسن : أن نبي الله سليمان ﷺ لما عرضت عليه الخيل ، فشغله النظر اليها عن صـلاة العصر «حتى توارت بالحجـاب» فغضب الله ، فأمر فعقرت ، فأبدله الله مكانها ، سخر الريح تجري بأمره رخاء حيث شاء، ومنها ما روي عن الضحاك في قوله تعالى : «وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي» ، فانه دعا يوم دعاء ، ولم يكن في ملكه الريح ، وكل بناء وغواص من الشياطين فدعا ربه عند توبته واستغفاره ، فوهب الله له ما سأل ، فتم ملكه ، وعن الضحاك أيضا «والشياطين كل بناء وغواص» قال هذا لم يكن هذا في ملك داود ، أعطاه الله ملك داود ، وزاده الريح، «والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد» ، يقول في السلاسل ، ويقـول الامام الطبري : وأولى الاقـوال في ذلك عنـدي بالصواب ، القول الذي ذكرناه عن الحسن والضحاك من أنه عني بالعطاء ما أعطاه الله تعالى ذكره من الملك ، وذلك أنه جل ثناؤه ذكر عقيب خبره عن مسألة نبيه سليمان ، صلوات الله وسلامه عليه ، اياه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ، فأخبره أنه سخر له ما لم يسخر لأحد من بني آدم،وذلك تسخيره له الريح والشياطين على ما وصفت ، ثم قال عن ذكره : هذا الذي أعطيناك من الملك ، وتسخير ما سخرنا لك عطاؤنا ، ووهبنا لك ما سألتنـا أن نهبـه لك من الملك الذي لا ينبغي لأحـد من بعـدك «فامنن أو أمسك بغير حساب»[٥٣] .

ويقول الامام الفخر الرازي في التفسير الكبير في تفسير الاية : أن الملك هو القدرة ، فكان المراد أقدرني على أشياء لا يقدر عليها غيري

(٥٣) تفسير الطبري ٢٣/١٥٨ ـ ١٦٣ (ط بيروت ١٩٨٤) .

البتة ، ليصير اقتداري عليها معجزة تدل على صحة نبوتى ورسالتى ؛ والدليل على صحة هذا الكلام أنه تعالى قال عقيبه : «فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب» ، فكون الريح جاريا بأمره قدرة عجيبة وملك عجيب ، ولا شك أنه معجزة دالة على نبوته ، فكان قوله : «هب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى» هو هذا المعنى لان شرط المعجزة أن لا يقدر غيره على معارضتها ، فقوله :«لاينبغى لأحد من بعدى» يعنى لا يقدر أحد على معارضته ، وهناك وجه آخر أنه عليه السلام لما مرض ثم عاد الى الصحة ، عرف أن خيرات الدنيا صائرة الى الغير بارث أو بسبب آخر ، فسأل ربه ملكا لا يمكن أن ينتقل منه الى غيره ، وذلك الذى سأله بقوله : «ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى» ، أى ملكا لا يمكن أن ينتقل عنى الى غيرى (٥٤) .

وهكذا يبدو واضحا أن جمهرة المفسرين لا يذهبون الى أن سليمان عليه السلام سأل الله ملكا واسعا بمعنى مساحات واسعة من الارضين ، وانما سأل الله تعالى ملكا معجزا لا يكون لأحد غيره من بعده ، فكانت هذه المعجزات من تسخير الريح بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص ، وآخرين مقرنين فى الاصفاد ، الى غير ذلك من معجزات لم يشاركه فيها أحد ، كما أشرنا الى ذلك فى مكانه من هذه الدراسة ، ومن ثم فلا مكان للربط بين ملك شاسع المساحات ، كما ذهبت الى ذلك بعض المصادر العربية ، وبين نبوة سليمان عليه السلام ، وكأن مكانة النبى الكريم لا تكون الا بملك الدنيا كلها ، كما ذهب البعض ، حيث جعلوا من سليمان عليه السلام ، واحدا من أربعة (نمرود وبختنصر وذو القرنين وسليمان) ملكوا الدنيا بأسرها ، بل ان سليمان ، فيما يقولون ، «كان لا يسمع بملك فى ناحية من الارض الا أتاه حتى يذله» ، ونسوا ، أو تناسوا ، أن سليمان عليه السلام ، لم يكن ، ولن يكون ، جبارا فى الارض ، وانما كان رسولا نبيا ، وهاديا الى الله باذنه ، ومبشرا ونذيرا ، ونسوا كذلك أن النبوة أشرف وأكرم من ملك الدنيا وما فيها ،

(٥٤) تفسير الفخر الرازى ٢٠٩/٢٦ ــ ٢١٠ .

وأن جمع الله لسليمان ، كما جمع لأبيه من قبل ، بين النبــوة والملك ، ونسوا أيضا أنهم ربطوا سليمان بملوك أربعة ، منهم على الاقل كافران، فاذا كان هذا الملك الواسع المساحات هو المراد من دعاء النبى الكريم : «رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى» ، فهم اذن قد ساووا بين سليمان عليه السلام ، وبين هؤلاء الثلاثة (نمرود وبختنصر وذو القرنين) فى هذا الملك الواسع العريض ، وهذا ما لم يقل به أحد .

وهكذا يبدو واضحا أن سياق الايات الكريمة ، كما أشرنا من قبل، انما يشــير الى أن الزيادة التى أوتيهـا سليمان عليه السلام فى ملكه والمعبر عنها بقوله : «ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى» هى ايتاؤه بعض المعجزات التى لم تكن لغيره من الانبياء عليهم السلام ، بدليل التعقيب عليه بقوله تعالى : «فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب، والشياطين كل بناء وغواص ، وآخرين مقرنين فى الاصفاد» ، المتضمن استجابة الله تعالى لدعائه ، مفتتحا بالفاء الدالة على الربط والتعقيب والترتيب[٥٥]

(٥٥) عويد المطرفى : المرجع السابق ص ١١٤ ــ ١١٥ .

(٨) القدس عاصمة سليمان :

تقع القدس على مبعدة ١٤ ميلا الى الغرب من البحر الميت ، ٣٣ ميلا الى للشرق من البحر المتوسط ، وقد عرفت بأسماء كثيرة ، حيث أطلقت عليها التوراة أو العهد القديم اسم «أريئيل» (اشعياء ١/٢٩) ومدينة العدل (اشعياء ٢٦/١) والمدينة (مزمور ١٦/٧٢) ومدينة الله (مزمور ١/٤٨) ومدينة الحق (زكريا ٣/٨) ومدينة القدس (نحميا ١/١١) وجبل القدس (اشعياء ١٣/٢٧) والمدينة المقدسة (متى ٥/٤) ومدينة داود ، وأما أسماؤها العربية فهى : بيت المقدس والمقدس والقدس الشريف ، أما الاسم الغالب فهو «القدس» ، والذى يبدو أنه رافق المدينة منذ بداية تاريخها ، غير أن أشهر اسمين للمدينة انما هما القدس وأورشليم •

هذا ويظن كثير من الناس خطأ أن اسم «أورشليم» اسم عبرى أو يهودى ، والحقيقة غير ذلك تماما ، ذلك لان أقدم النقوش التى ورد فيها اسم المدينة المقدسة انما هو نقش مصرى ، يرجع الى أخريات القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، وربما الى أيام «سنوسرت الثالث» (١٨٧٨ — ١٨٤٣ ق•م) أو بعده بقليل ، وربما قبله بقليل ، حيث ذكرت المدينة تحت اسم أورساليموم» (Ursalimum) على رأى[1] ، والى أيام الاسرة الثالثة عشرة المصرية (١٧٨٦ — ١٦٥٠ ق•م) فيما عرف بنصوص اللعنة تحت اسم «أوشاميم» (Aushamem) على رأى آخر[2] ، ونقرأ فى رسائل

1) M. F. Unger, Op. Cit., P. 576.

(٢) أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٣٣٥ وكذا
J. Wilson, ANET, 1966, P. 329 W. Ward, Egypt and The East Mediterranean in the Second Millennum B. C., Orientalla, 30, Roma, 1961, P. 32.

العمارنة من القرن الرابع عشر قبل الميـلاد [٣] ، فى رسالة من نائب الفرعون اخناتون (١٣٦٧ ــ ١٣٥٠ ق٠م) ويدعى «عبـد خيبا» أمير القدس وكانت تدعى «أورسالم» يقول فيها «لا أبى ولا أمى وضعانى فى هذا المكان ، بل يد الملك القوية هى التى وضعتنى فى بيت آبائى»[٤]، وبقيت المدينة تدعى «أورسالم» ، حتى استقل بها اليبوسيون فى فترة الضعف التى انتابت الامبراطورية المصرية ، وسموها «يبوس»[٥] ، حتى جاء داود عليه السلام (١٠٠٠ ــ ٩٦٠ ق٠م) واستولى عليها منهم ، ثم اتخذها عاصمة لدولته ، ونقل اليها «تابوت العهد» ، وأطلق عليها اسم «مدينة داود» ، ومن ثم فقد أصبحت المدينة المقدسة مركزا للحياة السياسية والدينية معا ، هذا ويختلف الباحثون فى أسباب تغيير اسم المدينة القديم ، فمن قائل لان اسمها القديم كان غريبا على العبرانيين، ومن قائل لان فيه تخليدا للاهوت أجنبى ، ومن قائل لان داود عليه السلام أراد أن يخلد اسمه على المدينة أو حتى على جزء منها ، ذلك لان اليهود أطلقوا على المدينة أيضا اسم «يورشالايم» أو «أورشالم» باضافة لاحقة عبرية كى تصبح عبرية النطق ، وأيا كان السبب فـان الاسم الجديد لم يحل محل الاسم القديم ، الذى له جذور عميقة فى الوعى الشعبى[٦] ٠

هذا وقد دعيت المدينة فى النقوش الاشوريية باسم «أورساليمو» (Ursalimmu) وفى النقوش اليونانية باسم «هيروسوليما» (Hierosolyma) [٧] ٠

---

(٣) أنظر عن رسائل العمارنة (محمد بيومى مهران : اخناتون ــ الاسكندرية ١٩٧٩ ص ٢٣٣ ــ ٢٤٥) ٠

4) S. A. B. Mercer, The Tel-El-Amarna Tablest, II, Toronto, 1939, P. 486-489.
W. F. Albright, ANET, P. 487-489.

(٥) ١٠/١٩ ــ ١١ ٠

(٦) صموئيل ثان ٩/٥ ، ١٢/٦ ــ ١٣ ، ١٧/٨ ــ ١٨ ، ٢٥/٢٠ ــ ٢٦ ، عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ص ٥٦ ــ ٥٧ ، وكذا
Y. Yeivin, JNES, 7, 1948, P. 10.
M. Noth, The History of Israel, 1965, P. 191.

7) M. F. Unger, Op. Cit., P. 576.

هذا ولم يذكر «هيرودوت» (٤٨٤ ــ ٤٣٠ ق٠م) فى تاريخه اسم «أورشليم» ولكنه ذكر مدينة كبيرة فى الجزء الفلسطينى من الشام ، وسماها «قديتس» ، مرتين فى الجزء الثانى والثالث من تاريخه ، ويقول المستشرق اليهودى «سالمون مونك» فى كتابه «فلسطين» أن هذا الاسم على الارجح هو «القدس» ، محرفا فى اليونانية عن النطق الارامى «قديشتا»(٨) .

وأما معنى «أورشليم» فموضع خلاف ، ولعل أرجح الاراء من الناحية العلمية ، أنها مركبة من «أور» بمعنى مدينة أو موضع ، ومن «شالم» وهو اله وثنى لسكان فلسطين الاصليين هو «اله السلام» ، فالمدينة اذن كانت مكرسة لاله السلام ، وهناك من يقول أن كلمة «أور» معناها «الميراث» ، فتكون أورشليم بمعنى «ميراث السلام» أما أحبار اليهود فيدعون أن «سام بن نوح» قد سماها «شلم» أى السلام ، وأن ابراهيم الخليل عليه السلام ، وقد سماها «يرأة» ، وهى باللغة العبرية بمعنى الخوف ، فقرر الله أن يسميها بالاسمين معا ، «يرأه ــ شلم» أى «أورشليم» بمعنى الخوف والسلام ، وبنوا على هذه التخريجات الفلوكلورية عقائد رهيبة حول السلام المتولد عن الرعب ، وقيل أيضا أن «يرو» يمكن أن تكون فى اللغات السامية بمعنى «اله» ، ويكون اسم المدينة بكل بساطة «مدينة اله السلام»(٩) .

وأيا ما كان الامر ، فما أن يأتى الرومان ، وتحدث مذبحة «هدريان» (١١٧ ــ ١٣٨م) عام ١٣٥م ، حتى تكون ختاما نهائيا لليهود فى فلسطين سياسيا وسكانيا ، ثم يغير الرومان اسم المدينة الى «ايليا كابيتولينا» أو «ايليا» فقط ، ويصبح لفظ أورشليم لفظا تاريخيا ، يطلق فقط على المدينة التى كانت على عهد الملوك والانبياء من بنى اسرائيل ، وظلت المدينة تسمى «أيليا» ولا يسكنها اليهود حتى القرن السابع الميلادى، وفى العام الخامس عشر الهجرى يفتح المسلمون المدينة المقدسة ،

---

(٨) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ٨ ، قاموس الكتاب المقدس ١٣٥/١ .

(٩) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ٩ .

ويعيدون اليها اسمها «القدس» ، وان استرط أهلها ألا تسلم مدينتهم الا للخليفة الراشد عمر بن الخطاب ، رضوان الله عليه ، وأن يمنحهم الامان لدينهم وكنائسهم ، ويقبل الخليفة أن يتسلم المدينة بنفسه ، ويأتى الى القدس فى عام ١٥ هـ (أو عام ١٦هـ = ٦٣٥/٦٣٦م) ويتسلم المدينة من البطريرك «صفرنيوس» ، ويمنح أهلها النصارى الامان فى دينهم وأموالهم وأعراضهم ، لا يضار أحد منهم بسبب دينه ، ولايكره على شيء فى أمره ، ولا يسكن معهم أحد من اليهود[10] ، وبينما كان الخليفة الراشد فى كنيسة القيامة مع البطريرك أدركته الصلاة ، فطلب اليه أن يصلى بها فرفض حتى لا يتبعه المسلمون اذ يرون أن عمله سنة مستحبة ، فاذا فعلوا أخرجوا النصارى من كنيستهم وخالفوا عهد الامان ، واعتذر للسبب نفسه عن الصلاة بكنيسة قسطنطين المجاورة لكنيسة القيامة[11] ، وانما صلى فى مكان قريب من الصخرة المقدسة ، وخط المسجد الذى عرف باسمه[12] .

---

(١٠) هناك رواية أخرى تذهب الى أن الفارق عمر رفض الموافقة على استمرار القرار الرومانى بمنع اليهود من النزول بالمدينة ، معتذرا بان القرآن الكريم قد حدد لاهل الكتاب مالهم وما عليهم ، وليس فيه شيء يسمح بهذا ، ولكنه تعهد للنصارى بألا يدخل أحد من اليهود الى مقدساتهم أو يسكن فى حاراتهم (حسن ظاظا : المرجع السابق ص ٣٠) .

(١١) يقول المسعودى : أن سليمان عليه السلام بعد أن بنى المسجد الاقصى ، بنى لنفسه بيتا فى الموضع الذى يسمى فى وقتنا هذا (أى وقته هو) كنيسة القيامة ، وهى الكنيسة العظمى ببيت المقدس عند النصارى (مروج الذهب ٧٠/١) وهى الكنيسة التى بنتها «هيلانة» أم الامبراطور قسطنطين (٣٠٦ - ٣٣٧م) فى عام ٣٢٦م ، فى المكان الذى يعتقد النصارى أن جثمان المسيح عليه السلام قد دفن فيه ، ثم رفع الى السماء ،وهذا خطأ لان المسيح لم يقتل ولم يصلب ، قال تعالى : «وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وان الذين أختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما» (سورة النساء : آية ١٥٧ - ١٥٨) .

(١٢) تاريخ الطبرى ٦٠٧/٣ - ٦١٣ ، الواقدى : فتوح الشام ٣٦/٢ ، ٢٤٤ ، ٣٦٧ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٤٤ - ١٤٥، حسن ظاظا : المرجع السابق ص ٣٠ ، عبد الحميد زايد : القدس الخالدة ص ١٧٣ - ١٧٥ ، البداية والنهاية ٦٠/٧ - ٦٧ .

(٩) مبـــــانى سليمان :

لا ريب فى أنه كان للقدس نصيب الاسد فى المبانى التى شيدت فى عهد سليمان عليه السلام وطبقا لما جاء فى التوراة فقـد شيد سليمان سور المدينة وقلعتها ، وان كان بناء المسجد الاقصى وقصر سليمان انما يمثلان أعظم انجازات الملك النبى المعمارية ، وأما المسجد الاقصى فقد خصصنا له فصلا مستقلا من بعد ، وأما القصر فقد اختيرت له الهضبة الغربية ، وطبقا لرواية التوراة ، فلقد أقيم القصر على المنطقة الصخرية التى تدعى «تل موزيا»[1] ، ويذهب المسعودى ، كما أشرنا آنفا ، أنه فى مكان كنيسة القيامة[2] ، وكان القصر يتكون من عناصر ثلاثة : «بيت وعر لبنان» ، وكان يستخدم كترسانة أسلحة[3] وربما كان كمكان للمالية فى نفس الوقت[4] ، ويحتمل كذلك أنه استخدم كحوش للاسطبلات ، وأما «صالة الاعمدة» فلم يعرف الغرض الذى استخدمت من أجله،وأما «غرفة الاجتماعات الكبيرة» ، فقد استخدمت كمكان للقضاء ، فضلا عن الاحتفالات الرسمية[5] ، هذا وقد وجد الى جانب هـذا القصر الكبير من ناحية الغرب مباشرة ، قصر آخر أحيط بجدار فاصل ، وقد اتخـذ مكانا لسكنى الملك وسيدات القصر ، هذا وقد وجد أيضا ، الى الشمال مباشرة ، وفوق هضبة مرتفعة ، مبنى آخر أحيط بسور خاص ، اتخذ كمصلى ، وأمامه مذبح لحرق الاضاحى[6] .

---

(١) اخبار أيام ثان ١/٣ .
(٢) مروج الذهب ٧٠/١ .
(٣) ملوك أول ١٦/١٠ ـ ١٧ .
(٤) ملوك أول ١٧/١٠ ـ ٢٠ .
(٥) ملوك أول ١٨/١٠ ـ ٢٠ ، وكذا
O. Eissfeldt, Op. Cit., P. 596.
6) Ibid., P. 596.

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن الروايات التى وصلتنا عن مبانى سليمان انما تضعه فى مرتبة أعلى البنائين المشهورين ، ومن ثم فقد نسبت اليه مبان كثيرة فى منطقة الشرق الادنى القديم ، حتى أن بعض تلك المبانى انما كانت تقع بعيدا جدا عن منطقة نفوذه[7] ، وقد نافست المصادر العربية المصادر اليهودية فى نسبة مبان كثيرة الى سليمان[8] ، ومع ذلك ، فالذى لاشك فيه أن لسليمان انجازات معمارية كثيرة ، وقد ذكرنا من قبل تشييده لكثير من الثكنات لفصائل عجلاته الحربية ، والتى أطلقت عليها التوراة «مدن المركبات» و «مدن الفرسان» وكذا «مدن المخازن»[9] التى أقيمت للمؤن والعلف التى تحتاجها المعسكرات والمحطات التى أقيمت على الطرق التجارية ، وذلك لأن «مدن المخازن التى بناها سليمان فى حماة»[10] انما قد خدمت الهدفين،وبالتالى فربما أمكن القول أن الاماكن المحصنة التى أقيمت فى مجاورات مجدو وتدمر وحماة وأورشليم انما كانت «مدن مخازن»[11] .

هذا وقد كشف عن بعض مبان لسليمان فى حاصور[12] (تل قدح على مبعدة ٥ كيلا جنوب غرب بحيرة الحولة) وفى «عصيون جابر» اكتشف «جلوك» حصنا يرجع الى أيام سليمان ، وكذا فى «قادش برينع» ، وهى خربة القضيرات أو عين قديس ، على مبعدة ٥٠ ميلا جنوب بئر سبع[13] ، ونقرأ فى التوراة أن سليمان «بنى جازر وبيت حورن السفلى وبعلة وتدمر فى البرية»[14] ، أما «جازر» فهى المدينة

7) Ibid., P. 594.

(٨) ياقوت الحموى : معجم البلدان ١٧/٢ (بيروت ١٩٥٧) .

(٩) ملوك أول ١٩/٩ .

(١٠) أخبار أيام ثان ٤/٨ .

11) O. Eissfeldt, Op. Cit., P. 595.

(١٢) ملوك أول ١٥/٩ .

(١٣) قاموس الكتاب المقدس ٧٠٨/٢ ـ ٧٠٩ ، وكذا

O. Eissfeldt, Op. Cit., P. 595.

W. F. Albright, Recent Discoveries in Bible Land, N. Y., 1955, P. 86 F.

٥٩٥ وكذا

(١٤) ملوك أول ١٧/٩ ـ ١٨ .

الكنعانية الواقعة على مبعدة ١٨ ميلا شمال غرب أورشليم ، وقد أشرنا من قبل الى أن فرعون قد استولى عليهـا وقدمها مهـرا لابنته امرأة سليمان ، ويبدو أن سليمان قد أعاد بناء المدينة بعـد ذلك[١٥] ، وأما «بيت حورن السفلى» فتقع على مبعدة ١٢ ميلا شمال أورشليم،وتسمى حاليا «بيت عور السفلى» وهى أقدم من عصر سليمان ، ومن ثم فيبدو أن سليمان قد حصنها ولكنه لم يبنها[١٦] ، وأما «بعلة» فهى مدينـة فى منطقة «دان» لا يعرف الآن مكانها على وجـه التحقيق ، ويرجح أن سليمان حصنها ولم يبنها كذلك[١٧] .

وأما مدينة «تدمر» فهى مدينة «تمر» التى قام سليمان ببنائها فى البرية ، وقد أشارت التوراة ويوسف بن متى أن سليمان قد أقام مدينة تدمر[١٨] ، ولاشك فى أن وجهة النظر اليهودية هذه خاطئة ، ذلك لان مدينة تدمر انما ظهرت للمرة الاولى فى التاريخ على أيام الملك الاشورى «تجلات بلاسر» (١١١٦ — ١٠٩٠ ق٠م) فى صورة «تدمر أمورو»[١٩] أى قبل أن يولد النبى الكريم ، وكذا بفترة تسبق ما دون فى التوراة بشأنها بأكثر من سبعة قرون ، ومن هنا يذهب العلماء الى أن الرواية التوراتية بشأن بناء سليمان لمدينة تدمر ، اما أنهـا من نوع المبالغة ، ومن ثم فقد نسبت الى سليمان بناء مدينة تقع فى منطقـة بعيدة عن حدود دولته اسرائيل[٢٠] ، وأما أن هناك خطأ وقع فيه كاتب الحوليات العبرانى حين خلط بين «تامارا» (تمر) التى بناها سليمان فى جنوب

---

(١٥) ملوك أول ١٥/٩ ــ ١٧ ، قاموس الكتاب المقدس ٢٤٢/١ وكذا
M. F. Unger, Op. Cit., P. 401.

(١٦) ملوك أول ١٧/٩ ، قاموس الكتاب المقدس ٢٠٢/١ .

(١٧) ملوك أول ١٨/١١ ، قاموس الكتاب المقدس ٨٢/١ .

(١٨) ملوك أول ١٨/٩ ، أخبار أيام ثان ٤/٨ ، وكذا
E. Dhrome, Palmyra dans les Textes, El, III, P. 1020.
Assyriens, RB, 1924, P. 106.

19) E, 17. P. 161.
E B, 17, 488, E. Dhrome, Op. Cit., P. 106.
El, III, P. 1020.

(٢٠) فيليب حتى : المرجع السابق ص ٤٣٢ ، جواد على ٧٧/٣ ، وكذا
J. Hastings, Op. Cit., P. 889.

شرق يهوذا[٢١] ، وربما كانت الشهرة التى اكتسبتها «تدمر»[٢٢] على أيام كتبة الاسفار العبرانيين هى السبب فى نسبة بنائها الى النبى الكريم ، ومن ثم فقد ذهب هؤلاء الكتبة الى أن المدينة التى بناها سليمان هى «تدمر» وليست «ثامار» ، وسرعان ما انتقلت تلك الرواية الى المصادر العربية ، عن طريق مسلمة أهل الكتاب ، فأخذوها بغير تدقيق ولا تحقيق ، فضلا عن أن آثار المدينة ربما أدهشتهم ومن ثم فقد نسبوا بناءها الى الجن ، بأمر من سليمان عليه السلام[٢٣] ٠

هذا وقد ناقش الاستاذ «ايسفلت» الموضوع عام ١٩٧٥ م بشىء من التفصيل ، وخلص الى أن «تدمر» المشار اليها فى التوراة انما هى «تمر» ، وتقع بالقرب من «عين الرس» ، على مبعدة ٥ كيلا الى جنوب النهاية الجنوبية للبحر الميت ، وليست تدمر التى تقع على مبعدة ١٥٠ كيلا شمال شرق دمشق ، فى منتصف المسافة بين دمشق والفرات وعلى أى حال ، فان بناء «تمر» انما كان جزءا من مشروع أكبر لخدمة الاغراض التجارية التى كانت دولة سليمان ميدانا لها[٢٤] ٠

---

(٢١) حزقيال ١٩/٤٧ ، قاموس الكتاب المقدس ٢٨٢/١ ٠

(٢٢) عن «تدمر» أنظر (محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم ـ الرياض ١٩٧٧ ص ٥٣٣ ـ ٥٤١ ٠

(٢٣) فيليب حتى : المرجع السابق ص ٤٣٢ ، جواد على ٧٨/٣ ، الالوسى : بلوغ الارب ٢٠٩/١ ـ ٢١٠ ، ياقوت ١٧/٢ ـ ١٩ ، البكرى ٣٠٦/١ ـ ٣٠٧ ، ثم قارن المسعودى ٢٤٤/٢ ـ ٢٤٥ (بيروت ١٩٧٣) ٠

(٢٤) ملوك أول ١/٣ ، ١٥/٩ ، وكذا

O. Eissfeldt, Op. Cit., P. 592-593.

EB, 17, P. 161.

(١٠) بنـــاء المسجـد الاقصى :

المسجـد الاقصى أو بيت المقدس ، موطن العـديد من الانبيـاء والمرسلين ، ابتـداء من أبيهم ابراهيم وحتى عيسى ابن مريم عليهم السلام ، وثانى مسجد وضع فى الارض بعد الكعبة البيت الحرام[١] وأولى القبلتين[٢] وثالث الحرمين[٣] ، ومسرى النبى الاعظم سـيدنا ومولانا محمد رسول الله ﷺ ، وصـدق الله العظيم حيث يقـول : «سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله»[٤] ، وليس هناك من شك فى أن هذا الاسراء أو هذه الرحلة المباركة من المسجد الحرام فى مكة المكرمة الى المسجد الاقصى فى القدس الشريف انما هى رحلة مختارة من اللطيف الخبير ، تربط بين عقائد التوحيد الكبرى من لدن ابراهيم واسماعيل عليهما السلام الى محمد ﷺ رسول الله وخاتم النبيين ، وتربط بين الاماكن المقدسة لديانات التوحيد جميعا ، وكأنـما أريد بهذه الرحـلة المباركة اعلان وراثة النبى الخاتم محمد ﷺ لمقدسات الرسل قبله ، واشتمال رسالته على هذه المقدسات ، وارتباط رسالته بها جميعا ، ولهذا فقد جمعوا له هناك كلهم فأمهم فى محلتهم ودارهم ، فدل على أنه هو الامام الاعظم،

---

(١) صحيح البخارى ١٧٧/٤ ، صحيح مسلم ٣٧٠/١ ، ١٥٣/٢ ــ ١٥٤ ، مسند الامام أحمد ١٥٠/٥ ، ١٦٧ ، تفسير القرطبى ص ١٣٧٩ ، تفسير المنار ٦/٤ ــ ٧ .

(٢) انظر : سورة البقرة : آية ١٤٢ ــ ١٤٤ ، صحيح البخارى ٢٥/٦ ــ ٢٧ ، صحيح مسلم ١٦٠/٢ ــ ١٦٢ ، مسند الامام أحمد ٢٤٦/٥ــ٢٤٧ ، مجمع الزوائد للهيثمى ١٣/٢ .

(٣) انظر : صحيح مسلم ٥٤١/١ (القاهـرة ١٩٧١) ، الزركشى : اعلام الساجد بأحكام المساجد ص ٢٨٧ .

(٤) سورة الاسراء : آية ، وانظر : تفسـير القرطبى ص ٣٨١٩ ــ ٣٨٢٨ ، تفسير ابن كثـير ٥/٣ ــ ٤١ ، فتح البـارى ١٥٩/٧ ــ ١٧٣ ، صحيح البخارى ٦٦/٥ ــ ١٤٠/٦٩ .

والرئيس المقدم ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ومن ثم فقد كانت رحلة الاسراء ترمز الى أبعد من حدود الزمان والمكان ، وتشمل آمادا وآفاقا أوسع من الزمان والمكان ، تتضمن معانى أكبر من المعانى القريبة التى تتكشف عنها النظرة الاولى[٥] .

أخرج الامام أحمد وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم والنسائى (واللفظ له) بأسانيدهم عن عبد الله بن فيروز الديلمى عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ أنه قال : ان سليمان بن داود عليهما السلام ، لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل خلالا ثلاثة ، سأل الله عز وجل حكما يصادف حكمه فأوتيته ، وسأل الله ملكا لا ينبغى لأحد من بعده فأوتيه ، وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه الا الصلاة فيه ، أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه»[٦] .

وروى البخارى ومسلم عن أبى ذر قال : قلت يا رسول الله أى مسجد وضع فى الارض أول ، قال المسجد الحرام ، قلت ثم أى ، قال المسجد الاقصى ، قلت كم كان بينهما ، قال أربعون سنة ، ثم أينما أدركتك الصلاة بعده ، فان الفضل فيه»[٧] ، وفى رواية عن أبى ذر أيضا قال : قلت يا رسول الله أى مسجد وضع فى الأرض أول ، قال المسجد الحرام ثم قلت أى ، فقال المسجد الاقصى ، قلت كم بينهما ، قال أربعون سنة ، وأينما أدركتك الصلاة فصل فهو مسجد»[٨] . هذا وقد أثار هذان الحديثان الشريفان جدلا بين العلماء ، على أساس أن

---

(٥) فى ظلال القرآن ٢٢١٢/٤ ، تفسير ابن كثير ٥/٣ .
(٦) سنن النسائى ٤٣/٢ ، سنن ابن ماجه ٤٥١/١ ، انظر : جامع الاصول جـ٩ حديث ٦٣٠٧ ، صحيح الجامع الصغير : حديث ٢٠٨٦ ، البداية والنهاية ٢٦/٢ ، تفسير ابن كثير ٥٨/٤ .
(٧) صحيح البخارى ١٧٧/٤ ، صحيح مسلم ٣٧٠/١ .
(٨) صحيح مسلم ١٥٣/٢ ـ ١٥٤ (القاهرة ١٩٧١) ، مسند الامام أحمد ١٥٠/٥ ، ١٦٧ ، تفسير الطبرى ٢٢/٧ ، تفسير ابن كثير ٦٣/٢ ، تفسير القرطبى ص ١٣٧٩ ، تفسير المنار ٦/٤ ـ ٧ .

ابراهيم عليه السلام هو بانى البيت الحرام ، وأن سليمان عليه السلام هو بانى المسجد الاقصى ، وبينهما ما يقرب من ألف عام[٩] ، ومن ثم فقد ذهب أبو جعفر الطحاوى بأن الوضع غير البناء ، والسؤال عن مدة ما بين وضعهما ، لا عن مـدة ما بين بنائهما ، فيحتمل أن يكون واضع المسجد الاقصى بعض الانبيـاء قبل داود وسليمان ، ثم بنيـاه بعد ذلك[١٠] ، ولعل قريبا من هذا ما ذهب اليه ابن الجوزى والقرطبى بأنه ليس المراد أن ابراهيم عليه السـلام هـو الذى أسس بنـاء الكعبة المشرفة[١١] ، ولا أن سليمان عليه السلام بنى بناء بيت المقدس ، وأنما هما جددا ما كان قد أسسه غيرهما[١٢] ، كما ذهب برهان الدين الزركشى الى أن سليمان عليه السلام ، انما كان له من المسجد الاقصى تجديده لا تأسيسه[١٣] على أن الاستاذ رشيد رضا يذهب الى أن هذا التفسير ضعيف لانه سماه بيتا ، ولو جعل المكان مسجدا ولم يبن فيه لـما سمى بيتا ، بل مسجد أو قبلة ، ثم ان ذلك مبنى على القول بأن ابراهيم هو الذى بنى أول مسجد للعبـادة فى أرض بيت المقدس ، وذلك معقول ، وان لم يكن عندنا نص صريح[١٤] .

---

(٩) الواقع أن الفترة بين وفاة ابراهيم وولادة سليمان عليهما اسلام ، لا تصل أبدا الى ألف عـام ، فابراهيم عاش فى الفتـرة (١٩٤٠ ــ ١٧٦٥ ق.م) وسليمان عاش فى الفترة (٩٧٣ ــ ٩٢٢ ق.م) .

(١٠) صحيح مسلم ١٥٣/٢ (هامش/٢) .

(١١) الرأى عندى أن الكعبة المشرفة ترجـع فى بنائها الى ابراهيم وولده اسماعيل عليهما السلام ، دون غيرهما من العالمين ويرى ابن كثير وغيره من العلماء أنه لم يجىء فى خبر صحيح عن المعصوم ﷺ أن البيت كان مبنيا قبل الخليل عليه السلام ، ومن تمسك فى هذا بقوله مكان البيت فليس بناهض ولا ظاهر ، لان المراد مكانه المقدر فى علم الله المقـرر فى قدرته ، المعظم عند الانبياء موضعه من لدن آدم الى زمن ابراهيم (ابن كثير : البداية والنهاية ١٦٣/١ ، ٢٩٨/٢ ، تفسير المنار ٤٦٦/١ ــ ٤٦٧ ، الكشاف ٤٤٦/١ ، تفسير الطبرى ٧٠/٣ ، محمد بيومى مهران : دراسات تاريخية فى القرآن الكريم ١٨٣/١ ــ ١٨٥ .

(١٢) فتح البارى ٤٠٨/٦ ، تفسير القرطبى ١٣٨/٤ .

(١٣) الزركشى : اعلام الساجد بأحكام المساجد ص ٣٠ .

(١٤) تفسير المنار ٧/٤ (القاهرة ١٩٧٣) .

هذا ويذهب ابن قيم الجوزية الى أن الذى أسس بيت المقدس انما هو يعقوب عليه السلام ، وأن سليمان كان مجددا له ، والى هذا ذهب ابن كثير أيضا ، حيث يقول : وعند أهل الكتاب أن يعقوب عليه السلام هو الذى أسس المسجد الاقصى[15] ، وهو مسجد ايليا بيت المقدس شرفه الله ، وهذا متجه ويشهد له ما ذكرناه من الحديث (يعنى حديث أبى ذر المشهور) فعلى هذا يكون بناء يعقوب ، وهو اسرائيل عليه السلام ، بعد بناء الخليل وابنه اسماعيل المسجد الحرام بأربعين سنة سواء[16] كما ذهب الى نفس الرأى الزركشى فى اعلام الساجد[17] ، والحميرى فى الروض المعطار[18] ، وأخيرا فلقد ربط البعض بناء المسجد الاقصى ، كما ربطوا بناء المسجد الحرام من قبل ، بالملائكة ، وربطه آخرون بآدم عليه السلام ، بل ان فريقا رابعا ربطه بسام بن نوح عليه السلام[19] ، وجاء فى تفسير القرطبى أن آدم هو الذى بنى المسجد الاقصى ، بعد بنائه للبيت العتيق بأربعين عاما ، وأن يعقوب قد أقام قواعده وجدده فقط ، بعد أن رفع جده ابراهيم عليه السلام

---

(١٥) يذهب أهل الكتاب ، كما جاء فى العهد القديم ، الى أن داود عليه السلام ، كان أول من فكر فى بناء المسجد الاقصى ، بل وقد اشترى مكانه من رجل يبوسى يدعى «أرنان» (أرونا أو أرونة) كان قد اتخذه جرنا أو بيدر ، وكان قد عرض على داود أن يأخذ المكان بلا مقابل ، فرفض داود واشتراه منه ، وكذا بقرا ليقدمه محرقة للرب ، بخمسين شاقلا من الفضة ، وتذهب الرواية الى داود قد منع من بناء البيت ، لان ذلك سيكون من نصيب ولده سليمان ، ولكنها قد سجلت معاونة داود الفعالة لولده سليمان فى اقامة البيت ، وذلك بتجهيز المواد اللازمة للبناء ، فضلا عن كميات من الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها (صموئيل ثان ٢٤/١٦ ــ ٢٥ ، أخبار أيام ثان ٢٢/١ ــ ١٩ ، محمد بيومى مهران: اسرائيل ٨٤٣/٢ ــ ٨٤٤ ، تاريخ ابن خلدون ١١١/٢ ــ ١١٢) ثم قارن : تفسير ابن كثير ٥٨/٤ (ط بيروت ١٩٨٦) .

(١٦) ابن كثير : البداية والنهاية ١٦٣/١ ، ٢٩٨/٢ .

(١٧) الزركشى : المرجع السابق ص ٣٠ .

(١٨) الحميرى : الروض المعطار فى خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٧٥ ص ٥٥٦ .

(١٩) مجير الدين الحنبلى : الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل النجف ١٣٨٨ هـ ، الجزء الاول ص ٨ ، فتح البارى ٤٠٩/٦ ، الزركشى : المرجع السابق ص ٣٠ .

القواعد من البيت العتيق[٢٠] .

ويذهب الدكتور عويد المطرفى الى أن أقرب الروايات الى المعقول أن الذى بنى المسجد الاقصى تأسيسا ، انما هو سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام ، بعد فراغه من بناء الكعبة المشرفة ، ورجوعه الى مستقرة بالشام[٢١] ، كما استظهر ذلك أبو حيان فى تفسيره لقوله تعالى : «ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين»[٢٢]، من أن ابراهيم عليه السلام ، كما وضع الكعبة ، وضع بيت المقدس[٢٣] .

وفى الواقع فان كثيرا من المفسرين والمؤرخين انما يذهبون الى أن سليمان عليه السلام هو الذى بنى بيت المقدس ، ففى تفسير أبى السعود أن سليمان لما أتم بناء بيت المقدس تجهز للحج ، وهناك فى مكة كان يذبح كل يوم طول مقامه خمسة آلاف ناقة ، وخمسة آلاف بقرة ، وعشرين ألف شاه[٢٤] ، ويقول الحافظ السهيلى : وبيت المقدس بناه سليمان عليه السلام ، وكان داود عليه السلام قد ابتدأ مبناه فأكمله ابنه سليمان عليه السلام ، واسمه ايلياء ، وتفسيره فى العربية : بيت الله[٢٥] ، ذكره البكرى ، وفى الصحيح أنه وضع للناس بعد البيت الحرام بأربعين سنة ، وهذا يدل على أنه قد كان بنى أيضا فى زمن اسحاق ويعقوب عليهما السلام ، ولكن بنيانه على التمام وكمال الهيئة كان على عهد سليمان عليه السلام[٢٦] ، ويقول الطبرى فى التاريخ : وأصاب بنى اسرائيل فى زمان داود طاعون جارف ، فخرج بهم الى موضع بيت المقدس يدعون الله ويسألونه كشف ذلك البلاء عنهم ،

---

(٢٠) تفسير القرطبى ١٣٨/٤ ، فتح البارى ٤٠٨/٦ ــ ٤٠٩ .
(٢١) عويد المطرفى : المرجع السابق ص ١٤٩ .
(٢٢) سورة آل عمران : آية ٩٦ .
(٢٣) تفسير البحر المحيط ٣/٣ .
(٢٤) تفسير أبى السعود ٢٧٨/٦ ، وانظر تاريخ ابن خلدون ١١٣/٢
(٢٥) قارن : (محمد بيومى مهران : اسرائيل الجزء الثانى ص ١١٥٥ ــ ١١٥٨ ، الاسكندرية ١٩٧٩) .
(٢٦) مختصر تفسير ابن كثير ٣٥٤/٢ ، هامش ١/ .

فاستجيب لهم ، فاتخذوا ذلك الموضع مسجدا ، وكان ذلك فيما قيل ، لاحدى عشرة سنة مضت من ملكه،وتوفى قبل أن يستتم بناءه،فأوصى الى سليمان باستتمامه ، وقتل القـائد الذى قتل أخاه (يعنى يوآب الذى قتل أبشالوم كما ذكرنا من قبل) فلما دفنه سليمان نفذ لامره فى القائد وقتله واستتم بناء المسجد ، ثم يتحدث الامام الطبرى بعد ذلك عـن التعداد الذى قام به داود فى بنى اسرائيل ، والبلايا التى حاقت بالقوم بسببه ، كما أشرنا من قبل ، وأن داود استغفر ربه وطلب العفو عن بنى اسرائيل ، فاستجاب اللـه لهم ورفع عنهم الموت ، فـرأى داود الملائكة سالين سيوفهم يغمدونها ، يرتقون فىسلم من ذهب عنالصخرة الى السماء ، فقال داود : هذا مكان ينبغى أن يبنى فيه مسجد ، فأراد داود أن يأخذ فى بنائه ، فأوحى الله اليه أن هذا بيت مقدس ، وأنك قد صبغت يديك فى الدمـاء ، فلست ببانية ، ولكن ابن لك أملكه بعدك أسميه سليمان أسلمه من الدماء ، فلما ملك سليمان بناه وشرفه[٢٧] : ويتفق ابن الاثير فى روايته مع الطبرى تماما[٢٨] .

ويقول المسعودى : وابتدأ سليمان ببنيـان بيت المقدس ، وهو المسجد الاقصى ، الذى بارك الله عز وجل حوله[٢٩] ، ويقول اليعقوبى، وابتدأ سليمان فى بيت المقدس وقال : ان الله أمـر بى داود أن يبنى بيتا وأن داود شغل بالحروب ، فأوحى الله اليه أن ابنك سليمان يبنى البيت باسمى ، فأرسل سليمان فى حمل خشب الصنوبر وخشب السرو ، ثم بنى بيت المقدس بالحجارة ، فأحكمه ولبسه الخشب من الداخل ، وجعل الخشب منقوشا ، وجعل له هيكلا مذهبا ، وفيه آلة الذهب ثم أصعد تابوت السكينة فجعلـه فى الهيكل ، وكان فى التابـوت اللوحان اللذان وضعهما موسى[٣٠] ، ويقول ابن خلدون : ولأربع سنين من ملكه

---

(٢٧) تاريخ الطبرى ٤٨٤/١ ـ ٤٨٥ ، ثم قارن : صموئيل ثان ١/٧ ـ ١٧ ، ١٦/٢٤ـ٢٤ .
(٢٨) الكامل لابن الاثير ١٢٧/١ ـ ١٢٨ .
(٢٩) مروج الذهب للمسعودى ٧٠/١ ، وانظر ٦٩/١ .
(٣٠) تاريخ اليعقوبى ٥٨/١ .

(أى سليمان) شرع فى بناء بيت المقدس بعهد أبيه اليه بذلك ، وقد تم بناء الهيكل فى سبع سنين(٣١) .

هذا وقد أشرنا من قبل الى الحديث الشريف الذى يقول فيه سيدنا رسول الله ﷺ : «ان سليمان عليه الصلاة والسلام لما بنى بيت المقدس سأل ربه عز وجل خلا لا ثلاثا ، سأل الله عز وجل حكما يصادف حكمه فأوتيه ، وسأل الله عز وجل ملكا لا ينبغى لأحد من بعده فأوتيه ، وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه الا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه»(٣٢) ، وعن رافع بن عمير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله عز وجل لداود عليه الصلاة والسلام ابن لى بيتا فى الارض ، فبنى داود بيتا لنفسه قبل البيت الذى أمر به فأوحى الله اليه يا داود نصبت بيتك قبل بيتى ، قال يا رب هكذا قضيت من ملك استأثر ، ثم أأخذ فى بناء المسجد فلما تم السور سقط ثلاثا فشكا ذلك الى الله عز وجل ، فقال يا داود انك لا تصلح أن تبنى لى بيتا قال ولم يا رب ، قال لما جرى على يديك من الدماء ، قال يا رب أو ما كان ذلك فى هواك ومحبتك ، قال بلى ولكنهم عبادى وأنا أرحمهم ، فشق ذلك عليه فأوحى الله اليه لا تحزن فانى ساقضى بناءه على يدى ابنك سليمان ، فلما مات داود أخذ سليمان فى بنائه ، ولما تم قرب القرابين وذبح الذبائح وجمع بنى اسرائيل ، فأوحى الله اليه قد أرى سرورك ببنيان بيتى ، فسلنى أعطك ، قال أسألك ثلاث خصال ، حكما يصادف حكمك ، وملكا لا ينبغى لأحد من بعدى ، ومن أتى هذا البيت لا يريد الا الصلاة فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، قال رسول الله ﷺ : أما الثنتان فقد أعطيهما ، وأنا أرجو أن يكون قد أعطى الثالثة»(٣٣) .

---

(٣١) تاريخ ابن خلدون ١١١/٢ ـ ١١٣ ، ثم قارن ملوك أول ١/٦ ـ ٢٥/٩ .

(٣٢) سنن النسائى ٤٣/٢ ، سنن ابن ماجه ٤٥١/١ ، تفسير ابن كثير ٥٨/٤ .

(٣٣) تفسير ابن كثير ٥٨/١ (ط بيروت ١٩٨٦) .

وانطلاقا من كل هذا ، فاننى أميل ، حدسا عن غير يقين ، الى أن ابراهيم عليه السلام ، هو الذى وضع الاسس للمسجد الاقصى ، على أساس أن رواية مسلم انما تتحدث عن أول مسجد ، وليس أول بيت ، وهى العقبة التى احتج بها صاحب تفسير المنار ، وعلى أساس ما جاء فى الاحاديث الشريفة من أن سليمان هو الذى بنى بيت المقدس ، وعلى أساس ما ذهب اليه جمع كبير من المؤرخين من أن سليمان قد بنى المسجد الاقصى بعهد أبيه اليه بذلك ، وعلى أساس أن ابراهيم عليه السلام ، طبقا لرواية العهد القديم(٣٤) ، انما قد زار القدس ، وأنه قد أقام المحاريب لله فى فلسطين ، وخاصة فى شكيم وبيت ايل وبلوطات ممرا ، ومن ثم فليس هناك ما يمنع من أن يكون أبو الانبياء قد فعل الشىء نفسه فى القدس ، هذا فضلا عن أنه اذا ما كان صحيحا ما ذهبنا اليه فى هذه الدراسة وغيرها من أن ابراهيم عليه السلام كان يعيش فى الفترة (١٩٤٠ — ١٧٦٥ ق٠م) وأنه قد بنى الكعبة البيت الحرام حوالى عام ١٨٢٤ قبل الميلاد(٣٥) ، ومن ثم فان بناءه أو وضعه لأسس المسجد الاقصى بعد ذلك بأربعين عاما ، أى حوالى عام ١٧٨٤ قبل الميلاد ، يكون أمرا مقبولا ، وأن ذلك قد تم قبل أن يولد حفيده يعقوب عليه السلام بأربع سنوات ذلك لانه طبقا لما جاء فى هذه الدراسة ، وكما أشار العهد القديم(٣٦) ، فان الخليل عليه السلام قد رزق بولده اسحاق عليه السلام ، وقد أكمل المائة من عمره (بعد أن رزق باسماعيل وهو فى السادسة والثمانين من عمره) وقد عاش اسحاق ١٨٠ عاما ، ومن ثم فهو كان يعيش فى الفترة (١٨٤٠ — ١٦٦٠ ق٠م) ، وأن يعقوب كان يعيش فى الفترة (١٧٨٠ — ١٦٣٣ ق٠م) على أساس أنه ولد لابيه اسحاق ، وهو فى الستين من عمره ، وأنه عاش ١٤٧ سنة ، وأن بنى اسرائيل قد دخلوا مصر حوالى عام ١٦٥٠ قبل الميلاد ، حين

---

(٣٤) تكوين ١٢/٦ ، ٩ ، ١٤/١٩ — ٢٠ ٠

(٣٥) انظر عن بناء الكعبة المشرفة (محمد بيومى مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم ١/١٨٣ — ١٩٧) ٠

(٣٦) تكوين ١٧/١٧ ، ٢٥/٢٦ ، ٣٥/٢٨ ، ٤٧ /٩ ، ٢٨ ٠

كان يعقوب فى الثلاثين بعد المائة من عمره[٣٧] ، وأما سليمان فهو الذى بدأ بناء المسجد الاقصى ، الذى وضع ابراهيم أسسه ، فى عام حكمه الرابع ، حوالى عام ٩٥٧ قبل الميلاد[٣٨] .

ولعل من الأهمية بمكان الاشارة هنا بايجاز الى رواية العهد القديم عن بناء المسجد الاقصى ، والذى تدعوه بيب الرب ، حيث تذهب الى أن مكان البيت انما كان على جبل المريا فى بيدر أرونة اليبوسى ، فاشتراه منه داود ومعه بقر للقرابين بخمسين شاقلا من الفضة[٣٩] ، هذا وتشير الرواية بوضوح الى أن داود عليه السلام انما كان أول من فكـر فى اقامة بيت للرب ، الا أن فكـرته هذه لم تجد قبولا حسنـا من رب اسرائيل ، الذى كان يدخر هذا العمل لولده سليمان [٤٠] ، ومع ذلك فان داود عليه السلام ، قبل أن ينتقل الى جوار ربه ، راضيا مرضيا عنه ، أراد أن يسجل معاونته الفعالة لولده سليمان فى اقامة بيت الرب ، فأخذ يجهز المواد اللازمة للبناء ، وكان القـوم فى عصره ما يزالون فى بداوة بدائية ، يندر فيهم من يعرف أصول حرفة أو صناعة أو علم من علوم الدنيا ، وسنرى أن الاعتمـاد على الفينيقيين كان الحل الوحيد الممكن أمام داود وسليمان حتى يرتفع هيكل الرب ، ونقرأ فى التوراة أن داود قد «أمر بجميع الاجانب الذين فى أرض سرائيل فاتخذ نحاتين

---

(٣٧) انظر : محمد بيومى مهران : اسرائيل ١/٨٠ ـ ٨٢ ، دراسات تاريخية من القرآن الكريم ١/١٩٤ ـ ١٩٥ .

(٣٨) انظر : محمد بيومى مهران : اسرائيل ٢/٨٤٠ ـ ٨٦٠ .

(٣٩) من عجب أن بعض الروايات العربية التى تنسب الى أبى بن كعب تذهب الى أن صاحب المكان غلام اسرائيلى ، وليس يبوسيا كنعانيا ، وأن داود أراد أن يغتصبه منه ، فنهـاه ربـه عن ذلك ، ومن ثم فقـد أشتراه بتسعة قناطير مـن الذهب (السمهودى : وفاء الوفا بأخبـار دار المصطفى ١/٣٤٣ ط القاهرة ١٣٢٠ هـ) والثمن جهـد مغالا فيه ، بل ان رواية التوراة جعلت ثمنه هو والبقر ، خمسين شاقلا من الفضة صموئيل ثان ٢٤/٢٤) .

(٤٠) صموئيل ثان ٧/١ ـ ١٧ ، ٢٤/٢٦ ـ ٢٤ ، ملوك جول ٢/٢ ، وانخر : تفسير ابن كثـير ١/٥٨ ، تـاريخ اليعقوبى ١/٥٨ ، تاريخ ابن خلدون ١/١١١ ، ابن الاثير ١/١٢٧ ـ ٢٢٨ .

لنحت حجارة مربعة لبناء بيت الله ، وهيأ داود حديدا كثيرا للمسامير لمصاريع الابواب والاوصال ، ونحاسا كثيرا بلا وزن ، وخشب أرز لم يحدد له عدد» ، هذا فضلا عن كميات كبيرة من الذهب والفضة والنحاس والحديد والخشب[41] .

وهكذا ، وفى ربيع السنة الرابعة من عهد سليمان (حوالى عام ٩٥٧ ق٠م) وضع الحجر الأساسى لبناء بيت المقدس الذى استمر العمل فيه قائما على قدم وساق سبعة أعوام ، ثم واصل مهرة الصناع والفعلة العمل ثلاثة عشر عاما بعد ذلك ليشيدوا صرحا أكبر يسكن فيه سليمان ونساؤه[42] .

هذا ولم يقدم لنا موقع المعبد أى دليل يمكن الاعتماد عليه لتحقيق تصميمه ، ومن هنا فان أية محاولة فى هذه المجال لا تزيد عن كونها مجرد اجتهاد[43] ، غير أن المعلومات التى يوفرها سفر حزقيال (٤٠ — ٤٤) للمعبد الجديد ، ربما تجعل من الامكان استعادة تخطيطه ، كما يمكن قول شيء عن شكله الخارجى وتنظيمه الداخلى[44] ، ومن ناحية أخرى فان المعلومات التى جاءت فى سفر الملوك الاول (١/٦ — ٣٨) انما تشير بوضوح الى التأثير المصرى والعراقى ، رغم الاشادة المستمرة بالمساعدة الفينيقية وبضخامة الانفاق[45] .

ونقرأ فى التوراة أن سليمان عليه السلام ، انما أقام حفلا كبيرا بمناسبة الانتهاء من بناء المسجد الاقصى ، دعا اليه شيوخ اسرائيل وكل رؤوس الاسباط «لاصعاد تابوت عهد الرب من مدينة داود ، وأن

---

(٤١) أخبار أيام أول ٢/٢٢ — ١٦ ، أخبار أيام ثان ١٧/٢ — ١٨ .
(٤٢) ملوك أول ١/٦ — ٢ ، ٣٧ — ٣٨ ، ٢/٧ ، وانظر : تاريخ ابن خلدون ١١٢/٢ — ١١٣ .
43) J. L. Myres, Reconstructing Solomon's Temple and other Buldings and works of Art, PEQ, 80, 1948, P. 14 F .
P. L. Garlier, Reconstructing Solomon's Temple, BA, 1951, P. 2 F.
44) O. Eissfeldt, Op. Cit., P. 598.
(٤٥) أندريه ايمار وجانين أو بوايه : المرجع السابق ص ٢٦٧ .

الجميع ، وعلى رأسهم سليمان ، قد اجتمعوا أمام التابوت «يذبحون من الغنم والبقر ما لا يحصى ولا يعد من الكثرة ، وأدخل الكهنة تابوت عهد الرب الى مكانه فى محراب البيت ، فى قدس الاقداس ، وهنا ملأ الغمام بيت الرب ، حتى أن الكهنة ، ما كانوا بقادرين على أداء الطقوس الدينية ، ويعلن سليمان أن الرب انما يسكن فى الضباب[٤٦] ، ونقرأ فى سفر الملوك الاول (٢٢/٨ — ٥٣) دعوات سليمان الحارة الى الله تعالى ، ثم ينهض من أمام المذبح ، ويداه مبسوطتان الى السمـــاء ، ليعلن أمام خراف بيت اسرائيل الضالة «ليعلم كل شعوب الارض أن الرب هو الله ، وليس آخر ، فليكن قلبكم كاملا لدى الرب الهنا ، اذ تسيرون فى فرائضه ، وتحفظون وصاياه»[٤٧] ، ثم يشكر الرب على أنعمه التى أسبغها عليه وعلى بيت أبيه من قبل ، سائلا اياه سبحانه وتعالى أن يجيب دعوات بنى اسرائيل حين يدعونه فى هذا البيت ، وأن يغفر لهم خطاياهم[٤٨] ، ثم تنتهى الاحتفالات بتقديم الذبائح لرب اسرائيل ، والتى بلغت عددا كبيرا جدا ، وصل الى «اثنين وعشرين ألفا من البقر ، ومن الغنم مئة ألف وعشرين ألف ، فدشن الملك وجميـــع بنى اسرائيل بيت الرب»[٤٩] .

وعلى أية حال ، فان المسجد الذى بناه سليمان انما قد دمر تماما أثناء غزو «نبوخذ نصر» للقدس عام ٥٨٦ ق٠م ونهب الغزاة القدس وأشعلوا فيها النيران وأحرقوا القصر الملكى والمسجد ، وهكذا ضاع كل أثر للمسجد ، ومعه البقية الباقية من التابوت الذى كفت الروايات عن ذكره بعد نقله لمعبد سليمان[٥٠] ، ولم يستطع القوم اعادة البناء الا

---

(٤٦) ملوك أول ١/٨ ـ ١٣ .
(٤٧) ملوك أول ٦٠/٨ ـ ٦١ .
(٤٨) ملوك أول ٢٥/٨ ـ ٣٤ .
(٤٩) ملوك أول ٦٢/٨ ـ ٦٥ ، وانظر : تاريخ ابن خلدون ١١٣/٢ .
(٥٠) محمد بيومى مهران ، اسرائيل ٩٩٧/٢ ـ ١٠٠٤ ، وكذا
K. M. Kenyon, Archaeology in the Haly Land, P. 291.
M. Noth, The History of Israel, London, 1965, P. 287.

عام ٥١٥ ق٠م ، على أيام الملك الفارسى «دارا الاول»(٥١) ، ثم دمر المعبد الثانى هذا عام ٧٠م على يد القائد الرومانى تيتوس ، وأضرمت النيران فى المدينة ، وهدم المعبد وضـاعت آثاره تماما ، حتى أن الناس قد نسوا فيما بعد ، اذا كان هذا المعبد على التل الشرقى أو الغربى من المدينة المقدسة(٥٢) .

وفى عام ١٣٥م استولى الروم على القدس ، ثم أمر الامبراطور «هدريان» (١١٧ — ١٣٨ م) بتدمير المدينة تماما وبنى فوقهـا مدينة جديدة باسم «ايليا كابيتولينا» (Aelit Capitolina) وأبدل المعبد القديم بمعبد الرومان بمذبحة نهائية ختمت مصير اليهود فى فلسطين ، كدولة وكقومية ، وانتهت بذلك علاقة اليهود بفلسطين سياسيا وسكانيا ودينيـــا(٥٣) .

---

(٥١) محمد بيومى مهران : اسرائيل ١٠٣٦/٢ ـ ١٠٤٩ ، وكذا : عزرا ٧/٣ ، ١٥/٦ ، قاموس الكتاب المقدس ١٠١٤/٢ ، وكذا
C. Roth, A Short History of the Jewish People, London, 1969, P. 54-55.
M. Noth, Op. Cit., P. 314.
S. A. Cook, Op. Cit., P. 409.

(٥٢) محمد بيومى مهران : اسرائيل ١١٥٠/٢ ـ ١١٥٥ ، وكذا
C. Roth, Op. Cit., 103-107.
W. Keller, the Bible as History, 1967, P. 388.

(٥٣) محمد بيومى مهران : اسرائيل ١١٥٥/٢ ـ ١١٥٨ ، وكذا
H. Strathmann, PJB, 23, 1927, P. 92 F.
M. Noth, Op. Cit., P. 453-454.
A. Schulten, ZDPV, 56, 1933, P. 180 F.

(١١) سليمان وملكة سبأ

جاءت قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ فى التوراة[١] والانجيل[٢] والقرآن العظيم[٣] ، وان اختلفت الكتب الثلاثة فى سردها للقصة تبعا للهدف من القصة لكل منها ، غير أنها جميعا لم تذكر اسم ملكة سبأ ، أو الارض التى كانت تقيم فيها ، الا اذا كان المراد بكلمة سبأ هنا تلك الدولة التى قامت فى الركن الجنوبى الغربى من شبه الجزيرة العربية[٤] • ومن عجب أن يذهب بعض النقاد ممن تعرضوا لقصص التوراة بالنقد ، الى أن قصة زيارة ملكة سبأ لسليمان عليه السلام ، انما هى اسطورة من الاساطير دونها كتبة التوراة لبيان عظمة سليمان وحكمته[٥] ، ولو تريث هؤلاء البعض من النقاد بعض الشىء ، لما وقعوا فى هذا المنزلق الخطير ، وربما خيل لهؤلاء المتحذلقين من أدعياء التاريخ الذين يجمعون التمحيص كله فى الانكار ، أنه خبر يسهل انكاره بغير حجة ، وكأن المنكر لا يطالب بحجة ، ولا يعاب على النفى الجزاف ، والحق أن انكارنا لأمر تجمع عليه التوراة والانجيل والقرآن العظيم ، لا يتفق ومنهج البحث العلمى ، فضلا عن تعارضه مع ايماننا بما جاء فى كتب السماء باجماع ، أضف الى ذلك انه ليس فى زيارة ملكة سبأ لسليمان عليه السلام أمرا مستحيلا ، أو تصرفا شاذا يستوجب الاستنكار ، كما يجنح الى ذلك بعض الباحثين[٦] ، وخاصة اذا كان

---

(١) ملوك أول ١/١٠ ــ ١٣ ، أخبار أيام ثان ١/٩ ــ ٩ •
(٢) انجيل متى ٤٢/١٢ •
(٣) سورة النمل : آية ٢٠ ــ ٤٤ •
(٤) قدم المؤلف دراسة مفصلة عن تاريخ دولة سبأ فى أدوارها الاربعة (محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم ــ الرياض ١٩٧٧ ص ٢٦١ ــ ٣٦٨) •
5) J. Hastings, A Dictionary of the Bible, Edinburg, 1963, P. 843.
(٦) محمد عزة دروزة : تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم ــ بيروت ١٩٦٩ ص ١٦٢ ــ ١٦٣ •

هؤلاء الباحثون لهم دراية بقصص القرآن ٠

على أن هناك فريقا آخـر من الباحثين انما يذهب الى أن هـذه القصة لا يمكن فهمها جيدا ، الا اذا قدرنـا أن السبئيين انمـا كانوا يقطنون فى شمال بلاد العرب[٧] ، ولعل أصحاب هذا الرأى ممن يذهبون الى أن السبئيين انما ترجع أصولهم الاولى الى شمال بلاد العرب ، فى بلاد الجوف أو قريبا منها ، وليس فى جنوبها[٨] ، وأن دولتهم الحقيقية لم تبدأ فى جنوب بلاد العرب ، الا حوالى عام ٨٠٠ قبل الميلاد[٩] ، أى بعد هذه الاحداث بما يقرب من القرن ونصف القرن من الزمان ، ومن ثم فان هذه الملكة التى زارت سليمان عليه السلام ، لم تكن ملكة سبأ الشهيرة فى اليمن ، وانما كانت ملكة على مملكة صغيرة فى أعالى شبه الجزيرة العربية ، كان سكانها من السبئيين القاطنين فى الشمال ، أو هى ملكة على الحكومات المحلية فى منطقة معـان والعلا ، والتى ورثهـا السبئيون عن المعينيين[١٠] ، ويستدلون على ذلك بأدلـة منها (أولا)

(٧) فريتزهومل : التاريخ العربى القديم ص ٦٣ (مترجم) ٠

(٨) انظر عن : السبئيين والاراء التى دارت حول موطنهم الاصلى (محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم ص ٢٦٥ ـ ٢٧٠)٠

(٩) يرى بعض الباحثين أن عصر مملكة سبأ انما يبدأ حوالى عام ٧٥٠ ق٠م ويرى آخرون انه كان حـوالى عام ٨٠٠ قم ، ويذهب فـريق ثالث الى أنه كان فى القرن التاسع قبل الميلاد ، والرأى عندى أنه كان فى القرن العاشر ، أو قبله بقرن ، اعتمادا على علاقة ملكة سبأ بسليمان عليه السلام ، والذى كان ، فيما يجمع المؤرخون ، يعيش فى ، القـرن العاشر قبل الميلاد (انظر : محمد بيومى مهران : المرجـع السـابق ص ٢٧١ ـ ٢٧٣ ، جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ٢/٢٦٩ ، وكذا

BASOR, 173, 1955, P. 38.

R. Bowen and W. Albright, Archaeological Discoveries in South Arabia, 1958, P. 37.

A. Grohmann, Arabien, Munchen, 1963, P. 122.

(١٠) كثيرا ما تخلط الوثائق الاشورية بين ملك معين أو سبأ فى جنوب غرب بلاد العرب ، وبين الوالى المقيم فى العلا ومعان نائبا عن ملك معين أو سبأ ، ومن ثم فقد كان الاشوريون يذكرون هذا الوالى كما لو كان هو الملك الجنوبى ، وهذا يفسر لنا الاشارات التى ترد فى الوثائق السريانية والعبرية عن المعينيين والسبئيين وتذكرهم كما لو كانوا يقيمون فى الجنوب =

العثور على أسماء ملكات عربيات مثل زبيبة وشمس[11] عيثعى (ياتى) وتلخونو (تعلخونو) وتاربو (تبوءة)[12] وباثلة (با ايلو) وغيرهن فى النصوص الاشورية ، فى حين أن العلماء لم يعثروا حتى الان على اسم أية ملكة فى النصوص العربية الجنوبية ، غير أن هذا السبب فى حاجة الى اعادة نظر ، ذلك لان هؤلاء الملكات اللائى ذكرن آنفا انما عشن فى فترة متأخرة زمنيا عن عصر سليمان عليه السلام ، كما أن عدم العثور حتى الان على أسماء ملكات فى اليمن لا يعنى بالضرورة عـدم وجود ملكات فى تاريخ سبأ ، كما أنه من المعروف أنه لم تجر حتى الان حفريات كافية تثبت عدم وجـود ملكات فى سبأ ، ومن يدرى فقـد تكشف لنا الحفريات فى وقت قريب أو بعيد عن أسماء ملكات فى اليمن ، فعلم ذلك عند علام الغيوب .

ومنها (ثانيا) صعوبة تصـور زيارة ملكة عربية جنوبية لسليمان عليه السلام ، وتعجبها من بلاطه وحاشيته وعظمة ملكه ، مع أن بلاط أورشليم (القدس) يجب الا يكون شيئا بالنسبة الى بلاط ملوك سبا ، ومن ثم يجب ألا تكون هـذه الملكة التى زارت سليمان ، فى نظر هذه

=

الشرقى للبحر الميت ، وقد أدى هذا الخلط الى أن يظن البعض أن الملكين الاشوريين سرجون الثانى وسنحريب قد وصل نفوذهما الى سبأ نفسها ، ومع أن المراد فى النصوص الجاليات المعينية والسبئية فى العلا ومعان ، وان أطلق الاشوريون على حكامها لقب ملك (محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٢٧٥ ـ ٢٧٨ وكذا

A. Musil, The Northern Hegas, 1926, P. 295.
J. B. Philly, the Background of Islam, P. 141.
F. Hommel, Grundriss, P. 580.

11) A. Musil, Op. Cit., P. 477.
N. Abbot, Pre-Islamic Queens, AJSL, 58, 1941, P. 4.
A. L. Dppenhein, ANET, 1966, P. 288.

12) D.D. Luckenbill, ARAB, II, 1927, P. 518.
A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 291.
A. Musill, Arabia Deserta, 1938, P. 480.

الجماعة من علماء التوراة وبعض العلماء المحدثين[١٣] ، الا ملكة عربية صغيرة ، لم تكن بعيدة عن عاصمة دولة سليمان فى فلسطين فقد تكون فى جبل شمر ، وتقع بين الحافة الجنوبية للنفود الكبـير ، وفى وادى الرمة وتتكون من سلسلتى جبال أجأ وسلمى ، وقد تكون فى نجد أو فى الحجـاز[١٤] .

والرأى عندى ، أن من لجأوا الى المقارنة بين بـلاط سليمان عليه السلام ، وبلاط ملكة سبأ ، للوصول الى رأى بشأن ملكة سبأ ، وهل هى ملكة عربية جنوبية أو شمالية ، انما قد أخطأوا الطريق ، فالمقارنة هنا لا تجدى نفعا ولا تحل المشكلة ، كما أنها لا تعقدها ، بل ان المقارنة لاتصح هنا أصلا بحال من الاحوال ، وذلك لان بلاط سليمان ، فيما نرى ونؤمن به الايمان كل الايمان ، انما يمثل معجزة نبى ، وليس عظمة ملك من الملوك ، فالحديث هنا عن سليمان النبى عليه السلام ، وليس سليمان الملك ، والذى يقرأ الايات الكريمة التى تحدثت عن القصة ، كما جاءت فى سورة النمل ، والتى سنوردها هنا بنصها كامـلا فيما بعد ، ليعرف تماما أن الملك سليمان ما كان فى استطاعته مثلا أن يفعل بعرشها ما فعل ، وانما الذى يستطيع ذلك ، باذن الله ، انما هو سليمان النبى ، ذلك لان ما حديث انما كان يمثل معجزة للنبى الكريم ، سيدنا سليمان عليه السلام ، وصدق اللــه العظيم حيث يقول تعالى ، على لســان

---

(١٣) انظر عن هذه الاراء :

C. Roth, Op. Cit., P. 21-23.
M. Noth, Op. Cit., P. 206.
A. Lods, Op. Cit., P. 368-375.
A. Malamat, JNES, 22, 1963, P. 21, No. 48-9, 13-16.
J. H. Breasted, A History of Egypt, P. 529.
H. G. Wells, Op. Cit., P. 76-77.

(١٤) جواد على : المرجع السابق ٦٣٦/١ ، ٢٦٢/٢ ، عبد الفتاح شحاته : تاريخ الامة العربية قبل ظهور الاسلام ص ٨٣ ـ ٨٩ وكذا

J. Montgomery, Arabia and the Bible, Philadelphia, 1934, P. 181.
R. Dussaud, Les Arabes en Syria avant L'Islam, Paris, 1907, P. 10.
E. Dhorm, Revue Biblique, P. 105.

سليمان ، «فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفـر ، ومن شكر فانما يشـكر لنفسه ومن كفـر فان ربى غنى كـريم»(١٥) .

أضف الى ذلك أن سليمان عليه السـلام ، كما رأينا من قبل ، قد منحه الله تعالى كثيرا من المعجزات ،فقد علمه الله منطق الطير وسائر لغات الحيوان ، فكان يفهم عنها ما لا يفهمه سائر الناس ، وربما تحدث معها ، كما كان الامر مع الهدهد والنمل ، كما كان جنـد سليمان عليه السلام مؤلفا من الانس والجن والطير ، وقد نظم لهم أعمالهم ورتب لهم شؤونهم ، فاذا خرج خرجوا معه فى موكب حافل يحيط به الجند والخدم من كل جانب ، فالانس والجـن يسيرون معه ، والطير تظلله بأجنحتها من الحر ، هذا فضلا عن تسخير الريح له ، بل وتسخير طائفة من الجن ومردة الشياطين يعملون له من الاعمال ما يعجز عنها البشر ، كبناء الصروح الضخمة والقصور العالية والقدور الراسيات والجفان التى تشبه الاحواض ، وأخيرا ، وليس آخرا ، فكما الان الله الحديد لداود أبيه ، فقد أسال له عين القطر(١٦) ، وكل تلك أمور من معجزات النبى سليمان عليه السلام ، وما كان ولن يكون أبدا لملكة سبـأ ، أيا كانت ، شىء من ذلك ، ومن ثم فالمقارنة بين البلاطين غير ذى موضوع .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أننا نستطيع أن نقدم ، من آى الذكر الحكيم ومن دراستنا لتاريخ العرب القديم ، كثيرا من الادلة التى تشير بوضوح الى أن ملكة سبأ التى زارت سليمان عليه السلام ، انما كانت ملكة عربية جنوبية ، وأنها كانت تجلس على عـرش مملكة سبأ المشهورة فى جنوب غرب شبه الجزيرة العربية والتى منها (أولا) أن الذى يفهم صراحة من القصة القرآنية أن سليمان عليه السلام ، لم

---

(١٥) سـورة النمل : آية ٣٨ ـ ٤٠ .
(١٦) انظر سورة الانبياء : آية ٨١ ـ ٨٢ ، النمل : آية ١٥ ـ ٣١، سبأ ١٢ ـ ١٣ ، ص : آية ٣٠ ـ ٤٠ .

يكن يعرف شيئا عن هذه الملكة سواء من ناحية دولتها أو ديانتها[17] ، ومن هنا نراه يقول للهدهد ، بعد أن أعلمه خبرها قال : «سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين»[18] ، وليس من المقبول أن يكون سليمان ، وهو الملك العظيم ، كما هو النبى الكريم ، لا يعرف شيئا عن ملكة سبئية تقيم فى مجاورات فلسطين ، وعلى تخوم دولته ، خاصة وأن هناك علاقات تجارية بين سبأ وفلسطين ، تتولى أمرها الجالية السبئية فى العلا ومعان . كما أن فلسطين مقر دولة سليمان ، انما تقع فى نهاية طـريق القوافل التى تشرف عليها الجالية السبئية فى واحة «ديدان» (العلا) ومعون (معان) ، هذا فضلا عن أن «عصيون جابر» (تل الخليفة على الطرف الشمالى لخليــج العقبة) وكانت نقطة بداية تحرك أســطول سليمان التجارى ، انما كانت تمثل محطة هامة فى طريق القوافل التجارية القادمة من جنوب بلاد العرب الى وادى عربة وشرق الاردن حتى سورية ، وهو طريق ذو أهمية خاصة للملك سليمــان[19] ، فكيف لا يعرف سليمان شيئا عن هذه الملكة الشمالية ، سواء كانت ملكة لمملكة مستقلة أو على الجاليات السبئية فى العلا ومعان ، الامر الذى يشير بوضوح الى أن هذه الملكة التى زارت سليمان انما كانت ملكة فى جنوب بــلاد العرب حيث تقع دولة سبأ المشهورة .

ومنها (ثانيا) أن النص القرآنى صريح فى أن الملكة انما كانت ملكة دولة سبأ ، قال تعالى : «وجئتك من سبأ بنبأ يقين» فالاية الكريمة تحدد هنا مجىء الهدهد من سبأ ، ولا يعرف التاريخ دولة بهــذا الاسم غير دولة سبأ المعروفة فى جنوب غرب بلاد العرب ، ومنها (ثالثا) أن وصف القرآن الكريم للملكة سبأ بها «أوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم»[20] ، يجعلها يقينا ملكة جنوبية ، وليست شمالية ، بخاصة وأن القرآن الكريم

---

(١٧) ســورة النمل : آية ٢٢ ــ ٢٦ .
(١٨) ســورة النمل : آية ٢٧ .
19) O. Eissfeldt, the Hebrew Kingdom, in CAH, II, Part, 2, Cambridge, 1975, P. 593.
(٢٠) ســورة النمل : آية ٢٣ .

يصف قومها بالقوة والبأس الشديد«قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شـــديدة » ، ويصف هذه الملكة بأنها صاحبة الامر والنهى فى دولتها • «والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين»[٢١] ، ومن ثم فان ما جاء فى هاتين الايتين الكريمتين من أوصاف لهذه الملكة وقومها ، لا يمكن أن ينطبق على ملكة صغيرة فى شمال شبه الجزيرة العربية ، وانما على ملكة عظيمة تجلس على عرش دولة عظيمة تدعى سبأ ، ولا يعـــرف التاريخ دولة بهذه الاوصاف سوى مملكة سبأ المشهورة فى جنوب غرب بلاد المغرب ، وبعبارة أخرى ، فان هذه الملكة انمـــا هى ، على وجه اليقـــين ، ملكة جنوبية ، وليست شمالية •

ومنها (رابعا) أنه من المعروف أن العـــرب الشماليين انمـــا كانوا يعبدون الاصنام ، بينما سادت عبادة الكواكب عند العرب الجنوبيين ، وخاصة عبادة ذلك الثالوث المشهـــور ، والمكون من القمـــر والشمس والزهرة (وكانت الشمس تمثل فيه دور الام ، ويمثل القمر دور الاب ، بينما كانت الزهرة تمثل دور الابن) وقد عبدت الشمس بصفة خاصة فى ممالك معين وسبأ وحضرموت وقتبـــان[٢٢] ، والقرآن الكريم صريح فى أن ملكة سبأ هذه وقومها انما كان يسجدون للشمس من دون الله ، قال تعالى : «وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله»[٢٣] ، ومن

---

(٢١) ســورة النمل : آية ٣٣ •

(٢٢) كانت آلهـــة الشمس تسمى عنـــد المعينيين «نكـــرح» ، وعند السبئيين «ذات غضرون» و «ذات حمى» (ذات حميم) بمعنى ذات حرارة أو (ذات الحمى) ، والحمى الموضـــع الذى يحمى ، ويخصص للاله أو المعبد أو الملك أو سيد القبيلة ، والمكان الذى يحيط بالمعبد يكون حرما آمنا لا يجوز لاحد انتهاكه ، وتسمى الشمس عند القتبانيين «ذات صهـــرن» و «ذات رحبن» ، هـــذا وقد انتسب بعض العـــرب الى الشمس فسمى «عبد شمس» ، وطبقا لرواية الاخباريين فقد كان سبأ الاكبر ، أول من تسمى بهذا الاسم ، كما كان أول من تعبـــد للشمس ، ومن ثم فقد دعى «عبد شمس» (انظر عن التفصيلات والمراجع : محمد بيومى مهـــران : الديانة العربية القديمة ـ الاسكندرية ١٩٧٨ ص ٢٢ ـ ٢٤ ، ٨٦ـ٩٠) •

(٢٣) ســـورة النمل : آية ٢٤ •

ثم فهذا دليل واضح على أن ملكة سبأ التى زارت سليمان عليه السلام انما كانت ملكة عربية جنوبية ، وليست شمالية .

على أن الغريب من الامر ، أن يزعم المؤرخ اليهودى يوسف بن متى «أن ملكة سبأ هذه انما هى ملكة أثيوبية ، كما يزعم أن «سبأ Saba » هو اسم عاصمة الاحباش ، وأن اسم الملكة هو (maukalis) ، ومن ثم تكون ملكة سبأ حبشية ، وليست عربية[٢٤] ، وأما الروايات الحبشية نفسها فتذهب الى أن «منيلك» أول ملوك أثيوبيا فى القرن العاشر قبل الميلاد ، انما كان ابنا لبطلة الشمس «بلقيس» (أو مكيدا أو مقيدا) وبطل القمر سليمان الحكيم ، ومن ثم فقد حمل ملوك الحبشة (أثيوبيا) من بين ألقابهم لقب «أسد يهوذا» أو «الاسد الخارج من سبط يهوذا»[٢٥] حتى نهاية دولتهم فى (٢١ مارس ١٩٧٥) ، على أن الامر بهذه الصورة جد مضلل ، فليس صحيحا أن اسم عاصمة الاحباش كان «سبأ» كما زعم يوسف اليهودى ، هذا فضلا عن أن مملكة أكسوم انما قامت فى القرن الاول ق.م ، وليس فى القرن العاشر ق.م ، كما تزعم الروايات الحبشية ، كما أن ملكة سبأ ليست حبشية ، وانما هى ملكة عربية تحكم دولة عربية فى جنوب غرب شبه الجزيرة العربية ، ومن ثم فليس هناك من شك فى أن تلك الاساطير نشأت بعد هجرة اليهود الى الحبشة ، فى القرن السادس قبل الميلاد ، أو القرن الاول أو حتى الثانى بعد الميلاد ، حتى أن «ليتمان» قد قرأ فى بعض نقوش الملك الحبشى «عيزانا» عبارة «ملك صهيون» ، ورغم أن هذا الرجل الذى اعتلى العرش عام ٣٢٥م ، قد اعتنق النصرانية ، فربمـا كانت هناك حركة تبشـير باليهوديـة

---

24) EI, I, P. 720.

(٢٥) الحيمى الحسن بن أحمد : سيرة الحبشة ـ القاهرة ١٩٥٨ ، نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم ٣٧٨/٣ ـ ٣٨٥ ، وكذا
J. B. Conelbeaux, Histoire de L'Abyssinie, I, P. 108.
E. A. W. Budge, History of Ethiopia, Nubia and Absyssinia, I, London, 1928, P. 193.

والنصرانية ، أو بمذهب يجمع بين الديانتين[٢٦] .

على أن هناك وجها آخر للنظر فى تفسير الروايات التى تذهب الى أن ملكة سبأ حبشية ، وليست عربية ، أقدمه هنا بحذر ، واعتمد فيه على فرضين ، لا أرجح الواحد على الاخر ، أما أول الفرضين فهو أن تلك الروايات ربما كانت نتيجة انتشار آراء التوراة المضطربة حول أصل السبيئين ، فهم مرة من الساميين[٢٧] ، وأخرى من الحاميين[٢٨] ، ثم ان سبأ مرة من ولد يقطان[٢٩] ، ومرة من ولد يقشان[٣٠] ، ومن ثم فقد ذهب بعض الباحثين ، نتيجة لهذا الاضطراب الى أن هذا دليلا على انتشار السبئيين فى آسيا (اليمن) وفى أفريقيا (أرتيريا والحبشة)[٣١] ، وأما الفرض الثانى ، فربما كانت نفس تلك الاراء متأثرة بالرأى الذى ينادى بأن مملكة أكسوم نفسها انما أقامها العرب الجنوبيون[٣٢] .

وتذهب الروايات العربيه الى أن ملكة سبا هذه انما كانت تسمى «بلقيس» أو «بلقمة أو يلقمة»[٣٣] ، ويرى أستاذنا الدكتور أحمد فخرى طيب الله ثراه ، أن احد الاسمين ، وربما كان يلقمه ، نتيجة خطأ فى النقل عن الاخر ، وربما كان أسم الاله الوثنى «الموقاة» (بمعنى ايل قوى ،

---

26) A. Kammerer, Esia sur L'Histoire Antique D'Abyssinie, Paris, 1926, P. 68.

(٢٧) تكوين ٢٨/١٠ .

(٢٨) تكوين ٧/١٠ ، أخبار أيام أول ٩/١ .

(٢٩) تكوين ٢٨/١٩ .

(٣٠) تكوين ١/٢٥ ــ ٣ ، وكذا انظر :

W. F. Albright, The Bible and the Ancient Near East, London, 1961, P. 300.

31) J. Hasting, Op. Cit., P. 40. EB, P. 2564.

(٣٢) جواد على ٤٥١/٣ ، جورج فضلو حورانى : العرب والملاحة فى المحيط الهندى ص ٨٥ (مترجم) ، وكذا

F. Altheim and R. Steihl, Die Arabier in der Alten, Berlin, I, 1964, P. 114.

(٣٣) تاريخ الطبرى ٤٨٩/١ ، الكامل لابن الاثير ١٢٩/١ ، البكرى ١٢٩٨/٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٢ــ ٢١ .

أى الله قوى) يدخل تركيبة ، أما اسم «بلقيس» الذى تكرر ذكره فى كتب المؤرخين المسلمين ، فلم يرد على الاطلاق بين الاسماء السبئية (على الاقل حتى الان) وهناك احتمال بأنه منقول عن العبرية التى نقلته عن اليونانية ، ومعناه «أمة» ، أو «جارية»[٣٤] ، وأما أستاذنا الدكتور حسن ظاظا ، فالرأى عنده أن اسم هذه الملكة لم يكن يقينا «بلقيس» ، وربما كانت هذه صفة تنطق فى العبرية والاشورية « بلجش » أو «فلجش» ، ومعناه العشيقة أو الزوجة غير الشرعية ، والراجح أن ملكة سبأ وصمت بذلك من الشعب اليهودى الذى لم يكن يستريح الى مثل هذه الصلات بين ملوكه والنساء الاجنبيات[٣٥] .

وأيا ما كان اسم ملكة سبأ التى زارت سليمان عليه السلام ، وأيا كان السبب فى تسميتها بهذا الاسم أو ذاك ، كما تذكره المصادر العربية والعبرية واليونانية والحبشية ، فالتوراة تزعم أن ملكة سبأ انما كانت تهدف من وراء زيارتها هذه الى البحث عن الحكمة وامتحان سليمان ، وأنها حينما تأكدت من حكمته وعظمة ملكه ، سرعان ما قدست اله اسرائيل ، الذى جعل سليمان ملكا تجرى على يديه الحكمة وفصل الخطاب ، ثم دعت الله اسرائيل أن يثبت عرشه الى الابد «ليكن مباركا الهك الذى سر بك وجعلك على كرسى اسرائيل ، لان الرب أحب اسرائيل الى الابد جعلك ملكا لتجرى حكما وبرا» ، ثم انتهى بأن تبادل الملكان الهدايا ، «وأعطت الملك مئة وعشرين وزنة ذهب وأطيابا كثيرة جدا وأحجار كريمة لم يأت بعد مثل ذلك الطيب فى الكثرة الذى أعطته ملكة سبأ للملك سليمان» ، وأعطى الملك سليمان لملكة سبأ مشتهاها الذى طلبت عدا ما أعطاها اياه حسب كرم الملك سليمان ، وذهبت الى أرضها هى وعبيدها»[٣٦] .

على أن هناك فريقا من الباحثين انما يجنح الى أن زيارة ملكة سبأ

---

(٣٤) احمد فخرى : المرجع السابق ص ٧٣ .
(٣٥) حس ظاظا : المرجع السابق ص ١٣٣ .
(٣٦) ملوك أول ١/١ ـ ١٣ .

لسليمان عليه السلام ، انما كانت لتوثيق العلاقات التجارية وتسهيل التعاون التجارى بينهما ، بل ان هناك من يزعم أن هذه الملكة لم تكن الحاكم الفعلى لبلادها[٣٧] ، ولكنها هى التى قامت بالزيارة ، ومن ثم فيمكن الاستنتاج من ذلك أنها هى التى رغبت فى القيام بأعمال تجارية مع سليمان ، وربما كان ذلك لتنظيم سير القوافل التجارية والاشراف عليها ، على أن هناك من يرى أن سليمان هو الذى دعا ملكة سبأ لزيارته والاقامة فترة من الزمان فى مكا ما من هضاب أدوم لمشاهدة عمال الملك وهم يستخرجون النحاس من المناجم الممتدة من هناك[٣٨] .

وهكذا يبعد هؤلاء الباحثون عن الاهداف الحقيقية لزيارة ملكة سبأ لنبى الله سليمان عليه السلام ، وايمانها بدعوة النبى الكريم «قالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمـــان لله رب العـــالمين»[٣٩] ، يبعد الباحثون عن هذا الهدف النبيل من الزيارة فيذهبون الى أن مملكة سليمان انما كانت فى نهاية طريق البخور وكان وكلاء سليمان يقومون بالاجراءات الجمركية ، ان صح هذا التعبير ، على البضائع الثمينة ، كما كانوا هم الذين يسمحون للقوافل بالاستمرار فى رحلتها الى مصر وفينيقيا وسورية عبر مملكة سليمان فى فلسطين ، ومن ثم فليس من الغريب أن تصل شهرة سليمان الى ملكة سبأ[٤٠] ، وهكذا «فقد أتت أورشليم بموكب عظيم جدا ، بجمال حاملة أطيابا وذهبا كثيرا جدا ، وحجارة كريمة ، وأتت الى سليمان وكلمته بكل ما فى قلبها»[٤١] .

---

(٣٧) تكذب آيات القرآن الكريم هذا الادعاء ، كما يبدو ذلك واضحا من الايات ٢٣ ـ ٣٥ ، ٤١ ـ ٤٢ ، ٤٤ من سورة النمل .

(٣٨) محمد بيومى مهران : اسرائيل ٧٧٢/٢ وكذا

W. Albright, Archaeology and the Religion of Israel, 1963, P. 124.
K. M. Kenyon, Excavation in Jerusalem, 1962, in PEQ, 95, in PEQ, 95, 1963, P. 7 F.

(٣٩) سـورة النمل : آية ٤٤ .

(٤٠) جواد على ٢٦٣/٢ ، وكذا

J. Hastings, Op. Cit., P. 843.
O. Eissfeldt, Op. Cit., P. 593

(٤١) ملوك أول ٢/١٠ .

والحق كل الحق ، أن القصة كلها انما تتصل بدعوة النبى سليمان عليه السلام ، وليس بالملك سليمان ، ولنقرأ أولا هذه الايات الكريمة التى تصور القصة أصدق تصوير ، يقول تعالى : «وتفقد الطير فقال ما لى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين ، لأعـذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين ، فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين ، انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم ، وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ، ألا يسجدون لله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض ويعلم ماتخفون وما تعلنون ، الله لا اله الا هو رب العرش العظيم ، قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ، اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون ، قالت : يا أيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم ، انه من سليمان وأنه بســم الله الرحمن الرحيم ، ألا تعلوا وأتونى مسلمين ، قالت يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون ، قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد ، والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين : قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ، وانى مرسلة اليهم بهـدية فناظرة بما يرجـع المرسلون ، فلما جاء سليمان قال أتمدوننى بمال فما آتانى الله خـير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ، ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ، قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين ، قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين ، قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك ، فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم كفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم ، قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون ، فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قـالت كأنه هو ، وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين ، وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين ، قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته

لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير ، قالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين»[٤٢] •

وهكذا تفيد الايات الكريمة ان سليمان عليه السلام ما كان يدرى شيئا عن ملكة سبأ ، وأن الهدهد هو الذى اكتشفها ، كما اكتشف أنها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ، ومن ثم فقد أرسل اليها سليمان عليه السلام يدعوها وقومها الى الاسلام ، وعندئذ عرضت الملكة الامر على الملأ من قومها ، وبعد اعمال الحيلة والتدبير ، عملت على أن تضع النبى الكريم موضع الاختيار ، لتصل الى رأى تطمئن اليه بشأنه،وهل هو من الهداة المرسلين ، أم من الطغاة الطامعين ، فأرسلت اليه الرسل يحملون الهدايا الثمينة ، وفى الوقت نفسه طلبت منهم أن يقفوا على قوة سليمان ، ومدى ما يمكن أن يقدر عليه من المكيدة وتهديد آمنها وأمن قومها ، ان لم تخضع لدعوته ، وذلك حتى تكون على بينة من أمرها ، وحتى يمكنها اتخاذ القرار المناسب فى الوقت المناسب •

ويعود رسل الملكة بما يؤكد لها أنها أمام نبى كريم يريد لها ، ولقومها ، الهداية الى سواء السبيل ، وليس رجلا غرته قوته ، فأراد أن يجعل مملكتها جزءا من دولته ، فتقرر الذهاب بنفسها للقاء النبى الكريم ، وما أن تصل الملكة الى القدس حتى تجد أمامها مفاجئتين ، الواحدة : عرشها وقد نكر لها ، والاخرى : صرح زجاجى تجرى المياه من تحته ، فظهر وكأنه لجة ، فكشفت عن ساقيها لتدخل ، وهنا كشف لها سليمان عن سره فقال «انه صرح ممرد من قوارير» •

---

(٤٢) سورة النمل : آية ٢٠ ـ ٤٤ ، وانظر : تفسير الطبرى ١٤٣/١٩ ـ ١٧٠ ، تفسير الطبرسى ٢٠٨/١٩ ـ ٢٣٠ ، تفسير روح المعانى ١٨٢/١٩ ـ ٢١٠ ، تفسير القرطبى ١٧٦/١٣ ـ ٢١٣ ، تفسير أبى السعود ١٢٧/٤ـ ١٣٤ ، فى ظلال القرآن ٢٦٣١/٥ ـ ٢٦٤٣ ، تفسير الكشاف ١٤٢/٣ ـ ١٥١ ، تفسير البيضاوى ١٧٢/٢ ـ ١٧٨ ، تفسير النسفى ٢٠٧/٣ ـ ٢١٥ ، تفسير الفخر الرازى ١٨٨/٢٤ ـ ٢٠٠ ، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ١٠٤/٥ ـ ١١٢ ، صفوة التفاسير ٤٠٦/٢ ـ ٤١٢ ، تفسير ابن كثير ٥٧٤/٣ ـ ٥٨٦ ، تيسير العلى القديم لتفسير ابن كثير ٣٢٠/٣ ـ ٢٤٠ ، تاريخ الطبرى ٤٨٩/١ ـ ٤٩٥ ، الكامل لابن الاثير ٢٢٤/١ ـ ٢٣٨ ، تاريخ ابن خلدون ١١٣/٢ ـ ١١٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٨/٢ ـ ٢٤ .

وهنا تأكدت الملكة أن سليمان مسخر له قوى أكبر من طاقة البشر العاديين ، فرجعت الى الله تعالى ، وناجته معترفة بظلمها لنفسها ، فيما سلف من عبادة غيره ، معلنة اسلامها مع سليمان ، ليس لسليمان ، ولكن «لله رب العالمين» .

وهكذا كانت ملكة سبأ عاقلة رشيدة — حتى فى اسـلامها — فلقد اهتدى قلبها واستنار ، ومن ثم فقد عرفت أن الاسلام لله وحده ، وليس استسلاما لأحد من خلقه ، حتى وان كان هذا الاحد هو سليمان — النبى الملك صاحب المعجزات — انما الاسلام لله رب العالمين ، ومصـاحبة للمؤمنين به والداعين الى طريقه على سنة المساواة «وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين» ، وقد سجل السياق القرآنى هـذه اللفتة الاخيرة ، وأبرزها ، للكشف عن طبيعة الايمان بالله ، والاسلام له ، فهى العزة التى ترفع المغلوبين الى صف الغالبين ، بل التى يصبح فيها الغـالب والمغلوب أخوين فى الله ، لا غالب منهما ولا مغلوب ، وهما أخوان فى الله رب العالمين على قدم المساواة(٤٣) .

---

(٤٣) فى ظـلال القـرآن ٢٦٤٣/٥ .

الفصل الرابع

عصر الانقســــام

أولا : أسبـاب الانقســام

في عام ٩٢٢ قبل الميلاد ، ينتقل سليمان عليه السلام الى جوار ربه، راضيا مرضيا عنه ، ولو كرهت يهود،ولكنه في اللحظة التي دفن فيها،انما دفن معه حلم اسرائيل في أن تكون لها قوة وكيان بين جاراتها من دويلات بلاد الشام ، اذ سرعان ما تفشى الشقاق القبلي القديم بين بني اسرائيل ومن ثم فقد انقسمت الدولة الى قسمين أو دويلتين ، الواحدة في الشمال، وتدعى اسرائيل ، والاخرى في الجنوب وتدعى يهوذا •

ومن أسف أن التوراة انما ترجع أسباب انقسام المملكة الى سليمان ــ دون أن تقيم أي اعتبار للنبي الكريم عليه السلام ــ فيذهب سفر الملوك الاول الى أن الانقسام انما كان بسبب اقبال سليمان على الزواج من نساء كثيرات ، غريبات عن بني اسرائيل ، وسواء أكان عددهن ألفا، كما تقول التوراة ، أو ستين أو ثمانين ، كما يقول كثير من المؤرخين ، وسواء أراد سليمان من وراء هذه الزيجات أن يزيد من توطيد صلاته بجيرانه ، وخاصة مصر وفينيقيا ، أو أن الباعث على ذلك ، فيما يرى البعض ، هو نفس الباعث الذي حمل «رعمسيس الثاني» على هذا العمل بعينه وهو رغبته في أن يترك وراءه طائفة من الأبناء لهم من القــوة الجنسية العظيمة ما كان له شخصيا ، فان سليمان ، فيما ترى التوراة، رغبة منه في مرضاة زوجاته وسراريه ، أو ارضاء للشعوب التي اتصل بها ــ طبقا لما أملته عليه الظروف السياسية والمحالفات الاجنبية والزواج والعلاقات الاقتصادية ــ أخذ يقيم هياكل صغيرة لعبادة الالهة الاجنبية،

بجوار هيكل يهوه ، رب اسرائيل ، ومن ثم فقد بات اله اسرائيل ، ليس الاله الواحد ، أو الاله فحسب ، وانما مجرد اله قومى(١) .

هذا ويذهب البعض الى أن القوم قد مارسوا فى هيكل يهوه طقوس عبادة الشمس المصرية ، والذبائح والتقدمات الكنعانية ، وحفلات بلاد ما بين النهرين الدينية ، كالمراثى على تموز ، مما أدى الى تمزق الوحدة الدينية بين القـــوم ، الامر الذى كان بدوره سببا فى تمزيق الوحـــدة الوطنية(٢) .

وانطلاقا من كل هذا ، فان التوراة تذهب الى أن الرب قد غضب على سليمان ــ وحـــاشاه من ذلك ــ «لان قلبه مـــال عن الرب اله اسرائيل» ، ومن ثم فقد شـــاء رب اسرائيل أن يمزق مملكة سليمان ، ولكنه ــ تقديرا لعبده داود ، ومدينته أورشليم ــ يؤجل ذلك الى مابعد موت سليمان ، بل ويعطى ولده «رحبعام» سبطا من أسباط اسرائيل ليكون عليه ملكا ، وهكذا ــ وطبقا لرواية التوراة ــ ما أن يموت سليمان حتى يمزق رب اسرائيل مملكته بين ولده «رحبعام» وعبده «يربعام»(٣) .

ومن عجب أن هذه النصوص التوراتية التى تجعل انقســـام مملكة اسرائيل بسبب الغضب على سليمان من رب اسرائيل ، تعارضها نصوص ــ توراتية أيضا ــ تذهب الى أن رب اسرائيل قد منع داود من أن يقيم له هيكلا لانه سفك دماء كثيرة ، وأن الذى سيقيم له الهيكل هو ولده سليمان لانه كما يقول الرب ، «يكون لى ابنا ، وأكون له أبا ، وأثبت كرسى مملكته الى الابد»(٤) .

---

(١) ملوك أول ١/١١ ــ ١٣ ، ول ديورانت : قصة الحضـــارة ٢/ ٣٣٣ ، وكذا
I Epstein, Judaism, 1970, P. 37.

(٢) حبيب سعيد : أديان العالم ص ١٧٢ ، وكذا
I. Epstein, Op. Cit., P. 37.

(٣) ملوك أول ١١/١١ ــ ١٣ .

(٤) أخبار أيام أول ٦/٢٢ ــ ١٠ .

وهكذا نرى التوراة تكيل المديح لسليمان عليه السلام فى نص ، بينما تلقى التهم على داود أو سليمان ، عليهما السلام فى نص آخر ، وأن كان النبيان — فيما أؤمن به كل الايمان — براء من كل تهم بنى اسرائيل ، وشطط يهود ، فهما من تلك الصفوة من أئمة البشرية ، دعاة الوحدانية والهدى والعدالة والحق ، هذا فضلا عن أن التوراة انما تمتلىء صفحاتها بمديح سليمان ، بل ان هناك الكثير من أسفارها التى يطلق عليها علماء التوراة اسم «الاسفار الخفية» مثل أسفار : أمور سليمان وحكمة سليمان وغيرها •

ومع ذلك ، فان التوراة ، فضلا عن بعض المؤرخين ، انما يحملون النبى الكريم مسئولية انقسام مملكة اسرائيل الى دويلتين ، الواحدة اسرائيل ، والاخرى يهوذا ، ناسين أو متناسين أن سليمان العظيم ، هو الذى جعل من اسرائيل شعبا معروفا فى التاريخ ، وسليمان هو الذى مد شهرة الاسرائيليين ، وصنع لهم كيانا ، وسليمان هو الذى أنشأ لهم معبدا ظل قرونا طويلة ، الهيكل الوحيد لهم ، وملاذهم فى وقت الضيق، كان سليمان نقطة تحول فى حياة اسرائيل ، ذلك لانه علم شعبه فضل القانون والنظام ، وبث فى النفوس مبادىء الوحدة ، وأهمية الالتفات الى الصناعة ، فزادت الثروة ، وتضاعفت بفضل تشجيعه للتجارة والتجار الفينيقيين ، بتسيير قوافلهم داخل أرض فلسطين وانشاء أسطول البحر الاحمر ، واغرائه حيرام على استخدام هذا الطريق (بدلا من طريق مصر) للاتجار مع بلاد العرب وافريقيا[٥] •

وانطلاقا من هذا ، فالرأى عندى أن أسباب انقسام دولة سليمان بعد موته مباشرة ، انما ترجع — فى الدرجة الاولى — الى ظروف المملكة الاسرائيلية نفسها ، وليس الى التهم البذيئة تارة ، والظالمة تارة أخرى والمبالغ فيها جد المبالغة تارة ثالثة ، التى تلصقها التوراة بالنبى الكريم — صلوات الله وسلامه عليه — •

---

(٥) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم ٣٧٧/٣ — ٣٧٨ (الاسكندرية ١٩٦٦) •

كان الانقسام الخاتمة الحتمية لظروف هذه المملكة ، فمن المحقق — فيما يرى سيجموند فرويد — أن ثمة عناصر متباينة قد ساهمت فى تكوين الشعب اليهودى ، غير أن الحقائق البارزة انما تثبت أن الامة اليهودية انما تكونت من اتحادين لفريقين مختلفين ، أو قل من اتحاد فريقين ، وطبقا لهذه الحقيقة فقد أقدمت الامة اليهودية — بعد فترة قصيرة من الوحدة السياسية — على الانقسام مرة أخرى الى جزئين ، الواحد يهوذا ، والاخر اسرائيل(٦) ، وهكذا كان اجتماع هذه المجاميع المتنافرة ، فى بادىء الامر ، أمرا يثير العجب حقا ، وكان من الطبيعى بعد أن اختفى العنصر الذى يستطيع أن يضم بعضهم الى بعض ، أن يعودوا الى ما كانوا عليه من قبل ، كانت حاجيات الدفاع عن النفس سببا فى اقامة وحدة سياسية بين القبائل العبرية فى وقت كان فيه الموقف التاريخى مواتيا على نحو فريد لاقامة مملكة وتوسيعها ، ولكن تلك المملكة كانت قائمة على أساس غير ثابت .

ولم تستطع سياسة التركيز والتوطيد التى اتبعها ملوك اسرائيل العظام — كداود وسليمان ، عليهما السلام — القضاء تماما على عوامل الهدم فى داخلها ، وكان أقوى عوامل الهدم هذه ، التنافس بين قبائل الشمال وقبائل الجنوب ، وهو تنافس لم يقض عليه أبدا ، بل قضى هو نفسه على دولة اسرائيل(٧) ، اذا لاذمتهم آفتهم القديمة ، الدائمة أبدا ، بعد اقامة المملكة وتعاقب العروش ، فلم يفارقوا نظام القبيلة ، بعد محاكاتهم لجيرانهم فى نظام الدولة ، ولبثوا فى دولتهم — كما لبثوا فى هجرتهم — قبيلة معزولة عن الامم ، بل سبطا معزولا عن سبط فى داخل القبلية وظلت لهم شريعة «العصبية القبلية» دستورا يصلح لهم وحدهم فى تقديرهم ، ولكنه لا يصلح لتنظيم الدولة التى تجمعهم فى كل تقدير ، وظلوا يحصرون العصبية فى أضيق حدودها بين الاسباط فى القبلية

6) Sigmund Freud, moses and monotheism, N. Y., 1939, P. 44.

(٧) سبتينو موسكاتى : المرجع السابق ص ١٤١ .
وكذا O. Eissfeldt, Op. Cit., P. 574-580, 585-586.

الواحدة ويتشددون فى حصر كل سبط بميراثه الى أعقاب الاعقاب[٨].

ونقرأ فى التوراة أنه «لا يتحول نصيب اسرائيل من سبط الى سبط ، بل يلازم بنـــو اسرائيل كل سبط نصيب سبط آبائه ، وكل بنت ورثت نصيبا من أسباط بنى اسرائيل ، تكون لواحد من عشيرة أبيها ، لكى يرث بنو اسرائيل كل واحد نصيب آبائه ، فلا يتحول نصيب من سبط الى سبط آخر ، بل يلازم أسباط بنى اسرائيل كل واحد نصيبه»[٩] .

أضف الى ذلك الغيرة القديمة بين سبطى يهوذا وأفرايم ، التى ترجع الى وقت دخولهم أرض كنعـــان[١٠] ، ومن هنا يتجــه البعض الى أن الاسباط التى انتسبت الى يوسف ــ الى «بيت يوسف» كما يقولون ــ أفرايم ومنسى ، وأحيانا سبط بنيامين ــ ذرية يعقوب من زوجه الاثيرة راحيل ــ ربما كانوا أصلا الاقوام التى تفردت فتتمسك وحدها لاحقاب طويلة بلقب «بنى اسرائيل» مما دعى الى أن يتصدى لهم شتيت من كهانة «بيت يهوذا» يستنزلون عليهم اللعنات ، متهمين اياهم بالمروق عن صراط «يهوه» القويم ، فينتزعوا انتحالا لبيت يهوذا ومن لف لفهم، مكانه «اسرائيل الصدق» ، فهم شرعا ــ دون شعوب الارض جميعا ــ أصحاب تلك الحقوق والوعود التى بذلها الرب لمن اصطفى وتخير[١١] .

بل ان العلاقات بين يهوذا واسرائيل كانت تسودها دائما الشكوك والريبة وسرعان ما تجددت العداوة بينهما ، وادعى رجال الشمال بأن لهم فضل البكورية على يهوذا ، كما أن قصص القائد «يوآب» ــ ابن صروية أخت داود ، ورئيس جيشه ، وقاتل أبنير وعماسا ــ كانت رمزا للغيرة الداخلية

---

(٨) عباس العقاد : الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين ص ٥٩ ــ ٦٠ (القاهرة ١٩٦٠) .
(٩) عدد ٣٦ : ٧ ــ ١٠ .
(١٠) قاموس الكتاب المقدس ٧٠/١ .
(١١) حسين ذو الفقار صبرى : انما الامور باصولها ، المجلة ، لعدد ١٥١ ، يولية ١٩٦٩ ص ٧ .

العميقة ، التى هزت مرارا وتكرارا المملكتين ــ الاسرائيلية واليهوذية ــ فى العصور التالية[١٢] .

هذا فضلا عن أن المملكة انما كانت تنقسم الى قسمين متباينين ، الواحد فى الشمال ، ويسكنه شعب مزارع ، ويعيش فى أرض خصبة تجود بمحاصيل مختلفة ، والاخر فى الجنوب ، ويسكنه شعب رعــوى يعيش بقطعانه فى المرتفعات الصالحة لرعى هذه القطعان ، كانت اسرائيل تقيم علاقات تجارية نشطة مع فينيقيا وسورية ، وقد أصبحت بحكم موقعها على مفترق الطرق المؤدية الى آسيا وما بين النهرين ومصر ، بلدا تجاريا ، فى الوقت الذى بقيت فيه اليهودية الواقعة فى القسم الجبلى الاصعب منالا بلد الرعاة المتخلف[١٣] وكان هذا فى الحقيقة أمر لابد منه ، فقد كانت «اسرائيل» متصلة جغرافيا بفينيقيا مباشرة ، والاقطار الاخرى المتحضرة من ناحية الشمال كذلك ، أما «يهوذا» فقد كانت بابا مغلقا بين اسرائيل ــ والتى عادة فى حالة حرب معها ــ وبين ممالك عبر الاردن المحاربة من ناحية الشرق ، والصحراء من ناحية الجنوب[١٤] .

أضف الى ذلك أن القبائل الشمالية انما كانت أكثر تأثرا بحضــارة الكنعانيين ومزاولة طقوسها الدينية على نمط طقوسهم ، وذلك لانها كانت أكثر تقبلا لتأثيرات الشعوب غير العبرية ، والتى كانت على اتصــال مستمر بها ، بينما ظلت يهوذا منعزلة فى تلالها تعيش عيشة بسيطة ، وتزاول طقوسا أكثر بســاطة ، بالرغم من أن عاصمة سليمــان كانت فيها[١٥] .

وجاءت الازمة الاجتماعية أكثر عمقا وأشد خطــرا ، كانت الحياة البدوية قد فرضت نظام حياة ، ان لم يكن ديموقراطيا بالمعنى الصحيح،

---

12) S. A. Cook, CAH, 11, 1931, P. 363.

(١٣) يورى ايفانوف : احذروا الصهيونية ص ١٣ ، وكذا
V. Scranuizza and mackendich, Ancient World, P. 85.

14) K. M. Kenyon, Op. Cit., 260.

(١٥) أندريه ايمار ، وجانين أوبوايه : المرجع السابق ص ٢٦٧ .

فقوامه المساواة بين الشعب ، وذلك بفضل اشتراكية الاموال والاملاك ، فأزالته الحيــاة الحضرية رويدا رويدا ، ثم أفضى الاقتصاد التجارى الذى شجعته الملكية الى التفــاوت الاجتماعى ، وذلك بوضــع الاغنياء والفقراء جنبا ، فهاج فى النفوس الحنين الى الحيــاة البسيطة ، ولم تستطع تقاليد العبرانيين البدوية أن تكيف نفسها وفق الملكية فى يسر ؛ فعلى الرغم من أن الملكية كانت أمرا لا مناص منه ، لكى تشغل اسرائيل مكانا فى الميدان السياسى فى الشرق القديم،كانت روح أهلها الاستقلالية البدوية تعرقل الملكية وتنال منها ، وقد استعان معارضوا السلطة الملكية بالسلطة الدينية ، فأوجدوا داخل الدولة ثنائية أخرى ، الى جانب ثنائية الشمال والجنوب ، ولم يلبث «شــاؤل» ــ أول ملوك اسرائيل ــ أن اصطدم بالكهنة ، وكان هذا هو السبب الاساسى لسقوطــه ، ومجىء «داود» بعده .

وقد أدرك داود وسليمان القــوة المركزية الدينية وسلطــة الكاهن الاكبر ، فاتبعا السياسة التى يتبعها الاباطرة والملوك دائما فى مثل هذه الاحوال ، وذلك أنهما قد بسطا «حمايتهما» على الدين ، وألحقا الكاهن الاكبر ببلاطهما ، وجاهدا ليجعلا الهيئة الدينية ادارة من ادارات الدولة، وكان أثر هذه السياسة أيضا هو ذلك الاثر الذى أورد لنا التاريخ أمثلة كثيرة أخرى له ، فقد سلك الكهنة بطبقاتهم المختلفة مسلك موظفى الدولة، فانصبت الكراهية عندئذ على الدولة والدين الرسمى معا ، وحدث صدع بين الدين الرسمى والامال الدينية لأولئك الذين كانوا ينظرون الى الدين على أنه أكثر من شكل جامد ، وتطور التوتر الى معارضة ، وكان الانبياء بعد انقسام المملكة لسان هذه المعارضة ، فقيام الانبياء كان مظهرا تلقائيا لما كان يشعر به الناس من سخط على الصورة التى فرضها الحكم الملكى على الدين[١٦] .

وأيا ما كان الامر ، فان السبب المباشر لانقسام المملكة انما يرجع

---

(١٦) سبتينو موسكاتى : المرجع السابق ص ١٤١ .

الى حماقة «رحبعام» بن سليمان ، فى مجتمع عام ، حدث ذلك حين اجتمعت قبائل مملكة اسرائيل فى «شكيم» — (على مبعدة ٦ أميال الى الشمال الغربى من السامرة ، ٣١ ميلا شمال أورشليم) — وأتى «رحبعام» الى هناك ، وأرادت القبائل الاسرائيلية أن تجعله ملكا وخليفة لأبيه سليمان ، أى أن هذه القبائل انما أرادت أن تناقش معه أمر التعيين ، وأن يملوا شروطهم ، وهذا يعنى أن القبائل الاسرائيلية لم تعترف بالوراثة التقليدية التى حدثت فى الحالات الضرورية ، كالتى تبعث سقوط «شاؤل» بسبب نفوذ «أبنير» المهاب ، ومرة أخرى عند وفاة داود ، بسبب قوة سلطته الشخصية العظيمة ، ومثلها كان من قبل فى حالة تتويج «شاؤل» ملكا ، وفوق كل شىء ، عندما اختير داود ملكا على اسرائيل ، وهكذا فانهم انما أرادوا أن يمنحوا التاج بأنفسهم لرحبعام ، وأن يعقدوا معه ميثاقا ، وقد أعطوه أفضلية على غيره ، بصفته الابن الاكبر لسليمان العظيم ، ولكنهم طلبوا منه تاكيدا بانهاء الاعباء التى أصبحت لا تطاق منذ أيام سليمان ، وبدهى أن من هذه الاعباء الجزية النوعية ، طالما أن المدينة الكنعانية السابقة هى التى احتضنت الحركة ، والامر كذلك بالنسبة الى السخرة[17] .

ويبدو أن فريقا من المؤرخين قد وجدوا غرابة فى أن ملكا ، كان له الحق — كما كان لأبيه من قبل ، ولابنه من بعد — فى أن يجلس على العرش بحق الوراثة ، ومع ذلك فهو يرضى بان يطرح حق وراثه العرش للتصديق الشعبى ، ومن هنا فان هذا الفريق من المؤرخين انما يستنتجون أن «اجتماع شكيم» انما كان اجتماعا ثوريا قصد منه الملك محاولة استعادة الاسرائيليين الذين تمردوا من قبل ، وليس لتنصيبه ملكا ، كما تقول التوراة[18] ، ولكن حكم الوراثة المطلق لم تكن قد ثبتت أقدامه بعد فى اسرائيل ، حتى يستطيع الملك أن يعفى من متاعب الحصول على الموافقة الشرعية ، سواء فيما يختص بتعاقب الملوك ، وبخاصة فى أوقات

---

17) M. Noth, Op. Cit., P. 226-227.

(١٨) ملوك أول ١٢ : ١ — ١١ .

المحن[١٩] ، أو حتى فى أمور التشريع الهامة[٢٠] .

ومن هنا ، فانه من المسلم به أن الملك — وقد أدرك الحالة القلقة التى كانت تسود الشعور العـام وقت ذاك — رأى أنه من الحـكمة السياسية أن يبدى اهتماما خاصا برعاياه الشماليين ، وذلك بان يجىء اليهم فى عقر دارهم ، ليعلن نفسه ملكا بينهم ، ومع ذلك كله ، فعلينا ألا ننسى أن «اجتماع شكيم» كان يعنى مواجهة من المتمردين للملك ، ومن هنا فعلينا أن نرفض بقية الرواية كلها[٢١] .

وعلى أى حال فان شيوخ القبائل حين تقدموا الى «رحبعام» طالبين منه أن يخفف عنهم عبء الضرائب التى أثقل بها والده كاهلهم ، فانه قد ذهل من هذه المطالب ، وأمهلهم ثلاثة أيام قبل أن يرد عليهم ، وحين انتهت المهلة لم يكن رحبعام موفقا فى الرد عليهم ، فقد كان الاحرى به أن يقابل الموقف الخطير بكياسة ولباقة ، ولكنه ركب رأسه فى عناد يستره الضعف عادة ، وأجاب شيوخ القبائل جوابا غليظا ، رغم أن الشيوخ من مستشاريه نصحوه بالاستجابة الى مطالب الشعب ، غير أنه لم يستمع لا الى نصيحة الاحداث من أقرانه ، الذين أوغروا صدره ضد الشاكين، ومن ثم فقد كان رد «رحبعام» «ان خنصرى أغلظ من متن أبى ، والان أبى حملكم نيرا ثقيلا ، وأنا أزيدكم على نيركم ، ان أبى أدبكم بالسياط ، وأنا أودبكم بالعقارب» ، وكانت تلك هى اللحظة التى علنت فيها القبائل الشمالية انفصالها عن «بيت داود» ، وهكذا عادت الى الحياة ، مرة أخرى ، كلمة سادت يوما ما موقفا خطيرا فى عهد داود ، من أن اسرائيل لم يعد لها دور فى عهد أسرة داود اليهوذية ، أو على حد قول التوراة : «أى قسـم لنا فى داود ، ولا نصيب لنـا فى ابن يسى ، الى خيامك

---

(١٩) صموئيـل ثـان ١٦ : ١٨ ، ملـوك أول ١ : ٤٠ ، ٢ : ١٥، ملوك ثان ١١ : ٤ — ٢٠ ، ٢٣ : ٣٠ .

(٢٠) ملوك ثان ٢٣ : ٢٣ ، ارميـا ٣٤ : ٨ — ٢٢ .

21) A. Lods, Op. Cit., P. 372-373.

يا اسرائيــل ، الان انظــر الى بيتــك ياداود ، وذهب اسرائيل الى خيامهم»[٢٢] .

وهنا فلسنا ندرى شيئا على وجه التحقيق عن الدور الذى قام به «يربعام» من وراء الستار ، وان كنا ندرى تماما ــ طبقا لرواية التوراة فى الملوك الاول ــ أن رحبعام قد أرسل «أدورام» ــ مسئول التسخير ــ ليمسك بزمام الموقف ، ولكنه دفع حياته ثمنا لهذا الموقف رجما بالحجارة، وعندئذ هرب رحبعام فى عربته الى أورشليم ، «وعصى اسرائيل على بيت داود[٢١]» كما أننا ندرى كذلك ، وطبقا لرواية أخــرى فى التوراة أن رحبعام رفض أن يمنح رعاياه طلباتهم العادلة ، لان «يهوه» انما أراد أن يحقق وعيده بانشقاق الوحدة القومية[٢٤] .

ويحاول «رحبعام» بعد ذلك أن يستعيد سلطته على كل اسرائيل ، ومن ثم فقد «جمع كل بيت يهوذا وسبط بنيامين ، مئة وثمانين ألف مختار محارب ، ليحاربوا بيت اسرائيل ، ويردوا المملكة لرحبعام بن سليمان، ولكن «شمعيا» ــ رجل الله ــ يتصدى لرحبعام ويعلمه أن تلك ارادة رب اسرائيل ، فيصدع رحبعام بالامر ، وتنتهى المشاكل عند هذا الحد[٢٥]، وتنقسم اسرائيل الموحــدة الى دويلتين ، الواحــدة اسرائيل ، وعليها «يربعــام» الافرامى ، الذى كان رئيسا للتسخــير على أيام سليمان ، والأخرى يهوذا ، وعليها رحبعام بن سليمان غير أن مركز النشاط منذ هذه اللحظة ، وحتى سقوط السامرة فى عام ٧٢٢ ق٠م ، انما سوف ينتقل الى الشمال ، بينما تبدأ يهوذا تغيب نسبيا فى غياهب الظلمات[٢٦] .

وهكذا يصدق التاريخ الى حد كبير ، ما ذهب اليه «فرويد» من أن

---

(٢٢) ملــوك أول ١٢ : ١ ــ ١٦ ، صموئيل ثــان ٢٠:١ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٣٩١ ــ ٣٩٢ .
وكذا M. Noth, Op. Cit., P. 227.
(٢٣) ملــوك أول ١٢ : ١٨ ــ ١٩ .
(٢٤) ملوك أول ١٢ : ١٥ .
(٢٥) ملوك أول ١٢ : ٢١ ــ ٢٤ .
(٢٦) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٣٩٣ .

تاريخ بنى اسرائيل انما يقوم على الثنائية ، كان هناك شعبان اندمجا معا فى أمة واحدة ولم تلبث هذه الامة أن انقسمت الى مملكتين ، وهناك اسمان للاله فى أصل التوراة الواحد يهوه ، والاخر ألوهيم ــ بل كانت هناك عقيدتان فى الواقع ، طردت الاولى بواسطة الثانية ، ولكنهـا لم تلبث أن ظهرت منتصرة فى النهاية(٢٧) •

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى تناقض نصوص التوراة بشأن الاسباط التي تكونت منها كل من دويلتى يهوذا واسرائيل ، فهى تشير مرتين(٢٨) الى أن يهوذا ، انما أصبحت تتكون من سبط يهوذا وحده ، ولكنها تشير مرة ثالثة(٢٩) الى أنها تتكون من سبطى يهوذا وبنيامين،وأن اسرائيل انما تتكون من الاسباط العشرة الباقية(٣٠) ، وفى الواقع أن الامر ليس كذلك ، لان اسرائيل انما كانت تتكون من الاسباط التسعة الشمالية فقط (رأوبين وجاد وأفرايم ومنسى وأشير ويساكر وزبولون ونفتالى ودان)،وأن يهوذا انما كانت تتكون منسبطىيهوذا وبنيامين،فضلا عن سبط «شمعون» ، والذى كانت دياره تقع الى ما وراء حدود يهوذا من جهة الجنوب ، ولم يقل أحد أن دويلة اسرائيل كانت لها ممتلكات الى الجنوب من يهوذا ، وحتى لو صدقنا ما ذهب اليه «مارتن نوث» من أن قبيلةشمعون كانت تعيش على هامش القبـائل الاسرائيلية ، وأنها لم تحتل المكانة التى تجعلها تقوم بدور مستقل فى العصر التاريخى المعروف لنا(٣١) ، فان هذا لا يغير شيئا من الصورة التى قدمناها من قبل •

وأخيرا ، فلعل من المفيد أن نشير الى أن انضمام بنيامين مع يهوذا، ضد أفرايم ، انما كان أمرا غير منتظر من هذا السبط بالذات ، ذلك لان بنيامين من «بيت يوسف» (أفرايم ومنسى وبنيامين) ، أبناء «راحيل»،

---

27) S. Freud, Op. Cit., P. 64.

(٢٨) ملوك أول ١١ : ٣٦ ، ١٢ : ٢٠ •

(٢٩) ملوك أول ١٢ : ٢٣ •

(٣٠) ملوك أول ١١ : ٣٥ •

31) M. Nath. Op. Cit., P. 58.

وليس من «بيت يهوذا» أبناء «ليئة» ، هذا فضلا عن أن أبنـــاء سبط بنيامين كان من المنتظر أن يكونوا هم المنافسون لبيت يهوذا ، على أساس أن عرش اسرائيل انما كان لهم قبل أن يكون لبيت يهوذا ، وذلك منـــذ اختيار «شاؤل» كأول ملك لاسرائيل ، ثم ولده «ايشبعل» من بعده ، بل أن الكثيرين من البنياميين انما كانوا يعتقدون أن «آل داود» انما قد اغتصبـــوا حقهم فى العـــرش ، ومن ثم فقـــد كانوا من أكثر القبائل الاسرائيلية معارضة لبيت داود ، ويذهب المؤرخ اليهودى « سيسل جوزيف روث» الى أن الفضل فى ذلك انما يرجع الى المهارة السياسية لداود وولده سليمان ، تلك المهارة التى جعلت بنيامين الان تلقى بكل ثقلها — وبمفردها مع البقية الباقية من سبط شمعون — فى جانب يهوذا، ضد رهطهم الادنيين من الافرايميين[٣٢] .

وأيا ما كان الامر ، فقد بدأ عصر جديد فى تاريخ اليهود ، عصر لم يعرف فيه بنو اسرائيل الامن والسكينة ، اللتين طالما تمتعوا بها على أيام سليمان ، فقد كان موقع فلسطين بين عواصم النيل والدجلة والفرات والذى جاء لليهود بالتجارة على أيام سليمان ، هو نفسه الذى سيجىء اليهم بالحرب فى البقية الباقية لهم من ايام فى فلسطين ، وكم من مرة ضيق على اليهود ، فلم يجدوا لهم مخرجا من ضيقهم الا بالانضمام الى احد الطرفين فى الصراع القائم بين الامبراطوريات الكبرى — فى مصر والعراق القديم — أو بأداء الجزية عن يد وهم صاغرون ، وكم من مرة اجتاح المصطرعون بلادهم ، وكان من وراء التوراة ، ومن وراء صراخ أصحاب المزامير والانبياء وعويلهم وطلبهم الغوث من رب السماء ، كان من وراء هذا كله موقع اليهود الذى تتهدده الاخطار ، بين شقى الرحى، من فوقهم دول أرض الجزيرة ، ومن تحتهم أرض النيل[٣٣] .

وأما عن جيرانهم المباشرين ، فان الامـــارة الارامية التى ظهرت فى «دمشق» على أيام سليمان ، سرعان ما أصبحت مركـــزا لقوة جديدة

32) C. Roth, Op. Cit., P. 23

(٣٣) ول ديورانت : المرجع السابق ص ٣٢١ .

بمدنها القديمة التى انضمت اليها سريعا ، وهكذا أصبحت دمشق عدوا صعب المراس بالنسبة لاسرائيل ، بل وطالما فرضت نفوذها عليها ، وأما «عمون» فقد ضاعت هيبة اسرائيل فيها ، ولم يعد لملك اسرائيل الجديد أية رابطة من أى نوع كان مع مملكة عمون ، والتى اعتبرها داود ذات مرة من أملاكه الخاصة،وان كانت مملكة «أدوم» بقيت على صلة لفترة ما بمملكة يهوذا ٠

وأما مملكة اسرائيل نفسها ، فقد غدت مسرحـا لكثير من الفتن ، فشهد القرن الذى أعقب الانفصال أكثر من أربعة أسر (يربعام وبعشا وعمرى وياهو) تداولت الملك فيما بينها ، وهكذا نجد المجتمع الاسرائيلى لا يخرج من دوامة الا وتتلقفه أخرى ، وتتحول اسرائيل الى مسرح للانقلابات السياسية ، فلا يكاد يتربع على عرشها ملك حتى يقتله آخر ويحل محله ، معتقدا أو مدعيا أنه يحرر الشعب ، ويأخذ بيده الى العزة والرفاهية ، وبينما تسود هذه الاحوال فى داخل اسرائيل ، اذا بجيرانها يهتبلون الفرصة وينتقصون من حدودها ، فتستولى دمشق على الجليل وجلعاد ، وهكذا أخذت اسرائيل تنكمش وتتضاءل بعد أن فقدت نصف مساحتها ، وشرد نصف سكانها ، وتحولت الى مستعمرة صغيرة ممزقة الاوصال ، تنتظر مصيرها المحتوم ، ألا وهو الموت[٣٤] ، وقد كان ذلك فى عام ٧٢٢ ق٠م ، على يد «سرجون الثانى» ملك أشـور ٠ (٧٢٢ — ٧٠٥ق٠م) ٠

وأما «يهوذا» فقد غدت دويلة أهميتها السياسية ضئيلة ، وعزلتها بين تلالها فى الجنوب ، جعلتها ترقب تيـارات الامبراطوريات دون أن تتحرك ، ولم تجد القوى الاجنبية أية صعوبة فى اقامة علاقات معها ، وأما التجار الاجانب فقـد تحولوا عنها بازدراء ، وقد وجـد النفوذ الاجنبى — سواء أكان ذلك فى السياسة أم فى الديانة — فرصة ليمتد

---

(٣٤) فؤاد حسنين : المرجع السابق ص ٢٤٥ ٠

الى كل شئونها(٣٥) ، ثم ليقضى عليها آخر الامر فى عام ٥٨٧ ق٠م ، على يد العاهل البابلى «نبوخذ نصر» ٠ (٦٠٥ — ٥٦٢ ق٠م) ٠

هذا ، ولم يكن هناك وفاق بين الدويلتين (اسرائيل ويهوذا) ، فقد كانت الواحدة منها تريق دماء الاخـرى فى نزاع اثر نزاع ، من أجل الحدود تارة ، ومن أجل سيطرة الواحدة على الاخرى تارة أخـرى ، وهكذا منذ البداية ، «كانت حروب بين رحبعام ويربعـام كل الايام» ، وقد ظلت الحروب مشتعلة الاوار بينهما ، يرثها خلف عن سلف ، «وكانت حرب بين أساويعشا ملك اسرائيل كل أيامها»(٣٦) ، ومن ثم فقد اضطرت يهوذا أن تقيم «قلعة المصفاة» على الطريق الاستراتيجى الرئيسى من أورشليم الى الشمال ، كما اضطرت كذلك الى تحصين «جبع» — والتى تقع فى نهاية حدودها الشمالية ، وعلى مبعدة ٦ أميال شرقى أورشليم — وهكذا فقد «حملوا كل حجارة الرأمة وأخشابها التى بناها بعشا» وبنى بها الملك أساجبع بنيامين والمصفاة» ، وكانت تلك هى الحدود النهائية بين الدويليتين اليهوديتين — اسرائيل ويهوذا — (٣٧) ٠

وقد كشفت بعثة أمريكية من «المدرسـة الباسفيك للديانة» تحت اشراف «الدكتور وليم فردريك بيد» فى الحفريات التى قامت بها فيما بين عامى ١٩٢٦ — ١٩٣٥ م ، فى «تل النصبة» — على مبعدة سبعة أميال الى الشمال من أورشليم — بقايا حصن الحدود القديم فى «المصفاة» ؛ وكان سمك الحائط ٢٦ قدما ، ولعل هذا الحائط الدفاعى الهائل يرينا كيف كانت الحرب الاهلية التى استعر أوراها بين اسرائيل ويهوذا ، قاسية مريرة(٣٨) ٠

---

35) C. Roth, Op. Cit., P. 40.

(٣٦) ملوك أول ١٤ : ٣٠ ، ١٥ : ١٦ ٠

(٣٧) ملوك أول ١٥ : ٢٢ ٠

38) W. Keller, The Bible As History, 1967, P. 224-225.
وكذا J. Muilenbarg, in Stulia Theologica, 1955, P. 21-24.
وكذا G. E. Wright, BA, Io, 1947, P. 69-77.
وكذا J. Finegan, Light From the Ancieant past, 1969, P. 175.

وعلى أى حال ، فان هذه الحروب بين القبائل الشمالية والجنوبية لم تكن مقصورة على فتـرة دون أخرى ، ذلك لأننا نسمع دائمـا عن اقتتال اسرائيل ويهوذا بين الفينة والفينة ، بل ان التوراة نفسها كثيرا ما تختم حديثها عن كل ملكين متعاصرين فى يهوذا واسرائيل بهذه العبارة «وكانت بينهما حرب كل الايام» وصدق الله العظيم ، حيث يقول فى سورة الحشر : «بأسهم بينهم شديد ، تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون»[٣٩] ، والتاريخ يحدثنا أن نتيجة هذه الحروب انما كانت دائما فى جانب قبائل الشمال ، بل ان دخول ملوك أورشليم فى طاعة أهل الشمال من الوجهة السياسية ــ انما كان تاما ــ أو يكاد ــ قرابة عام ٨٦٠ قبل الميلاد[٤٠] .

(٣٩) سورة الحشر آية ١٤ ، وانظر : تفسير القرطبى ص ٦٥١٤ ــ ٦٥١٥ (دار الشعب القاهرة ١٩٧٠) ، تفسير ابن كثير ٨/١٠٠ (دار الشعب القاهـرة ١٩٧٣) .

(٤٠) تيودور روبنسون : تاريخ العالم ــ اسرائيل فى ضوء التاريخ ، ترجمة عبد الحميد يونس ، ص ١١٢ .

ثانيا : دويلة اسرائيـــل

(١) أسرة يربعـــام (٩٢٢ ــ ٩٠٠ ق٠م) :

كان «أخيـــا الشيلونى» ـــ فيمـــا تروى التوراة ـــ قد تنبأ بأن «يربعام بن ناباط» الافرايمى من «صردة» (دير غسانة على مقربة من عين صردة ، على مبعدة ١٥ ميـــلا جنوب غـــرب القدس) سوف يخلف سليمان عليه السلام على عشرة أسباط من أسباط اسرائيل الاثنى عشر، فغضب سليمان ، وهرب «يربعام» الى مصر ، وكانت مصر قد غيرت سياستها نحو سليمان ، أو ربما بدأت ترى أنه لا تعـــارض البتة بين صداقتها لسليمان ومصاهرته ، وبين أن تكـــون فى نفس الوقت المأوى الذى يلجأ اليه أعداؤه ، فضلا عن الثائرين عليه ، وهكذا استقبل يربعام بترحاب من فرعون ، الذى أعطاه الامان والحماية ، وساعده فى اعتلاء عرش دويلة اسرائيل بعد الانقسام ، خاصة وأن هنـــاك من يزعم أن الرجل انما كان من أم مصرية ـــ كما كانت زوجه كذلك ـــ بل ويزعم أن الغزو المصرى ليهوذا ـــ تحت قيادة «شيشنق الاول» ، وسقوط أورشليم تحت أقدام الجيوش المصرية ـــ انما كان فى فترة سابقة لثورة اسرائيل على يهوذا[١] ٠

وعلى أى حال ، فلقد اختير «يربعام» (٩٢٢ ـــ ٩٠١ ق٠م) ملكا على اسرائيل ، بقرار من مجلس شكيم ، الذى اجتمع لمبايعة «رحبعام بن سليمان» على شروطهم ، فضـــلا عن اختيار ســـابق من رب اسرائيل (يهوه) على لسان نبيه «أخيا الشيلونى» ٠

وقد اختار «يربعام» «شكيم» (تل بلاطة شرقى نابلس) عاصمة لها،

---

1) H. R. Hall The Ancient History of The Near East, London, 1963, P. 436-437.

وأنظر : محمد بيومى مهران : اسرائيل ٨٩١/٢ ـ ٨٩٢ ٠

ثم سرعان ما تحول عنها الى «فنوئيل» (تلول الذهب الحالية) ، ولعل هذا التحول السريع من شكيم غرب الاردن الى فنوئيل فى شرقه انمـا يرجع الى اضطراب الامور فى اسرائيل ، ربما بسبب تهديد رحبعـام لشكيم ، وربما بسبب تهـديد مصر لفلسطين ، وان كان هـذا الاتجاه يتعارض وتعضيد مصر ليربعام ، ومساندتها لثورته[٢] ، وعلى أية حال، فلقد اتخذ يربعام من فنوئيل عاصمة له ، ثم سرعان ما عاد مرة أخرى الى غرب الاردن ، حيث اختـار «ترزة» (ترصه) عاصمة له — وهى تل الفارعة الحالية على مبعدة ٧ أميال شمـال شرق شكيم — واستمرت ترزة عاصمة لملوك اسرائيل حتى السنة السادسة من عهد عمرى ، الذى نقل عاصمته الى السامرة[٣] .

وبدأ يربعام يفكر فى وسيلة للحفاظ على ولاء شعبه له ، وفى نفس الوقت ايجاد نوع من التوازن الدينى بين مقدسات القبائل الشمالية وبين معبد أورشليم الذى كان يجذب اليه أبناء القبائل التى كانت تعيش فى مملكته اسرائيل ، للحج وتقديم القرابين هناك ، على أساس أنه المحراب الرئيسى للقبائل الاسرائيلية الاثنى عشر ، حتى وان نبذت سلطة آل داود الملكية ، ولم يكن يربعام راضيا عن ذلك لان هذا يعنى أن هناك رابطة غير مباشرة تربط القبائل بأسرة داود ، الامر الذى يخشى منه يربعام عودة الملكية الى بيت داود[٤] .

ومن ثم فقد استقر رأيه على أن يعيد للمكانين اليهوديين المقدسين القديمين

(٢) ملوك أول ٢٥/١٢ ، قضاة ٦/٩ ، ٢٠ — ٢١ ، وكذا
A. Lods, Op. Cit., P. 344, 374.
M. Noth, Op. Cit., P. 152.

(٣) هـ . وولى : أطلس الكتاب المقدس ص ١٥ ، ٢٢ ، وكذا
J. Finegan, Op. Cit., P. 183-184
C. E. Wright, BA, 20, 1957, P. 1-32. BASOR, 148, 1957, P. 11-28.
M. F. Unger, Op. Cit., P. 843, 1102.
H. Kee and L. Toombs, BA, 20, P. 82-102.

(٤) محمد بيومى مهـران : اسرائيل ٨٩٤/٢ ، ملـوك أول ١٢/ ٢٥ — ٢٧ .

مكانتهما ، وكان الواحد منهما فى «بيت ايل» (برج بيتين على مقربة من بيتين الحالية ، على مبعدة ١٠ ميلا شمالى القدس) ، وكان الاخر فى «دان» (تل القاضى الحالية على مبعدة ٣ ميلا غربى بانياس عند منابع الاردن) وزود كل منهما «بالعجل الذهبى» وربما زودت السامرة كذلك بعجل ذهبى ، كما جاء فى سفر هوشع[٥] وهكذا عمل يربعام على تقويض مركز أورشليم الدينى ، فضلا عن أن يعوز بعضا من الولاء الذى كانت تتمتع به العاصمة القومية[٦] .

ومع ذلك كله ، فان مراكز العبادة الاسرائيلية ما كانت بقادرة على منافسة تابوت أورشليم ومكانته التقليدية الفريدة فى الحياة القبلية ، حتى لو أمدها ملوك اسرائيل بكل المقومات اللازمة ، وبكهنة يعينهم الملك ، وبنظام من الاحتفالات كان تقليدا لمثيله المرعى فى أورشليم[٧] ، وان كانت عجول يربعام الذهبية قد فتحت الطريق لعبادة البعل ، بعد آن غابت عن البلاد منذ أيام صموئيل النبى[٨] .

وعلى أى حال ، فلقد استمر يربعام فى اجراءات الانفصال عن يهوذا ، فاختار كهنته من غير اللاويين ، كما اعتنى كثيرا بالاماكن المقدسة المقامة على المرتفعات ، مما دفع الكثير من اللاويين وغيرهم من المتدينيين الى الهجرة الى يهوذا ، هذا فضلا عن التغيير الذى أحدثه فى «عيد المظال» واحتفالات الحصاد الدينية من الشهر السابع الى الشهر الثامن ، وان رأى البعض أن التغيير قد حدث فى يهوذا ، وليس فى اسرائيل ، ذلك لان عيد المظال انما كان يتم بمجرد أن تجمع آخـر ثمرة من محصول العام فى اسرائيل ويهوذا ، على أيام الوحدة بينهما ، وعندما تم الانفصال فقد كان من الطبيعى أن يعقد هذا الاحتفال فى يهوذا ، قبله فى اسرائيل،

---

(٥) ملوك أول ١٢/٢٧ ــ ٣٣ ، هوشع ٨/٥ ــ ٦ ، وكذا
M. Noth, Op. Cit., P. 232.

6) C. Roth, Op. Cit., P. 24-38.

7) M. Noth, Op. Cit., P. 232.

8) T. Epstein, Op. Cit., P. 38

لأن الثمار انما كانت تنضج فى يهوذا ، قبل أن تنضج فى اسرائيل[9] .

وجاء «ناداب» (901 — 900 ق.م) بعد أبيه يربعام الاول ، ثم قتل فى «جبثون» (تل الملات على مبعدة كيلا جنوب تمنة) وتصفه التوراة بأنه «قد عمل الشر وأخطأ الى الله مثل أبيه»[10] .

(2) أسرة بعشا : (900 ـ 876 ق.م) :

جاء بعشا (900 — 877 ق.م) على عرش اسرائيل ، بعد أن اغتال «ناداب» ، وبدأ يبيد من بقى من نسل يربعـــام على قيد الحياة ، وأن يهاجم «أسا» ملك يهـوذا ، ويحتل الرامة (على مبعدة 5 أميال شمال القدس) وأن يجعل منها حصنا اسرائيليا[11] مما اضطر «أسا» الى أن يحتمى بملك «دمشق» «بن هدد» والذى قام بمهاجمة اسرائيل «وضرب عيون ودان وآبل بيت معكة وكل كتروت ، مع كل أرض نفتالى»[12] ، وكان التجار الدمشقيون يرغبون فى هذه المناطق الشمالية من اسرائيل لتأمين اتصالاتهم مع المدن الساحلية[13] ، كما استعاد «أسا» الرامة ، والتى أصبحت منذ ذلك الحين حدا ثابتا يفصل بين اسرائيل ويهوذا ، ثم سرعان ما تصبح التلال فى منطقة الطريق الرئيسى ، الذى يسير متوازيا مع خط تقسيم المياه ، خط الحدود بين الدويلتين ، وتحتفظ يهوذا بجزء هام من منطقة بنيامين لحماية المدينة الملكية أورشليم[14] .

وجـــاء «ايله» (877 — 876 ق.م) بعد أبيه «بعشا» ، غـــير أن «زمرى» سرعان ما يغتاله ، ويأمر بقتل جميع أفراد العائلة المالكة ، حتى

---

(9) ملوك أول 12/31 ــ 43 ، وكذا

(10) ملوك أول 14/10 ـ 12 ، 15/25 ، قاموس الكتاب المقدس 2/946 ، محمد بيومى مهران : اسرائيل 895 ــ 896 .

(11) ملوك أول 15/17 ــ 31 ، قـاموس الكتاب المقدس 1/ 181 .

(12) ملوك أول 15/2 .

13) A. Lods, Israel, From its Beginnings to The Middle of The Eighth Century, London, 1962, P. 376.

(14) ملوك ثان 23/8 ، وكذا

M. Noth, Op. Cit., P. 235 - 236 .

لم يبق منهم — على حد تعبير التوراة — «بائل بحائط» ، ثم يقوم الجيش بمحاصرة «جبثون» الفلسطينية ، ويعلن قائده «عمرى» ملكا على اسرائيل[15] .

(٣) أسرة عمرى (٨٧٦ ـ ٨٤٢ ق٠م) :

أسرع «عمرى» (٨٧٦ — ٨٦٩ ق٠م) بعد أن أعلنه الجيش ملكا فى «جبثون» الى «ترزة» وحاصرها ، وأصبح الموقف ميئوسا منه بالنسبة الى «زمرى» ، ومن ثم فقد أشعل النار فى القصر وأحرق نفسه داخله ، وظن عمرى أن الجو قد خلا له ، غير أن «تبنى» و «يورام» ولدى «جينه» ، ومن ورائهما نصف اسرائيل ، قد اتخذوا جميعا موقفا معارضا من تعيين «عمرى» ملكا على اسرائيل ، وأخيرا — وبعد صراع دام أربعة أعوام — أحرز عمرى انتصاره التام ، ومن ثم فقد أصبح مؤسسا لأسرة حكمت اسرائيل فترة تجاوزت الثلاثين عاما ، عرفت فيها اسرائيل فى الوثائق الاشورية باسم «أرض عمرى» أو «أرض بيت عمرى» ،وحتى بعد سقوط أسرته ، فقد كان ملك اسرائيل بالنسبة اليهم هو «ابن عمرى» وربما يعزى هذا بدرجة ما الى أن بنى اسرائيل قد اتصلوا بآشور لأول مرة ، أثناء عهد أسرة عمرى ، وربما أثناء عهد عمرى نفسه ، ولعله هو نفسه الملك الاسرائيلى الذى أرسل بهداياه الى «أشور ناصر بال الثانى» (٨٨٣ — ٨٥٩ ق٠م) ، عندما تقدم العاهل الاشورى حتى نهر الكلب ، على مقربة من بيروت[16] .

ولعل مما تجدر الاشارة اليه أن اسم «عمرى» — وكذا اسم ولده «أخاب» — لا يبدو أنه اسم اسرائيلى ، وربما كان عمرى ذا أصول عربية ، كما يمكن تفسير اسم أخاب على أنه تسمية عربية كذلك[17] ، فضلا عن أسماء «عمرى وزمرى» لها أسماء عربية مماثلة[18] ، ومن هنا

---

(١٥) ملوك أول ١٦/١٥ ـ ١٧ ،

16) A. Lods, Op. Cit., P. 377.
17) M. Noth, Op. Cit., P. 230.
18) S. A Cook, Op. Cit., P. 361.

فربما كان اسم عمرى ، يدل على أصل عربى ، أو بالاحرى «نبطى»[١٩]، وان ذهب البعض الى أنه اسم عبرى ، بمعنى «مفلح»[٢٠] ، وعلى أية حال ، فاننا لا نعرف شيئا عن أسرة عمرى قبل توليته العرش ، وأنه كقائد «للمليشيا» لابد وأنه قد ظهر من بين صفوف المرتزقـــة ، والتى كانت دائما تتكون من عناصر مختلفة الاصول كلية[٢١] .

هذا وقد استمر عمرى يحكم من «ترزة» ، ولكنه فى العام السادس من الحكم (حوالى عام ٨٧٠ ق٠م) اشترى تلا فى قلب الهضبة السامرية من «شامر» بوزنتين من الفضة ، وأقام عليه عاصمة اسرائيل الجديدة ، ولمدة قرن ونصف بعد ذلك ، وسماها «السامرة» (سبسطية الحالية على مبعدة ٦ أميال شمال غرب شكيم ، تل بلاطة شرقى نابلس) نسبة الى شامر صاحب التل القديم[٢٢] ، أو بمعنى «مركز المراقبة»[٢٣] أو «جبل المراقبة أو الحراسة»[٢٤] ، وقد أثبت موقع المدينة خبرة من اختـــاره بالاعتبارات الاستراتيجية فالسامرة تقع على تل منعزل يقرب ارتفاعه من ٣٠٠ قدم ، ويرتفع تدريجيا من واد متسع خصب ، وتحيط به شبه دائرة من الجبال العالية ، كما أن هناك ينبوعا محليا يجعل المكان مثاليا فى حالة الدفاع[٢٥] . كما أثبتت حفائر أعوام ١٩٠٨/١٩١٠م[٢٦] وأعوام

---

(١٩) فيلب حتى : المرجع السابق ص ٢٠٩ .
(٢٠) قاموس الكتاب المقدس ٦٣٨/٢ .
21) M. Noth, Op. Cit., P. 230.
(٢٢) ملوك أول ٢٣/١٦ ــ ٢٤ ، قاموس الكتاب المقدس ٤٤٨/١ ــ ٤٤٩ .
23) A. Lods, Op. Cit., P. 378.
24) J. Finegan, Op. Cit., P. 185.
وانظر : جون الدر : الاحجار تتكلم ــ ترجمة عزت زكى ــ القاهرة ١٩٦٠ ص ٨٦ .
25) W. Keller, Op. Cit., P. 227.
26) G. A. Reisner, C. S. Fisher and D. G. Lyon, Harvard Excavations at Samaria, 1908-1910, 2 Vols, 1924.

١٩٣١/١٩٣٣ ، ١٩٣٥م فى الموقع(٢٧) .

هذا فضلا عن أن عمرى انما كان يريد أن يقيم مقرا ملكيا فى مدينة ليست على مثال «شكيم» مرتبطة بقبيلة خاصة،وليست تحت ضغط هجوم مفاجىء يمكن أن يقضى عليها ، كما كان الامر بالنسبة الى «ترزة» التى استولـى عليها المهاجمون فى أقـل من أسبوع ، هذا فضـلا عن أن «السامرة» انما كانت تقع على الطريق الرئيسى من الشمال الى الجنوب، وفى حماية من أى هجوم يقـع عليها من ناحية يهوذا ، وعلى اتصـال بسهل فينيقيا فى وقت كان فيه «عمرى» راغبا فى اقامة علاقات مع مدن فينيقيا — حتى أنه زوج ولده أخاب من «ايزابيل» أميرة صور — والامر كذلك بالنسبة الى الغرب ، حيث تقع أغنى أراضى مملكته ، وهكذا كانت السامرة مركز قوة ، أكثر مما كانت عليه «ترزة» بكثير .

وأخيرا فقد كانت «السامرة» — مثلها فى ذلك مثل أورشليم القدس— تتحكم فى الطريق الرئيسى من الشمال الى الجنوب ، على امتداد خط تقسيم المياه ، كما أن هناك ممرات صالحة بدرجة مقبـولة تؤدى الى الاردن من ناحية الشرق ، وأخرى تؤدى الى الساحل والبحر المتوسط من ناحية الغرب(٢٨) .

وأما فى السياسة الخارجية ، فقد كتب لعمرى نجحا بعيد المدى تجاه «مؤاب» ، غير أنه انما قد منى بفشل ذريع تجاه الاراميين فى دمشـق فقد أصبحت الان مملكة دمشق الارامية أقوى القوى الموجودة فى سورية وفلسطين على الاطلاق ، كما أنها أصبحت تحيـط بدويلة اسرائيل من الشمال والشرق على السواء ، كما أنها أصبحت تتحكم فى البقاع الغنية

---

27) J. W. Crowfoot, K. M. Kenyon and E. L. Sukenik, The Building at Samaria, 1942.
وكذا W. F. Albright, BASOR, 150, 1958, P. 21-25.

28) J. Fingan, Op Cit., P. 185.
وكذا K. M. Kenyon, Op. Cit., P. 261-262.
وكذا G. E. Wright, BA, 27, 1959, P. 67-68.

بالمعادن ، وقد انتهت الامور بأن يضطر عمرى مرغما على أن يتنازل عن مدن كثيرة فى شرق الاردن غالبا ، وأن يخصص أحياء معينة فى السامرة للتجار الارامين ، كما كان ضغط الارامين هذا من أهم الاسباب التى دفعت عمرى الى أن يرتمى فى أحضان الفينيقيين(٢٩) .

ومن الناحية الادارية ، فلقد أوجد عمرى — وربما ولده أخاب — أقساما ادارية جديدة ، وذلك لان سياسة عمرى أو «بيت عمرى» انما كانت تهدف الى القضاء على النظام القبلى ، وتقوية النفوذ المركـزى للسلطة الحاكمة(٣٠) .

وجاء «أخاب» (٨٦٩ — ٨٥٠ ق٠م) بعد أبيه عمرى ، وقد تحدثت التوراة عنه أكثر مما تحدثت عن أى واحد من أسلافه منذ عصر سليمان عليه السلام ، مما يشير الى أهميته فى تاريخ اسرائيل ، وعلى أى حال، فلقد كان «أخاب» يدرك تماما أن موطن الخطر على دولته انما يربض هناك فى دمشق ، بخاصة وأن أورشليم انما قد أصبحت الان طرفـا فى الصراع بجانب دمشق ، وضد اسرائيل ، ومن هنا فقد عقد العزم على اقامة روابط وثيقة مع مدن الساحل الفينيقى ، التى كانت قد بدأت فى هـذه الفترة فى الشروع فى استعمار ناجح فى منطقة البحـر الابيض المتوسط(٣١) ، وهكذا اتجه «أخاب» نحـو «ايثبعل» ملك صور ، الذى مكنه من أن يمنع أعداءه من الوصول الى البحر الابيض المتوسط عن طريق فينيقيا ، وساعد على ذلك أن الصوريين من جانبهم قد وجدوا لهذا التحالف مع الاسرائيليين مزايا فائقة ، فهم فى حاجة الى قمح ومنتجات

---

(٢٩) ملوك أول ١٤/٢٠ — ١٥ ، ٣٤ ، قاموس الكتاب المقدس ٢/ ٦٠٧ ، وكذا

A. Lods, Op. Cit., P. 377-378.

30) A. Lods, Op. Cit., P. 378.

31) Noth, Op. Cit., P. 241.

W. F. Albright, in Studies in The History of Culture, 1942, P. 40 F.

شمال فلسطين الاخرى ، فضلا عن أنه سوف يمنع منافسيهم من التجار الاراميين من الوصول الى البحر الابيض المتوسط عن طريق « عكو » (عكا) عبر المنطقة الاسرائيلية[32] .

وفى نفس هذا الاتجاه السياسى ، اتخذ «أخاب» كذلك عدة خطوات لتحرير مملكته من القلق الذى يعترى حدوده الجنوبية مع يهوذا،وتحقيقا لهذا الهدف الواضح ، فان الرجل انما جاهد كثيرا لان يضع حدا للكوارث والضغائن العقيمة مع حكام أورشليم ، وهكذا — وبتحالف مازالت بنوده مجهولة — تم الصلح بين «أخاب» و«ويهو شافط» ملك أورشليم (٨٧٣— ٨٤٩ ق.م) ، وان كان ملحق التحالف يقضى بأن تتعهد يهوذا بمساعدة اسرائيل بكل ماتستطيع من قوة فى حالة نشوب حرب ما،وهكذا أصبحت المملكة الجنوبية هى الاضعف ، ثم سرعان ما قويت روابط هذا الحلف بزواج «يهورام» بن يهو شافط ملك يهوذا ، من «عثليا» ابنة أخاب وايزابيل ابنة أيثبعل أمير صور ، وربما أقيم فى هذه المناسبة معبد «للبعل» فى أورشليم ، وهو اله ملك صور ، العضو الثالث فى الحلف[33] .

وبدأ الصراع بين أخاب والاراميين ، وان لم يكن من السهل علينا ترتيب الاحداث الحربية ، أو تتبع خطى العلاقات الخارجية ، فاننا نستطيع أن نستنتج من رواية التوراة فى سفر الملوك الاول أن ملك دمشق استطاع أن يحاصر أخاب فى السامرة ، الا أن الاخير تمكن من التغلب على الاراميين ، بل وانتصر عليهم مما كان سببا فى عقد معاهدة بين الملكين الاسرائيلى والارامى ، أصبح لأخاب بمقتضاها الحق فى استرجاع المدن التى كانت دمشق قد استولت عليها من اسرائيل فى عهد سلفه ، كما أصبح له الحق فى أن يكون له سوق فى دمشق ، كما كان لملك دمشق سوقا فى السامرة أثناء حكم عمرى ، وفى العام التالى هزم أخاب الاراميين مرة أخرى فى معركة مريرة عند «أفيق»[34] .

---

32) A. Lods, Op. Cit., P. 379-80.

33) A. Lods, Op. Cit., P. 380.

(٣٤) ملوك أول ٢٠ : ١ — ٤٣ .

ورغم ذلك ، فيبدو أن اسرائيل قد لاقت الامرين من الهزائم التى منيت بها على أيدى الاراميين ، وهكذا نقرأ فى التوراة عن المحاولة العقيمة التى قام بها أخاب لاسترداد «راموت جلعاد» التى احتلها الاراميون ، وعن الهزائم الساحقة فيها(٣٥) ، والامر كذلك بالنسبة الى تلك الغارات المفاجئة التى كان يقوم بها الاراميون على اسرائيل ، حتى أن السامرة نفسها حوصرت(٣٦) .

ومع ذلك كله ، فقد استطاع «أخاب» أن يصون حدود اسرائيل الشمالية ، وأن يشترك فى حلف ضد الاشوريين يقوده عدوه القديم ملك دمشق ، ذلك لان الاشوريين انما كانوا قد بدأوا فى القرن التاسع قبل الميلاد يظهرون من جديد على مسرح الاحداث فى غربى آسيا ، ولأول مرة ، منذ عهد «تجلات بلاسر» الاول (١١١٢ — ١٠٧٦ ق.م) يصل ملك أشورى الى البحر الابيض المتوسط ، وذلك حين اندفع «أشور ناصر بال» الثانى (٨٨٣ — ٨٥٩ ق.م) الى شمال سورية ، ووصل الى الساحل الفينيقى وتلقى الجزية من عدد من المدن الفينيقية ويقول الملك الاشورى: «لقد استوليت على كل جبال لبنان المترامية الاطراف ووصلت الى البحر الكبير فى بلاد «أمورو» وغسلت أسلحتى فى البحر العظيم ، وقدمت قرابينى من الماشية للالهة جميعا»(٣٧) .

ولكن العاهل الاشورى لم يستطع — رغم ذلك — أن يقترب من دمشق والولايات الجنوبية ، وقد جاهد — ومن بعده خليفته شلمنصر الثالث — أن يكسر شوكة الممالك الارامية ، ولكن دمشق — تحت قيادة بن حداد — قد وقفت تمنع تقدمهم نحو الجنوب(٣٨) ، وأخيرا وفى عام ٨٥٣ ق.م ، يتقدم «شلمنصر الثالث» (٨٥٩ — ٨٢٤ ق.م) الى وسط وجنوب سورية ، ولم تكن الولايات الصغيرة فى سورية وفلسطين حينئذ

---

(٣٥) ملوك أول ٢٢ : ٢ — ٣٨ .
(٣٦) ملوك ثان ٦ : ٨ — ٢٣ .
37) A. L. Oppenheim, A.N.E.T., 1966, P. 276.
38) S. A. Cook, C. A. H. III, 1965, P. 362.

بقادرة على أن تقف أمام هـذا الخطر الداهم طويلا ، وكل ما كان فى قدرتها أن تقوم به هو أن توحد قواتها ضد الخطر المشترك ، وفى الواقع فان حكام الولايات جميعا سرعان ما تناسوا خلافاتهم الشخصية واتحدوا من أجل الدفاع عن أنفسهم ، وهنا يدرك الاسرائيليون والاراميون أن الخلاف بينهم ، اذا ما قورن بمقاومة الغزو الاشورى ، فلن يعدو أن يكون خلافا على الحدود ، وان عادت الخلافات مرة أخـرى ، بمجرد انسحاب شلمنصر الثالث(٣٩) .

وعلى أي حال ، فلقد تجرأ شلمنصر الثالث وهاجم دمشق ، والتى لم تكن صيدا سهلا ، على الرغم من طـول منافستها مع جـيرانها من الاراميين ، والبدو والعبرانيين ، فعزمت على الوقوف فى وجه جبروت الاشوريين(٤٠) ، ومن ثم فقد عملت على تكوين تحالف قوى ، انضم اليه أمير ولاية «موصرى» فى الشمال الغربي من بلاد العرب ، فضلا عن أمير عربى آخر يدعى «جندب» (جنديبو) ، شارك فى المعركة القادمة بمدد محمول على ألف بعـير ، الى جانب ما شـارك به أمراء عمون وحماة وارقناتا وأرواد واسرائيل وغيرهم(٤١) .

وهكذا ، وفى صيف عام ٨٥٣ ق٠م ، تجمع فى قرقر (قرقار) حلف من الملوك السوريين والعـرب ، يضـم اثنى عشر ملكا ، على رأسهم «بنحـدد» ملك دمشق ، حيث حدثت الموقعة الشهـيرة ، ورغم تفاخر شلمنصر بالنصر فى موقعة قرقر هذه ، فان الحقائق التاريخية تقول أن نصره لم يكن حاسما ،ولم يؤد أبدا الى استسلام دمشق واسرائيل(٤٢) .

---

39) M. Noth, Op. Cit., P. 245-216.

(٤٠) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ص ٥١٥ (القاهرة ١٩٦٧)

(٤١) نجيب ميخائيـل : مصر والشرق الادنى القديم ٥/٢٥٩ ـ ٣٦٠
وكذا S. A. Cook, Op. Cit., P. 263.
وكذا A N E T, P. 278.

42) J. Montogomery, Op. Cit., P. 27.
وكذا J. Fingan, Op. Cit., P. 24.
وكذا A. L. Oppenheim ANET, P. 279.

=

ومن عجب أن شيئا من ذلك لم يرد له ذكر فى التوراة ، وعلى أى حال ، فان كان زمان ذلك يقع قبل هزيمة «بن حدد» فى «أفيق» ، فان هذا يعنى أن أخاب انما كان تابعا لأمير دمشق فى «قرقر» ، وأما ان كان ما يشار اليه قد تم فى المرحلة ما بين موقعتى أفيق وراموت جلعاد ــ وهو الارجح فان أخاب انما يكون قد انضم الى ولايات سورية أخــرى ضد الاشوريين ، حين أدرك أنهم خطر عام مشترك(٤٣) .

وعلى أى حــال ، فان المسلة الســوداء ، والتى اكتشفت فى قصر شلمنصر فى مدينــة نمرود عــام ١٨٤٦م ، وموجــودة الان بالمتحف البريطانى(٤٤) ــ تمثل على وجههــا الثانى من أعلى حــاملى الجزية الاسرائيليين وموظفيهم ، فى ملابس مشغولة ذات أكمام قصيرة ، وعمامة تشبه غطاء الرأس ، والشكل العام يبعدهم عن أن يكونوا «حيثيين قحا» وتشهد للتأثير القوى للحيثيين الاراميين ، حيث يمثل نصب «شيشنق» شكلا آخر ، ينظر اليه كأمورى(٤٥) .

ونقرأ فى التوراة عن «بيت العاج» الذى بناه أخاب(٤٦) ، غــير أن البعض انما يتشكك كثيرا فى ذلك ، وعلى أى حال ، فان «أخاب» لم يبن هذا القصر كله ، وان كان له فيه بعض حجرات قد ملئت بأثاث قد حلى بالعــاج(٤٧) ، وترى الاثرية «مس كاثلين كنيون» أن معظم اللوحات

=

وكذا
Daniel David Luckonbill, Ancient Records of Assyria and Babylonia I, Chicago, 1926, No. 611.
James B. Pritchard, The Ancient Near East, Princeton 1950 P. 188.

(٤٣) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ٣/٤٠١ .

44) C. J. Gadd, the Stones of Assyria 1930. P. 48.
وكذا A. H. Layard, Nineveh and its Remains, 1849, I, P. 181.
وكذا S. A. Cook, Op. Cit., P. 363.

45) J. Finegan, Op. Cit., P. 264-205.

(٤٦) ملوك أول ٢٢ : ٣٩ .

47) W. Keller, Op. Cit., P. 228-229.

المصورة مصرية فى موضوعها وفى طريقة معالجتها الاساسية ، وان لم تكن واحدة منها مصرية صرفة ، وانما هى أعمال لرجال شاهدوا الاصول المصرية وقلدوها بأسلوبهم الوطنى[٤٨] ، وقد نقشت على ألواح العاج صور عديدة كزهور اللوتس والزنبق وأوراق البردى ، وصور الحيوانات كالاسود والثيران والغزلان ، وصور لالهة أشورية مجنحة وصور لأبى الهول وبعض الالهة المصرية ، مما يدل بوضوح على تاثير مصر القوى على اسرائيل فى تلك الفترة ، ولعل من أجمل الصور ، ذلك النقش الذى يمثل الاله «حور» ، وهو يجلس على زهرة من زهور اللوتس[٤٩] .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن الاثاث العاجى لم يكن فى تلك الفترة من تاريخ الشرق الادنى القديم ، وحوض البحر الابيض المتوسط ، مقصورا على أخاب وحده ، فقد اكتشفت بعثة فرنسية فى عام ١٩٢٨م ، بقايا سرير من العاج فى شمال سورية بمنطقة «أرسلان تاش» شرقى قرقميش ، تحمل اسم «حزائيل» ملك دمشق ، الذى اعتلى العرش فى عام ٨٤٢ ق.م ، كما اكتشف «سير أوستن ليارد» (١٨١٧ — ١٨٩٤م) فى عام ١٨٤٩م ، أشياء مشابهة لها ، وتنتمى الى نفس العصر ، فى قصر «نمرود» (كالح فى التوراة) بآشور ، وكان هذا القصر قد جدده «سرجون الثانى» وينتمى معظم ما به الى هذا العصر ، وعاجياته غير آشورية فى أسلوبها ولابد أن معظمها قد أتى من نفس المكان الذى أتت منه مثيلاتها التى فى «السامرة» وأنها ربما كانت قد نهبت أو دفعت كجزية للعاهل الاشورى «سرجون الثانى» عند استيلائه على السامرة فى عام ٧٢٢ ق.م هذا وقد اكتشف Mallowan حديثا مجموعات ضخمة من العاجيات فى نفس قصر نمرود ، تنتمى الى نفس مجموعات عاج السامرة[٥٠] .

هذا وقد وجدت «جذاذات» فى كريت ، وفى أنحاء مختلفة من شرق

---

48) K. M. Kenyon, Op. Cit., P. 267.

(٤٩) جون الدر : المرجع السابق ص ٨٨ .

50) K. M. Kenyon, Op. Cit., P. 268.

البحر الابيض المتوسط ، بينما قد كشف عن عدد كبير منذ أكثر من نصف قرن فى «قرمونة» فى جنوب غربى أسبانيا ، وبالرغم من أنه لم يوجد فى الواقع أية نماذج فى فينيقيا نفسهـا ، الا أنه مما لا شك فيه أن أغلبها قد جاء من «ورش» فينيقية ، أما النماذج الاشورية فقد جاء أغلبها من دمشق وشمال سـورية ، وكان التأثير المصرى غالبا ، وأما عاجيـات السامرة فتنتمى الى مجموعتين ، يمكن تأريخهما فى الوقت الحالى من القرنين الثامن والتاسع قبل الميلاد ، على التوالى ، وان كانت بعض الادلة تشير الى أنها من عصر واحد ، والوحدات الزخرفية اقتبـاس مصرى بحت[٥١] .

وتقدم التوراة لنا صورة قاتمة لآخـاب ، فهى تشير الى أنه قد اقترف كل أنواع الشرور ، التى اقترفها أسلافه من قبل ، ولعل السبب فى ذلك أن «آخاب» قد تزوج من «ايزابيل» ابنة «ايثبعل» ملك صور ، والتى كانت ذا شخصية قوية ، ومن ثم فقد استطاعت أن تسيطر على زوجها تماما ، ولقد أثار هذا الزواج معارضة قوية فى اسرائيل نفسها ، تزعمها النبى «ايليا» ، ذلك لان «ايزابيل» لم تات فى الواقع لاسرائيل بأفكار الحكم المطلق الغريبة عن التصور العبرى التقليدى عن الملـكية فحسب[٥٢] ، وانما حاولت كذلك احلال آلهة الفينيقيين شيئا فشيئا محل عبادة الله فى مملكة اسرائيل[٥٣] ، وليس هناك من ريب فى أن ايزابيل وحاشيتها الصورية كانوا يمارسون ديانتهم الصورية فى معبد أنشىء فى السامرة نفسها من أجل هـذا الغرض[٥٤] — كما كان الامر حين بنى سليمان ، كما تزعم التوراة ، محاريب لعبادة زوجـاته الاجنبيات على جبل الزيتون فى شرقى أورشليم[٥٥] .

---

51) W. F. Albright, the Archaeology of Palestine, P. 136-137.
وانظر : الترجمة العربية ص ١٢٤ ـ ١٣٥ .

52) C. Roth, Op. Cit., P. 25.

(٥٣) ج . كونتنو : المرجع السابق ص ٧٤ .

(٥٤) ملوك أول ١٦ : ٣٠ ـ ٣٤ .

(٥٥) ملوك ثان ٢٣ : ١٣ .

وعلى أى حال ، فلم تكن هذه الديانات هى طقوس الدولة الرسمية، ذلك لان «يهوه» انما بقى بالتأكيد رب اسرائيل بالنسبة لأخاب ومملكة اسرائيل ، وان كان الملك نفسه — فيما تروى التوراة — «قد عبد البعل وسجد له»(٥٦) ، الا أن وجود هذه الديانة الاجنبية وعبادتها فى السامرة انما قد أثار مقاومة التقاليد القديمة الصارمة للقبائل الاسرائيلية ، التى كانت خدمة «يهوه» هو هدفها النهائى(٥٧) ، وقد تزعم «ايليا» النبى الثورة ضد أخاب وزوجه ايزابيل ، اللذين جهدا لالغاء عبادة «يهـوه» واحلال عبادة «البعل» فى مكانها ، فهـدما مذابح رب اسرائيل وقتلا أنبياءه ، فاندفع ايليا فى طول البلاد وعرضها كالاعصار مهددا متوعدا ، بأنه لا طل ولا مطر فى هذه السنين ، وفى السنة الثـالثة يقول الرب لايليا : «اذهب وتراء لأخاب فأعطى مطرا على وجه الارض»(٥٨) .

وجاء «أخزيا» (٨٥٠ — ٨٤٩ ق٠م) بعد أبيه «أخاب» ثم تلاه أخوه «يهورام» (٨٤٩ — ٨٤٢ ق٠م) وفى عهده اشتدت غارات الاراميين على اسرائيل حتى حاصروا «السامرة» ، ثم انتشر الغلاء فى البلاد «حتى صار رأس الحمام بثمانين من الفضة ، وربع القـاب من زبل الحمام بخمس من الفضة ، وحتى بدأ القوم يأكلون أطفالهم ، ولم تنته الازمة السياسية — وكذا المجاعة — الا بعد أن فـك الاراميون الحصار عن السامرة ، بسبب أنباء مفاجئة عن هجوم أشورى على بلادهم(٥٩) .

وتنتهز مؤاب الفرصة ، وتعلن الثورة على اسرائيل ، وتستولى على الهضبة الخصبة شمال عرنون ، ونقرأ فى التوراة «أن ميشع ملك مؤاب كان صاحب مواش فأدى لملك اسرائيل مائة ألف خروف ، ومائة ألف

---

(٥٦) ملوك أول ١٦ : ٣١ .

57) M. Noth, Op. Cit., P. 241-242.

(٥٨) ملـوك أول ١٧ : ١ — ١٨ : ١ ، ٢١:١٩ ، انجيـل لوقـا ٤: ٢٥ ، رسالة يعقوب ٥ : ١٧ .

(٥٩) ملوك ثان ٨/٦ — ٢٣ ، ١/٧ — ٢٠ ، وكذا W. Keller, Op. Cit., P. 230.

كبش بصوفها ، وعند موت أخاب عصى ملك مؤاب على ملك اسرائيل(٦٠) .

وأما نص «الحجر المؤابى»(٦١) فيذهب الى أن عمرى وولده أخاب قد اضطهد مؤاب أربعين عاما ، كان «كيموش» اله مؤاب غاضبا على بلاده أثناءها ، ولكن ما أن يعتلى ميشع العرش حتى يسرع بخلع نير اسرائيل ثم يقوم بحملة مظفرة ينجح فيها فى توسيع الحكم المؤابى على مدى خط العــرض فى الطرف الشمالى من البحــر الميت ، واخضــاع المستعمرات الاسرائيلية ، والمدن الخاضعة لاسرائيل فى الهضبة الخصبة شمال عرنون(٦٢) ، ثم نهب المعبد الاسرائيلى فى «نبو» (خربة المخيط على مبعدة ٥ أميــال جنوبى شرقى حسبــان) ووهب سبعة آلاف من سكانها للاله «عشتار ـــ كيموش» ، وتخليدا لانتصاره فقد كرس المكان العالى للمعبود «كيموش» فى «فورخا»(٦٣) .

---

(٦٠) ملوك ثان ٤/٣ ـ ٥ .

(٦١) الحجر المؤابى : عثر عليه عام ١٨٦٨م فى «ديبون» (ذيبان الحالية) عاصمة مؤاب ، وقد نقله «كلير مونت جانيو» الى متحف اللوفر فى باريس عام ١٨٧٣م ، وهو قطعة من صخور البازلت الاسود عليها أقدم نقش تاريخى مكتوب على النمط السامى الشـمالى القديم ، ويعد أكثر الاثار أهمية عن تاريخ فلسطين ، ولغته قريبة الشبه فى رسمها وقواعدها باللغة العبرية القديمة ، وأسلوبه يدل على أن مؤاب لم تكن بلدا بدائيا ، وانما كانت على درجة حضارية متقدمة ، ويرجع تاريخه الى ما بين عامى ٨٤٠ ، ٨٢٠ ق.م ، وربما حوالى عام ٨٣٠ ق.م ، وعن ترجمة نص الحجر المؤابى أنظر : (محمد بيومى مهران : اسرائيل ٩١٩/٢ ـ ٩٢١ وكذا

W. F. Albright, ANET, 1966, P, 320-321.

S. A. Cook, Op. Cit., P. 372-373.

M. F. Unger, Op. Cit., P. 755-756.

J. B. Pritchard, ANEA, 1958, P. 209.

J. Finegan, Op. Cit., P. 188-189.

C. S. Clermont-Ganneau, La Stele de Moab, 1887.

G. A. Cooke, The Text-Book of North-Semitic Inscriptions, Oxford, 1903, P. 1-14.

R. Dussaud, Le Mounments Palestiniens et Judaiques (Musee du Louvre), 1912, P. 4-22).

62) M. Noth, Op. Cit., P. 244-245.

63) S. A. Cook, Op. Cit., P. 372.

وهنا تضطر اسرائيل الى طلب المعونة من يهوذا وأدوم ، ثم القيام بهجوم على مؤاب من الجنوب ، وهذا يستدعى الدوران حول البحر الميت ، اعتمادا على نبوءة فى التوراة ، وهكذا خاطر الحلفاء بالمسير فى هذا الاقليم المقفر ، ثم سرعان ما تمكن الحلفاء من نشر الخراب فى مؤاب ، وهدموا المدن ، مما اضطر ملك مؤاب الى أن يقدم ولده البكر محرقة على أسوار قلعة المدينة ، استرضاء للاله كيموش ، وبهذه الوسيلة اضطر ملك اسرائيل الى الانسحاب مع حلفائه ، وان كان هذا يعنى فى الحقيقة أن الغزاة قد ردوا وطردوا(٦٤) .

هذا ويتفق النصان — التوراتى والمؤابى — أن الحملة قد انتهت بهزيمة اسرائيل وحلفائها ، وان اختلفا فى أن النص التوراتى انما قد أطنب فيما أحرزته اسرائيل من نجاح — بادىء ذى بدء — بينما يمر النص المؤابى على ذلك مر الكرام ، وأن التوراة تشير الى النتيجة النهائية (هزيمة اسرائيل) باختصار ، بينما يطنب فيها نص مؤاب ، وأما قول النص المؤابى أن اسرائيل قد أبيدت الى الابد ، فربما كان يعنى بذلك الابادة الدموية لاسرة عمرى ، هذا الى أن التوراة تجعل ثورة مؤاب بعد وفاة أخاب ، بينما الذى يفهم من النص المؤابى أنها كانت فى النصف الثانى من حكم أخاب ، هذا فضلا عن أن النص المؤابى وثيقة تاريخية تتحدث بوضوح عن جهود «ميشع» ملك مؤاب فى كفاحه المرير ضد اسرائيل وحلفائها من يهوذا وأدوم ، وتخليصه لكثير من المدن المؤابية من النير الاسرائيلى ، فضلا عن الانشاءات المدنية والدينية التى أقامها فى هذه المدن بعد طرد يهوذا منها ، بينما نص التوراة لا يعدو أن يكون واحدا من نصوصها الذى يسجل — كما يسجل غيره — أمجاد يهوه ، رب اسرائيل ، ورعايته لشعبه ومن تحالف معهم ضد عدوهم ، عن طريق نبوءات لواحد من أنبياء يهود ، تبشر برعاية يهوه لهم فى صحراوات

---

(٦٤) ملوك ثان ٣/٣ — ٢٧ ، محمد بيومى مهران : اسرائيل ٢/ ٩٢١ — ٩٢٣ .

شرق الاردن ، ومع ذلك فهذه الرعاية لم يكتب لها أى نجح — طويل المدى أو قصيره — أمام قوات مؤاب[٦٥] .

(٤) أسرة ياهو (٨٤٢ — ٧٤٥ ق٠م) :

كان «يهوه» (٨٤٢ — ٨٥١ ق٠م) رأس الاسرة الثالثة فى اسرائيل التى قامت نتيجة انقلاب عسكرى ، ونقرأ فى التوراة أنه بينما كان الاسرائيليون فى حومة الوغى فى «راموت جلعاد» (تل راميث الحالية فى شرق الاردن) يحاولون استعادتها من بين أنياب الاسد الارامى القوى ، اذ بأحد ضباط الملك «يهورام» (وهو القائد ياهو) يقوم بانقلاب عسكرى يطيح فيه بآخر ملوك أسرة عمرى ، ويعتلى عرش اسرائيل مكانه ، ثم يتقدم على رأس كوكبة من أتباعه الى «يزرعيل» (يزرعين الحالية) فيقتل الملك «يهورام» ، كما يقتل ملك يهوذا «أخزيا» (حليف يهورام وابن أخته عثليا) ، والذى جاء لمساعدة خاله ملك اسرائيل ضد الاراميين ، ثم يأمر بالملكة «ايزابيل» (أم يهورام ، وجدة أخزيا ، وزوج الملك أخاب) فيقذف بها من نافذة القصر الملكى فى يزرعيل ، ثم يطؤها تحت حوافر خيله ، ثم يختم «ياهو» المأساة المروعة بأن يقوم بمذبحة همجية ، تراق فيها دماء اثنين وأربعين من أمراء آل بيت داود ، أتوا من أورشليم فى زيارة ليزرعيل ، ولكنها رغم بشاعتها — لا تروى ظمأة المتعطش للدماء البشرية ، فيرسل الى السامرة يطلب من نبلائها أن يأتوا له برؤس سبعين أميرا[٦٦] ، ثم يتقدم ياهو الى السامرة ، وهناك فى معبد بعل «جمع أنبياء البعل وكل عابديه وكل كهنته» ، وفى لحظة من التعصب الاعمى ، ذبح «ياهو» كل من اتخذ البعل ربا ، ودمر معبده ، وربما أراد بذلك أن يجعل انقلابه العسكرى ، انقلابا دينيا وسياسيا فى آن واحد ، وبالتالى فقد قضى على أسرة عمرى تماما ، كما أباد أتباع

---

(٦٥) محمد بيومى مهران : اسرائيل ٩٢٣/٢ — ٩٢٤ .

(٦٦) ملوك ثان ١/٩ — ١٧/١٠ ، محمد بيومى مهران : اسرائيل ٩٢٤/٢ — ٩٢٦ ، وكذا

A. Lods, Op. Cit., P. 383.

البعل فى مذبحة بقيت فى ذاكرة القوم مروعة ، ولفترة طويلة بعد ذلك(٦٧) .

وبدأ «ياهو» يتخذ سياسة جديدة لا تؤمن بالمبدأ القائل بأن سورية «دولة حاجزة» Buffer State — بين اسرائيل ودولة أشور القوية ، وأن بقاءها ، كما هو خير لدمشق ، فهو خير لاسرائيل كذلك ، ومن هنا فهو لم يرسل بقواته لمساعدة «حزائيل» ملك دمشق ، عندما قام «شلمنصر الثالث» (٨٥٩ — ٨٢٤ ق.م) بحملة جديدة على دمشق ، بل انه يسرع فيرسل بجزيته الى الملك الاشورى المنتصر ، كما يبدو ذلك واضحا على المسلة السوداء(٦٨) ، هذا فى الوقت الذى كانت علاقة «ياهو» بجيرانه سيئة للغاية ، فلقد أدت ثورته التى راح ضحيتها أفراد البيت المالك — وخاصة ايزابيل — الى قطع العلاقات الودية مع صور ، ومن ورائها المدن الفينيقية الاخرى ، كما أن وجود «عثليا» — ابنة أخاب وايزابيل ، وأم أخزيا الذى قتله ياهو فى يزرعيل — ممسكة بزمام الامور فى دويلة يهوذا ، أفقد اسرائيل عطفها ، وحولها الى دولة معادية ، ولم تكن اسرائيل وقت ذاك دولة قوية بالدرجة التى تستطيع معها أن تجعل يهوذا مجرد تابع لها ، وهناك فى شرق الاردن ، كانت مؤاب ماتزال تدق طبول فرح انتصارها على اسرائيل(٦٩) .

وهكذا وجد «ياهو» نفسه وحيدا فى الميدان الشامى كله ، ومن ثم فقد اتجه الى أشور يطلب عونها أو حمايتها ، ولكن آماله خابت حين أرسلت أشور فى عام ٨٣٩ قبل الميلاد ، حملة الى دمشق ، ثم غابت عن الميدان ، فلم يشعر بوجودها أحد فى بلاد الشام قرابة ثلاثين عاما ، اما بسبب ضعف ألم بآشور نفسها ، واما لانشغالها بحروب على الحدود الاخرى(٧٠) .

---

(٦٧) ملوك ثان ١٠/١٥ — ٢٨ ، هوشع ١/٤ ، وكذا
C. Roth, Op. Cit., P. 26.

68) A L. Oppenheim, ANET, 1966, P. 281.
وكذا A. Lods, Op. Cit., P. 384.
وكذا A. H. Layard Op. Cit., P. 282.

69) A. Lods, Op. Cit., P. 384.

70) Ibid., P. 384.

وهكذا بدأ «حزائيل» ملك دمشق يتجه الى اسرائيل ليعيد سيادة الارامين عليها ، وليحقق نبوءة «اليشع» — النبى الاسرائيلى — من حرق مدن اسرائيل وقتل الشباب والاطفال وبقــر بطون الحوامل من نسوة اسرائيل ، ورغم أن التوراة لا تقدم تفصيلات عن هذه المعارك ، فان النبى «عاموس» حين تطلع الى الوراء ، فاننا نراه يذكر أن الارامين قد خربوا أرض جلعاد[٧١] .

ونقرأ فى التوراة أن اسرائيل قد فقدت كل ممتلكاتها فى شرق الاردن، حيث استولى «حزائيل» على جميع أرض جلعاد الجاديين والرؤابيين والمنسيين من عروعير التى على وادى أرنون وجلعاد وباشان[٧٢] ، هذا وقد شجعت انتصارات دمشق أعداء اسرائيل القدامى على مهاجمتها ، وأيد حزائيل الفلسطينيين فى نزاعهم مع اسرائيل ويهوذا على السواء ، واستغل العمونيون الفرصة فى غزو أرض جلعاد ، جنوب يبوق ، لتوسيع حدودهم ، وطبقا لما جاء فى سفر عاموس ، فقد دمروا جلعاد ، وبقروا بطون الحوامل هناك[٧٣] .

وجاء «يهو أحاز» (٨١٥ — ٨٠١ ق٠م) بعد أبيه «ياهو» ، ووصلت دويلة اسرائيل فى عهــده الى الحضيض ، حتى أصبحت مجــرد تابع لأرام [٧٤] ، ثم حوصرت السامرة ، ولم ينقــذها الا رعب فجائى فى معسكر عدوها[٧٥] ، وهكذا أصبحت أحوال اسرائيل على أيام «يهوأحاز» أسوأ مما كانت على أيام أبيه ، وأذاقها ملك دمشق «حزائيل» من الذلة والمهانة ما لم تتعرض لمثيله من قبل ، بل وقام «حزائيل» بحملة على دويلة يهــوذا ، فاستولى على «جت» ، بل وكاد أن يهــاجم أورشليم نفسها ، لولا أن قدم له «يهوآش» ملك يهوذا ، كل كنوز خزائنه[٧٦] .

(٧١) ملوك ثان ١٢/٨ ، عاموس ٣/١ ٠
(٧٢) ملوك ثان : ٣٢/١٠ — ٣٣ ٠
(٧٣) عــاموس ١٣/١ ٠

74) I. Epstein, Op. Cit., P. 42.
75) C. Roth, Op. Cit., P. 27.

(٧٦) ملوك ثان ١٧/١٢ — ١٨ ، ٧/١٣ ، وكذا
A. Lods, Op. Cit., P. 385.

وهكذا أصبحت دمشق تسيطر على مملكتى العبرانيين (اسرائيل ويهوذا) ، ويتوغل الاراميون الى تخوم السامرة نفسها ، وخيل يومئذ أنها وشيكة الانحلال ، ولكن ساعة اسرائيل لم تكن قد دنت بعد ، وكان مقدرا لها أن تصحو مرة أخرى من هذه الاغفاءة ، الى أن يجيء يوم دمارها وفنائها(٧٧) .

وجاء «يهوآش» (٨٠١ — ٧٨٦ ق٠م) على عرش اسرائيل بعد أبيه «يهوأحاز» ، وسرعان ما يقوم الملك الاشورى «أدد — نيرارى الثالث» (٨١٢ — ٧٨٢ ق٠م) بحملة على دمشق ، ويجبرها على الخضوع ودفع الجزية وتنتهز اسرائيل الفرصة ، ويتمكن «يهوآش» من هزيمة الاراميين ثلاث مرات فى «أفيق» ، ويسترد المدائن التى فقدها أبوه فى غرب الاردن(٧٨) .

وجاء «يربعام الثانى» (٧٨٦ — ٧٤٦ ق٠م) بعد أبيه «يهوآش»، وظل يحكم اسرائيل نحوا من أربعين عاما ، كانت عودة قصيرة للايام الهادئة فى حياة اسرائيل ، فقد كانت آشور فى شغل عن فلسطين بمشاكلها الداخلية ، ولم تعد دمشق منافسا خطيرا ، واهتبلت اسرائيل الفرصة لاستعادة الاقاليم المفتوحة ، واستغلال الموقف لصالحها ، ونقرأ فى التوراة أن يربعام «رد تخم اسرائيل من مدخل حماة الى بحر العربة»(٧٩) (البحر الميت) ورغم ما فى هذا النص من غموض ومبالغة ، فان اسرائيل على أيام يربعام الثانى كانت من أقوى الولايات الفلسطينية(٨٠) .

وهكذا بدا فى الافق أن يربعام هو المخلص الحقيقى لاسرائيل، فقد كانت القوة والرخاء فى عهده مصحوبين بانتعاش دينى ، فاحتشدت المحاريب ، وتدفقت القرابين ، وحوفظ على الاعياد بدقة ، غير أن هذه المظاهر الخارجية للديانة قد لوثت بالوثنية ، فلم تتجه الى عبادة يهوه .

---

(٧٧) حبيب سعيد : الانبياء الاقدمون يتكلمون ص ١٤ .
(٧٨) ملوك ثان ٢٥/١٣ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص٤١٢
(٧٩) ملوك ثان ٢٥/١٤ .
(٨٠) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٩٣٠ — ٩٣١ .

وانما للتوفيق بينها وبين عبادة العجول الذهبية(٨١) ، مما جعل عاموس النبى يثور على هذه الاوضاع(٨٢) .

هذا وقد سار الانحطاط الخلقى فى نفس الطريق الذى ســار فيه الانحطاط الدينى ، ونقــرأ فى التوراة عن المقــر الملكى ــ الشتوى والصيفى ــ فى منازل من عاج وأخرى من أبنوس ، وعن قصور فخمة، جاورتها أخصاص خشنة ، وعن الاغنياء الذين أكلوا خرافا وعجــولا ، وشربوا كؤوس الخمر على أصوات الرباب وآلات الغناء ، وتطيبوا بأرقى الطيب وأفخم الادهان ، وقد اقتنصوا هــذه المتع والملذات « بالظلم والاغتصاب» ، وارهاق الفقراء والمعوزين ، الذين كانوا يباعون كما تباع السائمة ، وفاء لحقوق دائنين لا تعــرف الرحمة الى قلوبهم سبيلا ، واقتراف الغش فى التجارة والموازين ، وأخذ الهدايا والرشوة ، وهكذا اضمحلت الفضائل فى الحياة الخاصة والعامة ، وحتى العدل قد اعوج فى المحاكم والقضاء،فيصرخ عاموس النبى (٧٦٠ ــ ٧٤٦ ق٠م) صرخته الداوية «رؤساء متمردون وشركــاء للصوص ، كل واحــد منهم يحب الرشوة ، ويتبع العطايا ، لا يقضون لليتيم ، ودعوى الارملة لا تصل اليهم»(٨٣) .

هذا وقد بلغت الاباحية حدا شنيعا مخزيا ، حتى ليذهب «رجــل وأبوه الى صبية واحدة ، فيدنسوا اسم قدسى» ولم يخفف التجــار جشعهم وطمعهم ، لكى «يبيدوا بائسى الارض» ، وتجاهل القوم كل الشرائع الانسانية ، ولم تعد الارض يملكها ويفلحها «النوابيت» ، وهم

81) . I. Epstein, Judaism, 1970, P. 42.

(٨٢) عــاموس ٢١/٥ ــ ٢٤ .

(٨٣) عاموس ٦/٢ ــ ٨ ، ١٠/٣ ، ١٥ ، ٤/٦ ــ ٦/٨ ، حبيب سعيد : المرجع السـابق ص ١٥ ــ ١٧ ، القس عـاموس عبد المسيح : دراسات فى عاموس ، ترجمة حارث قريصة ــ القاهرة ١٩٦٦ ص ٦٦ ــ ٧٣ وكذا

C. Roth, Op. Cit., P. 27.

فلاحون أحرار يتوارثون حقول أجدادهم ، ويكفلون بعملهم المتواصل عيشا شريفا لانفسهم ولاسرهم ، وانما تحولت الملكيات الصغيرة الى ضياع واسعة ، وكان معظم من يفلحونها من العبيد ، كما أصبح المالك — وقد أثرت فيه الحروب القاسية التى نشبت على الحدود فأفقرته ، بل وأفلسته — أصبح فلاحا يستأجر الارض من مالكها ، ثم أصبح آخر الامر مسترقا ، وارتفع مستوى الترف بين الاغنياء ، وهبط مستوى المعيشة بين الفقراء ، وأخذت الفجوة بين هاتين الطبقتين تتسع على مر السنين[٨٤] .

هذا وتظهر لنا أحداث التاريخ أن أحوالا كهذه لا يمكن أن تنتهى الا بأحد أمرين ، أولهما : أن تحتفظ الطبقات الدنيا بشىء من الرجولة يثير حفيظتهم ويدفعهم فى النهاية الى الانتفاض على استبداد الاقلية، فيحدثون انقلابا يزعزع كيان النظام الاجتماعى فى الداخل ، وثانيهما : أن يفقدوا روحهم المعنوية فتتفكك أوصال الامة ، وتقع فريسة سهلة لكل فاتح جرىء قوى ، والهلاك نهاية كل من الامرين ، وليس من الواضح أن عاموس فكر فى الامر على هذا النحو ، أو أنه كان يفكر فى عدو بعينه يريد أن يغتصب البلاد ، ولكنه كان يرى أن الحضارة ممثلة فى السامرة ، وفى بيت ايل ، مقضى عليها بالزوال ، ولم يكن يجد فى دين يهود ، وقت ذاك ، سندا ، لانه كان فى أحسن وجوهه طائفة من الشعائر لا تقوم على وازع خلقى ، وفى أسوئها لا يبيح المفاسد التى يشكو النبى عاموس منها فحسب ، بل ويشجع عليها أيضا[٨٥] .

وخلف «زكريا» (٧٤٦ — ٧٤٥ ق٠م) أباه على عرش اسرائيل ، ثم تلاه بعد ستة أشهر مغتصب للعرش يدعى «شلوم بن يابيش» (٧٤٥ ق٠م) بعد أن قتله[٨٦] ، وهكذا انتهت الاسرة ، كما بدأت ، بدم مسفوك

---

(٨٤) ملوك أول ١/٢١ ـ ١١ ، تيودور روبنسون : تاريخ العالم ـ اسرائيل فى ضوء التاريخ ص ١٢١ (مترجم) .
(٨٥) نفس المرجع السابق ص ١٢١ .
(٨٦) ملوك ثان ٨/١٥ ـ ١٢ .

تحقيقا لنبوءة عاموس[٨٧] .

(٥) أخريات أيام دويلة اسرائيل :

أعقب سقوط أسرة «يــاهو» انهيارا سريعــا فى اسرائيل ، وكان انهيارا متلاحقا متصل الحلقات ، لم يستغرق أكثر من ربع قــرن من الزمان ، وقد توالت الاحداث فى هذه الفترة القصيرة من الزمن فى عنف وسرعة ، وهى لم تكن على أية حال ، أحداثا داخلية ، كما تشير التوراة، فلم تكن بسبب نجاسة اسرائيل (أفرايم) وغضب الرب عليهم بسبب عكوفهم على عبادات أخرى ، وانما كانت هناك عوامل خــارجية كانت الاداة الفعلية لهدم اسرائيل والقضاء عليها ، وكانت هذه العوامل تتصل بدمشق واشور ، دمشق بحلفها مع اسرائيل ضد يهوذا واسرائيل ، ثم أشور باهتمامها بشئون بلاد الشام[٨٨] .

كانت أشور ترى أن امتلاكها لسورية وفلسطين هو الشرط الاساسى لنجاح امبراطوريتها ، فهو لم يكن بالنسبة لحكام بلاد النهرين بسبب ثروة سورية وفلسطين من أخشاب نادرة فى الشرق ، وبسبب ثروتهــا المعدنية ، وساحلها الطويل على البحر المتوسط ، وتجارتها الغنية فحسب ولكنه كان كذلك ــ وفى نفس الوقت ــ المدخل الى جنوب شرقى آسيا الصغرى من ناحية ، ومصر من ناحية أخرى ، ومن ثم فقد اتخذ «تجلات بلاسر الثالث» (٧٤٥ ــ ٧٢٧ ق٠م) الخطوات الجــادة مباشرة لضم الاجزاء الاساسية من سورية وفلسطين الى الامبراطورية الاشورية ، وتثبيت سيادة أشور على سورية وفلسطين ، ومن هنــا فانه لم يقنع ــ كغيره من الحكام الاشوريين ــ بقبول الجــزية ممن يخضعهم من الامراء السوريين والفلسطينيين[٨٩] .

وعلى أية حال ، فلقد انتهت أسرة «ياهو» ، كما رأينــا ، على يد

(٨٧) عــاموس ٩/٧ .
(٨٨) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤١٤ ، وانظر : هوشع ٨/٧ ــ ١٣ ، عاموس ١/٥ ، ٣٥/٢ .
(89) M. Noth, Op. Cit., P. 235-236.

«شلوم» الذى قتل بعد شهر من قتله «زكريا بن يربعــام» ، على يد مغتصب آخر هو «منحيم بن جادى» (٧٤٥ – ٧٣٦ ق•م) ، الذى مارس كل أنواع القسوة والهمجية ، حتى أنه فى «تفسح الحالية على مبعدة ٦ أميال جنوب غرب القدس» بقر بطون الحوامل ، ومع ذلك لم يستطع توطيد عرشه بدون عون من الخارج ، ومن ثم فما أن غزا «تجــلات بلاسر» اسرائيل ، حتى حنى له رأسه ، وخفض له جناح الذل ، وابتاع معونته بالمال (ألف وزنة من الفضة) فرضه على قومه ليقدمه رشــوة لعاهل أشور ، استرضاء له ، واستجداء لمعونته على صيانة عرشه[٩٠].

ثم جاء من بعده مجموعة من المغتصبين ، فجاء «فقحيا» (٧٣٦ – ٧٣٥ ق•م) ، ثم «فقح» الذى مازال المؤرخون على خــلاف فى فترة حكمه[٩١] ، وعلى أية حال ، ففى هذه الفترة تقوم دمشق بدور قيادى – ولآخر مرة – اذ تكونت كتلة سياسية بزعامة «رصين» ملك دمشق ، ومن ورائه تحالف الدويلات الارامية ، ضد آشور ، ثم سرعان ما انضم الى رصــين الفينيقيون والدويلات العــربية والمدن الفلسطينية ، ثم الادوميون واسرائيل ، ولم يبق خــارج التحالف الا «أحــاز» ملك يهوذا[٩٢] ، ومن ثم فاننا نقرأ فى التوراة أن أورشليم قد هوجمت بقوات دمشق والسامرة ، لازاحة «أحاز» ، وتتويج واحد من الاراميين فى مكانه ليضم يهوذا الى الحلف القائم ضد أشــور[٩٣] ، كما نقرأ كــذلك أن

(٩٠) ملوك ثان ١٣/١٥ – ٣٦ ، حبيب سعيد : المرجع السابق ص ٣٢ – ٣٦ .

(٩١) محمد بيومى مهران : اسرائيل ٩٣٤/٢ – ٩٣٦ ، وكذا : ملوك ثان ٢٧/١٥ ، وكذا

Historical Atlas of The Holy Land, P. 32.

W. F. Albright, The Biblical Period from Abraham to Ezra, N. Y., 1963, P. 117.

P. K. Hitti, The Near East in History, Princeton, 1961, P. 99.

92) W. Keller, Op. Cit., P. 241-242.

(٩٣) ملوك ثان ٥/١٦ ، اشعياء ١/٧ – ١٠ ، وكذا

E. G. Kraeling, Aram and Israel, 1918, P. 116.

«رصين» أرجع «أيلة» للاراميين ، وطرد اليهوذيين منها[٩٤] ، ويسجل مؤرخ أخبار الايام الثانى تلك المذابح التى وقعت فى يهوذا ، ونفى عدد كبير من أسرى يهوذا الى دمشق[٩٥] ، مما أثار النبى «اشعيا» (٧٣٤ — ٦٨٠ ق.م) الى حد كبير[٩٦] .

ومن ثم فقد اضطر «أحـاز» الى أن يستنجد بالملك الاشـورى «تجلات بلاسر»[٩٧] الذى ربمـا كان فى تلك الاونة فى شمال سورية ، وربما كان فى مكان ما فى مجاورات دمشق ، وعلى أية حال ، فلقد بدأت الاحداث تتحرك سريعا ، وأنقذ «أحاز» — بسبب التدخل الاشورى السريع والحاسم — قبـل أن تسقط أورشليم فى ايدى المهـاجمين من الاراميين والاسرائيليين ، وأن «تجـلات بلاسر» لم يكن — على وجه اليقين — فى حاجـة لتوسلات «أحـاز» ليقوم بحملته ضـد سورية وفلسطين ، فلقد كان هدفه منذ عام ٧٣٨ ق.م ، الاخضاع التام لسورية وفلسطين ، منذ أن أصبحت حماة من أملاكه[٩٨] .

وهكذا ، وفى عام ٧٣٣ ق.م ، تقابل الملك الاشورى مع ملك دمشق ، فهرب «رصين» الى عاصمته دمشق ، ومن ثم فقد قام الملك الاشورى بمحاصرة العاصمة الارامية ، واتلاف ما حولها من حدائق ومدن ، فضلا عن الاغارة على حلفاء الاراميين والانتصار عليهم ، ممـا جعل دمشق تصبح فى عزلة تامة[٩٩] .

ونقرأ فى التوراة أن «تجلات بلاسر» قد أخذ عيون وابل بيت معكة ويانوج وقادش وحاصور وجلعاد والجليل وكل أرض نفتالى ، وسباهم

---

(٩٤) ملوك أول ٦/١٦ ، ثم قارن : قاموس الكتاب المقدس ١٤٣/١

(٩٥) أخبار أيام ثان ١/٢٨ — ١٧ .

(٩٦) أشعياء ١/٧ — ١٧ .

(٩٧) ملوك ثان ٧/١٦ — ٨ ، وكذا
S. A. Cook, Op. Cit., P. 363.

98) M. Noth, Op. Cit., P. 259-260.

99) E. G. Kraeling, Op. Cit., P. 118-119.
وكذا M. Noth, Op. Cit., P. 260-261.

الى أشور[١٠٠] ، وتشير الحوليات الاشورية الى أنه قد استولى على كل مدن اسرائيل ، ماعدا السامرة ، ومن ثم ، فاننا نستنتج من ذلك ، ومن قوائم الاقاليم الاشورية ، أن تجلات بلاسر قد ترك لملك اسرائيل «فقح» جبل أفرايم والمدينة الملكية السامرة ، وأما بقية المناطق الاسرائيلية فقد أدمجت فى نسق الولايات الاشورية[١٠١] .

وهكذا فان الممالك الصغيرة فى سورية وفلسطين ، والتى كانت على مدى قرنين من الزمان قبل ذلك ، قادرة على حفظ كيانها دون تدخل من الخارج تقريبا ،وجدت نفسها أمام أشور القوية الطامعة الطاغية ، وقد نجح «تجلات بلاسر» فى أن يجتاح فى عدة حملات الى الغرب ، مدينة دمشق ، بعد حصار دام عامين ، ويقتل ملكها «رصين» ، وبسقوط دمشق، حان الوقت لاشور أن تضم سورية بأكملها ، وانتهت قوة الاراميين السياسية ، وأصبحت السيادة على الدويلات الارامية لاشور ، وبالتالى فقد زال الحاجز الذى كان يحول دون سقوط السامرة[١٠٢] .

(٦) نهاية اسرائيل والسبى الاشورى :

جاء «هوشع» (٧٣٢ — ٧٢٤ ق.م) بعد «فقح» ملكا على اسرائيل ، من قبل الاشوريين ، ولكنه سرعان ما أعلن العصيان فى عهد الملك «شلمنصر الخامس» (٧٢٧ — ٧٢٢ ق.م)[١٠٣] ، ونقرأ فى التوراة «أن ملك أشور وجد فى هوشع خيانة ، لانه أرسل الى «سوا» ملك مصر، ولم يؤد جزية الى ملك أشور حسب كل سنة»[١٠٤] ، والمعروف تاريخيا أنه لا يوجد ملك فى هذه الفترة من تاريخ مصر يحمل اسم «سوا» ، ومن هنا كان الخلاف بين المؤرخين حول هذا ال «سوا» ، وربما كان الملك

---

(١٠٠) ملوك ثان ١٥/٢٩ ، وكذا
E. G. Kraeling, Op. Cit., P. 118.
101) M. Noth, Op. Cit., P. 261.
102) A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 341.
وكذا E. G. Kraeling, Op. Cit., P. 118-191.
103) A. ـ. Gardiner, Op. Cit., P. 341-342.
(١٠٤) ملوك ثان ١٧/٤ ـ ٥ .

المقصود فى نص التوراة هو «أوسركون الرابع» (٧٣٠ — ٧١٥ ق٠م) من الاسرة الثانية والعشرين[١٠٥] ٠

وعلى أية حال ، وأيا كان اسم ملك مصر الذى استنجد به «هوشع» ضد أشـــور ، فلقد تقدم الملك الاشـــورى «شلمنصر الخامس» نحو «السامرة» واستمـــر فى حصارها نحوا من أعوام ثلاثـــة ، من السنة السابعة للملك هوشع ، وحتى التاسعة ، واذا أمكننا أن نضـــع سقوط السامرة فى أخريـــات السنة التاســـعة ، فان هذا الحـــدث التاريخى الخطير ، انما يكون قد تم فى ربيع عام ٧٢٢ قبل الميلاد ، فى وقت كان فيه «شلمنصر» ما يزال ملكا على أشور ، هذا ويقرر ســـفر تاريخى بابلى ، ويؤرخ بالسنة الثانية والعشرين من عهد الملك الفـــارسى «دارا الاول» (٥٢٢ — ٤٨٦ ق٠م) — أى حوالى عام ٥٠٠ ق٠م — ويتحدث عن الفترة من عهد «تجلات بلاسر الثالث» (٧٤٥ — ٧٢٧ ق٠م) الى أيام «أشور بانيبـــال» (٦٦٨ — ٦٢٦ ق٠م) (أى فى الفترة من عام ٧٤٥ ق٠م الى عام ٦٢٦ ق٠م) أن موت «سلمنصر الخامس» انما كان فى شهر (Toletu) ، وأن اعتلاء «سرجون الثانى» عرش أشور ، انما كان فى اليوم الثانى عشر من نفس الشـــهر ، وهذا يتأخر به الى ديسمبر ٧٢٢ ق٠م ، كما يعتبر هذا السفر تدمير مدينة «الشامرين» —

---

(١٠٥) وُنظر عن «سوا» والاراء التى دارت حوله (محمد بيومى مهران : اسرائيل ٢/٩٤٠ — ٩٤٥ ، وكذا

K. A. Kitchen, The Third Intermediste Period in Egypt, Oxford, 1927, P. 373-374.

W. O. E. Oesterley, The Legacy of Egypt, Oxford, 1947, P. 228.

Von Bissing, RT, 34, 1912, P. 125.

A. Gardiner, JEA, 50, 1964, P. 94.

J. H. Breasted, A History of Egypt, N. Y., 1946, P. 549.

Ramadan Sayed, VI, 17, 1967, P. 116-118.

S. Yeivin, VI, 2, 1952, P. 164.

R. Borger, JNES, 19, 1960, P. 49-53.

A. T. Olmstead, Western Asia in The Days of Sargon of Assyria, 1908, P. 56, 70.

والتى يمكن أن توحد بالسامرة — من الاحداث الهامة فى عهد «شلمنصر الخامس» ، وتؤرخ المعركة بعام ٧٢٢ ق٠م ، وفى الغالب فيما بين الربيع والخريف من هذا العام ، وان كان هناك من يقرأ اسم المدينة على أنها «الشابريين» بدلا من «الشامريين» ، ويرى أنها ليست مدينة «السامرة» وان كان هذا الاحتمال ضعيفا(١٠٦) ٠

وعلى أى حال ، فاننا نقرأ فى حوليات العاهل الاشورى «سرجون الثانى» (٧٢٢ — ٧٠٥ ق٠م) قوله : «فى بداية حكمى ، وفى السنة الاولى منه حاصرت السامرة واستوليت عليها ، ونقلت من أهلها ٢٧٫٢٩٠ مواطنا ، واستوليت على خمسين عربة من السلاح الملكى ، ثم ملأتها بسكان أكثر مما كان فيها ، فأحللت بها مواطنين جددا من بلاد كنت قد استوليت عليها ، وعينت حكاما عليها ، وفرضت عليها الجزية والضرائب، كما يفعل الاشوريون»(١٠٧) ٠

وانطلاقا من هذا ، فان سقوط السامرة انما قد تم فى أوائل السنة الاولى من عهد «سرجون الثانى» ، وأن ذلك قد حدث بعد فترة ما من ديسمبر عام ٧٢٢ ق٠م ، ومن ثم فربما كان ذلك فى عام ٧٢١ ق٠م ، وهذا يتناقض مع رواية «شلمنصر الخامس» التى ينسب فيها سقوط السامرة الى أيامه(١٠٨) ، بل ان هناك رأيا يذهب الى أن عاصمة اسرائيل

---

106) J. Finegan, Op. Cit., P. 208.
A. T. Olmstead, Western Asia in the Days of Sargon of Assyria, P. 45.
E, R. Thiele, The Mysterious Numbers of the Hebrew Kings, 1951, P. 122-128.
A. T. Olmstead, AJSL, 21, P. 181 F.

107) A. L. Oppenheim, ANET, P. 284.
وكذا
A. G. Lie, The Inscriptions of Sargon, II, Part, I, The Annalas, Annalas, P. 5.

108) J. Finegan, Op. Cit., P 210.

هذه انما قد سقطت فى عام ٧١٥ ق.م[١٠٩] وآخـر يذهب الى أنها قد سقطت فى عام ٧١١ ق.م[١١٠] .

وعلى أى حال ، فاذا كانت السامرة قد سقطت فى ربيـع أو حتى خريف عام ٧٢٢ ق.م ، فقد بقيت شهور قليلة من هذه السنة حتى وفاة شلمنصر فى ديسمبر من تلك السنة ، وأن ذلك ربما قد جعل الامر سهلا بالنسبة الى سرجون الثانى فى نقوش كتبت فى فترة من عهده من أن ينسب الى نفسه — تيها وتفاخرا — الفتح الذى قام به سلفه فى الواقع . هذا فضلا ، عن أنه فى الشهور القـلائل التى سبقت وفـاة شلمنصر الخامس ، انما كان قد بدىء بالكاد فى نفى سكان السامرة ، وأن الانجاز الفعلى لهذا النفى ، ربما كان من عمل سرجون دون غيره[١١١] ، أضف الى ذلك أن سرجون الثانى ، ربما كان قد اشترك فى احتلال السامرة مع أخيه «شلمنصر الخامس» قبل اعتلائه العرش ، ولعل من المفيد هنا أن نشير الى أن التوراة انما تقول أن شلمنصر قد حاصر السامرة ، وأنهم قد «أخذوها» ، فربما تشير صيغة الجمـع هنا الى اشتراك «سرجون الثانى» مع «شلمنصر الخامس» فى نهاية الحصار ، ولكنها من ناحية أخرى ، قد تشير ببساطة الى «الجيش الاشـورى» فى صيغة الجمع كذلـك[١١٢] .

وأيا ما كان الامر ، فان سرجون الثانى قد هجر أكثر عناصر السكان أهمية — ربما النبلاء والاغنياء — الى «حلح وخابور نهر جوزان وفى مدن مادى» ، وبعد سنوات قليلة — وربما فى عام ٧٢٠ أو ٧١٥ ق.م — وبعد قلاقل فى سورية وفلسطين ، ساهم فيها معظم سكان الولايات المختلفة ، بما فيها دمشق والسامرة ، تكررت العملية على درجة كبيرة ، ثم سرعان

---

109) A. H. Gardiner, Egypt of the Pharaohs, P. 342.
وكذا Bull Iust For L 1, P. 27.
110) A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 342.
111) J. Finegan, Op. Cit., P. 210.
وكذا A. T. Olmstead, AJSL, 47, P. 262 F.
112) J. Finegan, Op. Cit., P. 210 No. 29.

ما شارك سكان غربى الجزيرة العربية فى هذه الاضطرابات بنصيب كبير أو قليل ، وحين نجح العاهل الاشورى فى القضاء على هه الاضطرابات ، عمل — كما تقول التوراة — على أن يأتى بقوم آخرين ، وأن يسكنهم هذه الاقاليم ، ومن بينهم مجاميع من العرب ، حددهم النص الاشورى «بقبائل تامودى وايباديدى ومرسيمانو وجبابيـا(١١٣) والعـرب الذين يعيشون بعيدا فى الصحراء ، والذين لا يعترفون برؤساء وموظفين ، والذين لم يكونوا قد جاءوا بجزاهم لاى ملك ، سببت الاحياء منهم ، ونقلتهم الى السامرة»(١١٤) .

ونقرأ فى التوراة — فى سفرى الملوك الثانى وعـزرا(١١٥) — أن العاهل الاشورى قد جاء كذلك بقوم من بابل وكوث (تل ابراهيم على مبعدة ١٥ ميلا الى الشمال الشرقى من بابل) ومن عوا وحماه وسفروايم (وهما بلدتان على ضفتى الفرات ، على مبعدة ١٦ ميـلا جنوب غرب بغداد ، ويرى «رسام» أنها «أبو حبه» الحالية ، بينمـا يرى آخرون أنهما «شوموزية» شرقى بحيرة حمص) ومن سوسه وعيلام • وربما كان الاشوريون يهدفون من وراء ذلك الى كسر التحالفات القديمة ، بادخال أجانب فى البلاد ، ربما كانوا فى بعض الحالات من الاشوريين أنفسهم ، وبداية لظروف جديدة أكثر ملاءمة للامبراطورية الاشورية المطموح ، ومن الصعب أن نقدر أهمية هذا التهجير ، وان كان على الاقل قد عمل على تحطيم الروابط الاجتماعية والسياسية والدينية، بدرجة أكثر فاعلية عما سبقه من اجراءات ، وبدون شك فان الغزوات الاشورية قد عجلت بنهاية الدويلات السامية المنهارة ، كما أن الاحوال القديمة قد تغيرت ، واختفت المعالم القديمة ، واضمحلت المشاعر المحلية والقومية ، ودمرت الدويلات

---

(١١٣) انظر عن هذه القبائل العربيـة الشمالية : الويس موسل : شمال الحجاز ، ترجمة عبد المحسن الحسينى ، الاسكندرية ١٩٥٢ ص ٩١ — ٩٥ ، محمد بيومى مهران دراسات تاريخية من القرآن الكريم — الجزء الاول — الرياض ١٩٧٨ م .

114) A. L. Oppenheim, in ANET, 1966, P. 296.

(١١٥) ملوك ثان ١٧ : ٢٤ غزرا : ٢٤ : ٩ .

الحاجزة وأدى سقوط الممالك الارامية الى اضعاف أفرايم ، وكشف سقوط الاخيرة يهـوذا[116] .

وأيا ما كان الامر ، فان الاشوريين قد أعادوا تنظيم مملكة السامرة على أساس أنها اقليم آشورى يخضع لأمرة حاكم أشور وعززوا الحامية العسكرية الاشورية بجنود من مستوطنين أتوا بهم من بلاد بعيدة ، حدث لها ما حـدث لفلسطين ، وأخيرا فـان هؤلاء قد نزاوجوا مـع السكان الاصليين ، وهجـروا تقاليدهم الى حد ما ، وظهـر جنس جديد هم «السامريون» — نسبة الى السامرة عاصمتهم — قريب الشبه بجيرانه اليهوذيين دما وثقافة وان اختلفوا عنهم فى ميولهم السياسية[117] ، وقد أدى ذلك كله ، الى ظهور نظرة جديدة للامور — بعد العودة من السبى البابلى — تتجه الى أن اسرائيل الشمالية ليست نقية ، وأن يهوذا انما هى الوريث الوحيد للتقاليد الاسرائيلية ، ومن هنا فان الشمال ليس كفؤا لهما ومقاسمتها مميزاتها[118] .

وانطلاقا من هذا ، فمن الضرورى أن نعترف أننا ننظر الى التاريخ — من خلال التوراة — بعيون رجال يحفظون ذكرى النفـور العميق للسامريين ، وليس هذا فحسب ، بل ان «اليهوذيين» انما كانوا يشعرون أنهم أرقى أرومة من الاخرين ، ولما كانت اسرائيل قد أزيلت من فلسطين، فاننا نجد أن مصادرنا معتمدة على مملكة يهوذا ، وحيث أن السـامرة بعيدة عن منطقة الكتاب (كتاب التوراة) ، فهى غالبا ليست موجودة ، وأنه منذ ازدهار النقد الحديث فحسب بدأ العلماء يبحثون فيما وراء النظرة اليهوذية للاحداث ، معترفين بأن طبيعة الاشياء المتعلقة باثنتين لن تنتهى ، وأن هذا التاريخ لجنوب غربى آسيا — بعد عام ٧٢٢ ق٠م — ليس الا وجهة نظر ناقصة تماما للتطور المتتابع فى فلسطين نأخذها من سجلات يهوذ غير الكافية ، والتى تتطلب الحذر منه[119] .

116) S. A. Cook, CAH, III, 1965, P. 383-385.
117) C. Roth, Op. Cit., P. 28-29.
(١١٨) أخبار ثان ١٢ : ٨ ، ٢٥ : ٧ ، عزرا ٤ : ٣ .
119) S. A. Cook, Op. Cit., P. 386-387.

ثالثـا : دويلة يهـــوذا

(١) رحبعـام (٩٢٢ ـ ٩١٥ ق.م) :

قامت دويلة يهوذا ــ كما قامت دويلة اسرائيل ــ بعد وفاة سليمان ، ثم جلوس ولده «رحبعام» على عرشها ، وان اختلف عرشها هذا ، عن عرش اسرائيل فى أنه لم يكن دائما مثار نزاع داخلى ، ولم ينتقل من بيت الى آخر ، بين آونة وأخرى كما كان الامر هنـاك فى اسرائيل ، وهكذا فان الاسرة المالكة فى «يهوذا» قد نالت نفوذا على الشعب الذى لم يقدر له أبدا أن يستأصل شأفتها ، حتى حين أصبح الاستقلال حلما بعيد المنال ، ولكن تاريخها تميز ــ فى الغالب الاعم ــ بعلاقات العداء مع اسرائيل .

ونقرأ فى التوراة أنه «فى السنة الخامسة للملك رحبعام صعد شيشنق ملك مصر الى أورشليم ، وأخذ خزائن بيت الرب ، وخزائن بيت الملك ، وأخذ كل شىء ، وأخذ جميع أتراس الذهب التى عملها سليمان ، فعمل الملك رحبعام عوضا عنها أتراس نحاس[١] ومن الواضـح أن الكاتب العبرانى لم يفزعه تدنيس المدينة المقدسة ، بقدر ما ضايقه ضياع دروع الذهب التى صنعها سليمان والتى استبدلت بمثلها من نحاس ، وليس هناك ذكر لمدينتى «جـازر» و «أورشليم» بين الاسمـاء الباقية التى تصحب المنظر الكبير فى البوابة البوباستيه ، وهى الاسماء التى تقدم بالصورة التقليدية التى اعتدناها فيما يتصل بحروب فرعون مصر العظيم «تحوتمس الثالث» ، بمعنى أنها ملحقة بصدور أسرى تقودهم صورة فرعون العملاقة الى الامام ، كتقدمة لأبيه «آمون رع»[٢] .

(١) ملوك أول ١٤ : ٢٥ ــ ٢٧ .

2) A. H. Gardiner, Egypt of the Pharaohs, P. 329-330.

وأما الحصر العددى فمدعاة لليأس ، ذلك أنه من بين ١٥٠ مكانا ذكرت لا نلتقى الا بالقليل محفوظا ليمهد لنا طرق تدور فى النواحى حول المنطقة الجبلية للسامرة ، دون الوصول الى مركز المملكة الاسرائيلية ، بل انه ليست هناك أية اشارة الى أنهم قد اقتربوا من اليهودية اطلاقا — وان كان هناك من يرى عكس ذلك ، كما سوف نرى ومع ذلك فهناك ما يشير الى غارة على الاقليم الادومى ، وأما الفكرة التى ظلت قائمة طويلا من أنه يمكننا قراءة «حقل أبراهام» فى القائمة ، فقد صرف النظر عنها نهائيا اليوم[٣] •

وعلى أى حال ، فان حملة شيشنق هذه ، انما قد وصلت الى شرق الاردن — حيث فر رحبعام ، حتى وصل الى فنوئيل ومحانيم ، التى لجأ اليها جده داود من قبل ، كما وصلت فى الشمال الى سهل يزرعيل والجليل ، وأما فى الجنوب فقد وصلت الى «عصيون جابر» على خليج العقبة ، والى حبرون وبئر سبع وغيرهما من مدن جنوب يهوذا ، والى سهل عكا وغزة فى الغرب[٤] •

هذا ويعزى الى «شيشنق» تدمير مدينة «تل بيت مرسيم» من الطبقة (B) وقد كان تدميرا عنيفا ، حتى اقتلعت المدينة القديمة تماما من جذورها ، وحلت مكانها أبنية تدين بالقليل فى تخطيطها الى ما سبقها من مبان فى نفس الموقع[٥] وأما المدينة الاخرى التى ينسب تدميرها الى فرعون فهى «بيت شمس» ، حيث وجدت مبانى الطبقة الثانية (P) ، مغطاه بطبقة من الرماد نتيجة حريق هائل ، ورغم أن هناك من يؤرخ هذا الحريق بحوالى عام ٩٥٠ ق•م ، فالاكثر احتمالا أنه كان فى عام ٩٢٦ ق•م ، ومن جراء غزوة «شيشنق» ، لأن الحريق لو تم فى منتصف القرن العاشر ، فلابد أن يكون قد حدث بطريق الصدفة ، وليس بفعل عدو للمدينة،ذلك لان سلطات سليمان فى تلك الفترة انما كانت

3) Ibid., P. 230.
4) Y. Aharon, The Land of Bible 1966. P. 288-289.
5) K. M. Kenyon, Op. Cit., P. 272-273.
وكذا G. E. Wright, Biblical Archaeology, 1957, P. 149.

جدا قوية[٦] وعلى أى حال،فان غزوة شيشنق انما تركت أثرا كبيرا فى عدة مدن ، مثل مجــدو وشكيم وغيرهما[٧] .

وأما متى كانت هــذه الحملة ، فان هناك من يراهــا فى السنوات الاخيرة من حكم شيشنق[٨] ، ومن يراها فى عام ٩٣١ ق.م[٩] ، ومن يراها فى عام ٩٢٦ ق.م[١٠] ، ولعل السبب فى هذا الاختلاف انما يرجع الى الاضطراب فى التأريخ للملوك اسرائيل ، أكثر منه للفراعين المصريين ، وعلى أى حال ، فاننا نفضل الاتجاه الاول ، بخاصة وأننا قد ارتضينا من قبل أن سليمان قد انتقل الى جوار ربه الكريم فى حوالى عام ٩٢٢ ق.م ، وبما أن هذه الحملة قد حدثت بعد وفاة سليمان ، فلابد اذن من أن تؤرخ بتاريخ لاحق لوفاتــه .

وأيا ما كان الامر ، فان الكشف فى «مجدو» عن قطعة جاء بها ذكر «شيشنق» لا يدع مجالا للشك فى صحة الحملة ، وان ظل الامر غامضا تماما فيما اذا كانت هذه محاولة لاحياء الامجاد المصرية القديمة ، أو هى خطة لتدعيم مركز يربعام ، أو هى غارة سلب ونهب ، وليس أكثر من ذلــك[١١] .

والرأى عندى أن الحملة انما كانت تهدف الى الأمرين الأوليين معا ، فمصر انما كانت قد بدأت فى هذه الفترة تسترد أمجاد الاجداد العظام ،

---

6) G. E. Wright, JBL. 75, 1956, P. 216.
وكذا K. M. Kenyon, Op. Cit., P. 273-274.
7) D. W. Thomas, Archaeology and Old Testament Study 1967, P. 333, 366.
وكذا G. E. Wright, BA, 1957, P. 148-149.
8) J. Bright, A History of Israel, Philadelphia, 1959, P. 213.
9) A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 229.
10) K. M. Kenyon, Archaeology in the Holy Land, P. 272.
11) A. T. Olmstead, History of Palestine and Syria, 1931, P 355.
وكذا A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 230.
وكذا J. Bright, Op. Cit., P. 213 F.

وأن «شيشنق» انما كان يريد استعادة سورية وفلسطين الى حظيرة الامبراطورية المصرية من جديد ، بل ان الامور انما قد بدأت تسير فى هذا الاتجاه منذ أيام الاسرة السابقة (الاسرة الحادية والعشرين) ، وذلك حين آوت مصر الفارين من «داود» ، ولكنها فى عهد ولده سليمان انما كانت أكثر حسما، فهى تطلق سراح ابن ملك أدوم ، وهى تأوى «يربعام» الذى فر من ولده سليمان ، ثم هى مرة ثالثة تحاول ألا تصل الامور معه الى حد الاشتباك المسلح ، فتحتل جيوشها مدينة «جازر» ثم تقدمها مهرا لابنة فرعون ، وزوج سليمان ، بل ان «برستد» ليذهب الى حد القول أن سليمان نفسه انما كان وقت ذاك واليا تحت النفوذ المصرى فى فلسطين[١٢] وهذا ما لا نوافق عليه .

وينتقل سليمان ، عليه السلام،الى جوار ربه راضيا مرضيا عنه،وترى مصر — على ما يبدو — فى ذلك ساعة الصفر ، فتطلق سراح يربعام ، أو بالاحرى تسمح له بالعودة الى فلسطين ، ليقود الثورة ضد رحبعام ، وحين يتم له الاستقلال بدويلة سرائيل ، تقف من ورائه تعضده وتسانده ، ولكن يبدو أن «يربعام» رجل مصر فى فلسطين — لم يجد الامور تسير ، كما يحب ويهوى ، فربما اعترضته عقبات كؤود ، وربما تعرض لغزو من «رحبعام ، ومن ثم فقد استنجد — فيما يرى سيسل روث[١٣] ، وأدولف لودز[١٤] ، وهول[١٥] — بشيشنق ، فيهتبل الاخير الفرصة ، فيقوم بحملته التى أراد بها — بجانب مساعدة يربعام — اعادة سورية وفلسطين الى حظيرة الامبراطورية المصرية[١٦] ، الامر الذى تابعه فيه الكثيرون من خلفائه ، قدر طاقتهم ، وليس — كما يرى هول — لاحضار الدروع الذهبية من معبد سليمان والبقية الباقية من

12) J. H. Breasted, A History of Egypt, P. 529.
13) C. Roth, Op. Cit., P. 31.
14) A. Lods, Op. Cit., P. 374-375.
15) H. R. ـall, Op. Cit., P. 436-437.
16) J. Bright, Op. Cit., P. 213 F.
وكذا E. Drioton et J. Vandier, L'Egypte, Paris, 1965, P. 525.

خزائن كهنوت «يهوه» ليضمن بذلك ثراء لامون • الذى لم يكن فى ذلك الوقت على ميسرة ، كالتى كانت فى الماضى القريب(١٧) •

ومع ذلك فلعل من الجدير بالملاحظة أن «شينشق» لم يحاول المضى فى فتوحاته الى سورية ، كما أن الرجل انما قد اعترف على جدران معبد الكرنك بأن الغنائم والجزى التى جاء بها من فلسطين ، انما قد وهبها لربه أمون ، وأن النقوش التى تزين معبد الكرنك الكبير انما توضح الى حد بعيد مدى التضرع والتوسل من الفرعون لرب طيبة(١٨) •

وعلى أى حال ، فان التدخل المصرى فى اسرائيل ، ولم تمض على موت سليمان سنوات خمس،فضلا عن احتلال العديد من المدن،والاستيلاء على خزائن معبد سليمان وقصره ، لدليل واضح على مدى ضعف الاسرائيليين ، بل ان التوراة انما تنوه بخضوع دويلة يهوذا لمصر ، أو على الاقل ، فان معظم المدن هناك قامت بدفع الجزية لمصر(١٩) •

(٢) أبيام (٩١٥ ـ ٩١٣ ق•م)

ورث أبيام أباه رحبعام على عرش يهوذا ، ولمدة سنوات ثلاث ، وان كانت التوراة مضطربة بالنسبة للملك الجديد ، فهو أبيام ابن رحبعام من زوجة معكة ابنة أبشالوم على رواية(٢٠) ، وهو أبيام بن رحبعام من زوجه ميخايا بنت أوريئيل من جبعة على رواية أخرى(٢١) • وعلى أى حال ، فلقد وجد ملك يهوذا الجديد ، أنه لا مخرج له من اعتداءات جارته اسرائيل ، الا بالتحالف مع دمشق(٢٢) ، ويقص علينا كاتب

---

17) H. R. Hall, Op. Cit., P. 439.
18) Barguet, Temple d'Amon-- Rea Karnak, Vol. III, The Bubastite Portal, Chicago, 1945, Pl. 2
(١٩) أخبار أيام ثان ١٢ : ٨ ، وكذا
S. A. Cook, Op. Cit., P. 359.
(٢٠) ملوك أول ١٤ : ١ ، ١٥ : ١ ـ ٨ •
(٢١) أخبار أيام ثان ١٣ : ٢١ •
22) C. Roth, Op. Cit., P. 31.
وكذا A. Lods, Op. Cit., P 370.

الحوليات العبرانى أن «أبيام» قد انتصر على «يربعام الاول» ملك اسرائيل ، واحتل بيت ايل وبعض مدن أفرايم الجنوبية[٢٣] .

(٣) أســا (٩١٣ ـ ٨٧٣ ق.م)

وجاء بعد أبيام ولده «أسا» «وملك احدى وأربعين سنة»[٢٤] ، ونقرأ فى التوراة[٢٥] أنه كان «يهويا» مخلصا ، أخرج من معبد سليمان ، الالهة الانثى التى كانت تقطن بجوار «يهوه» وطرد العاهـرات المقدسات ، وأزال المأبونين من أرض يهوذا ، وسحب من أمه معكة ابنة أبشالوم[٢٦] ، لقب «الملكة الام» ، لانها كانت تؤيد الوثنية[٢٧] ، وتتعبد الى الهـة الاخصاب الكنعانية «عشتارت» .

(٤) غزو سنحريب ليهوذا :

وهكذا بقيت الامور على حالها قرابة عقد من الزمان ، مـات فيه «سرجون الثانى» وخلفه ولده «سنحريب» (٧٠٥ ــ ٦٨١ق.م) وكانت تلك اللحظة هى الاشارة للثورة التى انتشرت كالنـار فى الهشيم بـين الولايات الموالية لآشور ، وفى هذه الاثناء تدخل «مردوخ بالادان» ملك بابل الذى كان يقود الثورة فى الاراضى الغربية ، بطريقة أكثر حزما فى السياسة اليهوذية ، ونظرا لشفاء «حزقيا» من مرضه الخطير الذى كان قد أصيب به ، وللثقة فى التخلص من قبضة الاشوريين ، فـان حزقيا استقبل بعثة من قبل ملك بابل ، طبقا للتقاليد الملكية القديمة ، تحمل اليه السلام ، وتحضر اليه الهدايا ، وقام حزقيا بفتح خزائنه ، ومحتويات مخازنه الحربية . وتم بهذا التحالف مع بابل الذى اشترك فيه العرب مع آخرون ، وأما «مصر» فقد كـان لها هناك فى أورشليم حزب قوى يبغى التحالف معها ويطلب الحماية منها ، وينجح الان فيما فشل فيه

---

(٢٣) أخبار أيام ثان ١٣ : ٣ ـ ٢٢ .
(٢٤) ملوك أول ١٥ : ٩ ، أخبار أيام ثان ١٦ : ١٣ .
(٢٥) ملوك أول ١٥ : ٩ ـ ١٥ ، أخبار أيام ثان ١٤ : ١ـ٥ .
(٢٦) لعل هذا نوعا من الاضطراب المعروف فى التـوراة ، فكلما اشرنا من قبـل ــ وفى نفس الاصحاح ــ أن معكة ابنة أبشالوم ، انما هى أم أبيه وليست أمه هو (ملوك اول ١٥ : ٢ ، ثم قارن ١٥:١٠) .
(٢٧) باروخ سبينوزا : رسالة فى اللاهوت والسياسة ص ٤٢٤ .

من قبل ، فلا يسمع «حزقيا» لنصائح اشعياء النبى ، ولا يضيع على نفسه فرصة موت سرجون ومن ثم فان ملك يهوذا انما يطلب من مصر التدخل فى شئون فلسطين لتدعيم مركز الثائريـــن ، ومساعدتهم على التخلص من النير الاشورى ، وهكذا تكون حلف يضم فينيقيا وفلسطين ومؤاب وأدوم وعمون ، فضلا عن بعض القبائل العربية فى شمال الجزيرة العربية ، على رأسها «تعلخونو» ملكة «أدوماتو» (دومة الجندل) وفوق الجميع كانت مصر ، وأخيرا «حزقيا» ملك يهوذا حيث «عصى على ملك آشور ولم يتعبد له»[٢٨] .

وهكذا انتهزت بابل ومصر فرصة قيام ملك جديد فى أشور لاثارة المتاعب فى طريقة ، كانت بابل تسعى لرفع نير أشور عن كاهلها ، وان لم يكتب لها نجحا فى مسعاها ، وكانت «تعلخونو» (تلخونو) — التى أمتدت سلطتها من دومة الجندل ، وحتى حدود بابل — قد وقفت الى جانب الثوار البابليين ضد سنحريب ، وعندما كتب للعاهل الاشـــورى نجحا كبيرا فى القضاء على مقاومة البابليين ، اتجه الى دومة الجندل ، وفرض الحصار عليها[٢٩] ، ثم اســتولى عليها بعد أن دب النـــزاع بين ملكة «دومة الجندل» ، وقائد جيوشها «حزائيل» سيد قبيلة قيدار[٣٠] ، ويبدو أن سنحريب قد حقق نجاحا كبير على الاعراب فى البادية ، كان سببا فى أن يفرض نفوذه عليهم بدرجة كبيرة ، ومن ثم فقد رأينا «هيرودوت» يطلق عيله لقب «ملك العرب والاشوريين»[٣١] .

وأما مصر ، فقد كانت تستهدف اعادة نفوذها على فلسطين ، وهكذا تجددت العداوة الكامنة بين القوتين الكبيرتين — مصر وآشـــور — فى

---

(٢٨) ملوك ثان ٢٠ : ١ — ١٩ وكذا
M. Moth, Op. Cit., P. 267-268.
29) A. Musil, Arabia Deserta, N. Y., 1930, P. 480.
وكذا D D. Luckenbill, ARAB, 2, P. 518.
(٣٠) جــواد علــى ٥٩٢/١ .
وكذا British Museum Tablets, K, 3087, 3405.
31) Herodotus, II, 141.

عهد «سنحريب» وبدأ الجيش الاشورى فى غزو فلسطين فى عام ٧٠١ ق٠م ، واخضاع مدن فلسطين الساحلية الواحدة تلو الاخرى ، وبينما كان «سنحريب» يقوم بذلك كله ، ظهرت قوة مصرية فى الجنوب الغربى من فلسطين قرب «التقية» (المذكورة فى سفر يشوع ١٩ : ٤٤) أو «التكة» — وهى خربة المقنع الحالية ، على مبعدة ستة أميال جنوبى العقير (عقرون) ، وسبعة أميال شمالى تبنه (تمنة) — وان كان من غير المحتمل أن المصريين قد استخدموا قوة كبيرة ، وعلى أى حال ، فان «سنحريب» يصف منافسيه بأنهم «ملوك مصر» أى حكام المدن ، وربما كانوا من أمراء الدلتا ، وكذلك النبالة وفرسان الفرعون الاثيوبى ، ومن الواضح أن الاشارة فى التوراة عن تدخل «ترهاقة» (طهراقا) ملك كوش ضد سنحريب خطأ ، ذلك لان «شباكا» انما كان ما يزال فى عام ٧٠١ ق٠م ملكا ، وأن ابن أخيه «طهراقا» لم يخلفه على العرش الا فى عام ٦٨٩ ق٠م(٣٢) ٠

وأيا ما كان الامر ، فان قوات سنحريب قد اخترقت بلاد يهوذا ، وفتحت حصونها واحدا اثر الآخر ، ثم احتلت ستا وأربعين مدينة مسورة مع عدد من المدن الصغرى ، أو بمعنى آخر ، فان بلاد اليهودية كلها تقريبا قد سقطت فى أيدى الاشوريين ، وكل ما استطاع «حزقيا» الحفاظ عليه انما كان أورشليم ، كما أن واحدة أو اثنتين من القلاع الحصينة فى الجبهة الغربية استمرت تقاوم الاشوريين ، ومنها «لاخيش» Lachish (٣٣) ، التى اتجه اليها سنحريب وأحكم

---

(٣٢) قاموس الكتاب المقدس ١/١٠٣ ، والتر امرى : مصر وبلاد النوبة ، ترجمة تحفة حندوسة ص ٢٢٧ (القاهرة ١٩٧٠) ،
وكذا A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 450.
وكذا M. Noth, Op. Cit., P. 268.

(٣٣) لخيش أو لاخيش : كان يظن أنها «تل الحصى» على مبعدة ١٦ ميلا الى الشمال الشرقى من غزة ، ١١ ميلا الى الجنوب الغربى من مدينة جبرين ، ويرجح الان أنها «ته الدوير» على مبعدة ٥ أميال غرب بيت جبرين ٠
وكذا W. M. F. Petrie, Tell el-Hesy (Lachish), 1891.
وكذا M. F. Albright, ZAW, 6, 1929, P. 3.

جنوده الحصار حولها ، وهنا لم يكن أمام حزقيال شيئا يفعله فى هذا الموقف الميئوس منه ، الا الخضوع لسنحريب ، والا جزية كبيرة يدفعها له صاغرا ذليلا ، ومن ثم فقد أرسل حـزقيا للعاهل الاشـورى فى «لاخيش» يقول : «قد أخطأت ارجع عنى ، ومـهما جعلت على حملته ، فوضع ملك أشور على حزقيا ملك يهوذا ثلاث مئة وزنة من الفضـة ، وثلاثين وزنة من الذهب ، فدفع حزقيا جميع الفضة الموجودة فى بيت الرب ، وفى خزائن الملك»(٣٤) .

ويبدو أن سنحريب قد أدرك أنه من خرق الرأى أن يترك أورشليم الحصينة من ورائه فى يد حزقيا ، ومن هنا فقد أرسل قسما من جيشه تحت امرة ثلاثة من قواده لحصار أورشليم والاستيلاء عليها ، وهكذا بدأ حصار أورشليم ، وأرسل ضباط سنحريب رسالة سخرية الى حزقيا الذى بـدأ فى مدينته «كالطير فى القفص» وانتشر الرعب بين القوم ، الذين خيل اليهم أن ساعة أورشليم الاخيرة قد دنت ويفتح سنحريب لاخيش بعد ذلك ، ثم يتجه الى «التكة» لمهاجمة الجيش المصرى الذى كان يقوده «طهراقا» ، وفى أثناء ذلك حدث ما يدعو سنحريب الى العودة الى «نينوى» ، وأنقذت أورشليم ، وسمح لحزقيـا بأن يحتفظ بعرش يهوذا ، كتابع لاشور ، وان أجبر على دفع الجزية المتأخرة ، وأن يرسل ببناته ومحظياته الى سنحريب فى نينوى ، ومن المتفق عليه أن سنحريب قد أوقع على حزقيا عقابا قاسيا ، وأنه جعل سلطانه مقصورا على دولة المدينة الصغيرة أورشليم (مدينة داود) ، واستولى منه على كل بلاد يهوذا ، التى وهبها للملوك الفلسطينيين الموالين له ، وهم «متى» ملك أشدود ، و«سلبيل» ملك غزة ، و«بادى» ملك عقـرون ، الذى استعاد سلطانه القديم(٣٥) .

---

(٣٤) ملوك ثان ١٨ : ١٣ ــ ١٦ .

(٣٥) ملوك ثان ١٨ : ١٧ ــ ٣٧ ،

وكذا M. Noth, Op. Cit., P. 268-269.

وكذا P. R. Dougherty, JBL, XLIX, 1930, P. 160-171.

وكذا K. Fullerton, AJSL, XLII, 1925, P. 1-25.

هذا وقد سجل «سنحريب» كل هذه الاحداث فى حولياته ، ومن ثم فاننا نقرأ فى هذه الحوليات : «••••• أما بالنسبة لحزقيا اليهودى ، فانه لم يخضع لنيرى ، ومن ثم فقد حاصرت ٤٦ مدينة من مدنه القوية ، وكذا القلاع المسورة والقرى الحصينة ، التى لا تحصى فى مجاوراتها ، وفتحتها بواسطة منحدرات ترابية وكباش (آلات حربية لهدم الاسوار) جعلتها قريبة من الاسوار ، هذا الى جانب هجمة المشاة الذين استخدموا المقاليع والمدكات ، واستوليت منهم على (٢٠٠١٥٠)[٣٦] نسمة ، صغارا وكبارا ، ذكورا واناثا ، وأخذت منهم خيلا وبغالا وحميرا وجمالا وماشية لا تحصى ، كغنيمة ، وأما هو فقد جعلته سجينا فى أورشليم مقر ملكه كطير فى قفص ، وحاصرته بأكوام من التراب ، حتى أضايق من يتركون بوابة مدينته ، وأما مدنه التى نهبتهـا فقد نزعتها من بلاده وأعطيتها لـ «متنى» ملك أشدود و «بادى» ملك عقرون ، و «سلبيل» ملك غزة ، وهكذا اختزلت بـلاده ، ومع ذلك زدت الجزية «كاتـرو» Katru التى يجب دفعها لى بوصفى سيدا له ، بالاضافة الى الجزية السابقة ، على أن تسلم لى سنويا ، أما حزقيا نفسه الذى ذعر من بهائى وعظمتى ، والذى هجرته النخبة الممتازة من الجيوش التى جاء بها الى أورشليم لتدعيم قواتها ، فأرسل الى فيما بعد الى نينوى ، مدينتى الملكية ، ٣٠ وزنة من الذهب ، ٨٠٠ وزنة من الفضـة ، أحجارا كريمة ، كتل ألواح كبيرة من الحجر الاحمر ، مخادع مطعمه بالعاج ، ومقاعد مطعمة بالعاج، جلود فيلة ، أبنوس خشب صناديق ، وكل الذخائـر الثمينة ، ثم بناته ومحظياته ، وعازفين وعازفات ، ولكى يسلم الجزية ويقدم الخضوع كعبد ، أرسل رسوله الشخصى[٣٧] •

---

(٣٦) يرى بعض الباحثين أن ما يدعيه سنحريب من أنه قد اخذ من سكان يهوذا (٢٠٠١٥٠ نسمة) ، انما يشير الى عدد سكان يهوذا ، كما يقدر فى تلك الايام ، وأن العاهل الاشورى انما قد اعتبرهم جميعا أسرى حرب (فيليب حتى : المرجع السابق ص ٢١٧) •

(٣٧) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم ٢٨٠/٥ ـ ٢٨١ (الاسكندرية ١٩٦٣) •

وكذا A. Leo Oppenheim, ANET, 1966, P. 288.

هذا وقد اختلفت الاراء فى الاسباب التى دعت سنحريب الى العودة المفاجئة الى بلاده ، بخاصة وأن العاهل الاشورى لم يشر الى ذلك ، فهناك من يرجع ذلك – الى اضطراب خطير فى «نينوى» نفسها ، وهناك من يرجعها الى وجود جحافل من الفيران أكلت قسى الغزاة وجعابهم وحمائل دروعهم ، فكانت النتيجة أنهم قد أصبحوا عزلا من السلاح ، ومن ثم فقد ولوا الادبار ، وسقط الكثيرون منهم(٣٨) ، وأخيرا ترجعها التوراة الى أن «ملاك الرب قد خرج وضرب من جيش أشور مئة ألف وخمسة وثمانين ألف ، ولما بكروا صباحا اذا هم جميعـــا جثث ميتة ، فانصرف سنحريب ملك أشور وذهب راجعا وأقام فى نينوى»(٣٩) .

وهكذا أصبح من الصعب علينا أن نعرف أسباب عودة سنحريب على وجه التحقيق ، ذلك لان كلا من روايتى التوراة وهيرودوت ، انما ترجعها لاسباب غير عادية ، فالاولى ترجعها الى قدرة «هيفا يستوس» (بتاح) الاله المصرى ، والثانية ترجعها الى قدرة «يهوه» رب اسرائيل ، وهى فى ذلك انما تعبر عن وجهة النظر اليهودية فى هذه الاحداث(٤٠) ، وعلى أى حال ، فلئن صدقت احدى الروايتين – أو حتى الروايتين معا – فذلك نوع من المعجزات ، وان كان الامـــر غير ذلك ، فربما كانت هناك أسباب داخلية فى نينوى دعت سنحريب الى العودة الى بلاده ، ليكون على مقربة من الاحداث ، وهذا ما نرجحه ونميل الى الاخذ به ، وأيا ما كان الامر ، فالذى لاشك فيه أن حزقيا انما استمر على ولائه لاشور ، ما بقى حيا فى هذه الدنيـــا .

(٥) منسى (٦٨٧ – ٦٤٢ ق٠م) :

جاء «منسى» الى عرش يهوذا بعد أبيه حزقيا ، و «كان منسى ابن اثنتى عشرة سنة حين ملك ، وملك خمسا وخمسين سنة(٤١) وقد تميز

---

(٣٨) هيرودوت : يتحدث عن مصر ، ترجمة محمد صقر خفاجه . مراجعة وتقديم أحمد بدوى ، القاهرة ١٩٦٦ ص ٢٧٠ – ٢٧٢ .
(٣٩) ملوك ثان ١٩ : ٣٥ – ٣٦ ، اشعياء ٣٧ : ٣٦ .
40) J. Laessoe, People of Ancient Assyria, London, 1963, P. 114.
(٤١) ملوك ثان ٢١ : ١ .

عهده الطويل هذا بأن فلسطين أصبحت فيه تحت النفوذ الاشوری المباشر ، وأن حكمه — طبقا لهذا — يمكن أن ينظر اليه كعلامة مميزة فى التطور الداخلى للبلاد[٤٢] .

أما من الناحية الدينية فقد كانت له شهرة سيئة ، ذلك لان «منسى» انما كان كافرا بدين «يهوه» ، متبنيا لطقوس سادته الوثنية ، بما فيها من عبادة الكواكب والتضحية بالاطفال ، ومن هنا فقد اعتبرت هذه المرحلة أسوأ وأقسى ردة وثنية فى تاريخ يهوذا ، وأما ما هو أكثر دهشة فى هذه المرحلة ، فان هذه الاهوال انما كان يمارسها هؤلاء القوم الذين ادعوا أنهم عباد يهوه ، انما كانوا يعتقدون أنهم بممارستهم مثل هذه الاعمال ، يصبحون جديرين برعاية رب اسرائيل[٤٣] ، ونقرأ فى التوراة أن منسى قد «بنى المرتفعات التى أبادها حزقيا أبوه ، وأقام مذابح للبعل ، وعمل سارية كما عمل أخاب ملك اسرائيل ، وسجد لكل جند السماء وعبدها ، وبنى مذابح فى بيت الرب الذى قال الرب عنه : فى أورشليم أضع اسمى ، وبنى مذابح لكل جند السماء فى دارى بيت الرب ، وعبر ابنه فى النار ، وعاف وتفاءل واستخدم جانا وتوابع ، وأكثر عمل الشر فى عينى الرب لاغاظته ، ووضع تمثال السارية التى عمل فى البيت ، الذى قال الرب عنه لداود وسليمان ابنه فى هذا البيت ، وفى أورشليم التى اخترت من جميع أسباط اسرائيل اضع اسمى الى الابد»[٤٤] ، وهكذا جددت المحاريب المحلية القديمة ، ومارس القوم الضحايا البشرية ، وقدموا الطقوس الاجنبية المألوفة حتى فى معبد أورشليم نفسه[٤٥] ، وأعترف القوم رسميا بعبادة البعل ، كما اعترف كذلك بممارسة العرافة والسحر ، ولعل هذا كله هو الذى دعا بعض الكتاب المتأخرين الى أن يروا فى منسى وما تم فى عهده سببا فى سقوط

---

42) S. A. Cook, Op. Cit., P. 391.
43) I. Epstein, Op. Cit., P. 51.
(٤٤) ملوك ثان ٢١ : ٣ — ٧ .
45) C. Roth, Op. Cit., P. 35.

أورشليم ونفى يهوذا[٤٦] .

ونقرأ فى التوراة أن «منسى» قد سبى الى «بابل» ، ثم أعيد مرة أخرى الى عرشه ، وليس هناك من المستندات الاشورية ما يدعم ذلك ، وان كان هناك ما يشير الى أن «اسر حدون» (٦٨٠ — ٦٩٩ ق٠م) قد استدعى مجموعة من مواليه الصغار — ومنهم منسى — للمساهمة فى بناء القصر الملكى ، ولكن ليست هناك أية اشارة الى اعــادة «منسى» الى عرشه[٤٧] ، وعلى أى حال ، فان هذا الامر الاخير انما قد حدث مع «نخاو» أمير سايس[٤٨] ، ومن ثم فليس من الغريب أن يحدث مثل ذلك مع «منسى» حين تأكد الاشوريون من ولائه لهم ، ولكن الشىء المميز للنص التوراتى يعزو حرية منسى وعودته الى عرش يهوذا ، الى خضوعه لرب اسرائيل «يهوه» ، وبدهى أن هذا ليس صحيحا[٤٩] كما أنه لا يتفق وسيرة منسى وأعماله الدينية .

(٦) آمـــــون (٦٤٢ ـ ٦٤٠ ق٠م) :

خلف أمون أباه منسى على عرش يهوذا ، «وكان ابن اثنين وعشرين سنة حين ملك ، وملك سنتين فى أورشليم ، وعمل الشر فى عينى الرب كما عمل منسى أبوه»،ثم سرعان ما ذبح فى فتنة قام بها عبيده من خدم القصر فاقتص الشعب لهذه الجريمة ، ونصب ولده «يوشيا» على العرش ، وهو مايزال بعد صبيا فى الثامنة من عمره[٥٠] ، وفى الواقع أننا لا ندرى على وجه التحقيق السبب فى اغتيال أمون ، فربما كان تصرفا لانتقام شخصى، وربما كان نتيجة مؤامرة فى الحاشية ، وان كان من غير المستحيل والحدث

---

(٤٦) ملوك ثان ٢٣ : ٢٦ ـ ٢٧ ، ارمياء ١٥ : ٤ ، وكذا
W. F. Albright, Op. Cit., P. 79.

(٤٧) جون الدر : المرجع السابق ص ١٠٤ ـ ١٠٥ .

48) A. Leo Oppenheim, ANET, P. 295.

49) S. A. Cook, Op. Cit., P. 293-4.

(٥٠) ملوك ثان ٢١ : ١٩ ـ ٢٦،٢٣ : ٢٠ـ٢٥ ، أخبار ثان ٢٣ : ٢١ ، ٢٥ .

يرتبط بانهيار أشور ، أن النـزاع بين مؤيدى أشور والمعادين لهـا ، انما كان مسئولا لدرجة ما عن هذا الامر[٥١] .

(٧) يوشيـا (٦٤٠ ـ ٦٠٩ ق٠م) :

جاء يوشيا الى عرش يهوذا فى وقت كانت فيه أشور تدنو الى النهاية المحتومة ، وفى هذه الاثناء كان يجلس على عرش أشور «أشور بانيبال» (٦٦٨ ــ ٦٢٦ ق٠م) ، وكانت ظواهر الامور تدل على أن امبراطوريته وطيدة الاركان ، وخاصة بعد أن قضى على ثورة أخيه «شمش شوم أوكين» ، وحلفائه من الاعراب مثل «ياتاع» الذى فر الى البادية على أيام سلفه «أسرحدون» ، وان انتهى أمره الان الى أن يقبض عليه ــ ــ وكذا زوجه أديا «عدية» ــ وأن يضعه «أشور بانيبـال» فى قفص ليعرض على الناس عند أحد أبواب نينوى[٥٢] .

وتمضى الايام ، ويحدثنا العاهل الاشورى نفسه أن أياما سوداء قد حلت فى أرجاء مملكته ، وأنه كان يقاسى آلاما جسمية وروحية سلبت روحه ، ثم حدثت بعد وفاته فى عام ٦٢٦ ق٠م ، مشاكل واضطرابات أدت فى نهـاية الامر الى سقوط العـاصمة الاشورية نفسها فى أيدى البابليين والميديين فى عام ٦١٢ ق٠م ، وبعد ذلك تم نهبها فى صـورة كاملة[٥٣] ، وان كان هناك من العلماء من يرى أن المدينة قد سقطت فى أغسطس ٦١٣ ق٠م ، بعد معركة دموية ضد الحلفاء ، بدأت فى شهر يونية ٦١٣ ق٠م[٥٤] ، وعلى أى حال ، فلقد اقتسم الفريقان المنتصران مملكة أشور ، فاستولى «الميديون» على قسمها الشرقى ، وأخذ البابليون جنوبها ، واضطرت الحكومة الاشورية أن تجعل من «حران» مركزا لها، ولكن «نبوخذ نصر» (٦٠٥ ــ ٥٦٢ ق٠م) بن «نبوبولاسر» (٦٢٦ ــ

---

51) M. Noth, Op. Cit., P. 272.
52) A. Musil, Op. Cit., P. 48-65.
وكذا D. D. Luckenbill, Op. Cit., P. 819.
53) A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 258.
(٥٤) محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٢٤٧ .

٦٠٥ ق٠م) ملك بابل ، استطاع أن يستولى عليها ، وأن يقضى على الجيش الاشورى فى عام ٦٠٩ ق٠م(٥٥) ٠

وفى هذه الاثناء كان «نخاو الثانى» (٦١٠ — ٥٩٥ ق٠م) يجلس على عرش الكنانة ، فيتابع سياسة أبيه «بسماتيك الاول» (٦٦٤ — ٦١٠ ق٠م) فى مساندة أشور — والى أبعد الحدود — ولم يكن نخاو يريد من ذلك أن يجعل لمصر صوتا مسموعا فى سياسة الشرق القديم فحسب ، ولكنه أراد كذلك أن يحتفظ بأشور ضعيفة كحماية ضد القوى الخطيرة فى الشرق ، والتى تهدد الان أشور فى المقام الاول ، ولكنها على العموم ربما تجاوزت فى الغد القديم كل الشرق القديم ، وأخيرا لكى يسترجع لمصر الامبراطورية المصرية المفقودة فى سورية وفلسطين ، وهكذا أسرع نخاو الثانى بقواته لمساعدة «أشور أو بالط الثانى» القابع فى «حران» أملا فى عون من السماء ، يأتيه عن طريق مصر ، ويا للعجب ، فان البلد الذى بقى لمدة جيلين هدف الاشوريين ، فاذا هو يصبح الان العون الاكبر — والوحيد لهم — ولست أدرى أكان ذلك نتيجة طبيعية لحسن نية المصريين ، وطبيعة نفوسهم النبيلة ونسيانهم الاساءة دائما وأبدا ؟ أم أن الدوافع السياسية كانت وراء ذلك كله ؟

وأيا ما كان الامر ، فلقد كان على الفرعون المصرى لكى يصل الى حران أن يعبر كل سورية وفلسطين ، وأن يقبض بيديه على زمام الأمور فى هذه البلاد ، بعد أن انتهى الحكم الاشورى فيها ، وكان الموقف بالنسبة الى «يوشيا» ملك اليهود مختلفا ، كان انهيار أشور فرصته التى كان يحلم بها ، لاستعادة حكم بيت آل داود مملكة اسرائيل السابقة ، والتى كانت فى هذه الفترة مقسمة بين أربع ولايات آشورية ، ولما لم يكن هناك ملك على اسرائيل منذ سقوط السامرة ، فقد رأى أن الطريق ممهد للمحاولة فى تعزيز الادعاء القديم لبيت داود ، واستعادة الحكم الملكى على أيام داود وسليمان(٥٦) ٠

55) M. Noth, Op. Cit., P. 273.
56) M. Noth, Op. Cit., P. 273-274.

هذا فضلا عن أن «يوشيا» انما كان يميل الى بابل – كما كان حزقيا من قبل – أكثر من ميله الى أشور ، بل ان محاولات يوشيا لاعـاقة الجيش المصرى فى «مجدو» وهو فى طريقه الى حران ، ربما تدل على قاعدة عريضة من خطة استراتيجية لمعاهدة عسكرية بين يهوذا وبابل ، وان لم تكن لدينا أية معلومات عنها ، ومما يؤيد ذلك أن الجيش المصرى تحت قيادة بسماتيك الاول (٦٦٤ – ٦١٠ ق٠م) ، كان قد أسرع فى عام عام ٦١٦ ق٠م ، لمساعدة الاشوريين ولم يعترضه يوشيا ، لان بابل كانت ماتزال فيما وراء الافق السياسى لمملكة يهوذا ولكن الموقف الان قـد تغير تماما ، وقد أصبح الجيش البابلى على مقربة من الفرات[٥٧] ، وتلك فيما أظن طبيعة اليهود ، فهم تحت أقدام القوى دائما وأبدا ، ويؤيد ذلك ما كان يظنه يوشيا من ضعف الجيش المصرى ٠

وعلى أى حال ، ورغم ذلك ، فليس هناك من شـك فى أنه كان فى أورشليم حزب مصرى قوى – كما كان من قبل على أيام حزقيا ، وكما سيكون من بعد على أيام خلفاء يوشيا – وأيا ما كان الامر ، فمن الواضح تماما أن يوشيا كان يؤيد بابل ضد أشور ، وأنه لم يكن أبدا راغبا فى طلب مساعدة مصر ضد عدوه ، كما أنه لم يكن راغبا كذلك فى أن يمكن مصر من الافادة من ضعف هذا العدو[٥٨] ٠

وفى عام ٦٠٩ ق٠م ، تقدم الفرعون «نخاو الثانى» نحو «حران» لنجدة ملك أشور ، وهناك فى «مجدو» – تل المتسلم على مبعدة عشرين ميلا جنوبى شرق حيفا ، فى الطرف الجنوبى من سلسلة الجبـال التى تنتهى بحبل الكرمل فى الشمال[٥٩] – اعترض يوشيا الجيش المصرى ومنعه من التقدم ، فأنذره «نخاو» بالحسنى ، ولكنه لم يرعو ، ونقرأ رسالته فى التوراة – كما جاءت فى أخبار الايام الثانى – حيث يقول

---

57) A. Malamat, The Last Ware of the Kingdom of Judah, JNES, 9, 1950, P. 219.

58) S. A. Cook, Op. Cit., P. 395-396.

(٥٩) قاموس الكتاب المقدس ٨٤١/٢ ٠

فيها : «مالى ولك يا ملك يهوذا ، لست عليك أنت اليوم ، ولكن على بيت حربى ، والله أمر باسراعى ، فكف عن الله الذى معى فلا يهلكك » ومع ذلك : «لم يحول يوشيا وجهه عنه ، بل تنكر لمقاتلته ، ولم يسمع لكلام «نخو» (نخاو) من فم الله ، بل جاء ليحارب فى بقعة مجدو»[٦٠] .

ويبدو أن «يوشيا» قد خيل اليه أن الموقف فى صالحه ، فقد كانت بعض المميزات العسكرية الهامة فى مجدو الى جانب يوشيا ، كالمبادأة بالهجوم والفرصة لهجوم سريع مذهل على عدو بعيد عن قواعد عملياته العسكرية ، ومهدد بخطر الانفصال والانقطاع عنهـا ، ومع ذلك فـان يوشيا لم يكن بقادر على هذه الخطوة، مالم يكن يمتلك جيشا قويا مدربا يمكن الاعتماد عليه ، ومع ذلك فيمكن أن نفترض ــ على أساس مقدرة يوشيا السياسية ــ أنه قد أولى اهتماما كبيرا لتطوير الجيش اليهوذى ورفع مستواه[٦١] .

وعلى أى حال ، فسرعان ما يلتقى الجيشان ــ المصرى واليهودى ــ ويكتب النصر للمصريين ، والذلة على اليهود ، ويدفع يوشيا حياته ثمنا لهذه المغامرة الفاشلة ، كما يدفع اليهـود ثمن خطيئتهم فى تقدير قوة المصريين الحقيقية ، وبسبب سيـاستهم المنـاوئة للسياسة المصرية ، وتصبح فلسطين بالتالى خاضعة للسيادة المصرية[٦٢] ، ومع ذلك ، فان محاولة «يوشيا» هذه فى «مجدو» انما يمكن أن ينظـر اليها على أنها النموذج الوحيد فى التاريخ الاسرائيلى من ناحية القيام بهجوم على جيش ذى قوة عالمية عظيمة[٦٣] ، وكانت هذه القوة ، هى مصر بالذات ، التى قدر لها أن تذيقهم الذلة على مدى الدهور القديمة ، وأيا ما كان الامر ، فان «نخاو» قد تابع مسيرته فى أواسط سورية وشمالها ليقوم

---

(٦٠) أخبار الايام الاول ٣٥ : ٢١ ــ ٢٣ .

61) A. Malamat, JNES, 9, 1950, P. 222.

(٦٢) ملوك ثان ٢٣ : ٢٩ ــ ٣٠ ، أخبار أيام ثـان ٣٥ : ٢٠ــ٢٥ وكذا S. A. Cook, Op. Cit., P. 396.

63) A. Malamat, JNES, 9, 1950, P. 222.

بمحاولة أخيرة لمساعدة أشور ، ورغم أن المصريين لم يوفقوا فى انقاذ آشور ، فانهم استمـروا يسيطيرون على منطقة عبر النهـر و تخوم الفـرات ، بعد أن أستولوا فى عـام ٦٠٦ / ٦٠٥ ق.م ، علـى معقل «كيموخو» وهزموا البابليين فى «قوراماتى» وهما موقعان على الفرات الى جنوب قرقميش(٦٤) .

وعلى أى حال ، فلقد نجح «نخاو» فى أن يخضع المـدن الساحلية مثل أشدود وعسقلون ، كما أثبتت ذلك أوراق البردى ، وطبقا لرواية فى التوراة فقد استولى على غزة كذلك ، وهناك نص بالهيروغليفية عثر عليه فى «صيدا» يشير الى سيطرة نخاو على الساحل الفينيقى ، وقد يسر له ذلك امتلاكه لأسطول فى البحر الابيض المتوسط(٦٥) .

ولعل من الاهمية بمكان أن نشير هنا ، قبل أن نختم عهد يوشيا ، الى أن هذا العهد انما قد تميز بعدة اصلاحـات دينية ، كان أساسها الحصول على نسخة من «سفر الشريعة» فى العام الثامن عشر من حكم هـذا الرجل (عـام ٦٢٢ ق.م) على يد الكاهن «حلقيـا» فى معبد أورشليم(٦٦) ، وقد قام جدل طويل حول حقيقة هذا الكشف ، وسواء أكان «حلقيا» قد أوجد نسخة سفر «التثنية» هذه ، أم أنه قد وجدها حقيقة(٦٧) ، وسواء أكانت النسخة أصلية ، أم أنها لم تكتب الا قبيل اكتشافها هذا المزعوم بما لا يتعدى عشرات السنين(٦٨) — الامر الذى سوف نناقشه بالتفصيل فى الجزء الخاص بالتوراة فى كتابنا عن الحضارة

---

64) A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 358.

وكذا

D. J. Wiseman, Chronicles of Chaldaean Kings, London, 1956, P. 23, 67.

(٦٥) ارميا ٤٧ : ٨ وكذا :

A. ـب Gardiner, Op. Cit., P. 358.

(٦٦) ملوك ثان ٢٢ : ٣ ــ ١٣ ، أخبار أيام ثان ٣٤ : ٨ــ٣٣ .

(٦٧) ول ديورانت : المرجع السابق ص ٣٥٦ .

وكذا W. F. Albright, The Archaeology of Palestine, P. 225.

68) A. P. Davies, The Ten Commandment, N. Y., 1956, P. 35.

اليهودية ــ فالذى يهمنا هنا أن النصوص انما تنسب الى يوشيا أنه قد أصلح المعبد ، وطهره من الطقوس الاجنبية ، وأزال المحاريب المحلية من المرتفعات ، ودمر مذبح «بيت ايل» المنافس لمذبح أورشليم منذ أيام يربعام الاول ملك اسرائيل (٩٢٢ ــ ٩٠١ ق٠م) ، وأحتفل بعيد الفصح الذى يذكر القوم بالخلاص من مصر[٦٩] ، ومن المدهش أن سيطرة مصر قد جاءت اليهم بجيوشها فى أورشليم نفسها هذه المرة ، وفى نفس العهد الذى احتفل فيه بالخلاص منهــا •

(٨) يهو أحــاز (٦٠٩ ق٠م) :

كان موت يوشيا بعد معركة مجدو صدمة قاسية على الحزب البابلى فىأورشليم ، ومع ذلك فقد «أخذ شعب الارض يهو أحــاز بن يوشيا ومسحوه وملكوه عوضا عن أبيه ، وكان يهو أحاز ابن ثلاث وعشرين سنة حين ملك ، وملك ثلاثة أشهر فى أورشليم» ، كان «نخاو» أثناءها مشغولا فى الشمــال ، متخذا من «ربلــة» ــ وهى هرمل الحالية عند منــابع العاصى ــ مركزا له ، ثم أمر «يهو أحاز» بالحضور اليه ، وهناك قبض عليه وأرسل الى مصر مقيدا فى الاغــلال ، حيث بقى هناك الى وفاته ، وتقاضى نخاو من يهوذا تعويضا كبيرا ، «مئة وزنة من الفضة ووزنة من الذهب»[٧٠] •

(٩) يهوياقيــم (٦٠٩ ــ ٥٩٨ ق٠م) :

جاء يهوياقيم الى عرش يهوذا ــ بأمر من الفرعون المصرى نخاو الثانى ــ بعد أخيه غير الشقيق «يهو أحاز» ، ثم سرعان ما غير نخاو اسم الملك اليهوذى الجديد من «الياقيم» الى «يهو ياقيم» ، ورغم أن نقطة التغيير هذه ليست واضحة ، فربما تعنى اشارة ما الى السيادة المصرية ، وعلى أى حال ، فمن الواضح أن الملك الجديد انما كان مرضيا

---

(٦٩) ملوك ثان ٢٢ ــ ٢٣ •
وكذا
C. Roth, Op. Cit., P. 35-36.

(٧٠) ملوك ثان ٢٣ : ٣ ــ ٢٣ ، أخبار أكام ثان ٣٦ : ١ــ٣ ، وكذا
M. Noth, Op. Cit., P. 280.

عنه من مصر[٧١] ، وأن الفرعون المصرى انما كان قد هبط كثيرا بممتلكات «بيت داود» الى الحدود التى كانت عليها قبل يوشيا ، وجعلها مقصورة على «دويلة المدينة أورشليم» ومملكة يهوذا القديم ، كما طلب الاعتراف بسلطانه عليها ، فضلا عن أن تكون له أقاليم مملكة اسرائيل الشمالية ، والتى أصبحت تدار فعلا كأقاليم مصرية تماما[٧٢] .

وما أن يمضى حين من الدهر قليل ، حتى استقرت الامـور تماما لـ «نبوخذ نصر» (٦٠٥ — ٥٦٢ ق٠م) ، وفشلت كل محاولات مصر للابقاء على الامبراطورية الاشورية المنهارة ، وهناك ما يشير الى تجدد العداوة بين القوتين الكبيرتين — مصر وبابل — ذلك أن «نبوخذ نصر» — على ما يبدو — لم يتخل مطلقا عن الوصول الى الحدود المصرية ، ومن هنا نراه فى عام ٦٠١ ق٠م ، يتجه الى مصر ، ولكنـه رد عنها بعد أن تحمل الكثير من الخسائر ، بل واضطر الى أن يعود الى بلاده ، وأن يبقى هنـاك عاما يسترد فيه أنفاسـه ويستعيد قـواه ، ويعيد تنظيم جيشـه ، كما أن هزمة العـاهل البابلى هذه انما قد أنهـت العداوات المباشرة بين البلدين لبضع سنوات تالية[٧٣]، ومن ثم فقد تجمدت السياسة الحربية الشمالية لمصر بقية عهد «نخاو» ، ويشير «هيرودوت» الى عقد معاهدة بين البلدين ، وأن الفرعون المصرى قد زوج ابنته أو أخته من «نبوخذ نصر» ، فصارت ملكة على بابل ، وهى رواية لم تتأكد بعد[٧٤] .

وأيا ما كان الامر ، فان «نبوخذ نصر» ، انما كان يتلقى الجزية من

---

(٧١) ملوك ثان ٢٣ : ٣٤ — ٣٧ ، أخبار أيام ثان ٣٦ : ٤—٥ ،
وكذا S. A. Cook, CAH, III, 1965, P. 397.

72) Martin Noth, The History of Israel, London, 1965, P. 280.

73) D. J. Wiseman, Op. Cit., P. 29-31, 70-71.

وكذا

K. A. Kitchen, The Third Intermediate Period in Egypt, Oxford, 1972, P. 407.

وكذا A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 359.

(٧٤) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ص ٢٧٧ — ٢٨٧ ، وأنظر
Herodotus, I, 184-186.

الاقاليم العربية التى وافقت مصر على أن ترث بابل أشور فيها ، غير أن يهوذا انما بقيت فترة تفاضل بين مصر وبابل ، وأى الدولتين أحق بخضوع اليهود لها ، وفاز الحزب المصرى آخــر الامر باليد العليا ، وثار «يهوياقيم» ضد سيده البابلى «نبوخذ نصر»[٧٥] ، وربما ساعده على ذلك هزيمة البابليين أمام المصريين ، ومن ثم فقد انضم الى مصر ، رغم تحذيرات النبى «ارميــا»[٧٦] ونقرأ فى التوراة أن «يهــوه» رب اسرائيل قد أرسل الى يهوياقيم جماعات مــن الكلدانيين والاراميين والمؤابيين والعمونيين لابادة يهوذا[٧٧] ، والواقع أن «نبوخذ نصر» لم يتدخل بنفسه فى هذا التمرد الذى قام ضده فى عام ٥٩٨ ق٠م ، لانه رأى أن امبراطوريــة عظيمة مثل امبراطوريته لا تخلــو من الثورات المحلية الصغيرة ، ولكنه سرعان ما غير رأيه وأسرع بنفسه الى يهوذا ، وبينما كان فى الطريق اليهــا مات «يهوياقيم» وخلفه ولده «يهوياكين» على عرش يهــوذا[٧٨] ٠

(١٠) يهوياكــين (٥٩٨ ـ ٥٩٧ ق٠م) :

جاء «يهوياكين» بعد أبيه «يهوياقيم» ، وكان عمره ثمانى عشر سنة على رواية توراتية[٧٩] ، وثمانى سنين على رواية أخرى[٨٠] ، وملك ثلاثة أشهر وعشرة أيام ، [٨١] وعلى أى حال ، فلقد وصل «نبوخذ نصر» مع قواته الرئيسية وأطبق الحصار على أورشليم ، ولم يقاوم «يهوياكين» ، أو حتى يفكر فى المقاومة ، وانما خرج ومعه أمه وزوجاته وآل بيته ، وسلموا أنفسهم الى الفاتح الكلدانى فى مارس ٥٩٧ ق٠م ، وتم نقلهم الى بابل ، وتنظر التوراة الى هذا النفى على أنه مرحلة حاسمة فى تاريخ

---

75) A. Malamat, Op. Cit., P. 223.

(٧٦) ارميــا ٤٦ : ١٤ وما بعدهــا ٠
وكذا A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 359.

(٧٧) ملوك ثان ٢٤ : ٢ ٠

78) A. Malamat, Op. Cit., P. 223-224.

(٧٩) ملوك ثان ٢٤ : ٨ ، ١٢ ٠

(٨٠) أخبار أيام ثان ٣٦ : ٩ ٠

(٨١) أخبار أيام ثان ٣٦ : ٩ ، ثم قارن : ملوك ثان ٢٤:٨ ٠

نهاية يهوذا ، فلقد تم فيه ابعاد حوالى عشرة الاف رجل يكونون هم وأسرهم قرابة الثلاثين ألفا من الناس معظمهم من أورشليم ، والبقية الباقية من مدن الجنوب(٨٢) .

على أن سبى «يهوياكين» ومن معه ، لا تقاس أهميته فى الواقع بعدد المسبيين ولكن بنوعيتهم ، فقد سبيت العائلة المالكة والطبقات الحاكمة وكبار رجال الدولة والوزراء والاستقراطيون والكهنة والانبياء ، وفوق كل هؤلاء الجنود والصناع والحرفيون(٨٣) ، وهـــذه المجموعة الاخيرة تكون الجيش ومعداته ، ولهذا فان لذكرها أهمية خاصة(٨٤) ، واذا كان النص التوراتى الاخير (ملوك ثان ٢٤ : ١٦) صحيحا ، واذا أمكن توحيد كلمة «المجنود»(أصحاب البأس) بـ «الجيش» فان الجيش النظامى يمكن أن يكـــون عدده فى ذلك الوقت سبعة الاف ، والامـــر كذلك فى توحيد الاحتياطى بالصناع والحرفيين ، فان عددهم ألفا ، وبذا فهم يكونون سبع الجيش النظامى ، وقد أضيف الى هـــؤلاء الاخارى عدة كتائب تركها «نبوخذ نصر» فى الخطـــوط الخلفية ، فضلا عن عدد كبـــير من المتطوعين حشدوا أثناء الحرب(٨٥) ، وأخيرا فلعل مما يشير كثيرا الى أهمية المنفيين قول التـــوراة أنه «لم يبق أحـــد الا مســـاكين شعب الارض»(٨٦) .

وفى عام ١٩٥٥ م نشر «وايزمان» احـــدى اللوحات المحفوظة فى المتحف البريطانى ، وقد جاء فيها «فى السنة الســـابعة للملك (نبوخذ نصر) فى شهر Chislev ، جمع الملك جيشه وتقدم نحو أرض حاتى (سورية) ، وعسكر أمام مدينة اليهودية ، واستولى عليها فى اليوم

---

(٨٢) ملـــوك ثـــان ٢٤ : ١٠ ـ ١٤ ارميـــــا ٢٤ : ١ ، ٢٧ : ٢٠ ، ٢٩ : ١ ـ ٢ .

(٨٣) ملوك ثان ٢٤ : ١٥ ـ ١٦ .
وكذا A. Malamat, Op. Cit., P. 224.

(٨٤) ملوك ثان ٢٤ : ١٦ .

85) A. Malamat, Op. Cit., P. 224.

(٨٦) ملوك ثان ٢٤ : ١٤ .

التالـى مـن Adar (مارس ٥٩٧ ق٠م) وأخذ الملك «يهوياكين» أسيرا ، وعين مكانه «صدقيا» ملكا بحسب قلبه ، (برغبته) ، وفرض عليه جزية ثقيلة ، وأحضره الى بابل[٨٧] ولعل هذا التقرير البابلى الرسمى لا يختلف كثيرا عن نظيره التوراتى ، كما جاء فى سفرى الملوك الثانى (٢٤ : ٨ — ٢٠) والاخبار الثانى (٣٦ : ٩ — ١٠) •

(٢٠) صدقيـا (٥٩٧ ـ ٥٨٦ ق٠م) :

تروى التوراة أن العاهل البابلى «نبوخذ نصر» قد أصدر أوامره بتعيين «متنيا» ملكا على يهوذا ، بدلا من «يهوياكين» ، وغير اسمه الى «صدقيا» ، وهو عم يهوياكين على رأى نص توراتى ، [٨٨] وأخوه على رأى نص آخر[٨٩] ، وأما «يهوياكين» فقد بقى أسيرا فى بابل حوالـى الاربعين عاما ، ولكنه فى نفس الوقت ظل محتفظا بلقبه الرسمى حتى عام ٥٩٢ ق٠م ، كمـا تدل على ذلك نقوش اكتشفت فى قصر «نبوخذ نصر» ونشرها «فيدنر E. E. Veidner» ، وكذلك أختام من «بيت شمس» و «تل بيت مرسيم» ، وربما من «لاخيش» و «تل النصبة» • وكلها تؤكد مركز «يهوياكين» الملكى أثناء سبيه[٩٠] •

ولعل هذا كله انما يلقى ضوءا جديدا على سياسة «نبوخذ نصر» نحو يهوذا ، فهو يعين ملكا جديدا ، ولكنه فى نفس الوقت يحتفظ للملك السابق بمركزه الملكى ، كنوع من التهديد لخليفته فى الارض المحتلة ، ولعل هذا هو السبب فى سلوك صدقيا المتردد ، والمتناقض كذلك ، والذى

---

87) W. Keller, Op. Cit., P. 280.

(٨٨) ملوك ثان ٢٤ : ١٧ •

(٨٩) اخبار أيام ثان ٣٦ : ١٠ •

90) H. G. May, Three Hebrew Saals and Status of Exiled Jehoiatkin, AISL, LVI. 1939, P. 146-148.
وكذا J. Finegan, Op. Cit., P. 226.
A. Malamat, Op. Cit., P. 224.
W. F. Albright, King Joiachin in Exile, BA, 4, 1942, No. 4.

انتهى به آخر الامر الى الثورة على القوة التى وصـــل الى الحكم عن طريقها ، فلقد كان أعداؤه فى يهوذا من ناحية ، والملك البابلى «نبوخذ نصر» من ناحية أخرى ، يهددونه عن طريق الاشـــارة الى بديله الملكى يهوياكين[91] •

ومع ذلك فلقد انتهى الامر بثورة صدقيـــا على بابل ، مما أدى فى نهاية الامر الى السبى البابلى ، فى عام ٥٨٦ ق٠م الامر الذى سنناقشه بالتفصيل فى الفصل التالى •

وهكذا انتهى تاريخ بنى اسرائيل ، وبـــدأ تاريخ اليهود ، ويصف «هربرت جورج ويلز»[92] (١٨٦٦ ــ ١٩٤٦ م) نهاية الدولتين ــ يهوذا واسرائيل ــ بقوله : لم يتمتع الشعب العبرانى بخفض العيش الا أمدا قصيرا ، فما أن انقطع عون صور ، الذى كانت تقوى به أورشليم ، ثم قويت شوكة مصر ثانية ، حتى أصبح تاريخ ملوك اسرائيل وملوك يهوذا، تاريخ ولايتين صغيرتين بين شقى الرحى تعركهما على التوالى سورية وأشور وبابل من الشمال ، ومصر من الجنـــوب ، وهى قصة نكبـــات وتحررات لا تعود عليهم الا بارجـــاء نزول النكبة القاضية ، هى قصة ملوك همج يحكمون شعبا من الهمج ، حتى اذا وافت سنة ٧٢١ ق٠م (٧٢٢ ق٠م) محت يد الاسر الاشورى مملكة اسرائيل من الوجود ، وزال شعبها من التاريخ زوالا تاما ، وظلت مملكة يهوذا تكافح حتى حل بها عام ٥٨٦ ق٠م ، (أو عام ٥٨٧ ق٠م) على أيدى البابليين ، ما حل باسرائيل على أيدى الاشوريين •

---

91) A. Malamat, Op. Cit., P. 224.
92) H. G. Wells, A Short History Of The World (Pelican Book) 1965, P. 77.

الفصل الخامس

السبى البابلى

(١) سقوط يهوذا :

كانت السياسة المصرية فى تلك الفترة أكثر نشاطا ، فقد قام «بسماتيك الثانى» (٥٩٥ — ٥٨٩ ق٠م) فى السنة الرابعة من حكمه بحملة الى فينيقيا ، كما تشير الى ذلك بردية ديموطيقية متأخرة ، وان كان هناك من يرى أنها لم تكن لاغراض حربية ، مادام الفرعون قد استدعى كهنة كثير من المعابد ليسهموا فيها ، ومات «بسماتيك الثانى» فى عام ٥٨٩ ق٠م ، وترك لولده «واح ايب رع» (ابريس ٥٨٩ — ٥٧٠ ق٠م) أن يأخذ على عاتقه القيام بمجهودات نشطة لاستعادة فلسطين[١]٠

وهكذا بدأت سياسة مصر فى عهد «واح ايب» (وهو الفرعون خفرع فى التوراة)[٢] نتيجة الى ممارسة القوة فى الشمال ، وكان سر تغيرها أمران وهما رغبة مصر فى الافادة من امكانيات قوتها البحرية النامية فى مراقبة موانى الشام ، لتعطيل مصالح البابليين فيها ، وحتى لايستغلوها ضدها ثم عودة البابليين الى التوسع الحربى فى فلسطين وحصارهم لاورشليم عام ٥٨٨ ق٠م[٣] ٠

وأمايهوذا نفسها ، فقد انقسم أهلها الى فريقين ، الواحد ، يتزعمه «حننيا» ويعلن أن قبضة البابليين الخشنة يجب أن تكسر ، والاخر ، ويتزعمه «ارميا» ويعلن أن «نبوخذ نصر» هو «خادم يهوه» ، وأن

---

1) A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 360.

ثم قارن : عبد العزيز صالح : مصر والعراق ص ٢٧٨ ٠

(٢) ارميا ٤٤ : ٣٠ ٠

(٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٧٩ ٠

التبضة حديدية وإن تتمزق ، وفى الواقع أن ارميا انما كان من أشــد الانبياء حقدا على قومه ، يدافع عن بابل ، ويعلن فى المــلأ أنها سوط عذاب فى يد الرب ، ويتهم حكام يهوذا بأنهم بلهاء معاندون ، وينصحهم بأن يسلموا أمرهم كله الى «نبوخذ نصر» ، حتى ليكاد من يقرأ أقواله فى تلك الايام يظن أنه من صنائع بابل المأجورين ، انظر الى قول ارميا (٢١ : ٥ — ١٠) على لسان ربه يهوه : «انى أنا صنعت الارض والانسان والحيوان الذى على وجه الارض بقوتى العظيمة وبذراعى الممدودة ، وأعطيتها لمن حسن فى عينى والان قد وقعت كل هذه الاراضى ليد نبوخذ ناصر ملك بابل عبدى وأعطيته أيضا حيوان الحقل ليخدمه ، فتخدمه كل الشعوب وابنه وابن ابنه حتى يأتى وقت أرضه أيضا فستخدمه شعوب كثيرة وملوك عظام ، ويكون أن الامة أو المملكة التى لا تخدم نبوخذ ناصر ملك بابل ، والتى لا تجعل عنقها تحت نير ملك بابل انى أعاقب تلك الامة بالسيف والجوع والوباء يقول الرب حتى أفنيها بيده ، فلا تسمعوا أنتم لأنبيائكم وعرافيكم وحالميكم وعائفيكم وسحرتكم الذين يكلمونكم قائلين لا تخدموا ملك بابل ، لانهم انما يتنبأون لكم بالكذب» .

ثم أخذ يتنبأ بعد ذلك بأن ملك مصر سوف يعود الى بلده ، وأن البابليين سوف يستولون على أورشليم ويحرقونها ، وأنه يجب وضع أعناق الامة تحت نير ملك بابل بأمر الرب أيضا ، وهكذا كان شأن من يدعون النبوة من بنى اسرائيل الا من عصم الله ، وأما المنفيين فى بابل منذ أيام «يهوياكين» فقد كانت لديهم الامال الكبار بفجر الحرية[٤]

وأما «صدقيا» ملك يهوذا ، فقد استمر على اخلاصه لبابل فترة من حكمه ، كانت مصر فيها مهتمة كل الاهتمام بالعلاقات بين يهوذا وبابل، باذلة كل جهودها لاحداث ثورة فى يهوذا ضد العاهل البابلى «نبوخذ نصر» (٦٠٥ — ٥٦٢ ق.م) ومن ثم فقد بثت الموالين والمشايعين لها

(٤) ارميا ٢٨ : ١ — ١٤ ، عبد العزيز صالح : المرجــع السابق ص ٢٧٩ ، ول ديورانت : قصة الحضارة ٣٥٨/٢ ، وكذا
S. A. Cook, Op. Cit., P. 399-400.

بين الشعب وقواده ، مما أدى الى زيادة التوتر بين الاحزاب المعارضة فى يهوذا ، وحذر الانبياء الحزب الموالى لمصر ، ولكن تحذيراتهم ذهبت أدراج الرياح ، وأرسلت بعثة عسكرية الى مصر — فيما تروى التوراة وتروى أوسترا كالاخيش — وعقد تحالف سرى بين يهوذا وأدوم ومؤاب وعمون وصيد ، بحضور صـــدقيا فى أورشليم[٥] ، وهناك اشارة فى التوراة على أن صدقيا انما قد استدعى الى بابل لتقديم تفسير عن ذلك كله ، وعلى أية حال ، فان «ابريس» ملك مصر ، قد قام بدور رئيسى فى اتخاذ القرار بالثورة ، ولابد — والامر كذلك — أن الفرعون قد أعطى تأكيدات بمساعدة عسكرية ، ومن ثم فقـــد (تمرد صـــدقيا على ملك بابل)[٦] •

وهكذا وجد «نبوخذ نصر» نفسه مضطرا الى القيام بحمـــلة الى فلسطين ، وبدأ يحتـــل مدن يهوذا الواحدة تلو الاخـــرى ، — ماعدا أورشليم ، فضلا عن مدن الحدود فى لاخيش وعزيقة (تل زكريا) —[٧] وقد ساعده على ذلك ، أن يهوذا كانت فى عام ٥٨٩ ق•م غيرها منذ عشر سنوات مضت ، حيث كانت تحت امرتها القلاع الحصينة ، والقـــواد الاكفاء ، والخبراء العسكريون والمهندسون ، الذين أرسلوا الى المنفى، أضف الى ذلك أن الامة الان — وعلى رأسها ارميا النبى — لم تكن تؤيد اعلان الحرب ضد البابليين ، هذا الى جانب وجود فريق من القـــوم لا يمكن التغاضى عنه كان يؤمن بسياسة المسالمة ، فضلا عن بعض عناصر الجيش ، التى كانت تعرف أكثر من غيرها ، أن فرص النجاح العسكرى كانت ضئيلة للغاية[٨] •

---

(٥) ارميـــا ٢٦ : ٢٢ — ٢٤ ، ٢٧ : ٣٠ ، حزقيال ١٥:١٧ ، وكذا
K. M. Kenyon, Op. Cit., P. 294-296.

(٦) ارميا ٥١ : ٥٩ ، ملوك ثان ٢٤ : ٢٠ ، وكذا
W. Keller, Op. Cit., P. 281.
S. A. Cook, Op. Cit., P. 400.

(٧) ارميـــا ٣٤ : ٧ ، وكذا
K. M. Kenyon, Op. Cit., P. 294.

8) A. Malamat, JNES, 9, 1950, P. 225.

وأخيرا استسلمت «لاخيش» . وتشير حفريات أعوام (١٩٦١ — ١٩٦٧) الى آثار الحملتين البابليتين لعامى ٥٩٦ — ٥٨٨ ق.م ، فقد دمرت الطبقة الثالثة تماما فى الحملة الاولى ، وهناك ما يشير الى المجهود الاخير الذى بذل لاعداد المدينة لمواجهة الهجوم القادم ، وهناك فتحة فى الصخر لا يعرف الغرض منها ، وان كان من المظنون أنهــا كانت متصلة بمصدر المياه عن طريق ماسورة الى الينبوع أو كخزان للمياه ، ولابد أن الغزو البابلى قد جاء قبل أن يبدأ استخدامه ، هذا ويوجد على يمين القاع كميات من فخار القرن السادس قبل الميلاد ، وقد تركت الحفرة مفتوحة لكى تمتلىء تدريجيا على مر القرون المتلاحقة ، ويشير رديم الأنقاض الذى يعلو بقايا مدينة الطبقة الثالثة الى أن التدمير انما كان تاما وعنيفا ، وفى البوابة فقد فصلت أرضية هذه الفترة عما يليها بثمانية أقدام من رديم الانقاض المحترق ، وقد دمرت قلعة القصر ، وتراكمت كمية من الطوب الهش على الاساسات الحجرية ، وقد كشف على مقربة من القصر عن صف من الحوانيت ، وقد وجدت الحجــرات مملوءة بأشياء كانت مستخدمة فى وقت التدمير ، ولم يجد السكان الوقت الكافى لانقاذها ، وهى كميات كبيرة من جرار تخزين الحبوب ، وأنوال النسيج تمثل صناعة وتجارة طبق الاصل من مدينة العصر الفلسطينية[٩] .

هذا وقد وجد خارج المدينة حوالى ألفى جثة ملقاة فى قبر قديم وقد وجدت بعض عظامها هشة ، ولابد أن الجثث قد انقذت من المبــانى المحترقة ، ويعتقد «ج. ل. ستاركى» أن هذه البقايا انما تمثل اخلاء المدينة بعد المجزرة الوحشية التى قام بها البابليون ، ويتبين من بعض الجماجم اصابات المعركة ، غير أن أكثر الاكتشافات غرابة انما كانت ثلاثة جماجم أجريت لها عمليات «تربنة» Trephine ، وفى حالتين منها أزيل مربع من العظام بواسطة منشار قاطع ، وكانت العملية الجراحية بدائية جدا لم يعش بعدها الشخص الذى أجريت له ، فهل يصور هذا تجاربا أجراها الغزاة على الاسرى — على طريقة النازى — أم أنهــا

---

9) K. M. Kenyon, Op. Cit., P. 291-293.

محاولات يائسة من الناجين لانقاذ حياة شخص أصيب فى المعركة ؟ وربما كان هذا التفسير الاخير أكثر احتمالا ، وفى الحالة الثالثة حيث حفر الثقب بواسطة الكشط فقد عاش المريض فترة طويلة ، لان العظام كانت مندملة ، وقد تكون عملية قديمة وليست السبب المباشر للموت ، ولابد أن عملية «التربنة» كانت اجراء جراحيا اسرائيليا معترفا به ، وأجرى على حالات أخرى من ضحايا المعركة[10] .

هذا وقد أضاف «ارميا» فى الهجـوم البابلى الاخـير على مدينة «لاخيش» الى قائمة تتكون منها مدن المقاومة ، فضـلا عن أورشليم وعزيقة،على أساس أن «لاخيش» انما هى واحدة من مدن الاستحكامات المنيعة فى يهـوذا ، لان لخيش وعزيقة بقيتا فى مدن يهوـذا مدينتين حصينتين»[11] .

وبقيت أورشليم وحدها تقاوم الغزاة ، واتجه البابليون اليها بكل قوتهم ، وفرضوا الحصار عليها ، ولكنها ظلت تقاوم قرابة ثمانية عشر شهرا (أى من اليوم العاشر فى الشهر العاشر من السنة التاسعة من حكم صدقيا ، الى اليوم التاسع من الشهر الرابع من العـام الحادى عشر من حكمه ، ما عدا فترة قصيرة سببها الهجوم المصرى) بالرغم من انتشار المجاعة فى المدينة ، والمكوس الثقيلة[12] ، هذا فضلا عن نصائح «ارميا» بالخضوع لبابل ، لان يهوه نفسه انما كان يحارب ضد أورشليم، المدينة المنكوبة السيئة المصير ، ولهذا فليس من العجيب أن نبى الويل هذا قد ألقى به فى غياهب السجون لمجاهرته بالخذلان[13] ، بعد أن فشل الكهنة — مرارا وتكرارا — أن يثنوه عن عمله هذا بوضع رأسه فى الدهق ، ولكنه وهو فى هذا الوضع ظل يشهر بهم ، فما كان منهم الا أن

---

10) Ibid., P. 293.

(١١) ارميا ٣٤ : ٧ ، وكذا

K. M. Kenyon, Op. Cit., P. 294.

12) M. Noth, Op. Cit., P. 286.

وكذا

W. Keller, Op. Cit., P. 383.

13) S. A. Cook, Op. Cit., P. 401.

استدعوه الى الهيكل وأرادوا أن يقتلوه غير أنه استطاع أن يفلت منهم بمعونة صديق له بين الكهنة ، ثم قبض عليه الامراء وربطوه فى حبال وأنزلوه فى بئر مملوءة بالوحل ، ولكن «صدقيا» خفف هذا العقاب بأن سجنه فى فناء القصر ، الذى وجده البابليون فيه حين سقطت أورشليم فى أيديهم(١٤) .

ومن الواضح أن المدينة البائسة قد تحملت كل تلك الصعاب الجسام، أملا فى وصول المساعدة العسكرية القادمة من مصر ، وفعلا ما أن وصلت، «وسمع الكلدانيون المحاصرون أورشليم بخبرهم حتى صعدوا عن أورشليم» ، ورغم أن الوثائق المصرية صامتة تماما فى هذا الصدد ، الا أنه ـ على مايبدو ـ فان الجيش المصرى قد بقى فترة يحمى أورشليم، ولكنه تركها بعد ذلك متجها الى احتلال مدن الساحل الفينيقى ، بعد أن حول اهتمام البابليين عنها ، وبعد أن ترك فيها رجالا أقوياء من الحزب المصرى(١٥) .

وما أن يمضى الا قصير وقت ، حتى يعود «نبوخذ نصر» الى حصار أورشليم ويحث «ارميا» قومه على الاستسلام للعاهل البابلى ، ومع أن النبى العبرانى انما كان دائما متهما باضعاف الروح المعنوية بين الجنود والشعب على السواء ، فمن الثابت أنه لم يكن فى ذلك كله وحيدا ، كما أن الجوع كان «قد اشتد فى المدينة ، ولم يكن خبز لشعب الارض ، فثغرت المدينة وهرب جميع رجال القتال ليلا ، من طريق الباب بين السورين اللذين نحو جنة الملك ، وكان الكلدانيون حول المدينة مستديرين فذهبوا فى طريق البرية»(١٦) .

---

(١٤) ول ديورانت : قصة الحضارة ٣٦٠/٢ (القاهرة ١٩٦١) .
(١٥) ارميا ٣٧ : ٥ وكذا
W. O. E. Oesterley, Op. Cit., P. 233.
وكذا W. Keller, Op. Cit., P. 384.
وكذا M. Noth, Op. Cit., P. 285.
(١٦) ملوك ثان ٢٥ : ٣ ـ ٤ ، ارميا ٢١ : ٩ ، ٤:٣٨ .

وفعل اختلاف الرأى بين المحاصرين وانتشار المجاعة فعلهما،وأخيرا، وفى اليوم التاسع من الشهر الرابع من العام الحادى عشر من حـــكم صدقيا (أى فى شهر أغسطس من عام ٥٨٧ ق٠م) ، حدثت الثغرات فى جدران المدينة ، وحاول «صدقيا» الهرب مع حرســـه الى الشرق ، عبر «برية يهوذا» ، ثم الى بلاد شرق الاردن ، ولكنه أسر وهو يعبر وادى الاردن قرب «أريحا» ، وأخذ أسيرا الى «نبوخذ نصر» فى «ربلة» التى اتخذها مركزا لقيادة جيشه ــ كما فعل نخاو فرعون مصر فى عام ٦٠٩ ق٠م ــ وهناك ذبح أبناؤه أمام عينيه ، وقاسى مافيه الكثير من المتمردين، وسملت عيناه» وقيد مسلسلا فى الاغلال الى بابل حيث مات هناك بعد فترة قصيرة[١٧] ٠

ونهب الغزاة أورشليم ، وأشعلوا فيها النـــيران ، وأحرقوا القصر الملكى ، والمعبد ، وطبقـــا لرواية التوراة ، فان ذلك انما تم فى اليوم السابع من الشهر الخامس من نفس السنة ، وضاع معبد سليمان ، ومعه البقية المفترض أنها باقية من التابوت الذى كفت الروايات عن ذكره بعد نقله الى معبد سليمان ، وكان قد أقيم فى مكان خفى من المعبد كهدف تقليدى خاص بالعبادة ، مع أنه لم يلعب دورا هاما فى العبادة العامة[١٨] هذا ولعل من الجدير بالاشارة هنا أن حفريات (١٩٦١ ــ ١٩٦٧م) لم تكشف أطلال منازل القرن السابع على المنحدرات الشرقية ، التى دمرت فى هذه الفترة[١٩] ٠

(٢) السبى البابلـى :

وهكذا انتهت دويلة يهوذا،وادمجت فى التنظيم الادارى للامبراطورية البابلية ، واتباعا للعرف الاشورى ، فان الغازى الجديد (نبوخذ نصر) قد أبعد البقية الباقية من الطبقة العليا الحاكمة من اليهودية ، فلقد أسر بعضا من حاشية «صدقيا» المدربين ، وعديدا من الرجال البارزين فى

---

17) M. Noth, Op. Cit., P. 286.

ملوك ثان ٢٥ : ١ ــ ٧ ، أخبار أيام ثان ١١:٣٦ ــ ٢٠ ٠

18) M. Noth, Op. Cit., P. 286-287.

19) K. M. Kenyon, Op. Cit., P. 291.

أورشليم وبلاد يهوذا ، وأرسلوا الى «ربلة» حيث لقوا حتفهم جميعا، وأما بقية السكان فقد أقتيد الجزء الاكبر منهم — وقد قـــدره بعض الباحثين بأربعين ألفا[٢٠] ، وقدره آخرون بخمسين ألفا[٢١] — أسرى الى بابل ، وكان «ارميا» من بين الاسرى ، وقد منحه الجنرال «نبوزرادان» حريته ، ولكن طبقا لرواية أخرى ، فان «نبوخذ نصر» نفسه هو المسئول عن المعاملة اللينة لشخص يعد قبل كل شيء ، أنه قد لعب دورا هاما فى مساعدته على النصر الذى أحرزه على يهوذا ، وعاصمتها أورشليم[٢٢].

على أن العاهل البابلى — من ناحية أخرى — انما قد أبقى السكان المزارعين فى أماكنهم ، ولم يفعل — كما فعل الاشوريون من قبل — بجلب سكان جدد الى يهوذا كمـــا أنه لم يقم بأى تنظيم مستقل فى المملكة الصغيرة ، ولم يفعل البابليون بيهوذا ما فعله الاشوريون باسرائيل ، بل انهم حتى بعد اخضاعهم ليهوذا فقد تركوا الادارة لواحد من يهود ، وهكذا عين «جداليا بن أخيتام بن شافان» — وهو ابن موظف يهودى كبير ، معروف منذ أيام الملكين يوشيا ويهوياكين — حاكما على يهوذا ، ولا نعرف من الذى أوصى به «نبوخذ نصر» ليشغل هذا المنصب الجديد وعلى أى حال ، فلقد اتخذ «جداليا» من المصفاة — على مبعدة خمسة أميال من الشمـــال الشرقى لاورشليم — مركزا له ، وربما احتقـــارا لأورشليم الثائرة ، وربما لان «المصفاة» لم تتعرض لسوء مثل المدن اليهودية الاخرى فى معارك ٥٨٩ ، ٥٨٧ ق٠م وكان ارميا ، الذى أصبح عجوزا فى ذلك الوقت ، واحدا من أكبر مستشاريه الجديرين بالثقة ، وتمتع «جداليا» باخلاص جزء من السكان ، وتعهد بأن يتصرف كوسيط بينهم وبين البابليين ، وتغلبت سياسة المهـــادنة على جماعات حـــرب

---

(٢٠) نجيب ميخـائيل : مصر والشرق الادنـى القديـــم ٣٢٠/٥ (الاسكندرية ١٩٦٣) ٠

(٢١) فيلب حتى : المرجع السابق ص ٢٢٠ ، طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة ٢٩٦/٢ (بغداد ١٩٥٦) ٠

(٢٢) ملوك ثان ٢٥ : ١١ — ٢١ ، ارميا ٣٩ : ١١ — ١٤ ، وكذا W. Keller, Op. Cit., P. 402.

العصابات — وهم بقايا الجيش اليهودى — ورجع الفارون من الاراضى المجاورة ، واستؤنفت الحياة الزراعية[٢٣] .

ومع ذلك فان الدسائس لم تنته تماما ، وداعبت الامال الكاذبة بعضا من أفراد البيت الملكى اليهوذى الذين لم يهاجروا ، وسرعان ما وجدوا لهم حليفا فى «بعليس» ملك عمون ، وانتهت المؤامرة بأن قامت فرقة — ربما كانوا من الضباط الذين هـربوا من الكارثة الى عمون ، وعلى رأسهم «اسماعيل بن نثنيا» من النسل الملكى — بقتل «جداليا» أثناء وليمة عامة ، وأصبح هذا اليوم — الثالث من الشهر السابع — كارثة قومية رئيسية ، واعتبر من أيام الصيام الرئيسية عند اليهود واستطاع «يوحنان بن قاريح» احباط مؤامرة قـام بها اسماعيل وعصابته لاسر الاميرات ومن كان فى المصفاة مع جداليا[٢٤] .

وأدرك القـوم مدى الكارثة التى حلت بهم ، وخـوفا من انتقام «نبوخذ نصر» لقتل نائبه ، بل وبعض القوات البابلية نفسها التى كانت فى المصفاة ، الى جانب مجموعة من الرجال أتوا من شكيم ومن شيلوه ومن السامرة لتقديم قرابينهم الى بيت الرب ، ومن ثم فقد كان الهروب الى مصر هو سبيل النجاة الوحيد أمامهم[٢٥] ولدينا تقرير شبه مفصل عن هذه الاحداث فى التوراة (ارميا ٤٠ : ٧ — ٤١ : ٧) ولكن لا توجد تفصيلات عن كل ما حدث ، وربما أمكن القول أن اليهوذيين قد عينوا كموظفين اداريين حتى بعد قتل «جداليا» ولم تصبح ولاية يهوذا المحدودة

---

(٢٣) ملوك ثان ٢٢ : ١٢ — ١٤ ، ارميا ٢٦ : ٢٤ ، وكذا
M. Noth, Op. Cit., P. 288.
وكذا S. A. Cook, Op. Cit., P. 402-403.

(٢٤) ارميا ٤٠ : ٧ — ١٦ — ٤١ : ١٨ ، زكريا ٧ : ٥ .
وكذا S. A. Cook, Op. Cit., P. 403.
وكذا M. Noth, Op. Cit., P. 288.

(٢٥) ارميـا ٤١ : ٣ — ٧ .
وكذا M. Noth, Op. Cit., P. 288.
وكذا W. M. F. Petrie, Egypt and Israel, 1911, P. 90-93.
وكذا H. R. Hall, Op. Cit., P. 564.

المساحة ولاية مستقلة على الاطلاق ، وربما ادمجت فى ولاية السامرة المجاورة ، ذلك لان السكان اليهوذيين ، ورؤساءهم انما كانوا يخضعون لوالى «السامرة» ، و «نائب الحاكم الذى كانت له سلطات محدودة ، وأما الحدود الادارية ليهوذا فقد كانت تتفق مع حدود المملكة فى عصرها الاخير ، اذا ما كان صحيحا أن فصل الجزء الجنوبى من يهوذا ، انما قد حدث من قبل فى عـــام ٥٩٨ ق.م ، ومن ثم فهى تتضمن الحدود القديمة الفعلية لقبيلة يهوذا من جبال غرب الاردن ، وتبدأ من شمال حبرون ، وحتى دويلة المدينة السابقة أورشليم ، والى الجزء الجنوبى لحدود قبيلة بنيامين[٢٦] .

ونقرأ فى التوراة «فقام جميع الشعب من الصغير الى الكبير،ورؤساء الجيوش وجاءوا الى مصر لانهم خافوا من الكلدانيين ، وهكذا لم يجد اليهود ملجأ يحتمون به سوى مصر التى خرجوا منها ، واعتبروا يوم خروجهم عيدا ، بل أكبر أعيادهم ، وأعنى به «عيـــد الفصح» ، ومن الواضح من نصوص التوراة أن بلاد اليهودية قد أخليت من سكانها ، فقد سبى الصفوة منهم الى بابل ، وفـــرت البقية منهم ، ومنهم ارميا — الى مصر ، وتبعثرت قبائل اسرائيل فى شرق الارض وغربها ، ومع ذلك فهناك بعض العلماء من نقـــاد التوراة — ومنهم ستانلى كوك ، وتورى — ينكرون صحة قصة الاسر ، كما جاءت فى التوراة — فى أسفار الملوك وحزقيال وارميا وارميا وعزرا — ويرون أنه لم يكن هناك نفى ضخم من اليهودية ، وانما كل ما حدث أن بعضا من الاشراف قد سجنوا فى بابل ، وأنه بعد صدمة الغزو البابلى عاد الاهالى من مخابئهم المؤقتة الى بيوتهم القديمة التى أعيد بناؤها[٢٧] .

وتدل الاكتشافات التى تمت فى عدة مواقع بفلسطين أن عددا من المدن قد تم تدميره فى أوائل القرن السادس قبل الميلاد ولم تسكن بعد

26) M. Noth, Op. Cit., P, 288-289.

(٢٧) ملوك ثان ١٤:٢٤ — ١٦ ، ١١:٢٥ — ٢٦ ، ارميا ١:٢٤ ، ٢٧: ٢٠ ، ١:٢٩ — ٢ ، ٤٣: ١ — ٧ .
وكذا S. A. Cook, Op. Cit., P. 403-401.

ذلك اطلاقا ، والبعض الاخر دمر فى نفس الوقت ثم عاد اليها العمار جزئيا بعد فترة ، أما البعض الاخر فقد دمر ولم يعد العمار اليه الا بعد فترة طويلة من الهجر ، تتميز بتغير ملحوظ فى الطبقة ، وبأدلة خارجية تثبت استعمالها لاغراض غير مدنية ولا تعرف حـــالة واحدة كانت فيها بلدا من يهوذا الاصلية مسكونة بصفة مستمرة خلال فترة النفى[٢٨] ، فالبابليون قد دمروا اليهودية وأخلوها من سكانها تماما وبهذا تحققت التحذيرات والتهديدات النبوية ، وأتى قضاء الله الذى أعلنه ارميا النبى: «هاأنذا آمر بقول الرب وأردهم الى هذه المدينة فيحاربونها ويأخذونها ويحرقونها بالنار ، وأجعل مدن يهوذا خربة بلا ساكن»[٢٩] •

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن التوراة تذهب الى أن السبى البابلى ليهوذا انما كان بسبب الانحلال الداخلى وانتشار الفساد الخلقى والاجتماعى بين القـــوم فضلا عن الانحـــرافات الدينية ، فلقد حنث بالاقسام المقدسة ، ودنست أيام السبت ، وكانت القوانين الخـــاصة بالصلوات والاخلاق الشخصية قـــد وصلت الى الحضيض (طوفوا فى شوارع أورشليم ، وانظروا واعرفوا وفتشوا فى ساحـــاتها هل تجدون انسانا أو يوجد عامل بالعدل ، طالب الحق ، فأصفح عنها ، ••• كيف أصفح عن هذه ، بنوك تركونى وحلفوا بما ليست آلهة ، ولما أشبعتهم زنوا وفى بيت زانية تزاحموا ، صاروا حصنا معلوفة سائبة ، صهلوا كل واحد على امرأة صاحبه) •

هذا الى جانب الابتعاد قليلا أو كثيرا عن عبادة يهوه ، رب اسرائيل والاتجاه الى عبادة آلهة الشعوب المجاورة ، وبخاصة «بعل» رب صور ــ كما رأينا فى الصفحات السابقة ــ وهكذا اعتبر النبيان ارميا وحزقيال أن «نبوخذ نصر» انما هو وسيلة «يهوه» ضد أورشليم ــ الامر الذى سوف يتكرر فيما بعد مع مؤرخ اليهود المشهور يوسف بن متى ، عندما

---

28) W. F. Albright, The Archaeology of Palestine, P. 141-142.
W. Keller, Op. Cit., P. 205.
وكذا

(٢٩) ارميـــا ٣٤ : ٢٢ •

يعتبر الرومان كذلك — وأن الله (يهوه) سوف يحارب فى صف البابليين ضد أورشليم التى حان وقت مصيرها المحتـــوم فى الدمار والخراب ، بسبب بعدها عن يهوه ، وبسبب جرائمها فى قتل الاخوة والاخوات ، وهكذا تنسب التوراة فى كثير من نصوصها أسباب السبى البابلى الى حالة الانحلال والانحراف عن عبادة يهوه اللتين سادتا فى أورشليم فى الفترة التى سبقت هذا السبى ، مما يدل على أن كتبة هذه النصوص انما يخلطون كثيرا بين السياسة والافكار الدينية ، ويصبغون السياسة بالطابع الدينى ، وتلك بالافكار السياسية(٣٠) .

وفى الواقع أن ما حدث فى عام ٥٨٧ ق.م (أو فى عام ٥٨٦ ق.م على رأى كثير من الباحثين) لم يكن الا نتيجة طبيعية لاحداث تاريخية طويلة ، بدأت منذ منتصف القرن الثامن قبل الميلاد ، ولا يدل ، بحال من الاحوال ، على تغير مفاجىء فى الموقف التاريخى لاسرائيل ، وكان التدخل المستمر من القوى الاجنبية العظمى فى تاريخ اسرائيل لفترة طويلة ، عاملا يجب أن يشار اليه دائما ، ولكن من المرجح أن سقوط ودمار أورشليم قد أظهر أولا كل الحقيقة عن الموقف الفعلى بالنسبة لاسرائيل ، والتى اعتبرت هذا الحادث نقطة تحول حاسمة فى تاريخها ، وتحت ضغط هذا الحدث يصف مؤرخ العهد القديم تاريخ قومه على أساس من المصادر التى فى متناول يده ، وكأنه تاريخ لعصيان دائم ومتكرر الى هذا الحدث المتفاقم ، وكأن نبوءات التهديد التى بدأت منذ القرن الثامن والسابع قبل الميلاد قد تمت فى هذا الحدث ، وأن الحكم الالهى الذى كان يتنبأ به الانبياء قد وقع الان(٣١) .

وفى الحقيقة بينما اعتبرت نهاية يهوذا ليست ذا قيمة تاريخية عالمية ، حتى أن نبوخذ نصر لم يذكرها فى نقوشه ، نظر اليها اليهود على أنها أمر هام وجد خطير ، حيث أنها انما كانت — فى نظرهم — تعنى نهاية

---

(٣٠) ارميا ١٥:١ — ١٦ ، ٢ ٣:٢ — ٨ ، ١:٥ — ١٩ .
وكذا S. A. Cook, Op. Cit., P. 400.
31) Martin Noth, The History of Israel, London, 1965, P. 280.

الاستقلال السياسى فى تربة اسرائيل ، ومن المتفق عليه أن يهوذا كانت منذ ٥ ق ن ونصف قرن مضيا ـ باستثناء فترات قصيرة ـ ليست الا ولاية فى اطار أملاك القوى المختلفة فى الشرق ولم تشمل الا جزءا صغيرا من القبائل الاسرائيلية ، وان كانت ـ على أية حال ـ تعيش حياة سياسية خاصة بها ، أى أن القوم كان لهم ملك ونظام ادارى خاص بهم ، وكان الامل أن هذا الجزء المحدود ، والباقى لهم من الاستقلال ، ربما يصبح يوما ما سبيلا الى عودة الاستقلال السياسى لاسرائيل ، وقد ضاع هذا الامل الان تماما ، فضلا عن اختفاء حكم بيت داود فى أورشليم(٣٢) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة هنا الى أن وجــود البابليين فى اليهودية ـ كحام وكحامية ـ قد أدى الى قيـــام المعبودات البابلية والاعتراف بها ، حتى لنرى ارميا يحتج ـ وهو فى مصر ـ على عبادة «ملكة السموات» (عشتار) ، ويشير حزقيال ـ وهو أحد أفراد سبى يهو ياكين فى عام ٥٩٧ ق٠م ـ الى مجرى سير الامور فى المعبد قبل عام ٥٨٦ ق٠م ، فيحدثنا عن «تمثال الغيرة» (وربما كان لعشتار كذلك) ، بينما كان هناك «تموز» الذى تجلس عنده النساء الباكيات هذا فضلا عن عبادة الحيوان التى كانت تمارس فى قاعة سرية ، وفى نفس الوقت كانت «السامرة» تشجع على عبادة «بعليم» (بعل) الكنعانى(٣٣) .

على أن هذا كله ، لا يعنى ، بحـــال من الاحوال ، أن القــوم قد انصرفوا عن عبادة ربهم «يهوه» ، وانما يعنى أن هناك محاولة للربط بين رب اسرائيل ، وبين مختلف معبودات الشعوب الاخرى ، وبدهى أن الاحتياجات التى أثيرت ضد محاولات التوفيق هذه ، انما توحى بأن أولئك الذين كانوا يعبدون «يهوه» حقيقة قد ظلوا فى اليهودية ، كمـــا يشير الى ذلك الوصف الذى يقدمه الثمانون حاجا القادمون من شكيم وشيلوه والسامرة ـ والذين قتلهم اسماعيل بن نثنيـــا ، كما أشرنا من

32) M. Noth, Op. Cit., P. 289-290.

(٣٣) ارميا ١٧:٤٤ ـ ١٩ ، حزقيال ٣:٨ ، ١٤ ، اشعياء ٣:٥٧ ـ ٨ ، ٣:٦٥ ـ ٥ ، ٣:٦٦ ، ١٧ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٥٧ .

قبل ـ(٣٤) انما كانوا قادمين الى أورشليم لتقديم القـرابين الي بيت الرب الذى خرب ، وفى هذا دليل على استمرار عبادة يهـوه فى مكان المعبد ، حتى بعد عام ٥٨٦ ق٠م ٠

(٣) العودة من السبى :

لم يكن تأسيس الامبراطورية الفارسية بزعـامة «كيروش الثانى» (٥٥٨ ـ ٥٣٠ ق٠م) ، والاستيلاء على بابل فى اكتوبر عام ٥٣٩ ، ثم خضوع الامبراطورية البابلية لكيروش الثانى واعتراف سورية وفلسطين بسيادة الغازى الجديد ، مجرد تغيير فى السـيادة ، وتركيز أقوى فى السلطة ، وانما كان تغييرا جوهريا فى سياسة العواهل من أشور وبابل تجاه الشعوب الخاضعة لهم ، وكان ذلك أمر فى منتهى الاهمية بالنسبة لاسرائيل ، ذلك أن الملوك الاشوريين ـ والبابليين من بعدهم ـ انمـا حاولوا أن يوطدوا سلطتهم كلما أمكنـهم ذلك ، عن طريق وضع السكان الوطنيين فى الاقاليم الخاضعة لهم ، تحت وصايتهم ، وترحيل الطبقات الاعلى مرتبة الى أقاليم أخرى ، هذا فضلا عن ادخال دين الامبراطورية الرسمى فى عواصم الاقاليم ، الى جانب الاديان المحلية ، ولو أنهم كانوا يتسامحون معهم الى حد ما ، واستمر الفرس فى سياسة التسامح هذه، ولكنهم احتفظوا بالسلطة الفعلية ـ والتى كانت مركزة فى شخص الملك، وكبار الموظفين ـ فى أيديهم(٣٥) ٠

ونقرأ فى التوراة(٣٦) أنه فى السنة الاولى من حكم كيروش ـ أى فى السنة الاولى من حكمه للامبراطورية البابلية الجديدة ـ وبمعنى آخر فى عام ٥٣٩/٥٣٨ قبل الميلاد أصدر كيروش أمره الملكى بالسماح للمنفيين من اليهود بالعودة الى أورشليم ، ان رغبوا فى ذلك(٣٧) ، ولعل السبب الذى دفع كيروش الى اصدار أمره هذا ، أن الجالية اليهودية فى بابل

---

(٣٤) ارميـا ٤١ : ٤ ـ ٧ ، وكذا
وكذا M. Noth, Op. Cit., P. 288.

35) M. Noth, Op. Cit., P. 32.

(٣٦) عـزرا ١ : ١ ـ ١١ ٠

37) C. Roth, Op. Cit., P. 53.
وكذا S. A. Cook, Op. Cit., P. 409.

قد ساعدته على احتلال المدينة ، وربما لأن العاهل الفارسى قد رأى فى وجود جالية يهودية فى فلسطين تدين بوجودها لاحسانه سيشكل توازنا لاتجاه الحزب الموالى للمصريين الذى طالما برز فى شئون فلسطين(٣٨).

هذا ويبدو أن المنفيين قد ترددوا بين العودة الى ديارهم التى خربت وبين البقاء فى تلك التى أقاموها فى أرض المنفى،وكانت النتيجة الرئيسية أن غالبية الشعب اليهودى قد بقيت فى بابل(٣٩) فقد كان الكثيرون منهم قد تأقلموا فى التربة البابلية وامتدت أصولهم فيها ، فترددوا طويلا فى ترك حقولهم الخصبة وتجارتهم الرابحة ، ليعودوا الى القفار الخربة فى المدينة المقدسة(٤٠)،وهكذا كان من الصعب — فيما يرى المؤرخ الامريكى أولمستد — التوقع بأن يترك اليهود ، بعد أن اغتنوا ، بابل الخصبة من أجل هضاب اليهودية الجرداء(٤١) بل ان هناك من الباحثين من يذهب الى أن زعماء المنفيين انما كانوا يضعون بابل فى مرتبة تفوق مرتبة أورشليم نفسها ، وهكذا نرى المؤرخ الامريكى الصهيونى «سالو بارون» يذكر عن مرحلة أقدم من مرحلة العودة نسبيا أن زعماء المنفيين فى بابل قد أصروا على أن تتلى فى جميع بلدان سبى اليهود الصلوات «من أجل صحة حكماء بابل» قبل أى شىء آخر ، وقد أتاح العدد والرفاء المادى لآباء اليهود الروحيين البابليين أن يؤكدوا أنه هنا — أى فى بابل — يسكن مصدر الحكمة والنبوءة ، ومن بابل بالذات — وليس من القدس— يشع الاكليل المتألق على شعبه(٤٢) .

وهكذا فضل أغنياء المسبيين البقاء حيث هم ، بدليل ورود أسماء عبرانية بصورة متكررة فى الوثائق التجارية لذلك العهد ، وكانت هـذه الاسماء مركبة من أسماء آلهة ، وكانت أهم مراكزهم — كما أشرنا من

---

(٣٨) فيلب حتى : المرجع السابق ص ٢٤٢ .

39) N. Sokolow, History of Zionism, Vol, II, P. 106.

(٤٠) ول ديورانت : المرجع السابق ص ٣٦٥ .

41) A. T. Olmstead, Op. Cit., 1960, P. 57.

42) Salo W. Baron, A Social and Religions History of the Jews, V, N. Y., 1957, P. 25.

قبل — على نهر الخابور ، جنوب شرق بابل ، وكان هؤلاء الذين بقوا وقاوموا الاندماج بالسكان أو أفراد ما عرف بـ «الدياسبورا» Diaspord أى اليهود المقيمين خارج فلسطين ، أو «يهود الشتات»[٤٣] .

ورغم ذلك كله ، فان «عزرا» و «نحميا» يقدمان ٤٢٫٣٦٠ رقماً للعائدين ، وهو رقم — فيما يرى فيليب حتى — مبالغ فيه ، اذا ماقورن بمجموع المسبيين وهو ٥٨ ألف نسمة (٤٠ ألف فيما يرى سيسل روث)[٤٤] كما أنه لا يتفق مع ما جاء فى القوائم المفصلة التى تسبق الجمع النهائى ، ولابد أن الذين استجابوا لهذه الدعوة — أى العودة — هم بصورة رئيسية من العناصر الناقمة ، ومن الذين لم تكن لهم جذور فى الارض الجديدة[٤٥] .

وعلى أى حال ، فان هؤلاء العائدين لم يجدوا ترحيبا كبيرا فى وطنهم القديم ذلك أن أقواما آخرين من الساميين قد استقروا فى تلك البلاد ، وتملكوا الارض بحق احتلالها والعمل فيها ، وأخذت هذه القبائل تنظر بعين المقت الى أولئك الذين خالوهم مغيرين على بلادهم وحقوقهم» ولولا تلك الدولة القوية الصديقة لهم والتى كانت تحمى العائدين ، لما استطاعوا أن يستقروا فى فلسطين[٤٦] .

٤ — اعـادة بنـاء المعبـد :

نقرأ فى المرسوم الملكى الذى أصدره كيروش الثانى (٥٥٨ — ٥٣٠ ق٠م) فى السنة الاولى من حكمه للامبراطورية البابلية الجديدة (٥٣٩/٥٣٨ ق٠م) بعودة المنفيين الى أورشليم[٤٧] ، أن العاهل الفارسى انما

---

(٤٣) فيلب حتى : المرجع السابق ص ٢٤٣ — ٢٤٤ .
44) C. Roth, Op. Cit., P. 53.
(٤٥) فيلب حتى : المرجع السابق ص ٢٤٣ ، وانظر : عزرا ٢:٦٤ ، نحميا ٧ : ٦٦ .
(٤٦) ول ديورانت : المرجع السابق ص ٣٦٥ .
(٤٧) هناك من يثير الشكوك حول صحة هذا القرار (أنظر : E. Meyer, Dis Entsehung des Judentums, 1896, P. 8 F.)

قد أمر باعادة بناء معبد أورشليم فى نفس مكان المعبد السابق ، حيث كانت تقام الاحتفالات الدينية ، وتقدم القرابين ، وأن تكون نفقات البناء الجديد من «بيت الملك» ــ أى من الخزانة العامة ــ ، وأخيرا فان المرسوم الملكى انما يعيد للمعبد الجديد كل متعلقات المعبد القديم الثمينة التى كان قد اغتصبها «نبوخذ نصر» عند الاستيلاء على المدينة المقدسة، وتدمير المعبد فى عام ٥٨٧ ق٠م ، ثم أحضرها الى بابل مع الغنائم والاسلاب التى أستولى عليها الغازى البابلى من يهوذا ، هذا فضلا عن الاموال التى تبرع بها يهود السبى البابلى للمعبد الجديد[٤٨] ٠

ولعل سؤال البداهة الان : لم تدخل كيروس بنفسه فى أمر عبادة محلية على نفس حدود امبراطوريته العظيمة ، بعد فترة قصيرة من استيلائه على أملاك الامبراطورية البابلية الجديدة ، داخل بلاد وصلت اليه عن طريق الامبراطورية المذكورة ، رغم أنه لم يرها من قبل ؟

لاريب فى أن تصرف كيروش هذا لا يرجع بالتأكيد الى مبادرته الشخصية ، ولعل الامر الذى يمكن ادراكه بسهولة ، أن بعض اليهود الذين سبق ترحيلهم الى بابل ، والذين شاهدوا تجديد الديانات القديمة فى ميزوبوتاميا ، ربما لفتوا نظر البلاط الفارسى الى حقيقة أن حاكم الامبراطورية البابلية الجديدة قد دمر معبد أورشليم ، الذى يجب أن يجدد بناؤه الان ، وأنه من الممكن اعادة الاشياء المقدسة التى نهبت من هذا المعبد ٠

وأما بالنسبة للمنفيين ، فضلا عن القبائل التى بقيت فى البلاد ، والجماعات الاخرى المتفرقة من اسرائيل القديمة ، فقد كان تجديد المعبد أمرا ذا أهمية أساسية بالنسبة للديانة المركزية الفيدرالية التى كانت

---

(٤٨) عزرا ١:١ ــ ١١ ، ٣:٦ ــ ٥ ، وكذا
وكذا S. A. Cook, Op. Cit., P. 409.
وكذا C. Roth, Op. Cit., P. 53.
وكذا M. Noth, Op. Cit., P. 306-307.

أورشليم مركزا لها لفترة طويلة ، ومازالت مركزا لاسرائيل التى تعلقت بسرعة بتقاليدها •

ولعل من الجدير بالاشارة الى أن هناك من يذهب الى أن كيروش الثانى لم يصدر أية أوامر رسمية بتجديد معبد أورشليم ولم يشر بأية وسيلة بأنه سوف يقوم بالاحتياجات التى ربطها اشعياء الثانى بشخص كيروش كمبعوث من العناية الالهية وهو الذى كان عليه أن يؤثر فى التغيير النهائى الحاسم فى التاريخ ، ومع ذلك ، فيبدو أنه على الرغم من أن الامل فى تغيـــير أساسى ، وتحسن الموقف الذى كان قد ارتبط بظهور كيروش ، لم يكن هناك أى أمر كتابى ، وقد وجد البعض أنه من الصعوبة بمكان تصديق أن كيروش قد وافق على أن تكون اعادة بناء المعبد من الخزانة العامة ، الامر الذى اتخذه البعض كحجة ضد صحة القـــرار المقتبس من النص الذى جاء فى سفر عزرا (٦ : ٣ — ٥) •

غير أن هذا العمل انما يتفق مع سياسة تحسين أحـــوال الديانات المحلية عن طريق تقديم مساعدة مالية من الدولة فى حالات الضرورة ، وفى حالتنا هذه انما يوجد سبب خاص لتقديم المساعدة الانفة الذكر ، ذلك أن العاهل البابلى «نبوخذ نصر» (٦٠٥ — ٥٦٢ ق•م) انما كان قد دمر المعبد ونهبه ، عند استيلائه على المدينة المقدسة فى عام ٥٨٧ ق•م، وبما أن العاهل الفارسى «كيروش الثانى» هو الوريث لحـــكم الدولة البابلية ، فضلا عن أنه الذى تبنى سياسة معينة بالنسبة للشئون الدينية، ومن ثم فهناك سبب وجيه لقيامه باصلاح أخطاء «نبوخذ نصر» ، هذا الى جانب أن المعبد انما كان مكانا للعبـــادة الملكية السابقـــة ولما كان «كيروش الثانى» يعتبر نفسه الخليفة الشرعى لملوك يهوذا السابقين،فهو اذن المسئول عن تكاليف تجديد المعبد ، وهكذا فقد كان من اللائق أن يعطى أوامره بذلك ، فضلا عن توجيهاته بشأن أسلوب البناء الجديد(٤٩) •

---

49) M. Noth, Op. Cit., P. 307-308.

ويشير مرسوم كيروش بصفة خاصة الى تجديد المعبد ، وفيما بعد نرى كاتب الحوليات العبرانى يسجل الحـادث باللغة العبرية فى سرده لقصة البداية الجديدة بعد فترة النفى[٥٠] ، معتمدا فى ذلك على النص المعروف والمرتبط بأمر تجديد المعبد ، ومنح المنفيين حرية العودة ، لانه انما كان يفكر فى الوطن القديم ، وبخاصة مدينة أورشليم ، والتى كانت خرائب مهجورة ، ومن ثم فمن المحتمل أنه قد استنتج أن كيروش قـد استغل سلطاته لاصلاح المعبد والسماح للمنفيين بالعـودة الى الوطن للقيام بهذه المهمة ، وأن وجهة نظره انما كانت تتجه الى أن جزءا صغيرا من السكان قد بقى فى فلسطين[٥١] ، فضلا عن تلك الطبقة العليا الاجنبية التى بقيت فى ولايات مملكة اسرائيل ، والتى لم تشترك فى اعادة بناء المعبـد .

وفى الواقع ، ان قرار كيروش لم يذكر عودة المنفيين ، لان ذلك لم يكن ضروريا بالنسبة لتجديد المعبد ، ذلك لان الجزء الرئيسى من القبائل، انما قد بقى فى البلاد للقيام بالخدمة الدينية فى المكان المقدس ، حتى بعد تخريب «نبوخذ نصر» لهيكل سليمان ، ومن ثم فهذا الجزء من القبائل انما كان قادرا على التجديد وربما لم يرجع كثير من المنفيين الى أورشليم وبلاد يهوذا ، رغم أن الفرس لم يضعوا أية عقبات فى طريق عودتهم ، وعلى أى حال ، فمن المفترض أن عدد العائدين لم يكن كبيرا (أربعين ألفا فيما يرى سيسل روث)[٥٢] ، ذلك لان أحوال فلسطين نفسها لم تكن تسمح بذلك ، بسبب المدن والقرى الكثيرة التى دمرت ، والتى لم يكن قد أعيد بناؤها بعد ، بل ان مدينة أورشليم نفسها ، كانت ماتزال بمثابة خرائب بدرجة كبيرة[٥٣] .

وأيا ما كان الامر ، فلقد فوض كيروش شخصا يدعى «شيشبصر»

---

(٥٠) عـزرا ١ : ٢ ـ ٤ .
(٥١) ملوك ثان ٢٥ : ١٢ .

52) C. Roth, Op. Cit., P. 53.
53) M. Noth, Op. Cit., P. 308.

وصف بأنه «رئيس يهوذا» فى أن يأخـذ الكنوز التى نهبت من معبـد أورشليم منذ نصف ـقرن ، وحفظت بمعبد الاله «بل» (Bel) ، وأن يقوم بمهمة تجديد المعبد ، وكان على «شيشبصر» على أى حال ، أن يقوم بوضع أساس المعبد الجديد(٥٤) .

هذا وقـد وصف «شيشبصر» بأنه كان واليـا من قبل كـيروش الثانى(٥٥) ، وأنه «رئيس يهوذا»(٥٦) ، ومع ذلك فليس من السهل علينا أن نحدد المركز الذى كان يشغله «شيشبصر» هذا ، وهل كان حاكما على ولاية يهوذا التى كانت قد بقيت كولاية مستقلة ، أو أنها قد أعيد تكوينها من جديد ، أم أنه كان حاكما مساعدا لجهة ما فى يهوذا ، التى كانت تحت الادارة الاقليمية للسامرة ؟ أم أنه كان شاغلا لوظيفة عادية عند الحاكم وليس أكثر من مجرد وكيل خاص يشرف على عودة كنوز المعبد وتجديده، وطبقا للاوصاف التى جاءت فى سفر عزرا (٥ : ١٥) ؟ كل تلك أسئلة من الصعب اعطاء اجابة حاسمة عنها ، وكل ما نعرفه أن كيروش الثانى انما قد أعطى تفويضا محددا لتنفيذ قراره(٥٧) .

ثم من هو «شيشبصر» هذا ؟ ، ان الرجل ــ كما يبدو من اسمه البابلى ــ ليس موظفا فارسيا ، وربما كان يهوديا منفيا قبل الاخرين ممن على شاكلته فى بابل ، وفى نفس الوقت كان يحمل اسما بابليا ، وقد بدا للحكومة الفارسية لسبب أو لاخر أنه الشخص المناسب بهذه المهمة، ومن العبث أن نحاول توحيده بشخصية أخرى معروفة جاء ذكرها فى سفر أخبار الايام الاول (٣ : ١٨) تدعى «شناصر» والذى يظهر على

---

(٥٤) عزرا ١٤:٥ ــ ١٦ ، وكذا
وكذا C. Roth, Op. Cit., P. 53.
(٥٥) عـزرا ٥ : ١٤ .
(٥٦) عـزرا ١ : ٨ .
57) M. Noth, Op. Cit., P. 309.
وكذا K. Galling, JBL, 70, 1951, P. 179.

أنه رابع أبناء الملك اليهوذى المنفى «يهوياكين»[٥٨] ، ورغم أنه لا يوجد حقيقة ما يجعلنا نوحد «شيشبصر» بـ «شناصر» وأنه من المستحسن أن نعترف بأننا لا نعرف عن شخص «شيشبصر» هذا سوى القليل الذى جاء عنه فى نص التوراة (٥ : ١٤ ـ ١٦)[٥٩] ، فان هناك من الباحثين من يذهب الى أنه ابن الملك «يهوياكين» ، ومن يذهب الى أنه أمير من الاسرة المالكة[٦٠] ، وربما اعتمادا على ما جاء فى التوراة من أنه «رئيس يهوذا»[٦١] .

وأيا ما كان الامر ، فبعد عودة قوافل المنفيين الى فلسطين ، يمكن أن يتصور المرء أن القوم قد تفـرقوا فى أماكنهم الاولى ، وبدأت كل عائلة تبحث عن قطعة الارض التى كانت تمتلكها سابقا ، ورغم ذلك فقد تجمعوا بعد ذلك فى أورشليم لاعادة الشعائر المقدسة فى المعبد ، وفى مناسبة الحفل الدينى الذى كان يقام فى بداية الشهر السابع (والذى عرف فيما بعد ببداية العام) بدأت ازالة الانقاض من وسط الساحات المهدمة تمهيدا لاقامة الهيكل الجديد ، ومنذ تلك اللحظة ـ ومنذ ثلاثة قرون ونصف القرن ـ لم تنقطع التضحية المنظمة والمتوالية صباح مسـاء[٦٢] .

وهكذا ـ وبعد عامين من العودة ـ أقيمت أساسات المعبد الجديد ، ولكن العمل سرعان ما توقف بسبب الموقف السىء فى أورشليم والبلاد المجاورة ، ومن ثم فقد بدأت دعوة جديدة تنادى ، «بأن الوقت لم يحن بعد لبناء بيت يهوه» ، وأن القـوم كانوا ما يزالون مشغولين بأمورهم الخاصة ، «وكل رجل لا يشغله الا آل بيته» ، وأن بعضـا منهم كان ما

---

(٥٨) أطلق الملك البابلى «اويل مردوخ» (٥٦٢ ـ ٥٦٠ ق٠م) سراح الملك اليهودى «يهوياكين» فى عام ٥٦٢ ق٠م (ملوك ثان ٢٥:٢٧ ـ ٣١ ، وكذا (C. Roth, Op. Cit., P. 51.

59) M. Noth, Op. Cit., P. 309-310.

60) S. A. Cook, CAH, III, Cambridge, 1965, P. 409.

(٦١) عـزرا ٢ : ٨ ٠

62) C. Roth, Op. Cit., P. 53.

يزال يعيش فى «منازل مكسورة» ، ورغم أنهم ربما كانوا قلة ، فالذى لا شك فيه أن أورشليم كانت ما تزال الى حد كبير مدينة خربة ، يسكنها قوم يستحقون العطف ، وأن القرى فى الريف لم تكن بأفضل من ذلك ، وكان على قمة تلك المآسى «المجاعة» التى يتلوها حصاد سىء للغاية ، مما جعل الاهالى يركزون كل اهتماماتهم فى متاعبهم الشخصية ، وهكذا بدأت الاساسات دون أن يلمسهـا أحد ، وتوقف العمـل فى تجديد المعبـد نهائيـا[٦٣] .

وهكذا توقف العمل فى اعادة بناء معبد أورشليم بسبب حاجته الى اعداد كبيرة من الايدى العاملة ، والتى كانت أورشليم المهدمة فى أشد الحاجة اليها لاعادة بنائها ، كما أن المعونة الفارسية كانت جد قليلة ، فضلا عن أن جيران يهوذا ، انما كانوا من عوامل هذا التوقف ، اذ «كـان شعب الارض يرخون أيدى شعب يهوذا ويذعرونهم عن البنـاء ، واستأجروا ضدهم مشيرين ليبطلوا مشورتهم كل أيام كوروش ملك فارس ، وحتى ملك داريوس ملك فارس»[٦٤] .

وهكذا لم يبن من المعبد الثانى غير أساساته ، حتى قضى «كيروش الثانى» فى سبتمبر من عام ٥٣٠ ق.م ، وهو يهاجم جحافل الطورانيين على حدوده الشمالية ، وخلفه ولده «قمبيـز الثـانى» (٥٣٠ ـ ٥٢٣ ق.م) ، الذى انشغل بالاضطرابات التى انتشرت بعد وفاة أبيه ، بسبب المشاكل المتعلقة بوراثة العـرش ، والتى لعب فيهـا أخوه «بريديـا» (سمرديس) دورا هاما ، ومن هنا فقد عقد العزم على أن يكبح بعنف كل ما يهدد قوته بالضعف ، أو يجعل العـرش الذى يجلس عليه يهتز من تحته ، ومن ثم فقد تم اغتيال «بريديـا» وخلا له الجو ليكون الحاكم الوحيد لأكبر امبراطورية عرفهـا عصره[٦٥] ، غير أن قمبيز لم يقدم

---

(٦٣) حجـى ١ : ١ ـ ١١ ، وكذا
وكذا M. Noth, Op. Cit., P. 310.
(٦٤) عـزرا ٤ : ٤ ـ ٥ .

65) M. Noth, Op. Cit., P. 310-311.
وكذا R. Ghrishman, Iran (Penguin Books) 1954, P. 136

شيئا ذا منفعة ليهود ، وهكذا ، وبعد ستة عشر عاما من قرار كيروش ، مات قمبيز فى سورية ، ولم يتم بناء المعبد الا على أيام «دارا الأول» (٥٢٢ — ٤٨٦ ق٠م)[٦٦] ٠

(٥) نهاية اليهود فى فلسطين :

وهكذا أصبح لليهود — بعد أن نجح زربابل فى اكمال المعبد الثانى فى العام السادس من حكم «دارا الاول» (٥٢٢ — ٤٨٦ ق٠م) (أى فى ١٠ مارس عام ٥١٥ ق٠م) مركز دينى يمكن أن تستأنف فيه من جديد تقاليد معبد سليمــان ، وبالتالى فقد اعتبر معبــد أورشليم هو المعبد الوحيد الشرعى ، كمــا أنه أصبح ، مرة أخــرى ، المركــز الحقيقى للحيــاة اليهودية[٦٧] ٠

وقد تزعم اليهود فى هذه الفترة «نحميا» و «عزرا» ، فأما «نحميا» فقد نجح — بعون من الملك الفارسى «أرتاكزكسيس الاول» (٤٦٥ — ٤٢٤ ق٠م) — من اعادة أسوار أورشليم وتجديد الحصون ، الأمر الذى اقى معارضة شديدة فى داخــل أورشليم وخارجها ، بل ان معــارضة «سنبلط» حاكم السامرة وصلت الى حد اغتيال نحميا نفسه ٠

وعلى أية حال ، فلقد تمتع اليهود فى عهــد «زربابل» و «نحميا» بامتيازات الحكم الذاتى ، ولكن اللغة العبرية فى عهدهما لم تستعمل حتى كلغة دارجة ، ليس فى مواطن سبى اليهود فحسب ، وانمــا فى يهوذا نفسها ، وقد حلت محلها اللغة الارامية ، وظلت العبرية تستعمل كلغة دينية فحسب ، واستعمل اليهود اللغة الارامية فى مراسلاتهم الرسمية كذلــك ٠

---

(٦٦) زكريا ١٤/١ — ١٠/٢ ، وكذا
S. A. Cook, Op. Cit., P. 410.
وكذا
M. Noth, Op. Cit., P. 311-312.

(٦٧) انظر عن التفصيلات والمراجع عن هذه الفترة منذ بناء المعبد فى عام ٥١٥ ق٠م ، وحتى نهاية اليهود فى فلسطين عــام ١٣٥ م (محمد بيومى مهران — اسرائيل — الجزء الثانى — الاسكندرية ١٩٧٨ ص ١٠٣٦ — ١١٦٧) ٠

وأما «عزرا» فقد كانت مهمته تنحصر فى القضـــاء على «الزواج المختلط» بين اليهود وجيرانهم ، الامر الذى اعتبره «عزرا» خيانة لرب اسرائيل الذى حرمه عليهم ، ويذهب البعض الى أن «عزرا» قد استصدر أمرا من ملك الفرس بمنع الزواج المختلط ، ثم استخدم العنف فى هدم الزيجات المختلطة القائمـــة ، وشتت الاسر بالقوة ، وشرد الاطفـــال الابرياء ، وتم كل ذلك باسم الدين لاستئصال الرجس من بنى اسرائيل ، وفى ذلك نرى عزرا يفوق نحميا الذى اكتفى بلعن هــؤلاء الازواج ، وجلدهم ونزع شعورهم ، ثم استحلفهم بالله قائلا «لا تعطوا بناتكم لبنيهم ، ولا تأخذوا من بناتهم لبنيكم ولا لأنفسكم» .

وأما المهمة الثانية ــ والاكثر أهمية ــ لعزرا ، فقد كانت «اعـــلان الشريعة» التى أحضرها معه من بابل فى اجتمـــاع خطير ، وشرع يقرأ عليهم ، هو وزملائه اللاويون ، من مطلع النهار الى منتصفه ، ولمدة سبعة أيام ، ما تحويه ملفات هذا السفر ، ولما فرغوا من قراءتها أقسم الكهنة والزعماء والشعب على أن يطيعوا هذه الشرائع ويتخذونها دستورا لهم يتبعونه ، ومبادىء خليقة يسيرون على هديهـــا ، ويطيعونها الى أبـــد الآبدين .

وأما مصدر هذه الشريعة ، فكل الاحتمالات الممكنة أنها قد جمعت وظهرت بين جماعـــات البابليين المنفيين ، ثم أصبحت أمرا ملزمـــا لكل اسرائيل بسلطة الدولة الفارسية ، وعلى أية حال ، فان شريعة عزرا هذه انما هى القانون الكهنوتى (أو جزء منه كـــان موجودا مع المسبيين فى بابل) وأضيفت اليها بعض الشرائع وبها قصص الآبـــاء ، وكلها تعنى اليوم محتويات ناموس موسى (أسفار موسى الخمسة) ، هى أساس الدين اليهودى ، ومن هنا نظـــر القوم الى «عـــزرا» على أنه «موسى الثانى» ، ويعتقد اليهود أنه هو الذى جمع أسفار الكتاب المقدس ، كما حمل الى فلسطين الاحرف الارامية المربعة الشـــكل ، والمعروفة بالخط الاشورى ، والتى مهدت لنشوء الابجدية العبرانية الحالية .

وعلى أية حال ، فلقد بدأ اليهود منذ ذلك الحال فى ممارسة الطقوس على النظام القديم ، ومراعاة السبت والعبادة والختان ، التى غدت جميعا بعد هذه المرحلة أمورا يجب اتباعها ، كما عملت فى الوقت نفسه ، على ربط ماكان قد انفرط من عقدهم ، ونأت بهم ، الى حد ما ، عما كانوا يترددون فيه من ضباب الوثنية ، وقربتهم الى فكرة التوحيد ، وباعدت ما بينهم وبين الشرك ، وأعطتهم الامل فى بعث ونشور ، وثواب وعقاب •

وظل الامر كذلك حتى جاء الاسكندر الاكبر (٣٥٦ — ٣٢٣ ق•م) الى بلاد الشام ، وخضعت له فلسطين ، وأصبح اليهود من مواليه ، وعندما مات الاسكندر فى ١٣ يونية عام ٣٢٣ ق•م ، وأصبحت فلسطين تحت حكم السلوقيين ، ومع ذلك ، فلقد عمل البطالمة طوال عهدهم (٣٢٣ — ٣١ ق•م) على أن تكون فلسطين تابعة لمصر ، على أن الثورة المكابية (١٦٦ — ١٦٠ ق•م) انما أدت الى قيام الأسرة الحسمونية (١٦٠ — ٦٣ ق•م) التى انتهت أيامها باحتلال الرومان لفلسطين ، ودخول «بومبى» القدس عام ٦٣ ق•م ، وأصبحت ولاية يهوذا ولاية رومانية •

وفى عام ٥٧ ق•م ، عين «أولوس جابينيوس» حاكما على سورية (٥٧ — ٥٥ ق•م) ، فأعاد تنظيم الامور فى اليهودية ، ومن ثم فقد جرد الكاهن الاعظم «يوحنا هيركانموس الثانى» من رتبته الملكية ، على أن يحكم البلاد كتابع لروما ، كما كان يفعل أسلافه على أيام السيادة الفارسية على اليهودية ، كما قام «جابينيوس» بفرض ضرائب ثقيلة على السكان ، وتقسيم الدولة الى خمسة أقسام صغيرة ، يحكم كل منها «سنهدرين» ، وقد حدث ذلك كله فى أعقاب ثورة فاشلة قام بها «الكسندر بن أرسطو بولس» •

وفى عام ٤٢ ق•م ، قسمت الامبراطورية الرومانية بين أغسطس وأنطونيو ، وقد عمل أنطونيو على القضاء على سلطة المكابيين ، واقامة

سلطة أخرى من «الادوميين» على رأسها «هيركانوس» ، غير أن زمام الامور انما كان بيد «أنتيباتر» الادومى الاصل ، والذى أصبح ولده «هيرودوس» ملكا على أورشليم فى عام ٣٧ ق٠م ، وحتى عام ٤ ق٠م ، كان طوال تلك الفترة أداة طيعة فى أيدى الرومان الذى نصبوه ملكا على أورشليم ، وان قام أثناء فترة حكمه بعدة منشـآت معمارية من أهمها بناء مدينة قيصرية ، واعادة بناء معبد أورشليم فى عام ٢٠ ق٠م ، وان لم ينته البناء الا فى عام ٦٤م ، فى عهد «أغربيا الثانى» ، وكانت مساحته ضعف ما كانت عليه من قبل ٠

وفى عهد الامبراطور «نيرون» (٥٤ ــ ٦٨ م) قامت ثورة عنيفة فى اليهودية (ثورة ٦٦ ــ ٧٠م) فعهد نيرون الى قائده «فسباسيان» بقمع الثورة ، وقد تمكن «فسباسيان» من اخضاع منطقة الريف والحصون المنعزلة دون مقاومة ، كما تمكن من عزل أورشليم عن بقية فلسطين ، وبينما كان يعد العـدة لحصـار أورشليم مـات نيرون ، وأصبـح «فسباسيان» امبراطور (٦٩ ــ ٧٩ م) فعهد بمهمة القضاء على الثورة الى ولده «تيتوس» الذى ضرب الحصار حول أورشليم مباشرة ، ولمدة خمسة أشهر ، بقوات كبيرة ، أحاطت بالمدينة المقدسـة من كل جانب ٠

وبدأ «تيتوس» فى مهاجمة أورشليم ، ونجحت جيوشه فى دخولها فى سبتمبر عام ٧٠ م ، وأضرمت النيران فيها ، وهـدم معبد هيرودوس ، فوق أبنية متعاقبة فى نفس الموقع ، وأشعلت النار فى قدس الاقداس ، ويقدر المؤرخ اليهودى المعاصر للاحداث «يوسف بن متى» (يوسفيوس فيلافيوس ٣٧ ــ ٩٨ أو ١٠٠م) عدد القتلى بمليون وثلاثمائة وخمسين ألفا ، فضلا عن تسعمائة ألف آخرين ، أسروا أو بيعوا كرقيق ، كما مات مئات من الآلاف غيرهم من المجاعة والاوبئة والمذابح ، ورغم أن الباحثين يرون فى هذه الاعداد مبالغة كبيرة ، فان البعض يقدرهم بما لا يقل عن ثلاثة أرباع المليون ، ويقدرهم آخرون بما لا يقل عن ستمائة ألف ، فاذا صح هذا الرقم الاخير ، ولعله ربما كـان أدنى الى العقل ، فذلك انما يعنى أنقراض جنسى حقيقى ، لم يكد يترك من يهود شيئا ٠

وأما المعبد اليهودى فى أورشليم ، فقد بلغ من جسامة وقسوة تهدمه فى هذه الثورة ، أن ضاعت آثاره تماما ، حتى أن الناس قد نسوا فيما بعد ، اذا كان المعبد قد بنى على التل الشرقى أو الغربى من أورشليم ، وقد فشلت جميع المحاولات التى بذلت لاعادة بنائه ، بالاستناد الى وصف التوراة وحدها •

وفى عام ١٣٠ م قام الامبراطور «هدريان» (١١٧ — ١٣٨ م) بزيارة أورشليم ، وأصدر عدة قرارات ، منها تحريم تقديس يوم السبت ، وعادة الختان ، وتحويل أورشليم الى مستعمرة رومانية ، مما أغضب اليهود كثيرا ، وأدى الى قيام ثورة «سيمون باركوخبا» (١٣٢ — ١٣٥ م) الذى استولى على بعض معاقل الرومانى ، واستقل بأورشليم ، واتخذها عاصمة سياسية ودينية ، وضرب العملة باسمه ، ومن ثم فقد أمر «هدريان» قائده «يوليوس سيفيرس» بالقضاء على الثورة ، ونجح القائد الرومانى فى أغسطس عام ١٣٥م فى القبض على «باركوخبا» وقتله ، واحتلال أورشليم التى هدمها تماما ، وبنى فوقها مدينة جديدة باسم «ايليا كا بيتولينا» (Aelia Capitalina) ، وأبدل المعبد القديم بمعبد جديد كرسه للمعبود الوثنى الرومانى «جوبيتر كابيتولينس» (Jupiter Capitalinus) وقام الرومان بمذبحة نهائية ختمت مصير اليهود فى فلسطين — كدولة وكقومية — حيث صفيت بقايا اليهود بالابادة والهجرة ، ويقدر «ديودور الصقلى» عدد القرى التى دمرت بـ ٩٨٥ قرية ، وعدد القتلى من السكان بـ ٥٨٠ ألفا •

ورغم المبالغة فى هذه الاعداد ، فان اليهود قد طردوا فعلا من فلسطين الى كل أجزاء الامبراطورية الرومانية ، وكان عام ١٣٥م ، هو التاريخ الذى انتهت فيه نهائيا علاقة اليهود بفلسطين سياسيا وسكانيا ، انه الخروج الأخير ، وحتى ندرك مدى ضآلة ما بقى من اليهود بعد كل المذابح والمطاردات (بعد السبى الاشورى والبابلى والرومانى الاول عام ٧٠م) ، يكفى أن نذكر أن عدد يهود الخروج الاخير انما يقدر بنحو أربعين ألفا •

وأما ما تبقى من هذا وذاك من يهـود فلسطين ، فشراذم ضئيلة ازدادت تناقصا فيما بعد ، بتحول بعض أفرادها الى النصرانية ، ولعل أهم تلك البقايا «السامريين» الذين تحولوا الى قوقعة قزمية مغلقة فى نابلس ، حتى لا يزيد عددها اليوم عن مائة أو مائتين ، وفى بداية القرن التاسع عشر الميلادى كان عدد اليهود فى فلسطين لا يزيد عن عشرة الاف نسمة[٦٨] .

---

(٦٨) انظر (محمد بيومى مهران : اسرائيل ١١٠٥/٢ ـ ١١٥٨) .

الباب السابع

العناصر غير السامية في بلاد الشام

تقـــــديم :

لعل من الافضل – قبل الحديث عن العناصر غير الســـامية فى بلاد الشام – أن نشير الى أننا قد تحدثنا فى ألابواب الستة الســـابقة عن أهم العناصر السامية فى بلاد الشام ، ولكننا لم نتحدث عـــن كل هذه العناصر ، فلقد بقى منها شعوب ، وان كان تأثيرها فى تاريخ وحضارة بلاد الشام قليلا ، بل ان كثيرا منها يكـــاد لا يكون له تأثير يذكر ، وأما هذه العناصر السامية التى لم نتعرض لها فى هـــذه الدراسة من قبل[1]، فهى :

(١) اليبوسيـــون :

وهم سكان القدس (أورشليم) فيما قبل استيلاء العبرانيين عليها ، وقد بقـــى بعض منهم فى المدينـــة المقدسة حتى عهد ما بعـــد السبى البابلى (٥٨٧ – ٥٣٩ ق٠م) ، وعلى أيـــة حال ، فاليبوسيـون قبيلـــة كنعانية على رأى ، بل هم بطن من بطون العـــرب الاوائل ، نشأوا فى صميم شبه الجزيرة العربية ، وترعرعوا فى أرجائها ،واستوطنوا ديارها ، وكان ذلك حوالى عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد ، ثم نزحوا منها ، مع من نزح من القبائل الكنعانية ، غير أن هناك من يرى أن اليبوسيين غير ساميين ، وانما هم حوريون على رأى ، وحثيون على رأى آخر ، اعتمادا على أن الاسم «يبوس» غير سامى[2] ٠

---

(١) انظر عن هذه الشعوب السامية (محمد بيومى مهران : اسرائيل ٥٦٢/٢ ٥٨١) ٠

(٢) يشوع ٨/١٥ ، ١٦/١٨ ، صموئيل تان ١٦/٢٤ – ٢٥ ، ملوك أول ٢٠/٩ ، عزرا ١/٩–٢ ، قاموس الكتـــاب المقدس ١٠٥٣/٢ ، عبد الحميد السايح : بيت المقدس ص ٤٩ ، حسن ظاظا :المرجع السابق ص٢٤ ، وكذا S. Yeivin, JNES, 7, P. 41.
S. Abramsky, Ancient Towns in Israel, Jerusalm, 1963, P. 122.
وكذا M. F. Unger, Op. Cit., P. 557.

(٢) العمـــاليق :

العماليق قوم ساميون ، بل هم — فيما يرى الاخباريون — عرب صرحاء ، ومن أقدم العرب زمانا ، ولسانهم هو اللسان المضرى الذى نطقت به كل العرب البائدة ، بل ويذهب الامام الطبرى الى أن عمليقا ، وهو أبو العمالقة ، كان أول من تكلم العربية حين ظعنوا من بابل ، ومن ثم فقد كان يقال لهم — وكذا لجرهم — العرب العاربة[٣] .

وعلى أية حال ، فهم — فى نظر التوراة — من أقدم الشعوب التى سكنت جنوب فلسطين ، وقد عدهم «بلعام» أول الشعوب ، ربما لانهم كانوا أول من اصطدم ببنى اسرائيل فى صحراوات سيناء (فى رفيديم)، كما كانوا غالبا حلفاء لأعداء اسرائيل ، وطبقا لرواية التوراة ، فقد اتحد العماليق مع «عجلون» ملك مؤاب الذى انتزع من بنى اسرائيل أريحا (مدينة النخل) ، كما كانوا كذلك حلفاء لأهل مدين وبنى المشرق (بنى قدم) الذين كانوا يسكنون فى سهل يزرعيل ، وهكذا استمـر العماليق يغزون بنى اسرائيل فى فلسطين[٤] .

وكان طالوت (شاول) أول ملك اسرائيلى يحارب العماليق ، وطبقا لرواية التوراة ، فان شاؤل قـد نجح فى مهمته ، وحقق للاسرائيليين ، ولأول مرة ، نصرا على العماليق[٥] ، كما يفهم من الرواية نفسهـا أن العمالقة انما كانوا يسيطرون على طرق القوافل فيما بين جنوب فلسطين، وشـمال بلاد العرب ، وكـان هناك طريقـان منها يقعـان فى أرض العمـاليق[٦] .

---

(٣) تاريخ الطبرى ٢٠٧/١ ، جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ٣٠٦/١ ، وكذا

Ency, of Islam, I, P. 325.

(٤) تكوين ١٢/٢٦ ، قضاة ١٢٣/ ، الويس موسل : شمال الحجار ص ٣٣ — ٣٤ (مترجم) .

(٥) صموئيل أول ٣/١٥ — ٩ ، الويس موسل : شمال الحجاز ص ٣٤

(٦) صموئيل أول ٧/١٥ ، الويس موسل : شمال الحجاز ص ٣٤ — ٣٥ ، وكذا

M. F. Unger, Op. Cit., P. 41.

وفى أيام داود عليه السلام ، غزا العماليق بنى اسرائيل «وضربوا صقلغ وأحرقوها بالنار وسبوا نساءها» ، الا أن الملك النبى انمــا قد كتب له نجحا بعيد المدى فى رد الغزاة ، وفى استعــادة الغنائم منهم ، بل وفى استعادة بعض السبايا ، كما تمكن قائده «يوآب» من أن يخرجهم من ديارهم الاولى ، وان ظلت بقية منهم تسكن الجــزء الجنوبى من جبل سعير ، حتى أتى المهاجرون من قبيلة شمعون ، فاحتلوا ديارهم(٧) .

(٣) المدينيـــون :

كان أهل مدين قوما عربا يسكنون مدينتهم «مدين» ، وهى قرية من أرض معان فى أطراف الشام مما يلى الحجاز ، قريبا من بحيرة قوم لوط ، وكانت بلادهم تمتد من خليج العقبة الى مؤاب وطور سيناء ، ويفهم من أسفار التوراة أن مواطن المدينيين (المديانيين) انما كانت تقع الى الشرق من العبرانيين ، ويبدو أنهم قد توغلوا فى المناطق الجنوبية لفلسطين ، متخذين منهــا مواطن جديدة ، عاشوا فيها أمــدا طويلا ، وقد ذكــر «بطليموس الجغرافى» موضعا يقال له «مودينــا» على سواحل البحر الاحمر ، يرى العلماء أنه موضع مدين ، وأنه يتفق وحدود أرض مدين المعروفة فى الكتب العربية(٨) .

وأما «يوسبيوس» فيذكر مدينة «مديم» ، ويقول انها سميت باسم أحد أولاد ابراهيم عليه السلام ، من زوجه قطورة ، وهى تقــع وراء المقاطعة العربية فى الجنوب فى بادية العرب الرحل الى الشرق من البحر الاحمر ، وأما «الويس موسل» فالرأى عنده أن أرض مدين يجب أن

---

(٧) صموئيل أول ٣٠/١ ــ ٣٠ ، أخبار أيــام أول ٣٣/٤ ، محمد بيومى مهران : اسرائيل ٥٦٣/٢ ــ ٥٧١ .

(٨) ابن كثير : البداية والنهاية ١٨٤/١ ــ ١٨٥ ، تفسير المنار ٨/ ٥٢٤ ، معجم ياقــوت ٧٧/٥ ــ ٧٨ ، ١٥٣ ــ ١٥٤ ، قامــوس الكتــاب المقدس ٨٥٠/٢ ، جواد على : المرجع السابق ص ٤٥٥ ، وكذا

EI, III, P. 104.

T. K. Cheyne, Op. Cit., P. 308.

Ptolemy, Geography, VI, 7, 27.

J. Hastings, A Dictionary of The Bible, Edinburgh, 1936, P 616.

تكون الى الشرق والجنوب الشرقى من مكان العقبة الحالية ، فهناك يمر أهم طريق من طرق النقل التجارى ، وطبقـا لرواية التوراة ، فقد غير المديانيون مواضعهم مرارا بدليل ما ورد فيها من اختلاطهم ببنى قدم والعمالقة والاسماعيليين ، وأنهم استقروا فى القرون الاخيرة قبل الميلاد فى جنوب وادى العربة ، والى الشرق والجنوب الشرقى من العقبة[٩] .

(٤) القينيـــون :

القينيون قبيلة عربية ، وربما كانوا من المشتغلين بالمعادن فى منطقة التعدين فى وادى عربة ، والعلاقة بينهم وبين المديانيين جـد وثيقة ، وطبقا لرواية التوراة ، فان القينيين انما كانوا يعيشون فى مكان ما فى الجزء الجنوبى من غرب الاردن ، لأن مدنهم انما تشير الى علاقة ما ، بالاماكن الاخرى المعروفة فى الجـزء الجنوبى من الجبال ، كمـا أنهم يشتركون فى النجب (النقـب) كذلك[١٠] ، ويبدو أن القينيين كـانوا مستقرين تماما ، وفى اشارة فى سفر القضاة نسمع عن البدو القينيين الذين كانوا يقيمون لهم خياما فى مكان ما فى «الجليل» ، كما أن هناك ما يشير الى مجموعة قينية فى وادى عربة ، بل ان هناك قينيين فى يهوذا الجنوبية على أيام داود عليه السلام ، وفى حالات متصلة حتى فى قلب الارض الزراعية[١١] .

وأما علاقة القينيين ببنى اسرائيل ، فان جلـة الاراء لتتوافق على الربط بين بنى اسرائيل ، ثم بنى يهوذا بخاصة ، وبين القينيين ، بوشائج

---

(٩) الويس موسل : شمال الحجاز ص ٦٩ ، ٨٣ ــ ٨٤ ،تكوين ٢٥/ ٦ ، ٢٧/٢٥ ، ٢٨ ، عدد ١٢/١ ، حيقوق ٣/٧ ، وكذا

A. Musil, The Northern Hegas, N. Y., 1926, P. 287.

(١٠) خـروج ٢/١٦ ــ ٢١ ، يشوع ١٥/٥٦ ــ ٥٧ ، صموئيل أول ٢٧/١٠ ، ٣٠/٢ ، قاموس الكتاب المقدس ٢/٧٥٦ ، وكذا

J. Gray, Op. Cit., P. 108.

M. F. Unger, Op. Cit., P. 627.

(١١) قضاة ١٤/٧ ، ١١ ، ٥/٢٤ ، وكذا

M. Unger, Op. Cit., P. 627.

M. Noth, Op. Cit., P. 57.

موثقة أشد التوثيق ، فضلا عن أنهم ، طبقا لنصوص معينة فى سفر القضاة ، انما هم حلفاؤهم الاقربون ، بل ان التوراة لتبدو حريصة على ابراز الترابط الوثيق بين القينيين وبنى اسرائيل ، وبخاصة بنى يهوذا ، فى صورة ربما أثارت دهشة الباحثين ، وأما من الناحية الدينية ، فان «قايين» — الجد الاعلى للقينيين — هو الذى حمل «علامة يهوه» ، بل الاخطر من ذلك كله ، الاقرار بأن «الركابيين» ، وهم من أصول قينية ، انما كانوا أشد الاقوام تمسكا بالتعاليم اليهودية ، حين تردت البلاد الى درك أسفل من وثنية[١٢] .

(٥) القنزيون :

القنزيون قبيلة سامية كانت تعيش فى كنعان منذ أيام ابراهيم الخليل عليه السلام (١٩٤٠–١٧٦٥ق٠م) على الاقل ، وقد ذكروا فى سفر التكوين بين القينيين والقدوميين ، وهم ينسبون الى القينيين ، وهم مثلهم عمال مهرة فى التعدين بمصانع النحاس الغنية فى وادى الاردن والعربة ، وان كان هناك من يرى أنهم من الادوميين ، ومن يرى أنهم أقرباء الكالبيين ، وربما كانوا قد سكنوا فى مكان ما فى الجزء الجنوبى من كنعان[١٣] .

(٦) الفرزيون :

ربما كان الفرزيون قبيلة كنعانية كانت تسكن العراء فى قرى مسورة ، وربما كانوا من عنصر غير كنعانى ، وقد ذكرتهم التوراة مرارا بين قبائل فلسطين ، وكانوا على أيام يشوع يسكنون المنطقة الجبلية فى بقعة

---

(١٢) قضاة ١٦/١ ، ٧/١٤ ، ١١ ، ٢٤/٢٥ ، تكوين ١٥/٤، ملوك ثان ١٥/١٠ — ٢٨ ، ارمياء ١/٣٥ — ١١ حسين ذو الفقار صبرى : المرجع السابق ص ١٠ .

(١٣) تكوين ١٩/١٥ ، ١١/٣٦ ، ١٥ ، ٤٦/٣٦ ، عدد ٣٢ /١٢ ، يشوع ٦/١٤ ، ١٤ ، ١٧/١٥ ، تثنية ٢٢/١ — ٤٥ ، وكذا
M. Unger, Op. Cit., P. 627.
M. Noth, Op. Cit., P. 58.

أعطيت فيما بعد لأسباب أفرايم ومنسى ويهوذا[١٤] .

(٧) العناقيـــون :

كان العناقيون يسكنون جنوب فلسطين ، فيما بين القدس والخليل ، وقد أرهبوا الاسرائيليين بمجرد رؤيتهم لهم ، ومن ثم فقد جبنوا عن محاربتهم الى أن طردهم «كالب بن يفنة» واستولى على «حبرون» منهم، هذا وقد بقى العناقيون فى «أشدود» (على مبعدة ١٨ ميلا شمال شرق غزة) حتى بعد دخول بنى اسرائيل ، حيث أعطيت المدينة لسبط يهوذا ، الذى فشل تماما فى الاستيلاء عليها[١٥] .

وهناك كوكبة أخرى من القبائل الاقل أهمية ، فهناك «الايميون» ، وهم السكان القدامى للمنطقة التى سكنهـا المؤابيون فيما بعد ، وتقع شرق الاردن ، ثم هناك «الرفائيون» ، وهم عشيرة من الجبابرة سكنوا قديمة فى فلسطين شرقى الاردن وغربه ، ثم هناك أيضا «الزمزميون» ، وهم شعب أقدم من الكنعانيين ، طوال القامة ، يسكنون شرقى البحر الميت والاردن ، وهناك الجرجاشيون وهم احدى القبائل الكنعانية التى كانت تعيش فى فلسطين قبل مجىء بنى اسرائيل[١٦] .

هذا ويعلق «ارنست رينان» على تلك الشعوب الصغيرة التى جاء ذكرها فى التوراة ، على أنها كانت تسكن أرض كنعان ، بأن هناك ظاهرة شائعة فى طفولة جميع الشـعوب تتخيل الانسانية الفطـرية السحيقة القدم ، على شكل بشر لهم أجساد خرافية الطول والعرض ولهم قـوة وبأس على مستوى هذه المقاييس الجسمانية الاسطورية[١٧] .

---

(١٤) تكوين ٧/١٥ ، خروج ٨/٣ ، يشوع ١/٩ ، ١٧/١٥ ، قضاة ٤/١ ـ ٥ ، أخبار أيام أول ٩/٢ ، ٤٢ .

(١٥) يشـوع ٢٢/١١ ، ٤٧/١٥ ، عدد ٢٨/١٣ ، قاموس الكتاب المقدس ٧٧/٢ ، ٦٤٢/٢ .

(١٦) أنظر : محمد بيومى مهران : اسرائيل ٥٧٨/٢ ـ ٥٨١ .

17) Ernest Renan, Histoire et Systeme Compare des Lengues Semetique, Paris, 1855, P. 97 F.

(١) الحـــوريون

أختلف المؤرخون فى أصل الحوريين ، فذهب فريق الى أنهم شعب ما زال أصله مجهولا ، من العسير الجزم بأنه ســامى أو هنــدو — أوربى[١٨] ، وذهب فريق آخر الى أن الحوريين انما هم قوم «هندو — أوربيون» ، وأن هناك ظلالا من شك حول انتماء القوم الى «السوباريين»، الذين ذكروا الى جوارهم فى نصوص رأس الشمرا (أوجاريت) والذين ذكروا كذلك فى الالف الثالثة قبل الميلاد ، على أنهم شعب كبير ، يشغل مساحة واسعة[١٩] .

هذا ويجمع العلماء — أو يكادون — على أن الحوريين انما قد جاءوا من المرتفعات الواقعة بين بحيرة أورمية وجبال زاجروس ، وقــد غزوا شمال بلاد النهرين ، ثم اتجهوا الى ســورية الشمالية ، وأسسوا بها مملكة قوية ، وربما كان مجيئهم متصلا بالحركات «الهندو — أوربية» العامة ، التى جاءت بجماعات منهم الى فارس والهند ، وأدت الى وصول الكاشيين الى بابل ، والحيثيين الى آسيــا الصغرى ، والهكسوس الى مصر[٢٠] .

وعلى أى حال ، فلقد نجح الحوريون — أو نجح فريق منهم — فى تاسيس مملكة «ميتانى» التى أمتد سلطانها من مرتفعات ميديا الى البحر

(١٨) فيلب حتى : المرجع السابق ص ١٦٠ .
19) S. A. B. Mercer, The Tell el-Amarna Tablets, 2, Tornto, 1939, P. 846.
(٢٠) فيلب حتى : المرجع السابق ص١٦١ ، وكذا
W. F. Albright, The Horites in Palestine, in From the Pyramids to Paul, P. 9-26.

المتوسط ، وكانت عاصمتها «واشــوكانى» ، والتى يظــن أن موقعهــا «الفخارية» على نهر الخابور ، شرقى تل حلف وحران ، وقد عرفت فى النصوص المصرية باسم «نهارينا» ، والتى كانت تمثل فى فترة مبكرة من أيام فرعون مصر العظيم «تحوتمس الثالث» (١٤٩٠ — ١٤٣٦ ق٠م) ، حجر العثرة الحقيقى أمام خطة التوسع المصرى ، وان انتهت الامور بعد حملة مظفرة (حوالى عام ١٤٥٧ ق٠م) ، الى فترة سلام طويل[٢١] ٠

وقد انتشر الحوريون فى سورية المنخفضة الخصيبة ، ووصلوا الى فلسطين ، حيث نزلوا البقاع الواسعة بين نهر الحسا وخليج العقبة ، وهم الذين حــل محلهم الادوميون فى حوالى القرن الرابــع عشر قبل الميلاد ، ويبدو أن انتشار الحوريين فى بلاد الشــام بلغ درجــة دعت الحوريين الى أن يطلقوا اسم «خورو» (خارو) على بلاد كنعان[٢٢] ، ويبدو أن الحوريين هم بعينهم — اذا أخذنا بالنص السبعينى لتــوراة اليهود — الحوريون حكال شكيم أو على الاقل ، فان هناك فريقــا من الخوريين (أو الخوريين) ، كان يعرف بالحويين[٢٣] ٠

هنا وقد أقام الحوريون فى فلسطين ، وطبقا لنصوص التوراة ، فقد كان ذلك فى شكيــم ، وفى عصر يعقوب (١٧٨٠ — ١٦٣٣ ق٠م) وظل لسلالتهم تأثير فى المدينة لعدة أجيال ، كما سكن فريق منهم فى «جبعون»

---

(٢١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢١١ — ٢١٢ ، فيلب حتى : المرجع السابق ص ١٦١ — ١٦٥ ، وكذا

A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 194.
J. H. Breasted, ARE, 3, No. 485-9.
J. A. Wilson, ANET, 1966, P. 241.
R. O. Faulkner, JEA, 32, 1946, P. 39 F.

(٢٢) انظــر : لوح اسرائيل : حيث توصف كنعــان — على لســان فرعون — «وأصبحت خارو أرملة لمصر» ، (انظر :

A. Gardiner, Op. Cit., P. 274.
وكذا .(J. A. Wilson, ANET, P. 376-8.

(٢٣) تكوين ٢٣ : ١٧ — ٢ ، ١:٢٤ — ٣١ ، قاموس الكتاب المقدس ٢٢٩/١ ، وكذا

S. A. Cook, Op. Cit., P. 359.

ومجاوراتها[٢٤] ، هذا وربما كان مقرهم الرئيسى فى سطح جبل لبنان ، من جبل حرمون الى مدخل حماة[٢٥] ، فى هذه المناطق الجبلية الشمالية كانت لهم قرى يملكونها حتى الى وقت متأخر من عصر داود (١٠٠٠ — ٩٦٠ ق٠م)[٢٦] ٠

(٢) الحيثيـــون

ان اللفظ السلالى «حيثيون» ، جاء عن طريق التوراة ، حيث يعنى المجموعة البشرية التى وجدها الاسرائيليون تسكن فلسطين حين دخلوا أرض كنعان — أو أرض الميعاد كما يدعونها — وهذا ليس سوى خيط رفيع من سلسلة الانساب التى تربطهم بالامـــة الكبرى «خاتى» التى سنتعرف عليها الان ، ومع ذلك فان استخدام كلمة حيثيين ظل سائدا لدى الباحثين ولم تقم محاولة للتخلص منها[٢٧] ٠

وتقع «خــت» أو «خــاتى» الى شــمال وشمال غربى ســورية وميزوبوتاميا ، وقد ورد ذكرها فى النصوص المصرية — لاول مرة — من عهد «تحوتمس الثالث» ، حيث الهدايا قد أرسلت من أمير خــاتى الى الفرعون ، وحتى عهد رعمسيس الثالث (١١٨٢ — ١١٥١ ق٠م)[٢٨] ٠

وتقع «خاتوشاش» — العاصمة الحيثية — على السفح الشمالى لأحد المرتفعات ، حيث تبدأ الهضبة فى الانخفاض نحو البحر الاسود ، ويجرى من هذه السلسلة شمالا فى مجرى صخرى شـديد الانحدار ، تياران يتحدان عند نهاية المنحدر بالقرب من قرية «بوغاز كوى» تاركين

---

(٢٤) تكوين ١٨:٣ ، ٢:٣٤ ، قضاة ٢٨:٩ ، قاموس الكتاب المقدس ٣٢٩/١ ٠
(٢٥) يشوع ١١ : ٣ ، قضاة ٣ : ٣ ٠
(٢٦) صموئيل ثان ٢٤ : ٧ ، قاموس الكتاب المقدس ٣٢٩/١ ٠
27) A. H. Gardiner, Egypt of the Pharaohs, P. 231.
28) A. H. Gardiner, Onom, I, P. 127.

بينهما نتوءا مرتفعا أقيمت عليه أقدم مستعمرة فى «خاتوشاش»[٢٩] ، على مبعدة ثمانين ميلا الى شرق «أنقره» ، ونصف هذه المسافة الى جنوب البحر الاسود ، وكان من ثمار حفائر «هوجوفنكلر» ، التى بدأها فى عام ١٩٠٦ ، الكشف فى هذا الحصن الجبلى بالقرب من قرية «بوغاز كوى» عن دار ملكية للمحفوظات تضم قرابة عشرة آلاف لوح اسفينى ، كتبت بلغة — ثبت بعد بحث طويل — أنها من العائلة «الهندو — أوربية»[٣٠] .

وأما عن علاقة الحيثيين — أو على الاصح خاتى — بفلسطين ، فانى أميل الى أنها لم تبدأ الا بعد نهاية دولة خاتى فى آسيا الصغرى على أيدى شعوب البحر ، وتفرق سكانها فى جهات مختلفة من سورية وفلسطين ، ذلك لانه قبل حكم العاهل الحيثى «شوبيلوليوما» (١٣٧٥ — ١٣٣٥ ق٠م) ، لم تكن هناك أية دولة حيثية جنوبى جبال طوروس ، وأن الدولة السورية التابعة للامبراطورية الحيثية قد اقتصرت على المنطقة الواقعة شمال قادش على نهر العاصى ، وأنه رغم أن الجيوش الحيثية قد وصلت حتى دمشق ، فانها لم تدخل فلسطين نفسها[٣١] .

ولعل هذا الاضطراب فى نصوص التوراة مرده الى أنها تجعل من «حث» ابنا لكنعان بن حام بن نوح ، عليه السلام ، اذ تقول فى سفر التكوين «وكنعان ولد صيدون بكره وحثا»[٣٢] ، والاضطراب هنا أن «صيدون» (صيدا) انما هى مدينة على البحر الابيض المتوسط ، وأن «حثا» انما هو شعب له دولة فى آسيا الصغرى ، هذا فضلا عن أن الحيثيين شعب غير سامى ، بعكس الكنعانيين الساميين .

---

29) S. A. B. Mercer, Op. Cit., II, 1939, P. 830-831.
وكذا O. R. Curney, The Hitties, 1969, P. 15.
وكذا R. H. Hall, CAH, I, 1929, P. 312.
30) A. H. Gardiner, Egypt of the Pharaohs, P. 231.
31) O. R. Gurney, The Hittites, (Penguin Books) 1969 P. 58.
(٣٢) تكوين ١٠ : ١٥ .

على أى حال ، فان هذه الاشارة لا نجد لها صدى من الحقيقة لدى المحدثين من الباحثين ، بل ان هناك ما يؤكد أصولا منغولة كانت مواطنها الاصلية التى هجرتها بقعة «أرمينيا» ، حيث يقترب الفرات من هاليس وليكوس بل ان هنـاك من يؤكد أن الارمن المحدثين هم سـلالة أولئك الحيثيون الاقدمون ٠

(٣) الفلسطينيـــون

الفلسطينيون : هم برست Prest ، «بلستى Pelesti » ، ويرى «بونفـانت» أن «باليستنوى» كلمة يونـانية ذات أصل انثولوجى ، مشتقة من اسم المكان Palaeste ، بالاضافة الى الزائدة الاليرية (Iro) التى تستخدم فى تكوين المعنى الانثولوجى[٣٣] ، ويذهب «فيليب حتى» ٠ الى أن Paleste انما هو اسـم مكان فى منطقة الليرية وهـو «أبيروس»[٣٤] ٠

وأما الاسم المصرى للفلسطينيين فهو «برست» (Prst) ، وقد وجد فى مدينة هابو ــ أوحابو ــ من عهد رعمسيس الثالث (١١٨٢ ــ ١١٥١ ق٠م) ، حيث نجد أن القوم الذى يحملونه من «شعوب البحر» الذين غزو مصر وسورية من جزرهم ، وكانوا متصلين بصفة خاصة بقوم «ثيكر» الذين كانوا يماثلونهم فى المظهـر والاسلحة ، وكانوا يلبسون لباس الرأس المحلى بالريشة ، مسلحين بالحراب ، والدروع المستديرة ، والسيوف الطويلـة العريضة ، والخناجر المثلثة التى كـان يستخدمها الشردان[٣٥] ٠

هذا وقد قام جدل طويل بين العلماء حول الموطن الاصلى للفلسطينيين، فلقد ذهب «هول» الى أن التقاليد العبرية انما تتفق على أن الاسرائيليين

---

33) G. Bonfante, Who were The Philistines, in AJAL, 1946, P. 351.
(٣٤) فيلب حتى : المرجع السابق ص ١٩٦ ٠
35) A. Gardiner, Onom, I, P. 201.

قد قدموا من مصر ، والفلسطينيين من كفتور ، وفى هذا تقول التوراة فى سفر عاموس : «ألم أصعد اسرائيل من أرض مصر ، والفلسطينيين من كفتور ، غير أن الفلسطينيين لم يكونوا كفتيين أو مينوبيين ، ذلك لانهم لم يلبسوا ملابسهم ، كما أنهم انمـا يختلفون فى أسلحتهم ، وفى غطاء رؤوسهم ، ومن هنا فان الفلسطينيين انما كانوا مختلفين كثيرا فى المظهر عن المينويين أو الكفتيين من كريت(٣٦) .

ثم يرى «هول» بعد ذلك أن الفلسطينيين قد أتوا — مع الشردان وترشا من شعوب البحر — من زاوية جنوب غرب آسيا ، وهناك ما يدعو الى الاحتمال بأن القبائل الكارية — ومن بينهم الفلسطينيين — قد احتلوا نهاية شرق كريت ، وذلك عند سقوط قوة «كنسوس» وانهيار الحضارة المينوية ، ثم يقرر «هول» بعد ذلك أن موطن الفلسطينيين انما كان حقيقة فى ليسياوكاريا(٣٧) .

ويقرر «بونفانت» — بعد دراسة لغوية لتغير اسم الفلسطينيين — أن الفلسطينيين شعب «هندو — أوربى» أتى من كريت ، ولكنه لم ينشأ بها أصلا(٣٨) .

ويذهب «وينرايت» الى أن الفلسطينيين من كفتور ، ولكنه يرى أن كفتور ليست كريت ، ذلك لان فكرة أن كفتور هى كريت لا تعتمد على شىء أكثر من ترجمات التوارة ، التى تتحدث عنها على أنها «جزر كفتور» ثم وجد بعد ذلك أن جزيرة كريت انما هى جزيرة مناسبة وكبيرة وتصلح للغرض ، ورغم ذلك فان الكلمة العبرية التى ترجمت «جزر» انما تعنى أصلا «الارض الساحلية» وتستعمل مثلا لشاطىء فلسطين ، وهناك أدلة أثرية تجعل الاصرار على الاعتقاد بأن كفتور هى كريت ، يجرنـا الى

---

36) H. R. Hall, CAH, II, 1931, P. 286-7.

وأنظر عاموس ٩ : ٧ .

37) H. R. Hall, The Philistine Migration, CAH, II, 1931, P. 287-288.

38) G. A. Wainwright, Some Sea-People, in JEA, 47, 1961, P. 78-82.

اضطراب لا نهاية له(٣٩) .

ويرى «وينرايت» بعد ذلك أن الفلسطينيين قد أتوا من كفتور ، وأن هناك أدلة على أن «سليسيا — تراشيا» بغرب سليبسيا ، أعلى وأسفل نهر كاليكادنوس وأن نفس الوطن كان من «دومين» ثيكر ، ودليلنا على ذلك أن الفخار الفلسطيني شبيه بالفخار المسيني ، وأن هناك أدلة أثرية ولغوية على أن كفتور ، انما كانت بلدا عند نهر (كاليكادنوس) كما يظهر ذلك من ترجمة كفتــور بقبادوقيا فى الترجمة للتوراة (سبتواجينتــا Septuaginta) (٤٠) مرتين ، ذلك لان المترجمين ربمــا كانوا فى عمل بمملكة «قبادوقيا» العظيمة ، والتى كانت تمتد الى الشاطىء ، متضمنة جزيرة اليوسيا ، الى الشرق قليــلا من مصب كاليكادنوس ، كمــا أن (كابديروس) — طبقا لترجمة يونانية — انما كان لقبا لملك كفتور والتي تعادل هنا (سليسيا) ومن ثم فمن الواضــح أن الفلسطينيين كانوا قد احتلوا (سليسيا) الغربية ، والاكثر احتمالا ، المنطقة أعلى وأسفل نهر كاليكادنوس فى الجزء الشرقى ، حيث عاش قوم (ثيكر) وهناك ما يثبت أن غارة الفلسطينيين انما كانت من (سليسيا — تراشــيا) وسواحلها وينتهى (وينرايت) الى أن مجموعة قبائل (الفلسطينيين وثيكرودنين) انما يكونون مجموعة من القبائل فى سليسيا ، الفلسطينيون والثيكر فى الجزء الغربى من البلاد ، بينما (دنين) فى الجزء الشرقى منها(٤١) .

أما (جيمس هنرى برستد) ، فالرأى عنده أن أهالى (بلست) وهم الفلسطينيون — انما أصلهم من جزيرة كريت(٤٢) .

هذا ويذهب (سير آلن جاردنر) بعد أن لخص البراهين التى تحاول أن تحدد موطن الفلسطينيين الاصلى الى أن التقاليد العبرية والاغريقية

39) Ibid., P. 82.

(٤٠) أنظر عن الترجمة السبعينية للتوراة ، كتابنا «اسرائيل» ص ٤٩ — ٥٠ (القاهرة ١٩٧٣) .

41) G. A. Wainwright, Op. Cit., P. 82.

42) J. H. Breasted, A History of Egypt From the Earliest Times to Persian Congues t, N. Y, 1946, P. 477.

انما نتفق على أن الفلسطينين من جنس أجنبى ، وأنهم لا يختنون ، ومن ثم فهم قوم يختلفون عن الساميين،وأن هناك قوما يدعون (الكفتوريون) قد غزو ساحل فلسطين ، وسكنوا القرى حتى غزة ، وأن الفلسطينيين هم المقصودون بذلك •

وهناك جدل طويل حول تحديد (كفتور) وتوحيدها بكريت ، فهناك نظرية تذهب الى أن (Kftiw أو Kftyw) انما هى المعادل لكفتور ، أو أنه الاسم المصرى لكريت ، ولعل المعارض الرئيسى لهذه الفكرة ، انما هو وينرايت — ومن قبله ميلــر — الذى يتمسك بأن كفتيو انما هــى سليسيا وجنوب شرق آسيا الصغرى •

ويرى (جاردنر) أن (كفتــور) لو كانت كلمة مصرية فان وجــود النهاية (R) ليست عقبة كؤود للاشتقاق من «كفتيو» بسبب وجود مشابهات كثيرة لذلك ، هذا فضلا عن أن البعض قد سلموا بأن (كفتيو) يمكن أن تعادل أو تدل على كل من كريت وشاطىء سليسيا ، ويبدو أن ذلك مستحيلا ، ومن هنا فانه أى — «جاردنر» — يرى أنه على العلماء أن يختاروا بين كريت أو شاطىء سيلسيا[٤٣] •

ويذهب (جاردنر) بعد ذلك الى أن هناك من الادلة القليلة ما يشير الى أن (بلستى) أو (فلسطينى) رعمسيس الثالث لم يهاجموا مصر من جهة البحر فحسب ، بل تدل الشواهد كذلك على أنهم قد ســاروا برا مخترقين آسيا الصغرى قاصدين شمــال سورية ، والظاهــر أنهم فى رحلتهم هذه انما كانت نساؤهم وأطفالهم يستعملون العربات التى تجرها الثيران المسمنة ، التى نراها فى الموقعة البحرية مصورة فى مدينة حابو بطيبة الغربية •

وأخيرا ، فاننا لم نجد شيئا يتعارض مع ما جاء فى النصوص المصرية بمدينة حابو ، من أن الفلسطينيين قد بدأوا غزواتهم من جــزر البحر

---

43) A. H. Gardiner, Op. Cit, P. 204-5.

المتوسط ، كما أننا لم نجد ما يدحض التقاليد العبرية والاغريقية من أن الفلسطينيين قد أتوا الى فلسطين عن طريق كريت ، ولكن فروق التسليح بين المينويين والفلسطينيين ، مضافا اليها (قرص فياستوس) الذى كانوا يلبسونه ، قد جعل من المحقق أن كرت ليست الوطن الاول لهم ، مهما كانت فترة بقائهم بها فى طريقهم الى فلسطين ومصر ، أما موطنهم الاول فيمكن البحث عنه فى مكان ما شمال بحر ايجه ، وربما كان احتلالهم للجزر احدى مراحل هجراتهم ، وحديثا أصبح من المألوف مرة أخرى أن يربط (بليستى) ب (باليستتوى) أو (بلاسوى) ، لما بين الاسمين من التشابه اللفظى(٤٤) .

أما عن النظرية التى شارك فيها (أولبرايت) فهى مخاطره أكثر منها رأيا ، ذلك أن «وليم أولبرايت» يرى أن الفلسطينيين يتشابهون فى كثير من الحالات مع (البلاسجين)(٤٥) ، وان كانت لغتهم لغة لوية ، كما رأى أن طرواده الجنوبية كانت مستوطنة بالجماعات البلاسجية ذات الحراب ، هذا الى أن هيرودوت ــ وهو مواطن من هاليكارناسوس فى كاريا ــ يعيد الايونيين والايوليين الى أصل بلاسجينى ، ولدينا عدة أسماء تؤكد نسب الفلسطينيين الى المنطقــة الجنوبية الغربية من آسيا الصغــرى مثل (جليات وأشيش) وكذا جــاء بقصة «ون أمــون» أسماء ثلاثــة من الفلسطينيين ــ وهم واركاتير ، ووارت وماكامار ــ تأكد بعد الدراسات المختلفة أن أصل هذه الاسماء من جنوب غرب الاناضول(٤٦) .

وأما أسفار التوراة ، فترى أن الفلسطينيين قد هاجروا من كفتور الى فلسطين(٤٧) .

---

44) Ibid., P. 205.

(٤٥) البلاسجيون : سكان بلاد اليونان الاصليين غير الهلينيين ، وقد ظلت بقاياهم نقية فى العصــور الكلاسيكية ، وكانت لغتهم ــ فيمــا يرى هيرودوت ــ بربية ، أى غير هلينية .

(٤٦) عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، القاهرة ١٩٦٦ ص ٣٣٧ ــ ٣٣٩ .

(٤٧) عاموس ٩:٧ ، تثنية ٢:٢٣ ، ارميا ٤٧ : ٤ ، صموئيل أول ٣٠ : ١٤ .

ويرى أستاذنا الدكتور نجيب ميخائيل أن كفتور هـذه يظن أنها كريت ، وقد يكون هذا الرأى صوابا ، ما دام بعض بلاد الفلسطينيين يطلق عليها اسم «جنوبى الكريتيين» تميزا لهم عن يهوذا وكالب ، ولئن صح ذلك ــ وهذا ما نرجحه ونميل الى الاخذ به ــ فاننا أمـام هجرة سامية راجعة مرتدة من كريت ، ربما نتيجة ضغط من ناحية الهلينيين ، هذا الى أن أسماء الفلسطينيين وأسماء مدنهم تشير الى أنهم ساميون ، ولكن الاسرائيليين يشيرون الى أنهم قـوم لا يختتنون ، وهو اصطلاح ينأى بهم عن الساميين والمصريين معا ، ورغم ذلك فاننا نراهم يمارسون فورا عادات الكنعانيين ويتحدثون لغتهم ، كما أن معبوداتهم تغلب عليها النزعة السامية ، فمن بينها «داجـون» اله الحبوب و«آثـار جاتس» العسقلونى ، و«بلعزيوب» العقرونى(٤٨) •

هذه مختلف وجهات النظر التى ارتآها العلماء عن الموطن الاصلى للفلسطينيين وهى تكاد تتفق جميعا على أن الفلسطينيين قد أتوا مـن كريت (كفتور) أثناء غزوهم لفلسطـين ومصر ، ولكنها لم تكن الموطن الاول لهم ، وانما كانت مجرد استقرار مؤقت فى أثناء هجرتهم •

وأما قبل كريت فموضع خلاف بين العلمـاء ، فمنهم من رأى أنهم قادمون من «ليسيا ــ كاريا» ، ومن رأى أنهم ينتسبـون الى القومية الاليرية ، ومن رأى أنهم يتشابهون كثيرا مـع البلاسجيين ، وأن لغتهم انما كانت لهجة لوية ، ومن رأى أن احتلالهم للجزر انمـا كان احدى هجراتهم ، وأما موطنهم فيجب أن يبحث عنه فى مكان ما شـمال بحر ايجه ، ومن رأى أنهم ساميون يمثلون هجرة سامية مرتدة من كريت •

وهكذا تتعدد وجهات النظر ، حتى أصبح من العسير علينا ابداء رأى معين ، أو تفضيل رأى على آخر ، ورغم ذلك كله ، فيبدو لى أن الذين يرجعون بهم الى آسيا الصغرى أقرب الاراء الى الاحتمال ، ذلك لان

---

(٤٨) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم ، الاسكندرية ١٩٦٦ ، ٣٤٨/٣ ــ ٣٥٠ •

أغلب شعوب البحر ترجع الى هذه المنطقة ولأن الادلة العلمية فى صالح هذا الرأى أكثر من غيره .

وأما علاقتهم بمصر ، فقد بدأت منذ أيام رعمسيس الثالث (١١٨٢ — ١١٥١ ق.م) ، اذ اشتركوا — بصفة رئيسية — فى الغزو الذى قام به أقوام البحر فى عهده ، والذى انتهى بهزيمتهم هزيمة منكرة فى معركتين ، الواحدة بحرية ، والأخرى برية ، وقد صورت المناظر المصرية رؤساءهم ملتحين ، وجنودهم دون لحى ، وبأغطية رأس ذات ريش ، وبسيوف طويلة عريضة وخناجر مثلثة ، وتروس مستديرة وحراب ..

هذا ، وقد سمح لهم الفرعون — بعد هزيمتهم — بأن يستقروا بصفة دائمة فى ساحل فلسطين ، فى المنطقة ما بين يافا وغزة ، وكانت أهم مدنهم غزة وعسقلان — على مبعدة اثنى عشر ميلا شمال غزة — وأشدود وعقرون وجت[٤٩] وقد احتفظت بأسمائها السامية تحت حكمهم، وكانت جت أبعد مدنهم فى الداخل وكانت سياستهم أن يظلوا قريبين من البحر حتى يمكنهم السيطرة على طرقه ، واستخدام التلال التى تغطيها الكروم فيما وراءه ، وكان الكرمل احد الفاصل بين بلادهم الشمالية وبين الفينيقيين ، هذا وقد نظمت مدنهم الخمس بشكل ممالك أو دويلات مدن، كل منها تحت ادارة «سيد» ولكنها جميعا كانت تشكل اتحادا ، ويبدو أن السيادة على هذه المدن انما كانت لمدينة أشدود[٥٠] .

وقد احتفظ التاريخ بأسمهم على فلسطين ، وان كان ذلك لا يرجع الى أنهم قد أصبحوا غالبية السكان فيها ، أو أنهم قد بسطوا نفوذهم

---

(٤٩) أشدود : وتسمى حاليا أسدود ، وتقع على مبعدة ١٨ ميلا الى الشمال الشرقى من غزة ، وفى منتصف المسافة ما بين غزة ويافا ، وأما عقرون : فتقع الى الجنوب من يافا باثنى عشر ميلا ، وأماجت : فيظن أنها فى الموقع الحالى المعروف بـ «تل عراق المنشية» ، على مبعدذ ستة أميال ونصف ميل الى الغرب من بيت جرين .

(٥٠) فبليب حتى : المرجع السابق ص ١٩٧ .

عليها جميعا ولكن ربما لانهم آخر من نزل بها ، ولكثرة ترديد التوراة لاسمهم ٠

هذا وقد احتك الفلسطينيون باليهود الذين كانوا قـد وجدوا لهم مكانا فى أرض كنعان فى ذلك الوقت ، ولكن الغلبة كانت دائما للفلسطينيين، ويرجع المؤرخون ذلك لاسبا عدة ، منهـا (أولا) أن أرضهم كانت من أخصب البقاع فى فلسطين الغربية ، ومنها (ثانيا) أن الروابط بين مدنهم الخمسة كانت أقوى منها بين المدن الكنعانية ، ومنها (ثالثا) معرفتهم بصهر الحديد واستخدامه فى أسلحة للدفـاع والهجوم ، وهناك صورة تقدمها التوراة لمحارب فلسطينى مـزود بالاسلحة المعدنية فى قصـة «جليات» ، تقول التوراة : «فخرج رجل مبارز من جيوش الفلسطينيين اسمه جليات من جت ، طوله ست أذرع وشـبر وعلى رأسه خوذة من نحاس ، وكان لابسا درعا حرشفيا ، ووزن الدرع خمسة آلاف شاقل نحاس ، وجرموقا نحاس على رجليه ، ومزارق نحاس بين كتفيه وقناة رمحه كنول النساجين ، وسنان رمحه ست مئة شـاقل حديد ، وحامل الترس كان يمشى قدامه»(٥١) ٠

ويرى «فيلب حتى» أن ذروة قوة الفلسطينيين انما كانت فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر قبل الميلاد ، فقد كسروا بنى اسرائيل على أيام القضاة ، حوالى عام ١٠٥٠ ق٠م ، وأخذوا منهم «تابـوت العهد» وحملوه الى أشدود ، وفى نحو عام ١٠٢٠ ق٠م ، كانوا يقيمون حاميات فى البلاد المرتفعة نفسها ، وكانوا متسلطين فى عهد الملك شاؤل (١٠٢٠ ــ ١٠٠٠ ق٠م) على مدن بعيدة فى الداخل مثل «بيت شان» (بيسان)(٥٢)٠

وهكذا تسلط الفلسطينيون على الاسرائيليين ، وبلغوا قمة تسلطهم فى أخريات عهد شاؤل ، بل لقد عملوا على تجريدهم من أسلحتهم ، بل لقد احتكروا صناعة الاسلحة نفسهـا ، حتى لم يوجد ــ كما تقـول

---

(٥١) صموئيل أول ١٧ : ٤ ــ ٧ ٠
(٥٢) فيلب حتى : المرجع السابق ص ١٩٨ ٠

التوراة — «صانع فى كل اسرائيل ، لان الفلسطينيين ، قالوا : لئلا يعمل العبرانيون سيفا أو رمحا»(٥٣) ، وهكذا إحتكر الفلسطينيون صناعة الحديد ، وكانوا يضطرون الاسرائيليين الذين يريدون تجديد آلاتهم الزراعية القاطعة أن يذهبوا الى الصناع الفلسطينيين ، يقول سفر صموئيل الاول : «كان ينزل كل اسرائيل الى الفلسطينيين ، لكى يحدد كل واحد سكته ومنجله وفأسه ومعوله»(٥٤) .

وهكذا لعب الفلسطينيون دورا هاما ، حتى ليرى «فيلب حتى» أنهم رفعوا الحضارة السورية من مرحلة البرونز الى مرحلة أهم — وهى عصر الحديد — وكان ذلك أهم فضل لهم ، وفوق ذلك ، فانه يمكن الاعتقاد بأنهم أعطوا جيرانهم وورثتهم من الفينيقيين ميلا الى الاسفار البحرية البعيدة ، كان من نتائجه استكشاف البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر والمحيط الاطلسى الشرقى(٥٥) .

(٤) الثيكر

الثيكر : أو ثيكر (Tjekker - Tkr) أحد أقوام البحر الذين هاجموا مصر وسورية فى عصر رعمسيس الثالث ، وربما كانوا من سكان الجزر الذين جاءوا فى الغزوة الكبرى ، ذلك لان التفسير العام — فيما يرى جاردنر — أنهم ، — وكذا الشردان — قد أمدونا بأدلة أثرية قد توحى بأنهم من القوقاز ، وذلك لان منظر «الثيكر» يبدو مميزا لهم عن الفلسطينيين ، الذين يلبسون ريشة رأس ، ومن قصة «ون أمون»(٥٦)

---

(٥٣) صموئيل أول ١٢ : ١٩ .
(٥٤) صموئيل أول ١٣ : ٢ .
(٥٥) فيلب حتى : المرجع السابق ص ٢٠٠ .
(٥٦) نظر عن : قصة «ون أمون» :

J. A. Wilson, ANET, P. 25-29.

وكذا A. H. Gardiner, Egypt of the Pharaohs, P. 306-314.

A. H. Gardiner, Late Egyptians Stories, Brussels, 1932, P. 61-76.

A. Erman, The Literature of the Ancient Egyptians, London, 1927, P. 174-188.

نعلم أن الثيكر انما كانوا يحكمون بلدة «دور» الواقعة جنوبى الكرمل ، وقد ذكر فيما بعد على أنهم قراصنة بحر ، ثم اختفوا بعد ذلك من مسرح التاريخ ، وقد علمت محاولات لتوحيد قوه ثيكــر بقوم أو مكان ذكره المؤرخون الكلاسيكيون — أو ذكرته التوراة — وهو مدينة «زكلاج»[57]

هذا ويرى «هول» أن «زكارى» ، (ثيكر) و «وشوش» انما يعتبرون قبائل كريتية أصيلة ، وان كان حلفاؤهم الفلسطينيون ليسوا كذلك[58] ، وأما «جيمس هنرى برستد» فالرأى عنده أن الثيكر انما هم قوم يونانيو الاصل من جزيرة صقلية[59] ، وأما «وينرايت» فيذهب الى أن «ثيكر» قد عاشوا فى «سليسيا — تراشيا» ، ولفترة مضت قبل عــام ١٥٠٠ ق.م[60] .

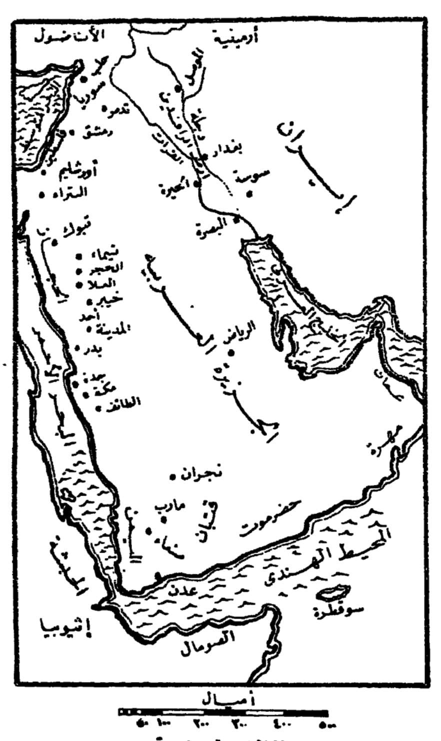
ولعل رأى «وينرايت» أقرب الى الصواب من غيره ، على أساس أن الثيكر — كالفلسطينيين حلفائهم ، والذين يذكرون معهم غالبا — انما قد أتوا من آسيا الصغرى أصـــلا ، وان بقوا لفترة ما فى جزيرة كريت ، اشتركوا بعدها فى غزو فلسطين ومصر ، ثم استقروا — بعد هزيمتهم — فى فلسطين ، الى الشمال من حلفائهم الفلسطينيين ، كما يظهر من قصة «ون أمون» ، وربما فى مدينة «زكلاج» كما يرى البعض ، وان كان هذا موضع شك الى حد ما .

تــم بحمـــد اللــه

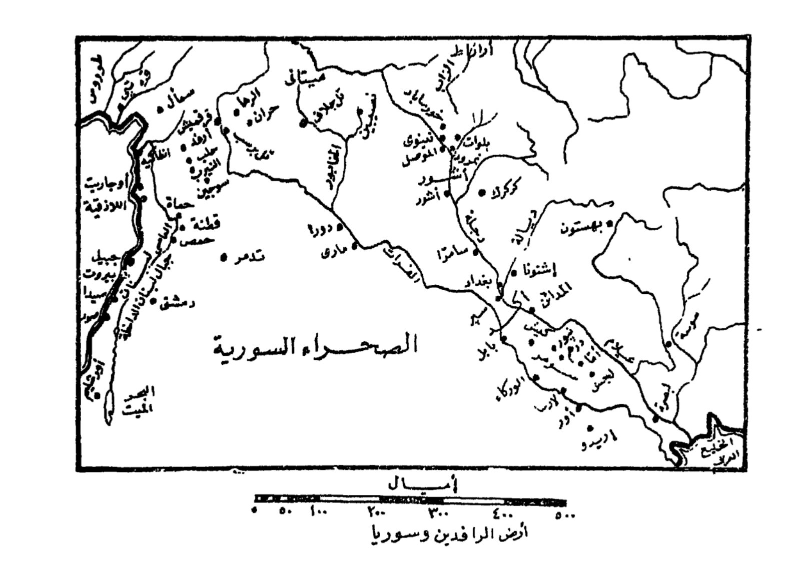
وآخــــــر دعــــــوانا أن الحمـــد للـــه رب العالمين
والصـــلاة والســـــلام على سيدنــا ومولانا وجدنـــــا
محمـــد رسـول اللــه ، وعلى آلـه الطيبــين الطاهرين

57) A. H. Gardiner, Omon, I, P. 199-200.
58) H. R. Hall, Op. Cit., P. 288.
59) J. H. Breasted, Op. Cit., P. 477.
60) G. A. Wainwright, Op. Cit., P. 77.

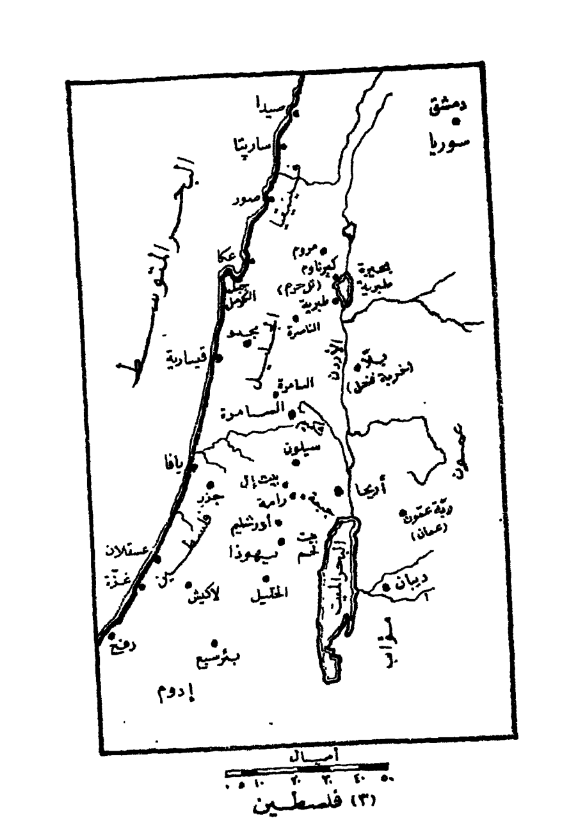
الخـــــــرائط

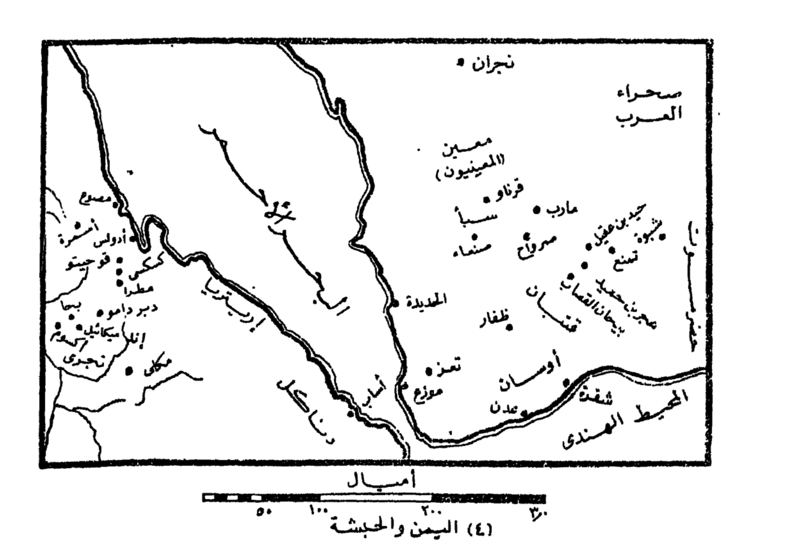


(١) المنطقة السامية



أرض الرافدين وسوريا


دمشق
سوريا
صيدا
ساربتا
صور
البحر المتوسط
عكا
مروم
كفرناحوم
(تل حوم)
بحيرة طبرية
طبرية
الناصرة
مجدو
قيسارية
الأردن
السامرة
السامرة
سيلون
يافا
بيت إل
رامة
أريحا
جزر
أورشليم
ربة عمون
(عمان)
بيت لحم
يهوذا
عسقلان
غزة
لاكيش
الخليل
ديبان
رفح
بئر سبع
إدوم
أميال
٠ ٥ ١٠ ٢٠ ٣٠ ٤٠ ٥٠
(٣) فلسطين



(٤) اليمن والحبشة

المـــراجـــع

أولا : المراجـــع العربيـــة

(١) القرآن الكريم
(٢) كتب الحديث الشريف
(٣) كتب التفســـير
(٤) التـــــوراة

ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ـ بيروت ١٩٧١ ·

ابن كثير : البداية والنهاية ـ بيروت ١٩٦٦ ·

أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر ـ القاهرة ١٣٢٥ هـ ·

ابراهيم رزقانة وآخرون : حضارة مصر والشرق القديم ـ القاهرة ·

أحمد ضياد الدين مهران : دراســة تاريخية للعلاقــات بين مصر وبنــى اسرائيل أثناء الالف الاول قبل الميلاد الاسكندرية ١٩٨٨ ·

أحمد عارف الزين : تاريخ صيدا ـ صيدا ١٣٣١ هـ ،

الدكتور أحمــد فخــرى :

١ ـ دراسات فى العالم العربى ـ القاهرة ١٩٥٨ ·

٢ ـ دراسات فى تاريخ الشرق القديم ـ القاهرة ١٩٦٣ ·

٣ ـ مصر الفرعونية ـ القاهــرة ١٩٧١ ·

الدكتور اسرائيل ولفنســون :

١ ـ تاريخ اليهود فى بلاد العرب ـ القاهرة ١٩٢٧ ·

٢ ـ تاريخ اللغات السامية ـ القاهرة ١٩٢٩ ·

الدكتور اسماعيل راجي الفاروقى :

١ ـ أصول الصهيونية فى الدين اليهودى ـ القاهرة ١٩٦٤ ·

دكتور السيد عبد العزيز سالم : دراســة فى تاريخ مدينــة صيدا فى العصر الاسلامى ـ بــيروت ١٩٧٠ ·

الدكتور التهامى نقـرة : سيكولوجية القصة فى القران ـ تونس ١٩٧٤ .
الطبرى : تاريخ الطبرى ـ القاهـرة ١٩٦٧ .
امين خليفة : تاريخ سورية قبل الفتح الاسلامى ـ بيروت ١٩٣٠ .
امين الريحاني : قلب لبنـان ـ بيروت ١٩٥٨ .
أنيس فريحة : أسماء المدن والقرى اللبنانية ـ بيروت ١٩٥٦ .
الدكتور بولس عياد : الاراميون فى مصر ـ القاهرة ١٩٧٥ .
الدكتور جمال حمـدان :
١ ـ اليهود انثربولوجيا ـ القاهرة ١٩٦٧ .
٢ ـ شخصية مصر ـ القاهرة ١٩٧٠ .
الدكتور جواد على : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (١٠ أجزاء) ـ بيروت ٦٨ / ١٩٧١ .
حبيب سعيد : المدخل الى الكتاب المقدس ـ القاهرة ـ
الدكتور حسـن ظاظا :
١ ـ القـدس ـ الاسكندرية ١٩٧٠ .
٢ ـ الساميون ولغاتهم ـ الاسكندرية ١٩٧٠
٣ ـ الفكر الدينى الاسرائيلى ـ القاهـرة ١٩٧١ .
الدكتور حسن محمود وآخرون : حضارة مصر والشرق القديم ـ القاهرة .
الدكتور رشيد الناضورى :
١ ـ جنوب غربى آسيا وشمال أفريقيا (جزءان) ـ بـيروت ٦٨ / ١٩٦٩ .
الدكتور سليم حسن : مصر القديمة (١٣ جزءا) القاهرة ٤٠ / ١٩٦٠ .
الدكتور صبرى جرجس : التراث اليهودى الصهيونى ـ القاهرة ١٩٧٠ .
الدكتور طه باقـر : مقدمـة فى تاريخ الحضـارات القديمة (جـزءان) ـ بغـداد ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ .

الدكتور عبد الحميد زايد :

١ ـ مصر الخالدة ـ القاهـرة ١٩٦٦ .

٢ ـ الشرق الخالد ـ القاهـرة ١٩٦٦ .

٣ ـ القدس الخالدة ـ القاهـرة ١٩٧٤ .

الدكتور عبد الرحمن الانصارى : لمحات عن بعض المدن القديمة فى شمال غربى الجزيـرة العربية ـ مجلـة الدارة ـ العـدد الاول ـ الريـاض ١٩٧٥ .

الدكتور عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم ـ الجزء الاول ـ مصر والعراق ـ القاهـرة ١٩٦٧ .

عصام حفنى ناصف : محنة التوراة على أيدى اليهود ـ القاهرة ١٩٦٥ .

الدكتور فؤاد حسنين :

١ ـ اسرائيل عبر التاريخ ـ الجزء الاول ـ القاهرة .

٢ ـ التوراة الهيروغليفية ـ القاهرة ١٩٦٨ .

الدكتور محمد ابو المحاسن عصفور :

١ ـ معالم تاريخ الشرق الادنى القديم ـ القاهرة ١٩٦٨ .

٢ ـ المدن الفينيقية ـ بيروت ١٩٨١ .

الدكتور محمد بيومى مهران :

١ ـ الثورة الاجتماعية الاولى فى مصر الفرعونية ـ الاسكندرية ١٩٦٦ .

٢ ـ مصر والعالم الخـارجى فى عصر رعمسيس الثـالث ـ الاسكندرية ١٩٦٩ .

٣ ـ الساميون والاراء التى دارت حول موطنهم الاصلى ـ الريـاض ١٩٧٤ .

٤ ـ قصة الطوفان بين الاثار والكتب المقدسة ـ الرياض ١٩٧٥

٥ ـ العرب وعلاقاتهم الدولية فى العصور القديمة ـ الريـاض ١٩٧٦ .

٦ ـ حركات التحرير فى مصر القديمة ـ القاهرة ١٩٧٦ .
٧ ـ تاريخ العرب القديم ـ الريـاض ١٩٧٧ .
٨ ـ اسرائيل ـ التاريخ ـ (جزءان) ـ الاسكندرية ١٩٧٨ .
٩ ـ اسرائيل ـ الحضارة ـ (جزءان) ـ الاسكندرية ١٩٧٩ .
١٠ ـ دراسات تاريخية من القرآن الكريم (٤ أجزاء) ـ بيروت ١٩٨٨ .
١١ ـ مصر ـ الجزء اول ـ الاسكندرية ١٩٨٨ .
١٢ ـ مصر ـ الجزء الثانى ـ الاسكندرية ١٩٨٨ .
١٣ ـ مصر ـ الجزء الثالث ـ الاسكندرية ١٩٨٨ .
١٤ ـ الحضارة المصرية القديمة ـ الجزءالاول ـ الاسكندرية ١٩٨٩ .
١٥ ـ الحضارة المصرية القديمة ـ الجزء الثانى ـ الاسكندرية ١٩٨٩ .
١٦ ـ الحضارة العربية القديمة ـ الاسكندرية ١٩٨٨ .
١٧ ـ النبوة والانبياء عند بنى اسرائيل ـ الاسكندرية ١٩٧٨ .

الدكتور محمد سيد طنطاوى :

١ ـ بنو اسرائيل فى القرآن والسنة ـ الجزء الاول ـ القاهرة ١٩٦٨ .
٢ ـ بنو اسرائيل فى القرآن والسنة ـ الجزء الثانى ـ القاهرة ١٩٦٩ .

الدكتور محمد عبد اللطيف :

١ ـ تاريخ العراق القديم ـ الاسكندرية ١٩٧٧ .

الدكتور محمد عبد القادر : الساميون فى العصور القديمة ـ القاهرة ١٩٦٨

الدكتور محمد غلاب : الساحل الفينيقى وظهيره فى الجغرافيا والتاريخ ـ بـيروت ١٩٦٩ .

الدكتور مـراد كامل ـ والدكتور محمد حمـدى البكرى : تـاريخ الادب السريانى من نشاته الى الفتح الاسلامى ـ القاهرة ١٩٤٩ .

الدكتور مراد كامل : النصـوص الارامية التى كشفت حديثا فى مصر ـ القاهـرة ١٩٥٢ ٠

مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ـ بيروت ١٩٦٥ ٠

الدكتور مصطفى كمال عبد العليم : اليهـود فى مصر فى عصرى البطالمـة والرومـــان ـ القاهـرة ١٩٦٨ ٠

منـير الخـورى : صيدا عبر حقب التاريخ ـ بيروت ١٩٦٦ ٠

موريس شـهاب : الاسكندر الاكبر فى صيدا ـ مجلة الشرق ـ السنة ٢٧ ـ بـيروت ١٩٢٩ ٠

الدكتور نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديـم (٦ أجـزاء) ـ الاسكندرية ٦٣ / ١٩٦٦ ٠

الدكتور يوسف مزهـر : تاريخ لبنان العام ـ الجزء الاول ـ بيروت ٠

ياقـوت الحموى : معجم البلدان (٥ أجزاء) ـ بيروت ٥٥ / ١٩٥٧ ٠

قاموس الكتاب المقدس (جزءان) ـ بيروت ٦٤ / ١٩٦٧ ٠

ثانيا : المراجع المترجمة الى اللغة العربية :

اندريه بـارو : بلاد آشور ـ ترجمة عيسى سلمان وسليم التكريتى ـ بغداد ١٩٨٠ .

اندريه ايمار ، وجانين أبوايه : الشرق واليونان القديمة ـ ترجمة فريد داغر ، وفؤاد أبو ريحان ـ بيروت ١٩٦٤ .

الويس موسـل : شمال الحجـاز ـ ترجمـة عبد المحسـن الحسينـى ـ الاسكندرية ١٩٥٢ .

باروخ سبينوزا : رسالة فى اللاهوت والسياسة ـ ترجمة وتقديم حسن حنفى ـ القاهـرة ١٩٧١ .

تيودور روبنسون : تاريخ العالم : اسرائيل فى ضـوء التاريخ ـ ترجمـة عبد الحميد يونس ـ القاهـرة .

ج . كونتنـو : الحضارة الفينيقية ـ ترجمة محمد عبد الهادى شعيرة ـ ومراجعة الدكتور طه حسين ـ القاهرة ١٩٦٥ .

جوستاف لوبون : اليهود فى تاريخ الحضارات الاولى ترجمة عادل زعيتر ـ القاهـرة ١٩٦٧ .

سبتينو موسكاتى : الحضارات السامية القديمة ـ ترجمه وزاد عليه الدكتور السيد يعقوب بكر ـ القاهـرة ١٩٦٨ .

فيلب حتى : لبنان فى التاريخ ـ ترجمة أنيس فريحة ونقـولا زيـادة ـ بيروت ١٩٥٩ .

فيلب حتـى :

١ ـ تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ـ الجزء الاول ـ ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق ـ بيروت ١٩٥٨ .

ليو أوبنهايم : بلاد ما بين النهرين ـ ترجمة سعد فيضى ـ بغداد ١٩٨١ .

و . ج . بزنج : تراث العالم القديم ترجمة ـ زكى سوس ـ القاهرة ١٩٧١ .

ول ديورانت : قصة الحضارة ـ الجزء الثانى ـ ترجمة محمد بدران ـ القاهرة ١٩٦١ .

وليم أولبرايت : آثار فلسطين ـ ترجمة زكى اسكندر ومحمد عبد القادر ـ القاهرة ١٩٧١ .

يوسفيوس : تاريخ يوسفيوس ـ دار صادر ـ بيروت .

دائرة المعارف الاسلامية : دار الشعب ـ القاهرة ٦٩ / ١٩٧٢ .

ثالثا : المراجع الاجنبيـة :

Albright, (W. F.),

1. The Archaeology of Palestine, London, 1949.
2. The Bible and The Ancient Neat East, London, 1961.
3. The Bible Period From Abraham to Ezra, N. Y., 1963.
4. Archaeology and The Religion of Israel, Baltimore, 1963.
5. Historical Geography of Palstine, AASOR, 1923.
6. Recent Discoveries in Bible Land, N. Y., 1955.

Altheim, (F.) and Stiehl (R.) Die Araber in Alten Welt, Berlin, 1964-1968.

Barton, (G. A.), Semitic and Hamitic Origins, London, 1934.

Barmaki, (D.), Phonenici and The Phoenicians, Beirut, 1961.

Baron (S. W.), A Social and Religions History of The Jews, N. Y., 1967.

Bentwich, (N.), Palestine, London, 1934.

Bonfante, (G.), Who Were The Philistines, in AJA, L, 1946.

Bottero, (J.),

1. Syria at The Time of The Kings of Agads, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971.
2. Syria During The Third Dynasty of ur, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971.
3. Archives Royal de Mari, 7, Paris, 1957.

Bottero (J.) and Others The Near East, The Early Civilizations, London, 1967.

Bowman, (R. A.), Arameans, Aramaic and The Bible, in JNES, 7, 1948.

Box, (G. H.), Judaism in The Greek Period, Oxford, 1953.

Brandies, (L. T.), On Zionism, New York, 1942.

Breasted, (J. H.),

1. Ancient Records of Egypt, 5 Vols, Chicago, 1906-1907.
2. The Dawn of Conscience, New York, 1939.

3. A History of Egypt, From The Earliest Times to Persian Conquest, New York, 1946.

Bright, (J.), A History of Israel, Philadelphia, 1969.

Burney, (C. F.),

1. Israel's Settlement in Canaan, London, 1918.

2. The Book of Judges, London, 1920.

Clermont-Ganneau, (C. S.), La Stele de Mesa, Paris, 1887.

Cohen, (I.), A Short History of Zionism, New York, 1951.

Contenau, (G.), La Civilisation Phoenicienne, Paris, 1949.

Cook, (S. A.),

1. Israel and The Neighbouring in CAH, III, Cambridge, 1965.

2. The Rise of Israel, in CAH, II, Cambridge, 1931.

3. The Fall and Rise of Judah, CAH, III, Cambridge, 1965.

4. The Prophets of Israel, CAH, III, Cambridge, 1965.

Cooke, (G. A.), A Text-Book of North-Semitic Inscriptions, Moabite, Hebrew, Phoeonician, Aramaic Nabataean, Palmyrene, Jewish, Oxford, 1903.

Cowley, (A. E.), Aramaic Papyri of The Fifth Century, B. C, Oxford, 1923.

Davies, (A. P.), The Ten Commandment, New York, 1965.

Dhorme, (E.), Le Religion Des Hebreux Nomades, N. S. B, Bruxelles, 1937.

Dimont, (M.), Jews, God and History, N. Y, 1962.

Driver, (G. R.),

1. Aramaic Documents Of The Fifth Century, B. C, Oxford, 1954.

2. Canaanite Myths and Legends, Edinburgh, 1956.

3. Semitic Writing, London, 1954.

Driver, (S. R.), An Introduction To The Literature Of The Old

Testament, Edinburgh, 1950.

Drower, (M. S.), Syria Before 2200 B. C., in CAH, I, Part 2, Cambridge 1971.

Dupont - Sommer, (A.), Les Arameens, Paris, 1949.

Dussaud, (R.),

1. Les Arabes en Syria avant L' Islam, Paris, 1907.

2. La Penetration des Arabes en Syria avant L'Islam, Paris, 1955.

3. Les Religions des Hittites et des Hourrites, des Pheniciens et des Syriens, Paris, 1945.

Edgerton, (W. F.), and Wilson, (J. A.), Historical Records of Ramses III, Chicago, 1935.

Elgood, (S. R.), Later Dynasties Of Egypt, Oxford, 1951.

Eissfeldt, (O.), The Hebrew Kingdom, in CAH, II, Part, 2, Cambridge, 1975.

Epstein, (I.), Judaism, (Penguin Books), 1970.

Erman, (A.), The Literature of The Ancient Egyptians, London, 1927.

Faulkner, (R. O.), The Wars of sethos, in JEA, 33, 1947.

Finegan (J.), Light From The Ancient Past, The Archaeogical.

Background of Judaism and Christianity, Princeton, 1969.

Frankfort, (H.),

1. The Birth of Civilization in The Near East, London, 1951.

2. The Art and Architecture of The Ancient Orient London, 1958.

Freud, (S.) Moses and Monotheism, Translated From German, by K. Jones, New york, 1939.

Foster, (C. K.), A History of The Hebrew People, London.

Friedlander, The Jews of Arabia and Rechabites, JQR, 1910-1911.

Hall, (H. R.) The Ancient History of The Near East, London, 1963,

Gardiner, (A. H.),

1. The Delta Residence of The Ramessides, in JEA, 5, 1918.
2. The Supposed Egyptian Equivalent of The Name of Goshen, in JEA, 5. 1918.
3. Tanis and P; Ra'msesse, A. Retraction, in JEA, 9. 1933.
4. Ancient Egyptian Onomastica 3 Vols, Oxford, 1947.
5. Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961.
6. Egyptian Grammar, Oxford, 1966.
6. The Geography of Exodus, in JEA, 10. 1924.

Garber, (P. L.), Reconstructing Solomon's Temple, in BA, 14, 1951.

Garsting, (J.), Joshua and Judges, The Foundations of The Bible History. London, 1931.

Ghirshman, (R.) Iran, (Penguin Books), 1954.

Ginsberg, (H. L.), Aramaic Letters, in ANET, 1966.

Glover, (T. R.), The Ancient World, (Penguin Books), 1968.

Glueck, (N.),

1. The Other Side of The Jordan, New Haven, 1945.
2. The Excavations of Solomon's Seeport, Ezion Gaber, SIAR, 1941.

Goitein, (S. D.), Jews and Arabes, New York, 1955.

Griffith, (J. C.), The Egyptian Derivation of The Name moses, in JNES, 12, 1953.

Guillaume, (A.), Prophecy and Divination among The Hebrews and Other Semites, London, 1938.

Gureny, (O.R.) The Hittites, (Penguin Books) 1969.

Hallo, (W.W.), and Simpson, (W.K.), The Ancient Near East History, U.S.A., 19711.

Hamza, (M.), Excavations of The Department of Antiquities at Qantir, in ASAE, 30, 1930.

Harden, (D.B.), The Phoenicians, London, 1962.

Hastings, (J.),

1. A Dictionary of The Bille, Edinburgh, 1936.

2. Encyclopaedia of Religion and Ethics, Edinburgh 1908-1921.

Hayes, (W.C.), The Scepter of Egypt, II, Harvard, 1959.

Heaton, (E.W.), The Old Testament Prophets, (Penguin Books), 1969.

Hees, (M.), Rome and Jerusalem, New York, 1945.

Hitti, (P.K.),

1. The Near East in History, Princeton, 1961.

2. History of Syria, London, 1951.

Hornell, (J.), Sea-Trade in Early Times in Antiquity, 15, 1941.

Horovity, (J.), Judaeo-Arabic Relations in Pre-Islames Times, in IC, III, 1929.

Jack, (J.W.),

1. The Date of The Exodus, Edinburgh, 1925.

2. Samaria in Arabs's Time, Edinburgh, 1929.

Judith Marquet-Krause. Les Fouilles de C Ay, (et-Tell), 1933-1935, 2 Vols, 1949.

Kees, (H.), Ancient Egypt, London, 1961.

Keller, (W.), The Bible As History, 1967.

Kenyon, (K.M.),

1. Arthaeology in The Holy Land, London, 1970.

2. Excavations in Jerusalem, 1961, in PEQ, 94, 1962.

3. Excavations in Jerusalem, 1962, in PEQ, 95, 1963.

Kraeilng, (E.G.),

1. Aram and Israel, New York, 1918.

2. The Brooklyn Museum Aramaic Papyri, New Haven, 1953.

Kramer, (S.N.), The Sumerians, Chicago 1970.

Kupper, (J.R.),

1. Les Nomades en Mesopotamia au Temps der rois de Mari, Paris, 1957.

2. Northen Mesopotamia and Syria, in CAH, II, Part, I, Cambridge, 1973.

3. Archives Royal de Mari, 6, Paris, 1954.

Largement, (R.), La Religion Cananenne Tournai, 1956.

Leemans, (W.F.), Foreign Trade in The Old Babylonian Period, Leiden, 1960.

Lewy, (J.), Amurritica, in HUCA, 32, 1961.

Lie, (A.G.), The Inscriptions of Sargon, II, Part, I, The Annals, 1929.

Lods, (A.), Israel, From its Beginnings to The Middle of The Eighth Century, London, 1962.

Luckenbill, (D. D.), Ancient Records of Assyria and Babylonia, Chicago, 1927.

Macalistr, (R.A.S.), The Topography of Jerusalem, in CAH, III, Cambridge, 1965.

Malamat, (A.),

1. The Last Wars of The Kingdom of Judah, in JNES, 9, 1950.

2. Aspects of The Foreign Policies of David and Solomon, in JNES, 22, 1963.

3. The Aramaeans in Aram Naharaim and The Rise of Their State, Jerusalem, 1952.

Margoliouth, (D.S.), The Relations Between Arabs and Israelites Prior to The Rise of Islam, London, 1924.

May, (H.G.), Three Hebrew Seals and The Status of Exiled Jehoiakin, in AJSL, Lvi, 1939.

Meek, (J. J.), Hebrew Origins, New York, 1950.

Mendenhall, (G.), Biblical History, in Transition in The Bible and The Ancient Near East, London.

Mercer, (S. A. E.), The Tell-El-Amarna Tablets, 2 Vols, Toronto, 1939.

Milgrom, (J.), The Date of Jeremiah, in JNES, 14, 1955.

Montgomery, (J. A.), Arabia and The Bible, Philadelphia, 1934,

Montet, (P.),

1. L'Egypt et Bible, Neuchatel, 1959.
2. Bablos et Egypte, Paris, 1928.

Moscati, (S.),

1. The World of The Phoenicians, Translated by Hamilton, London, 1968.
2. Ancient Semitic Civilization, London, 1957.

Mowinckel, (S.), General Oriental and Specific Israelite Elements in The Israelite Conception of The Sacral Kingdom, 1959.

Muffs, (Y.), Studies in The Aramaic Legal Papyri from Elephantine, Leiden, 1968.

Musil, (A.), The Northern Hegas, New York, 1926.

Myres, (J. L.), King Solomon's Temple and Other Buldings and Works of Art, in PEQ, 80, 1948.

Naville, (E.),

1. The Geography of The Exodus, JEA, 10, 1924.
2. Archaeology of The Old Testament, London 1913.

Noth, (M.), The History of Israel, London, 1965.

O' Callaghan, (R.T.), Aram Naharaim, Roma, 1961.

Oesterley, (W.O.E.), Egypt and Israel, in The Legacy of Egypt, Oxford, 1947.

Olmstead, (A.T.),

1. History of The Persian Empire, Chicago, 1970.
2. The Western Asia in The Days of Sergon of Assyria, Chicago, 1908.
3. Reforms of Josiah in its Secular Aspects, AHR, 20, 1915.

Oppenhim, (A.L.),

1, Babylonian and Assyrian Historical Texts, in ANET, 1966.

2. The Archives of The Palace of Mari, JNES, 11, 1952.

Parker, (J.), A. History of The Jewish People, London, 1964.

Parrot, (A.), Les Fouilles de Mari, in Syria 18, 1937.

Petrie, (W.F.M.),

1. A. History of Egypt, II, III, London, 1927.
2. Egypt and Israel, London, 1925.

Pfeffer, (R.B.), Introduction to The Old Testament, New York, 1941.

Philly, (J. B.),

1. The Land of Midian, in MEJ,9, 1955.
2. The Background of Islam, Alexandria, 1947.

Pliny, Natural History, London, 1962.

Pritchard, (J.B.), Ancient Near Eastern Texts, Relating to The Old Testament, Princeton, 1966.

Rabinowitz, (J.J.), Jewish Low, New York, 1965.

Renan, (E.),

1. Histoire du Peuple d'Israel, Paris, 1887.
2. Histoire et Systeme Compare des Langues Semetique, Paris, 1855.

Ricciotti, (G.), The History of Israel, I, Milwankee, 1955.

Rodinson, (M.), Israel and Arabs, (Penguin Books), 1968.

Roth, (C.), Ashort History of The Jewish People, London, 1969.

Roux, (G.), Ancient Iraq, (Penguin Books), 1980.

Row, (A.), The Topography and History of Beth-Shan, Pennsylvania, 1930.

Rowley, (H.H.),

1. The Aramaic of The Old Testament, London, 1929.
2. From Joseph to Joshue, London, 1950.
3. The Unity of The Bible, Philadelphia, 1953.

Sachar, (A.L.), A History of The Jews, New york, 1945.

Saller, (S. J.), The Memorial of Moses on Mount Nebo, 2 Vols, London, 1941.

Sayce, (A. H.), The Egypt of The Hebrews and Herodotus, London, 1896.

Sayce, (A. H.), and Cowley, (A. E.), Aramaic Papyri Discovered at Assuan, London, 1906.

Sellin, (E.), Mose und Seine Bedeutung fur die Israelitisch - Judische Religion Sgeschichte, Leipzig, 1922.

Shaeffer, (A.) Ugaritica I - III, Paris, 1939 - 1956.

Simon, (J.), Jerusalem in The Old Testament, Leiden, 1952.

Smith, (G. A.), Historical Geography of The Holy Land, New York, 1932.

Smith, (G. A.), and others, The Legacy of Israel, Oxford, 1953.

Smith, (J. W. D.), God and Man in Early Israel, London.

Sprengling, (M.), The Alphabet its Rise and Development from Sinai Inscriptions, Chicago, 1931.

Steindorff, (G.) and Seele, (K. C.), When Egypt Ruled The East, Chicago, 1963.

Strabo, The Geography of Strabo, Translated by, H. L. Jones, London, 1961.

Thureau - Dangin, (F.), Textes de Mari, in BA, 33, 1936.

Torrey, (C.C.),

1. The A pocryphial Literature, New Haven, 1948.
2. Pseudo - Ezekiel and Original Prophecy, New Haven, 1930.

Unger, (M.F.),

1. Israel and The Aramaeans of Damascus, London, 1957.
2. Unger's Bible Dictionary, Chicago, 1970.

Vincent, (W.), La Religion des Judeo - Arameens d' Elephantine, Paris, 1937.

Wainwright, (G.A.), Some Sea-People, in JEA, 47, 1961.

Waterman, (L.), The Treasuries of Solomon's Private Chapel, in JNES, 6, 1947.

Wells, (H.G.),

1. Ashort History of The World (Penguin Books), 1965.
2. The Outline of History, New york, 1956.

Weigall, (A.), A History of The Pharaohs, 2 Vols, London, 1931.

Wilson, (J. A.),

1. The Culture of Ancient Egypt, Chicago, 1963.
2. ANET, 1966.

Woolley, (L.),

1. The Beginnings of Civilization, New York, 1965.
2. Ur of The Chaldees (Pelican Books), 1983.
3. Excavations at Ur, London, 1963.

Wright, (G. E.),

1. Isamuel, 13, 19-22, in Biblical Archaeologist, 6, 1943.
2. The Bible and The Ancient Near East, New York, 1965.

Yadin, (Y.), New Light on Solomon's Mejiddo, in BA, 23, 1960.

Yaron, (R.), Introduction to The Law of The Aramaic Papyri, Oxford, 1961.

Yeivin, (G. E.), The Sepulchess of The Kings of The Hous of David, in JNES, 7, 1948.

1. Encyclopaedia Biblica.
2. Encyclopaedia Britannica.
3 Encyclopaedia of Islam.
4. Encyclopaedia of Religion and Ethics.
5. The Jewish Encyclopaedia N. Y., 1903.
6. Historical Atlas of The Holy Land N. Y., 1959.
7. The Westminester Historical Atlas to The Bible, Philadelphia, 1946.

محتـــويات الكتـــاب

الباب الأول

الموقـــــع والســـكان

الباب الثانى

الامـوريـــون

الباب الثالث

الفينيقيــــون

الباب الخامس

ممـــالك شرق الاردن

الباب السادس

بنـــو اسرائيـــل

الباب السابع

العناصر غير السامية فى بلاد الشام

مؤلفـــــــات

الاستاذ الدكتور محمد بيومى مهران
أستاذ تاريخ مصر والشرق الادنى القديم
ورئيس قسم التاريخ والاثار المصرية والاسلامية
بكلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية

أولا : فى التاريخ المصرى القديم :

١ ـ الثورة الاجتماعية فى مصر الفراعنة الاسكندرية ١٩٦٦

٢ ـ مصر والعالم الخارجى فى عصر رعمسيس الثالث الاسكندرية ١٩٦٩

٣ ـ حركات التحرير فى مصر القديمة ـ دار المعارف القاهرة ١٩٧٦
(وهو الجزء الثالث من سلسلة دراسات فى تاريخ الشرق الادنى القديم)

٤ ـ اخناتون : عصره ودعوته الاسكندرية ١٩٧٩
(وهو الجزء الرابع من سلسلة دراسات فى تاريخ الشرق الادنى القديم)

٥ ـ مصر الكتاب الاول ـ التاريخ الاسكندرية ١٩٨٢

٦ ـ مصر الكتاب الثانى ـ التاريخ الاسكندرية ١٩٨٤
وهما الجزءان الاول والثانى من سلسلة دراسات فى تاريخ الشرق الادنى القديم ٠

٧ ـ الحضارة المصرية القديمة الاسكندرية ١٩٨٤
(وهو الجزء الخامس من سلسلة دراسات فى تاريخ الشرق الادنى القديم) ٠

ثانيا : فى تاريخ اليهود القديم :

٨ ـ دراسات فى تاريخ اليهود القديم ـ التوراة (١) ـ مجلة الاسطول ـ العدد ٦٢ الاسكندرية ١٩٧٠

٩ ـ دراسات فى تاريخ اليهود القديم ـ التوراة (٢) ـ مجلة الاسطول ـ العدد ٦٤ الاسكندرية ١٩٧٠

١٠ ـ دراسات فى تاريخ اليهود القديم ـ التوراة (٣) ـ مجلة الاسطول ـ
العدد ٦٥ الاسكندرية ١٩٧٠

١١ ـ قصة أرض الميعاد بين الحقيقة والاسطورة (١) مجلة الاسطول ـ
العدد ٦٦ الاسكندرية ١٩٧١

١٢ ـ قصة أرض الميعاد بين الحقيقة والاسطورة (٢) ـ مجلة الاسطول ـ
العدد ٦٧ الاسكندرية ١٩٧١

١٣ ـ النقاوة الجنسية عند اليهود ـ مجلة الاسطول ـ العدد ٦٨
الاسكندرية ١٩٧١

١٤ ـ اخلاقيات الحرب عند اليهود ـ مجلة الاسطول ـ العدد ٦٩
الاسكندرية ١٩٧١

١٥ ـ التلمود ـ مجلة الاسطول ـ العدد ٧٠ الاسكندرية ١٩٧٢

١٦ ـ اسرائيل : الكتاب الاول ـ التاريخ الاسكندرية ١٩٧٨
(وهو الجزء السابع من سلسلة دراسات فى تاريخ الشرق الادنى القديم)

١٧ ـ اسرائيل ـ الكتاب الثانى ـ التاريخ الاسكندرية ١٩٧٨
(وهو الجزء الثامن من سلسلة دراسات فى تاريخ الشرق الادنى القديم)

١٨ ـ اسرائيل ـ الكتاب الثالث ـ الحضارة الاسكندرية ١٩٧٩
(وهو الجزء التاسع من سلسلة دراسات فى تاريخ الشرق الادنى القدبم)

١٩ ـ اسرائيل ـ الكتاب الرابع ـ الحضارة
(وهو الكتاب العاشر من سلسلة دراسات فى تاريخ الشرق الادنى القدبم)

٢٠ ـ النبوة والانبياء عند بنى اسرائيل الاسكندرية ١٩٧١

ثالثا : فى تاريخ العرب القديم :

٢١ ـ الساميون والاراء التى دارت حول موطنهم الاصلى
مجلة كلية اللغة العربية ـ العدد الرابع الرياض ١٩٧٤

٢٢ ـ العرب وعلاقاتهم الدولية فى العصور القديمة
مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ـ جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ـ العدد السادس الرياض ١٩٧٦

٢٢ ـ مركز المرأة فى الحضارة العربية القديمة
مجلة كلية العلوم ـ جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ـ العدد الاول الرياض ١٩٧٧

٢٤ ـ دراسات فى تاريخ العرب القديم
(وهو الجـزء السادس من سلسلة دراسات فى تاريخ الشرق الادنى القديم • وقد أصدرته جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، تحت رقم (١) من المكتبة التاريخية) الرياض ١٩٧٧

٢٥ ـ دراسات تاريخية من القرآن الكريم ، الجزء الاول فى بلاد العرب (أصدرته جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ـ تحت رقم (٢) من المكتبة التاريخية) الرياض ١٩٨١

٢٦ ـ دراسة حول الديانة العربية القديمة الاسكندرية ١٩٧٨

٢٧ ـ العرب والفرس فى العصور القديمة الاسكندرية ١٩٧٨

٢٨ ـ دراسات فى الحضارة العربية القديمة تحت الطبع

٢٩ ـ الفكر الجاهلى ، المجلس الاعلى للثقافة القاهرة ١٩٨٢
(بحث فى كتاب الحضارة الاسلامية على مدى أربعة عشر قرنا)

رابعا : فى تاريخ العراق القديم :

٢٠ ـ قصة الطوفان بين الاثار والكتب المقدسة
مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ـ العدد الخامس
الرياض ١٩٧٥

٢١ ـ قانون حمورابى وأثره فى تشريعات التوراة الاسكندرية ١٩٧٩

٢٢ ـ المدخل فى تاريخ الشرق الادنى القديم ـ (بالاشتراك مع الاستاذ الدكتور رشيد الناضورى)، (جامعة الامام محمدبن سعود الاسلامية) •

خامسا : دراسات تاريخية من القرآن الكريم :

الجزء الاول : فى بلاد العرب بيروت ١٩٨٨

الجزء الثانى : فى مصر بيروت ١٩٨٨

الجزء الثالث : فى بلاد الشام بيروت ١٩٨٨

الجزء الرابع : فى العراق بيروت ١٩٨٨

سادسا : مصر والشرق الادنى القديم :

الجـزء الاول : مصر ـ الجـزء الاول الاسكندرية ١٩٨٨

الجزء الثانى : مصر ـ الجـزء الثانى الاسكندرية ١٩٨٨

الجزء الثالث : مصر ـ الجزء الثالث الاسكندرية ١٩٨٨

الجـزء الرابع : الحضارة المصرية القديمة ـ الجزء الاول الاسكندرية ١٩٨٩

الجزءالخامس : الحضارة المصرية القديمة ـ الجزءالثانى الاسكندرية ١٩٨٩؛

الجزء السادس: تاريخ العـرب القديم الاسكندرية ١٩٨٨

الجزء السابع : الحضارة العربية القديمة الاسكندرية ١٩٨٨

الجزء الثامن : تاريخ بلاد الشام القديم الاسكندرية ١٩٩٠

الجزء التاسع : تـاريخ المغـرب القديم تحت الطبع

الجزء العاشر : تاريخ العـراق القديـم تحت الطبع

سابعا : فى رحـاب النبى وآل بيته الطاهرين :

الجـزء الاول : السـيرة النبويـة الشريفة تحت الطبع

الجـزء الثـانى : السـيرة النبوية الشريفـة تحت الطبع

الجـزء الثـالث : السيرة النبويـة الشريفة تحت الطبع

الجـزء الرابـع : السيدة فـاطمة الزهـراء تحت الطبع

الجـزء الخامس : الامام على بن أبى عالب تحت الطبع

الجـزء السادس : الامـام الحسـن بن على تحت الطبع

الجـزء السـابع : الامـام الحسـين بن على تحت الطبع

الفنية للطباعة والنشر
٤٨ شارع جوده - إبس السيد - الاسكندرية
تليفون ٨٠٣٢٥٠